

عبد الله فكري الخاني

الدبلوماسية السورية في عقدين

(١٩٥٩-١٩٨٠)

مسح شهاب الدمشقي



دار النفائس



الدبلوماسية السورية في عقدين

١٩٥٩ - ١٩٨٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن ما تنشره الدار يعبر عن رأي كاتبه، ولا يعني تبنيها له،
أو مسؤوليتها عنه بأي شكل من الأشكال

الدبلوماسية السورية في عقدين

(١٩٥٩ — ١٩٨٠)

تأليف
عبدالله فكري الخاني

دار النفائس

الدبلوماسية السورية في عقدين (١٩٥٩ - ١٩٨٠)

تأليف: عبدالله فكري الخاني

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

ISBN 9953 - 18 - 125 -x

Publisher

نشر



DAR AN-NAFAES

Printing-Publishing-distribution

Verdun Str - Safiedine bldg.

P.o.Box 14-5152

Zip code 1105-2020

Fax: 009611 861367

Tel: 00961 1 803152 - 810194.

Beirut - Lebanon



دار النافيس

للطباعة والنشر والتوزيع

شارع فردان - بناية الصباح

وصفي الدين - ص.ب 5152 - 14

الرمز البريدي: 1105 - 2020

فاكس: 009611861367

هاتف: 803152 - 009611810194

بيروت - لبنان

Email: nafaes@alnafaes.com

Web Site: WWW.alnafaes.com

المقدمة

هذا كشف موجز للسفارات التي عملت فيها أثناء قيام الوحدة بين سورية ومصر فيما عُرف بالجمهورية العربية المتحدة، ثم، وبعد الانفصال، في وزارة الخارجية العربية السورية، قبل انتقالي إلى وزارة السياحة، كوزير.

بعد وزارة السياحة، عدت إلى وزارة الخارجية كمعاون للوزير ثم جرى تعييني سفيراً في الهند وسفيراً غير مقيم في سري لانكا، وفي بورما، وفي النيبال وفي بنغلاديش وفي أفغانستان.

سأستعرض، في هذا الكتيّب، المرحلة الأولى من عملي الدبلوماسي، أي قبل الانتقال إلى وزارة السياحة، مرجئاً بحث ما قمت به فيما بعد، أي في وزارة الخارجية ثم في سفارة الهند والسفارات التابعة لها، إلى كتيّب آخر أستعرض فيه هذه الفترة من العمل الدبلوماسي، قبل انتخابي عضواً في محكمة العدل الدولية بلاهاي.

هذه الفترة التي سأغطيها الآن كانت ملائمة بالأحداث الهامة سواء في منطقتنا أم في الدول التي عملت فيها، أستعرضها بشكل موجز، لأن كل سفارة عملت فيها تستحق كتيباً خاصاً بها، وسأسعى جهدي لإبراز أهم ما جرى فيها من أحداث.

ويلاحظ القارئ، أنني وخلال عملي في وزارة الخارجية في زمن الجمهورية العربية المتحدة، أي خلال أقل من ثلاث سنوات، انتقلت إلى أربعة مراكز دبلوماسية، ثم، وفي الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٠، أي خلال ٧ سنوات من عمر الثورة، عملت في سفارتين وفي الإدارة المركزية لوزارة الخارجية بدمشق مرتين، مما يدل على عدم الاستقرار في وزارة الخارجية نتيجة عدم الاستقرار في الدولة وفي عمل الدبلوماسيين السوريين وأنا منهم، مما أدى إلى عدم الاطلاع الكافي والخبرة والإنتاج.

ولم تعرف وزارة الخارجية السورية ولم يعرف موظفوها الاستقرار السياسي والوظيفي والفكري إلا بعد الحركة التصحيحية التي قادها المغفور له الرئيس حافظ الأسد، الذي أرسى دعائم سياسية متوازنة بين الشرق والغرب، سياسة بيّنة المعالم، ثابتة الأركان، قومية الأهداف، عندئذٍ تمكّن الدبلوماسيون السوريون من الاستقرار في مراكزهم والإنتاج في عملهم، حيث تقرر أن يمضي الدبلوماسي السوري في الإدارة المركزية للوزارة سنتين يُنقل بعدها لإحدى البعثات الدبلوماسية لمدة خمس سنوات يعود بعدها إلى الإدارة المركزية في الوزارة لسنتين، وهكذا.

وجاء استقرار عمل موظفي السلك السياسي السوري نتيجة استقرار وزير الخارجية في منصبه وإطلاعه الدائم والمستمر على سياسة الدولة وعلى سياسات الدول الأجنبية، بداية بالأستاذ عبد الحلیم خدام ثم الأستاذ فاروق الشرع اللذين حققا للدبلوماسية السورية الاستقرار والإنتاج.

فإليهما، وإلى من وضع لسورية سياسة خارجية مستقرة ومحترمة، أقدم هذا الكتيب مع تقديري واحترامي.

العمل في وزارات الخارجية

بعد أن توحدت دولتا سورية ومصر في الجمهورية العربية المتحدة، وبعد أن انتخب الرئيس جمال عبد الناصر رئيساً لهذه الجمهورية وأصبحت القاهرة العاصمة الموحدة للجمهورية، لم يعد هناك مجال للعمل في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية بدمشق، فانتقل من أراد من موظفيها إلى ملاك رئاسة الوزارة في الإقليم الشمالي (سورية) نظراً لأن ملاكي رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة كانا يشكلان ملاكاً واحداً، أو أعيد إلى وزارة الخارجية من كان قد ندب منها أو فضّل الاستقالة والعمل الحر.

كان عليّ أن أسلم الوثائق التي كانت بعهدتي في القصر إلى جهة ما، فقدّمها بمحضر مسجل إلى رئاسة مجلس الوزراء في سورية، وعندما سألت عنها مؤخراً، قيل لي إنها إما أرسلت إلى القاهرة في ذلك الحين أو أنها احترقت عندما اندلعت النيران في مبنى رئاسة الوزراء عام ١٩٨٢. وقد أسفت لذلك أسفاً شديداً لأن تلك الوثائق كانت قد سجلت تاريخ سورية في حقبة هامة منذ وجودي في الأمانة العامة، أي منذ ١٩٤٨ حتى إقامة الوحدة عام ١٩٥٨.

بعد قيام الوحدة الاندماجية بين القطرين الشقيقين سورية ومصر، أصبح لزاماً توحيد القوانين والأنظمة المعمول بها في الإقليمين، وتشكلت إثر ذلك لجان مختلفة مشتركة للتنسيق والتوحيد، منها لجنة توحيد القوانين، كنت مع الزملاء أنور مريدن وحامد العامري (تعمدهما الله برحمته) ومحمد دعبول (أبو سليم) أحد أعضائها. عقدت هذه اللجنة مع اللجنة المقابلة من مصر عدة اجتماعات وبدأت بدراسة التسميات للقرارات والقوانين والمحاكم، ولاحظنا أن زملائنا المصريين يصرون على الاحتفاظ بتسمياتهم باعتبارها، في اعتقادهم، أكثر دقة وتعبيراً من التسميات السورية.

لم أحضر من هذه الاجتماعات إلا القليل لأنني كنت أسعى للانتقال إلى وزارة الخارجية والعمل في إحدى السفارات في الخارج.

بداية، رغب إلي الرئيس عبد الناصر أن أنتقل إلى جهاز الأمناء في قصر الرئاسة بالقاهرة، قياساً على ما أجراه مع المسؤولين السوريين، أعضاء الحكومة والضباط، عندما عينهم نواباً له ووزراء في الوزارة المركزية أو في الوزارة الإقليمية الشمالية، وكان يعرفني منذ عام ١٩٥٦ ثم عندما منحتني وسام الاستحقاق المصري من الدرجة الأولى (الوشاح الأكبر) الذي ما زلت أحمله وأفخر به.

إلا أنني كنت رجوت الرئيس القوتلي أن يأمر بنقلي إلى وزارة الخارجية، ذلك لأن والدي - تغمده الله بواسع رحمته - كان قد توفي قبل سنة من قيام الوحدة، ولم يعد لدي مانع من السفر. وقد تم نقلي إلى وزارة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة بتوجيه من الرئيس القوتلي إلى السفير السوري بالقاهرة السيد عبد الرحمن العظم إلى الرئيس عبد الناصر، الذي أمر بإجراء اللازم.

في وزارة الخارجية المصرية، وقبل أن أنقل إليها، لمست الروتين الطويل ولا سيما عندما جاءت اللجنة السورية المؤلفة من الدكتور علي أسعد الخانجي، الأمين العام، وغالب الكيالي وبشير القطب، المستشارين في وزارة الخارجية السورية، إلى القاهرة للعمل على دمج الوزارتين وتوحيد التمثيل السياسي. كانت اللجنة تنتظر مدة طويلة لدى سكرتير مدير الشؤون الإدارية السيد إبراهيم صبري قبل أن تدخل إليه وتناقش المواضيع والأمور المشتركة معه.

من جهة أخرى، حذّرتني من كان على اطلاع بطرق معاملة السفراء المصريين في الخارج لموظفيهم، مهما علت رتبهم، حذّرتني من شدتهم، فرغبت أن أعمل مع سفير سوري، وألححت على أن أذهب مع السفير عبد الرحمن العظم الذي عيّن سفيراً في إسبانيا. ونظراً لأن دعم طلبي جاء من القصر، فقد سارت أمور نقلي إلى الخارجية ثم إلى سفارة مدريد بأسرع ما يمكن.

كنت تعرفت على السفير عبد الرحمن العظم منذ عملي في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية بدمشق عام ١٩٤٨، عندما انتُخب عضواً مستقلاً عن حماه في مجلس النواب، وكان ممدوح السيرة، متزناً، محترماً من زملائه في المجلس ينشدون دعمه والتعاون معه لثقافته الواسعة ونبله وكريم أخلاقه، ثم ازدادت معرفتي به عندما دخل الوزارات المتتالية منذ مطلع الخمسينات، كما كنت أ لمس تقدير واحترام الرؤساء له، وتوثقت معرفتي به عندما عيّن سفيراً في مصر، وكان ذلك المنصب يعتبر من أعلى مناصب السلك السياسي في الخارجية السورية، وقد نجح خلال الفترة القصيرة التي قضاها في القاهرة، في إقامة أوثق العلاقات مع الرئيس جمال عبد الناصر وأعضاء

مجلس الثورة المصريين وأعضاء الحكومة، كما أقام علاقات مميزة مع رجال العلم والثقافة وأساتذة الجامعات ومع رجال الصحافة وكبار ضباط الجيش. وكنت أزداد إعجاباً به وتقديراً واحتراماً له كلما أُتيحت لي فرصة لقائه عندما كان لي شرف مرافقة الرئيس شكري القوتلي إلى القاهرة، ولمست أنه يبادلني الشعور نفسه، لذا ألححت على أن أذهب معه إلى سفارة الجمهورية العربية المتحدة في مدريد. ومع أن التوجيه العام كان أنه في حال وجود سفير سوري في إحدى السفارات وجب أن يكون الشخص الثاني في السفارة مصرياً والعكس بالعكس، فإذا كان السفير مصرياً تعيّن أن يكون مساعده، أي الشخص الثاني، سورياً، وكان الاستثناء الوحيد موضوعي، ولم يدم ذلك الاستثناء طويلاً.

وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة

١- في السفارة بمدرید: ٣/١١/١٩٥٨ - ١٥/٨/١٩٥٩

بعد أن صدر قرار نقلي إلى وزارة الخارجية في مصر وانتدابي إلى سفارة الجمهورية العربية المتحدة في مدرید، كان علي أن أعود إلى دمشق لترتيب أموري والتهيئة للالتحاق بعملتي الجديد.

لم يكن هنالك خط مباشر للطيران بين دمشق ومدرید، كما أن الطائرات، نصف النفاثة في ذلك الحين، ما كان باستطاعتها قطع المسافات الطويلة من دون التوقف في عدد من المطارات للتزود بالوقود، وهكذا كان علينا أن نسافر من دمشق إلى فيينا ومنها إلى روما ومنها إلى تونس فالجزائر فمدرید. عندما توجهت الطائرة من روما إلى تونس، وكان ذلك بعد الظهر، كانت الشمس تأتينا من الغرب، أي من الجهة اليمنى للطائرة، وبعد ساعة من الطيران لاحظت أن الشمس أصبحت تأتينا من الجهة اليسرى للطائرة، فقلت لزوجتي: إننا نتجه شمالاً وليس جنوباً، ولست أدري لذلك سبباً. وبعد قليل أعلن قائد الطائرة أن عطلاً طراً على أحد محركات الطائرة، وأنه عائد إلى روما لإبدال المحرك بغيره نظراً لعدم وجود محرك مماثل في مطار تونس.

وهكذا وصلنا مطار مدرید حول منتصف الليل عوضاً عن الساعة السادسة مساءً، وكم كانت دهشتي عندما وجدت جميع أعضاء سفارتنا بانتظاري للترحيب بنا في تلك الساعة المتأخرة من الليل، وقد شعرت بحرج شديد وقدرت لطفهم وعنايتهم.

أعضاء السفارة في مدرید كانوا، بالإضافة إلى السفير عبد الرحمن العظم:

| | |
|-------------------|----------------------------------|
| فؤاد هلال | : الوزير المفوض (مصري). |
| العقيد حسن فهمي | : الملحق العسكري (مصري). |
| الدكتور حسين مؤنس | : المستشار الثقافي (مصري). |
| الدكتور محمد مكي | : مساعد المستشار الثقافي (مصري). |

- عبد الحميد عوض : المستشار الصحفي (مصري).
 داود فرحات : مساعد المستشار الصحفي (مصري).
 وجيه مرزوق : السكرتير الأول (مصري).
 نبيل الديواني : السكرتير الثاني (مصري).
 حسين العطار : السكرتير الثاني والمحاسب (مصري).
 نهاد الهبل : موظف محلي (سوري).
 أما السفراء العرب الذين كانوا في مدريد وتعرفت عليهم، فكانوا:
- الدكتور مدحت شيخ الأرض : سفير المملكة العربية السعودية.
 الشيخ سامي الخوري : سفير لبنان (شقيق الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية السابق).
 السيد محمد بئونة : سفير المغرب.
 السيد محمد يونس : سفير الهند (كان سكرتيراً لجواهر لال نهرو) وكنت أعرفه من الهند.

السيد عبد الكريم محمود : مستشار السفارة اللبنانية.

لم يمضِ وقت طويل حتى استقرت في شقة مفروشة واسعة، وتعرفت على بعض السفراء العرب والأجانب وبعض كبار المسؤولين في وزارة الخارجية الإسبانية. ولحسن الطالع كان مدير عام الشؤون السياسية المسؤول عن منطقة الشرق الأوسط السيد «لوس أركوس»، وكنت أعرفه من دمشق عندما كان مستشار السفارة الإسبانية فيها وكنت مديراً عاماً في رئاسة الجمهورية، كما أن مساعد مدير المراسم كان «المركيز ده خورا ريال»، السفير السابق بدمشق، ومدير الإدارة الاقتصادية «أغيره ده كارثر» وكان أيضاً مستشاراً في السفارة الإسبانية بدمشق، وهكذا فتحت لي أبواب وزارة الخارجية الإسبانية بسرعة ودون عناء.

بالإضافة إلى ذلك، كان السفير عبد الرحمن العظم والسيدة قرينته يدعوان إلى مائدتهم، مرة كل أسبوع على الأقل، كبار موظفي وزارة الخارجية الإسبانية وعدداً من السفراء الأجانب وبعض العلماء والكتاب والمستشرقين ورجال الصحافة من الإسبان، كما ويدعون بعض أعضاء السفارة كي نتعرف على هؤلاء ونقيم معهم علاقات ودية.

العلاقة بين الجمهورية العربية المتحدة وإسبانيا كانت ممتازة، لا سيّما بعد الوحدة بين سورية ومصر التي جعلت من الجمهورية العربية المتحدة قوة يُحسب لها

حساب في الشرق الأوسط، كما أن إسبانيا كانت تقدر للدول العربية عامة مواقفها إلى جانبها أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، عندما فرضت الولايات المتحدة والدول الغربية على إسبانيا حصاراً اقتصادياً لوقوف إسبانيا، أثناء الحرب، إلى جانب دول المحور (ألمانيا وإيطاليا) ولم تتقيد الدول العربية بهذا الحصار واستمرت على إقامة أوثق العلاقات السياسية والاقتصادية مع إسبانيا، وقدر «الكاوديو»، أي «الزعيم فرنسيسكو فرانكو»، هذا الموقف الودود والصديق للبلاد العربية وأعلن أن إسبانيا لن تعترف بإسرائيل طالما أن الدول العربية لم تعترف بها.

ولم تتأثر إسبانيا بهذا الحصار الاقتصادي الذي فرضته عليها الولايات المتحدة ودول الغرب بل على العكس من ذلك، أقامت صناعات كثيرة وحسّنت زراعتها وسعت إلى تأمين الاكتفاء الذاتي.

وبعد مدة شعرت الولايات المتحدة بنمو الخطر الشيوعي في دول المجموعة الأوروبية، فلم تجد سوى إسبانيا تعتمد عليها لمقاومة هذا المد الشيوعي، وبدأت بالتعاون معها حتى أنها أقامت بعض القواعد العسكرية في إسبانيا، ولما زار الرئيس الأمريكي «دوايت أيزنهاور» أوروبا بما فيها إسبانيا، قال: «إن أجمل مدينة زرتها في أوروبا هي مدريد وأفضل دولة هي إسبانيا».

كان أول وفد زار إسبانيا، أثناء وجودنا فيها، الوفد المؤلف من السفير إبراهيم صبري مدير عام الشؤون الإدارية في وزارة الخارجية، والوزير عبد القادر حاتم والسيد علي رشيد (باشا) كبير الأمراء، في طريقه إلى المكسيك لتهنئة رئيس الجمهورية فيها بانتخابه، كان ذلك في ٢١ تشرين الثاني ١٩٥٨، وقد تمت العناية بأعضاء الوفد بالشكل المناسب من قبل السفير.

مقابل السفير عبد الرحمن العظم عيّنت إسبانيا السفير السنيور «ألكوفير Alcover» سفيراً لها في القاهرة، وعندما جاء لوداعنا، بعد أن أقام له السفير العظم مأدبة عشاء تكريماً له، قال إنه يفخر بأصله العربي المسلم، وذكر، تفسيراً لذلك، أنه عندما اجتاحت جحافل ملوك الكاثوليك إسبانيا (لتحريرها) من العرب المسلمين، قتلت من قتلت منهم وهرب من هرب منهم إلى المغرب أو ارتد عن الإسلام واعتنق الكاثوليكية تخلصاً من القتل، وكان من بقي من المسلمين على دينه، بشكل خفي، يصف من ارتد عن الإسلام إلى المسيحية بالكافر، وجدّ السفير البعيد كان من المسلمين العرب الذين ارتدوا فأصبح المسلمون ينادونه بالكافر أو «الكوفير»!... وكثيرون من الإسبان يفخرون بأصلهم العربي دلالة على عراقتهم.

تاريخ إسبانيا غني جداً بالحضارة العربية التي ازدهرت في تلك الديار طيلة ثماني قرون وتركت، حتى يومنا هذا، أجمل الآثار، يؤمها ملايين السياح الأجانب ليطلّعوا على ما خلفه العرب من علوم وفنون أيقظت عصر النهضة في أوروبا في القرون الوسطى، حيث كانت تغط في نوم عميق وجهل وتخلف كبيرين.

وأعود الآن إلى قرطبة، بعد أربعين عاماً من مغادرتي إسبانيا، لأعمل مع مؤسسة خالد العصيمي في جنيف ومؤسسة روجيه غارودي في قرطبة، لإحياء التراث العربي، وذلك بإنشاء متحف عربي في البرج المطل على نهر «الوادي الكبير» الذي ما زال محتفظاً باسمه العربي، وقد سمّي العرب البرج: «القلعة الحرة» وما زال اسمه «كالاهورا»، وإقامة مكتبة كبيرة وحديثة مجهزة بأحدث وسائل التقنيّة الحديثة، سمّاها غارودي «المكتبة الحية للأندلس»، وذلك لإثبات أن عصر النهضة في أوروبا Renaissance بدأ من قرطبة في القرن التاسع الميلادي وليس كما يدّعي الغربيون من القرن السادس عشر من إيطاليا.

وبدأت إسبانيا الآن اعتبار فترة الوجود العربي فيها من ضمن تاريخها الوضاء بعد أن كانت تتنكر له في الماضي، ولا أدل على ذلك من المعرض الفني الهام الذي افتتحه الملك الإسباني خوان كارلوس والملكة مع الرئيس السوري الدكتور بشار الأسد وعقيلته في الثالث من أيار ٢٠٠١، والذي استمر حتى آخر أيلول ٢٠٠١ تحت شعار «من دمشق إلى قرطبة ازدهرت الحضارة وشعت».

وقد حوى المعرض آثاراً لقرطبة جُمعت من اثنين وستين متحفاً عالمياً، وكتباً ومخطوطات وأدوات طبية وعلمية تؤكد ما وصلت إليه الحضارة في قرطبة منذ القرن الثامن الميلادي وحتى القرن الرابع عشر.

عرض علينا السفير عبد الرحمن العظم أن نرافقه في جولة إلى الجنوب لزيارة المعالم العربية في قرطبة وإشبيلية وغرناطة وملقا وجبل طارق والجزيرة الخضراء ولشبونة في البرتغال. قمنا بهذه الجولة الممتعة التي استمرت زهاء أسبوع أطلعنا خلالها على الآثار العربية الفريدة في جمالها وإتقانها، والتي تؤكد عظمة العرب في ذلك التاريخ، ولو أردت أن أسرد ما شاهدته لمألت الكتب الكثيرة، وأعلم أن كتباً ووثائق ومخطوطات عديدة جداً قد وُضعت عن تلك الآثار ولا مجال لاستعراضها في هذا العرض الدبلوماسي، وإن كنت أهيب بكل عربي أن يزور تلك الآثار ليفخر بما حققه بعض أجداده. وأكتفي بوضع بعض الصور التي تبرز جمال وعظمة هذه الآثار في قسم الصور في نهاية هذا الكتاب فهي أكثر تعبيراً من الكلمات.

ولا بدّ لي، في هذا المجال، من أن أشيد بما تقوم به وزارة الثقافة الإسبانية من العناية بهذه الآثار وترميمها وصيانتها، علماً بأنها تستثمرها سياحياً وتجلب لها مئات الملايين من الدولارات، وعندما أقارن عناية السلطات الإسبانية بآثارنا وعنايتنا نحن هنا بآثارنا أتألم كثيراً، لأن ما عندنا من آثار يفوق جميع ما يوجد لدى بقية الدول من قيمة أثرية وتاريخ مديد وحضارات مختلفة، إلا أننا، وللأسف، لا نحسن صيانتها واستغلالها وإبراز قيمتها.

الحكومة الإسبانية تنتقل صيفاً إلى الشمال، إلى مرفأ سان سيباستيان على خليج غاسكونيا في المحيط الأطلنطي، ليس لأن مدريد تكون حارة في فصل الصيف، وإنما لإحياء المنطقة الشمالية الغربية. وسان سيباستيان مدينة جميلة تضاهي مدن جنوب فرنسا المشهورة «بالكوت دازور»، وينتقل السفراء أيضاً مع الحكومة إلى تلك المنطقة، وقد أتيت لي ولزوجتي زيارتها مع السفير عبد الرحمن العظم وزوجته. سان سيباستيان تقع في منطقة «الباسك» التي تطالب دوماً بالانفصال عن إسبانيا، لذلك كان انتقال الحكومة إليها صيفاً، لتنميتها اقتصادياً وسياحياً ولربطها بالوطن الأم، ذا شأن قومي.

في فصل الصيف يذهب «الكاوديو»، أي الزعيم فرنسيسكو فرانكو، بجولة بحرية بيخته الجميل، ولا يسمح لأحد أن يتصل به أو أن يزعبه في إجازته. على أنه، وفي ١٤ آب ١٩٥٩ جاء في زيارة إلى إسبانيا السيد حسين ذو الفقار صبري، نائب وزير الخارجية في الجمهورية العربية المتحدة، فحضر السفير عبد الرحمن العظم لاستقباله وأعلم وزارة الخارجية الإسبانية بذلك، فاتصلت هذه بالزعيم فرانكو الذي قطع إجازته وعاد إلى مدريد لاستقباله، ولم يكن فرانكو ليفعل ذلك مع أي رئيس دولة أخرى، بله مع نائب لوزير الخارجية العربية، وقد قدّرنا له هذه الالتفاتة والعناية تقديراً كبيراً.

الاسم التقليدي لإسبانيا هو «شبه الجزيرة الإيبيرية»، وتنقسم إلى خمس عشرة ولاية أكبرها وأهمها قشتالة الجديدة وقشتالة القديمة وكاتالونيا ومورسيا والأندلس وفالانسيا وولاية الباسك الشمالية التي تسعى للانفصال عن إسبانيا، وهناك تنافس دائم بين ولايتي قشتالة، حيث العاصمة مدريد، وكاتالونيا وعاصمتها برشلونة، ولها لغة خاصة بها، وتدعي التفوق الصناعي والعلمي والاجتماعي على قشتالة، ويبدو هذا التنافس أكثر ما يبدو في مباريات كرة القدم بين فرق برشلونة وفريق «ريال مدريد».

بالإضافة إلى حماس الإسبان إلى لعبة كرة القدم والتفوق بها، فإن الرياضة الأهم في إسبانيا هي مصارعة الثيران التي يتدرب عليها الإسبان منذ الصغر، ومن يفوز في هذه اللعبة يتمتع بسمعة عالية وبثروة أعلى.

كذلك يهتم الإسبان بكرة المضرب، وقد فاز منهم كثيرون في المباريات الدولية المشهورة.

أما الفنون، فقد برز فيها رسامون عالميون أمثال «فيلاسكيز» و«غويا» و«بيكاسو» و«ميرو» و«سلفادور دالي»، ويعتبر متحف «البرادو» من أشهر وأغنى متاحف العالم رغم أن الاشتراكيين أخذوا منه، أثناء الثورة، أو الحرب الأهلية ما بين ١٩٣٦ و١٩٣٩، الكثير من اللوحات لرسامين عالميين، اقتنوها لأنفسهم أو باعوها في أوروبا.

الفنون الأخرى، مثل رقص الفلامنكو والغناء، تأثرت إلى حد بعيد بالموسيقى والغناء العربي، وكان أبطالها أنطونيو وروزاريو اللذين أدخلتا تطوراً كبيراً عليه.

نظام الحكم في إسبانيا كان ملكياً، وبانتظار أن يكبر الملك ويتسلم العرش، فإن رئيس الدولة هو الزعيم فرانسيסקو فرانكو الذي تمكن أن يحكم إسبانيا بقبضة حديدية أكثر من ثلاثين سنة، وكان يعتمد دوماً على قوتين مقابل قوة ثالثة: حزب حركة التحرير والكنيسة والنظام الملكي، فإن قوي أحد الحزبين تركه واعتمد على الكنيسة، وهكذا فقد أمن فرانكو لنفسه وإسبانيا، وبالقوة، الاستقرار لثلاثين سنة أو تزيد.

في السفارة، كان العمل يسير بانتظام، والتعاون والتآلف بين الموظفين كاملين، والفضل في ذلك كان يعود إلى حسن إدارة السفير للموظفين ومعاملتهم لهم كإخوته وأولاده، يحنو عليهم ويوجههم، يكرمهم ويساعدهم إن كانوا بحاجة لمساعدة، ويدعوهم إلى مائدته عندما يدعو المسؤولين الإسبان والسفراء الأجانب، مما لا عهد لهم به من قبل.

في الأول من آب ١٩٥٩، اتصل بي هاتفياً من لشبونة، عاصمة البرتغال، الزميل عثمان الأرنائوط مستشار السفارة، وكنت أعرفه من دمشق عندما كان مستشار السفارة المصرية فيها. قال: أهنتك، قلت: وعلى أي شيء؟، قال: على نقلك إلى بروكسل، قلت: وكيف عرفت ذلك؟، قال: جاءتنا اليوم الحقيبة الدبلوماسية وفيها جريدة الأهرام، وقرأنا فيها حركة التنقلات في وزارة الخارجية. أهنتك، لأن بروكسل بلد جميل وقريب من بقية البلاد الأوروبية!...

وقع علي الخبر وقع الصاعقة، إذ كنت بدأت أتعرف على إسبانيا التي أحببتها وعلى الشعب الإسباني الطيب الودود ذي حرارة اللقاء وفروسية التصرف وصدق الصداقة، ولم أكن أعرف هذه الصفات في الشعب البلجيكي، ناهيك عن أن الأمطار تهطل فيها ثلاثمائة يوم من أصل ٣٦٥ يوماً في السنة. وتساءلت عن سبب ذلك وأيقنت أن النظام، الذي أشرت إليه في البداية، يجب أن يطبّق علي، أي إذا كان السفير سوريّاً وجب أن يكون الوزير المفوض مصريّاً. شعرت بالإحباط لأن زوجتي كانت وضعت لي طفلة لم يمضِ على ولادتها خمسة شهور، كما أنني بدأت أتعلم اللغة الإسبانية التي لا بد من التحدث بها في إسبانيا، إذ إن الإسبان يتمسكون بالتحدث بلغتهم ولا يتحدثون غيرها لأنهم يعتبرونها لغة العالم أجمع، ولأنني ما زلت مديناً بثمان السيارة إلى السفير، وكنت أوفيه ثمنها تقسيطاً من راتبي الضئيل. كل هذه الأمور جعلتني لا أرتاح إلى نقلي إلى بروكسل.

بعد يومين من الاتصال الهاتفي من الزميل عثمان الأرنأؤوط، وردتني برقية من الوزارة تؤكد انتقالني من السفارة في مدريد إلى السفارة في بروكسل، مع إمهالي خمسة عشر يوماً للتنفيذ.

علمت، فيما بعد، أن أعضاء السفارة في بروكسل قد انقسموا فيما بينهم واختلفوا، ووصل خبر اختلافهم إلى الرئيس عبد الناصر، فأمر بنقلهم جميعاً إلى القاهرة وبنقلي إلى بروكسل وإرسال موظفين جدد إلى بلجيكا.

تركت زوجتي وابنتي الطفلة وشقيقتي في مدريد بإشراف السفير وقرينته، وسافرت بالطائرة إلى بروكسل لأهـي المسكن وأطلع على أوضاع السفارة وعلى البلد الجديد وعلى المهمة التي تنتظرني فيها، وقد أسفت أسفاً شديداً لبعدي عن السفير عبد الرحمن العظم، أنبل وأكرم من عرفت من الرجال، ولتركي زملائي المصريين في السفارة الذين أصبحوا أعز من إخوتي، ولمغادرتي هذا البلد الجميل والشعب الطيب الودود فيه.

أراد الكاوديو - أي الزعيم -، الجنرال فرنسيسكو فرانكو، أن يخلّد اسمه وعهده كما فعل من قبله الفراعنة في مصر وأباطرة المغول في الهند والرومان في روما، إذ بنى الفراعنة الأهرامات في الجيزة لتحتوي جثثهم المحنّطة، وبنى الأمباطور هومايون مزاراً فخماً له في دلهي، وكذلك الامباطور جاهنغير في لاهور (باكستان اليوم) وبنى شاه جاهان أجمل مزار وضريح في أغرا لزوجه الحبيبة «ممتاز محل» فأصبح «تاج محل» أحد أعاجيب العمران السبعة في العالم، وكذلك فعل ملوك

وأمرء تدمر في المقابر الفريدة بجمالها فوق الأرض وتحتها قريباً من معبد «بل» في تدمر.

طلب فرانكو من مهندسيه أن يحفروا له نفقاً في الجبل القريب من مدريد بحيث ينفذ إلى الطرف الآخر من الجبل، وأصبح طول النفق فيه أكثر من كيلومتر وعرضه أكثر من مائة متر وارتفاعه زهاء خمسين متراً، ووضع في هذا النفق الواسع كنيسة كبيرة، ووضع في منتصفها ضريح «خوسيه انطونيو» بطل إسبانيا الأسطوري ضد الشيوعيين، وأوصى بوضع قبره في هذه الكنيسة إلى جانب قبر خوسيه انطونيو تحت القبة التي تتوسط الكنيسة والتي زينت برسوم ورموز دينية مسيحية لتضاهي رسوم السقف في كنيسة Sixtine «سيكستين» في الفاتيكان التي رسمها الفنان الإيطالي الشهير «ميكل أنجلو Michel Angelo». وكان له ما أراد وأصبح اسم الجبل «لوس كايدوس» أي الشهداء Los Caidos، ويحوي ضريح فرنسيسكو فرانكو إلى جانب ضريح خوسيه انطونيو، ومن يزور مدريد لا بدّ له من زيارة جبل الشهداء الذي يرمز إليه صليب كبير بني فوق الجبل.

٢ - في سفارة ج.ع.م. في بروكسل: ١٥ آب ١٩٥٩ - ١ آذار ١٩٦١

وصلت بروكسل الساعة ٧,٣٠ مساءً، فوجدت الزملاء أعضاء السفارة بانتظاري في المطار في صالون الشرف، ثم اصطحبوني إلى فندق «ميتربول»، أفضل فنادق العاصمة البلجيكية في ذلك الحين وفي قلب المدينة، وبعد استراحة قليلة ذهبت وإياهم في جولة قصيرة للتعرف على المدينة.

في اليوم الثاني، جاءني الزميل مصطفى عوض، الملحق التجاري في السفارة وشقيق عبد الحميد عوض، المستشار الصحفي في سفارة الجمهورية العربية المتحدة في مدريد، وأوصلني إلى السفارة.

كان أعضاء السفارة:

عيسى سراج الدين : المستشار (مصري).

العقيد طيار عبد الرحمن عنان : الملحق العسكري (مصري).

مصطفى عوض : الملحق التجاري (مصري).

سامح درويش : الملحق (مصري).

محمد خيرت : المحاسب (مصري).

أما السفير فكان حسن محرّم (بك)، وكان قبل تعيينه في بروكسل مديراً للمراسم

في وزارة الخارجية المصرية، أما بقية موظفي السفارة فقد نقلوا إلى القاهرة وغادروا بروكسل قبل وصولي.

اصطحبني المستشار عيسى سراج الدين إلى السفير وقدمني إليه، وكان بغاية اللطف واستقبلني خير استقبال، إلا أنه والمستشار سراج الدين كانا يتهيآن للسفر والعودة إلى القاهرة، وبهذه المناسبة كنت أحضر كل مساء حفلة عشاء على شرفهما يقيمها الملحق العسكري، أو أحد السفراء الأجانب. نتيجة لذلك، وجدت العمل في السفارة شبه متوقف بانتظار مجيء السفير الجديد والزلاء الجدد.

في بلجيكا، اختلف الجو العام والعمل عما عشته في مدريد، إذ بعد أقل من شهر أصبحت القائم بأعمال السفارة وحدي، لا يساعدني سوى الملحق سامح درويش والمحاسب، وهو غير دبلوماسي، كذلك الأمر الملحق العسكري والملحق التجاري ولكل منهما وظيفته الخاصة به.

من جهة أخرى فإن إسبانيا لم تعترف بإسرائيل، لذا فإن هذه ليست لها سفارة في مدريد وليس لها نشاط سياسي أو اقتصادي أو إعلامي، وكان ذلك مريحاً لنا. أما بلجيكا، فالعلاقات بينها وبين إسرائيل قوية والنشاط الإسرائيلي في مختلف المجالات واسع، وعلينا التصدي له.

بلجيكا دولة محدودة المساحة إذا ما قيست بإسبانيا، ومع ذلك فهي تحكم في إفريقيا مستعمرات تبلغ مساحة أوروبا بكاملها وعشرات المرات مساحة بلجيكا، هي: الكونغو وروندا وبوروندي، وتطالب هذه المستعمرات باستقلالها، وتسبب لبلجيكا الآن الكثير من المتاعب والمشاكل، وسأتي على ذكر ذلك فيما بعد.

كما أن بلجيكا منقسمة إلى قسمين لا يجمع بينهما سوى الملك، فالشمال فلمنكي ولا يريد التحدث إلا بالفلمنكية رغم معرفة السكان اللغة الفرنسية، أما الجنوب فهو والوني ويتحدث باللغة الفرنسية، ولكل صحفه وإذاعاته وتلفازه وإدارته، والشمال متقدم على الجنوب صناعياً وتجارياً، أما الجنوب فمتقدم على الشمال سياسياً وإدارياً. يقول الفلمنك، لماذا لا يجوز لأحد مواطنينا أن يصبح وزيراً أو مديراً عاماً أو رئيساً للوزراء ما لم يتقن اللغة الفرنسية، في حين نرى أن «سباك» من والون أصبح رئيساً للوزراء ولا يتكلم اللغة الفلمنكية. ويقول والون، إن الفلمنكيين كانوا يريدون فرض لغتهم «الميتة» على الكونغو، فهل يعقل ذلك؟.

هذه بعض الأمور التي تبرز الخلاف الشديد بين الفلامان والوالون، ومع ذلك فهناك عاصمة واحدة للمملكة وملك واحد لبلجيكا.

بعد أسبوع من وصولي، أخذني السفير إلى وزارة الخارجية البلجيكية وقدمني إلى مدير المراسم «الفيكونت ده بارك»، وإلى أمين عام الوزارة السيد «فان دن بوش».

لم تدم إقامتي بالفندق طويلاً، إذ عثرت على شقة قريبة من السفارة ومفروشة فرشاً أنيقاً في شارع الجنرال جاك، تعود إلى عائلة رجلها مسؤول عن مناجم الماس في ولاية الكاساي بالكونغو. عندئذٍ، عدت إلى مدريد لاصطحاب زوجتي وابنتي الطفلة وشقيقتي للإقامة في بروكسل.

بعد عودتي إلى بروكسل، وكان السفير حسن محرم (بك) والمستشار عيسى سراج الدين قد غادراها، فاجأني من بقي من الزملاء بأن سفير إسرائيل في بروكسل كتب مقالاً في الجريدة، تعرّض فيه للجمهورية العربية المتحدة، فكان علي أن أذهب إلى الخارجية لمقابلة مدير عام الشؤون السياسية والاحتجاج على ما ورد في المقال.

سألت عن المدير العام، فقبل لي إنه عاد حديثاً من منصبه السابق كسفير لبلجيكا في إسرائيل. ذهبت لمقابلته، فقال لي إنني أدخل وإياه لأول مرة مكتبه، إذ إنني أول دبلوماسي يلقاه. هنأته بمنصبه الجديد وعرضت له الغرض من مقابلي له. قال: تعلم أن الصحافة لدينا حرة ولا سلطان لنا عليها. قلت: كنت أنتظر منك هذا الجواب لا سيما وقد علمت أنك كنت سفيراً لبلجيكا في إسرائيل، وقد تكون تأثرت بوجهة نظرهم. فانتفض وقال: أؤكد لك العكس، وإنني عندما كنت سفيراً في تل أبيب وكانت إسرائيل تدعو وفوداً بلجيكية، وتهيء لهم الأماكن الجميلة لزيارتها، وتنظم لهم برامج الغرض منها الدعاية لإسرائيل، كنت أقول لهذه الوفود بل يجب أن تذهبوا إلى المناطق المحتلة من فلسطين، وتطلعوا على أوضاع الفلسطينيين وعلى سوء معاملة إسرائيل لهم. وقد لمست فيما بعد كراهية هذا المسؤول للإسرائيليين ولأعمالهم المشينة بحق الفلسطينيين.

بعد ما يقرب من شهرين، بدأ الزملاء الجدد يصلون إلى السفارة في بروكسل. وصل: السيد سعد مرتضى السكرتير الأول (مصري)، وفتحي قنديل السكرتير الثاني (مصري)، وصلاح فهمي السكرتير الثاني (مصري) وكان مولجاً بأعمال القنصلية في باريس، نظراً لأن العلاقات الدبلوماسية كانت ما زالت مقطوعة بين الجمهورية العربية المتحدة وفرنسا، وحسين العطار الملحق بالسفارة، كما حضر الأستاذ علاء الدين عابدين (سوري) المستشار الثقافي، والعقيد طيار برهان كيال (سوري)

مساعد الملحق العسكري. وهكذا، ومع من بقي من الموظفين السابقين، اكتمل جهاز السفارة وبدأ العمل الجدي.

كان علينا أن نتعرف، من بعيد، على السفير الإسرائيلي وأعضاء سفارته حتى نتحاشاهم في حفلات الكوكتيل التي كانت تقام يومياً في إحدى السفارات، ذلك لأن الدبلوماسيين الإسرائيليين كانوا من الصفاقة بحيث يتقربون من الدبلوماسيين العرب لإحراجهم والسلام عليهم.

كانت علاقتنا بوزارة الخارجية البلجيكية جيدة وعلى جميع المستويات، ومع كبار المسؤولين في الحكومة وفي البرلمان وفي الجامعات، حيث كان لنا عدد لا بأس به من الطلاب يدرسون في الجامعات الثلاث التي تدرّس باللغة الفرنسية: جامعة «بروكسل» وجامعة «لييج» (Liège) والجامعة الكاثوليكية في «لوفان»، كما كانت علاقتنا ببقية السفارات العربية والأجنبية متينة، إذ كانت أكثر دول العالم ممثلة بسفارات في بروكسل، لذا كان النشاط الدبلوماسي واسعاً، وكانت السفارات العربية والإسلامية والأجنبية تسعى إلينا نظراً للمكانة الكبرى التي تبوأتها الجمهورية العربية المتحدة، بإقليميهما الشمالي والجنوبي، في منطقة الشرق الأوسط. وفي السفارة كان العمل يسير بانتظام، والعلاقة بين جميع الزملاء يسودها الحب والوئام. وكنا نتابع باهتمام ما يجري في وطننا العربي وانعكاسات الأوضاع الأوروبية والعالمية علينا، كما أن اهتمامنا كان منصباً على ما يجري في الكونغو البلجيكي لأثره الكبير على بلجيكا سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، إذ كانت ثروة بلجيكا تأتي أكثرها من الكونغو.

بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة، وافقت على إعادة العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا بعد أن قطعتها معها نتيجة العدوان الثلاثي على مصر بعد تأميم شركة قناة السويس، أما مع فرنسا، فما زالت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة، ويسافر الزميل صلاح فهمي من وقت لآخر إلى باريس للإشراف على الأمور القنصلية.

في نهاية عام ١٩٥٩، وتحديداً في ٩/١٢/١٩٥٩، بُدئ العمل في بناء السد العالي بمساعدة مالية وتقنية من الاتحاد السوفياتي. وكانت الولايات المتحدة قد وعدت هي بالقيام بالبناء إلا أن وزير خارجيتها «دالاس» سحب العرض الأمريكي، فأتجهت مصر إلى الاتحاد السوفياتي الذي وافق على التمويل والإنشاء. ولما وجدت الولايات المتحدة أن الاتحاد السوفياتي سيضع قدمه في مصر وفي الشرق الأوسط، أعلن الرئيس الأمريكي «دوايت أيزنهاور» أن الولايات المتحدة تفكر بمساعدة الجمهورية العربية المتحدة في تنفيذ المراحل المتبقية من مشروع السد

العالي، إلا أنها لم تفعل، وقام الاتحاد السوفياتي بكامل البناء والمشروع، وتم الاتفاق على ذلك في ١٨/١٢/١٩٥٩.

وفي القاهرة اجتمعت لجنة ثلاثية ضمت الإقليمين للجمهورية العربية المتحدة والأردن لبحث تهديدات إسرائيل بتحويل مجرى نهر الأردن، وكان الرؤساء الثلاثة: شكري القوتلي والملك سعود بن عبد العزيز والرئيس جمال عبد الناصر قد بحثوا هذا الموضوع في اجتماع القمة المصغر الذي عقد في القاهرة في آذار ١٩٥٦، وقرروا اتخاذ جميع الإجراءات، بما فيها العسكرية، لمنع تحويل مجرى نهر الأردن ولمنع تنفيذ مشروع جونستون في هذا المجال.

في بداية العام الجديد، وتحديدًا في ١١ كانون الثاني ١٩٦٠، زارنا في بروكسل اللواء محمد رشاد حسن، كبير ياوران (حراس) الرئيس جمال عبد الناصر لزيارة زوج ابنته الموظف في السفارة، وكنت أعرفه منذ عام ١٩٥٦ عندما التقينا في أول مؤتمر قمة مصغر، وكانت بيننا مودة، فدعوته وبعض موظفي السفارة للغداء في المنزل عندنا. بعد الغداء سألتني ما الذي بيني وبين أكرم الحوراني؟، قلت: لا شيء، ولماذا هذا السؤال؟، قال: كنت قريباً من «الرئيس» وكان الحوراني يحدثه عن السوريين، وقد هاجمك بشدة، ولكن «الرئيس» قال له: إنني أعرف عبدالله جيداً وهو «راجل طيب» وقد منحته وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى!... قلت للواء: سامحه الله، إنه دسّ على جميع السوريين، وهذه هي طباع أكرم الحوراني. وكان الحوراني ووزراء البعث قد قدموا استقالاتهم في ٢٩/١٢/١٩٥٩ وقبِلَ الرئيس عبد الناصر هذه الاستقالات.

في ١٣ كانون الثاني ١٩٦٠، دعا الملك بودوان أعضاء السلك السياسي إلى حفلة أقامها في القصر وكانت «فقيرة» نوعاً ما إذ إن الملك بودوان كان متقشفاً متواضعاً لطيف المعشر بعيداً عن مظاهر الترف والترفع، وهذا ما أكسبه حب البلجيكيين له واحترامهم وتمسكهم به، وهنالك قول: إنه في بداية حياته كان يريد أن يكون راهباً.

في ٢٠ كانون الثاني ١٩٦٠، وصل إلى بروكسل السفير الجديد السيد صالح خليل وزوجته السيدة بهية الفرنساوي، حفيدة سليمان باشا الفرنساوي، من العائلات العربية المرموقة والشهيرة في مصر. وكان السفير صالح خليل، قبل تعيينه سفيراً في بروكسل، وكيلاً لوزارة الخارجية المصرية، وأحب أن يأتي إلى بروكسل كآخر منصب له قبل إحالته على المعاش، وجاء معه ابنه الصغير محمد ومربيته الألمانية.

كان السفير وعائلته بمنتهى الظرف واللفظ وطيب النفس، وكان بالنسبة لأعضاء السفارة كالأخ الأكبر. كانت له ولزوجته خبرة طويلة بالدبلوماسية منذ زمن الملك فاروق، كما كان على ثقافة عالية، وبعد السفير عبد الرحمن العظم في مدريد خشيت أن يأتيها سفير إلى بروكسل لا ننسجم معه. وجدت على عكس ما كنت أخشى، وجدت سفيراً رقيقاً لطيفاً متعاوناً مما أراحنا جميعاً.

بدأت السفارة تنشط بشكل أقوى وأوسع، إذ إن مقام السفير والمجالات التي تفتح له هي غير المجالات التي تفتح للقائم بالأعمال بالنيابة حتى ولو كانت رتبته وزيراً مفوضاً.

رافقته في تقديم أوراق اعتماده إلى الملك بودوان، وبعد شهر، أي في ١٥/٣/١٩٦٠، رافقته إلى دوقية اللوكسمبورغ حيث قدّم أوراق اعتماده أيضاً إلى الدوقة فيها (والدة الدوق الحالي) بمراسم جد مبسطة.

في ١٣/٢، زارنا من هولندا السفير علي أسعد الخانجي، الذي كان عيّن سفيراً في لاهاي، ودعاه السفير صالح خليل إلى العشاء في السفارة، وكان عشاء أنيقاً، كما كانت العلاقة بين السفيرين الخانجي (سوري) و خليل (مصري) على خير ما تكون.

وفي ٢٢/٢/١٩٦٠، أقام السفير حفلة استقبال في السفارة بمناسبة عيد الوحدة، حضرها عدد كبير من الوزراء البلجيكي والسفراء العرب والأجانب ومن الصحفيين والإعلاميين وعلية القوم ومن أعضاء الجاليات العربية والطلاب العرب، وكانت تلك الحفلة مناسبة طيبة للتعارف بينه وبين الوزراء والسفراء.

في هذا الوقت، أي في شهر كانون الثاني ١٩٦٠، كانت المفاوضات تجري حول مائدة مستديرة في بروكسل بين الحكومة البلجيكية وممثلين عن المنظمات السياسية في الكونغو بغية حصول الكونغو على استقلالها الذي حدّد له نهاية حزيران ١٩٦٠، وكنا نتابع هذه المفاوضات عن كثب لأن الرئيس جمال عبد الناصر كان يهتم بها شخصياً ولأنها كانت نقطة تحوّل بالنسبة لبلجيكا.

وتعثّرت هذه المفاوضات لأن بلجيكا حرصت على الاحتفاظ في الكونغو بامتيازات سياسية واقتصادية واجتماعية إلى جانب قواعد عسكرية في بعض المناطق، مثل «كاتانغا» المشهورة والغنية بالنحاس، و«الكاساي» الغنية بالماس، والمنطقة الشرقية على حدود السودان وبوروندي، ورفض المفاوضون الكونغوليون منح بلجيكا أي امتيازات.

في أوائل أيار ١٩٦٠، حضر إلى السفارة، لزيارة السفير صالح خليل، السفير البلجيكي المعين حديثاً سفيراً في القاهرة، وكان بمنتهى السعادة للمنصب الجديد الذي سيحل فيه، ذلك أنه قرأ الكثير عن مصر وعن آثارها وعن نيلها العظيم وكان يحلم بأن يعين فيها، وقد دعاه السفير وزوجته للعشاء عنده، ودعا عدداً من كبار موظفي الخارجية البلجيكية وبعض أعضاء سفارتنا، وتمنى له سفرأ سعيداً وإقامة طيبة في مصر.

في حزيران ١٩٦٠، وقبل الإعلان الرسمي لاستقلال الكونغو، انتخب البرلمان الكونغولي «جوزيف كازافوبو»، زعيم الحزب المعارض، رئيساً للدولة، كما انتخب مجلسا النواب والشيوخ «باتريس لومومبا» رئيساً للوزراء، وذلك تهيئة لإعلان الاستقلال الذي جرى في ٣٠ حزيران بشكل رسمي حضره ملك بلجيكا، الملك «بودوان».

إلا أن هذه الاحتفالات بالاستقلال لم تمر بسلام، إذ قامت ثورة في الكونغو تمرّد فيها الجنود الكونغوليون على رؤسائهم الضباط البلجيك فقتلوا عدداً منهم وهاجموا الرعايا البلجيك، واستولوا على ممتلكاتهم مما أثار الذعر في أوساط البلجيكين خاصة والبيض من الأوروبيين عامة، الذين هرعوا إلى المطارات هرباً من القتل أو احتتموا في المعسكرات البلجيكية، وقد اضطرت الحكومة البلجيكية إلى إقامة جسر جوّي بين «ليوبولدفيل» عاصمة الكونغو، و«بروكسل» لنقل الرعايا البلجيك والأوروبيين إلى أوروبا، كما بعثت فرقة من المشاة المتطوعين إلى الكونغو لحماية الرعايا البلجيك فيها، وطلبت عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن لبحث الحالة في الكونغو مع اقتراح بإرسال قوات دولية لحماية الأوروبيين البيض من اعتداء السكان السود عليهم، ووافق مجلس الأمن على هذا الاقتراح، وشكّل قوة دولية أرسلها في ١٥ تموز إلى الكونغو حيث بدأت مهمتها بالحفاظ على أرواح البيض ريثما يغادرون المنطقة، إلا أن الأوضاع لم تهدأ، مما اضطّر مجلس الأمن إلى استئناف اجتماعاته لمناقشة الأزمة في الكونغو، وطالب مندوب الاتحاد السوفياتي بانسحاب القوات البلجيكية من الكونغو في غضون ثلاثة أيام.

خلال هذه الفترة، كان «نيكيتا خروتشوف»، الأمين العام للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيات، و«بولغانين» رئيس الوزراء، يقومان بزيارة إلى بريطانيا وفرنسا. وفي مؤتمر صحفي عقده «خروتشوف» في باريس، سأله أحد الصحفيين: لماذا يتدخل الاتحاد السوفياتي في شؤون الكونغو؟ فأجاب - وكنت أشاهد المؤتمر

الصحفي على التلفاز :- «إن المسيحيين يسعون إلى التبشير بديانتهم، كما أن المسلمين يسعون إلى هدي المسيحيين والكفار إلى الدين الإسلامي، ونحن، بدورنا، نريد أن ندلي بدلونا لنكسب الكونغوليين إلى مبادئنا الاشتراكية القويمة». وقد ضحكت لذلك.

نتيجة هذا الذعر وتدفق البلجيكيين العائدين إلى بلجيكا، حدثت أزمة شديدة في السكن، إذ لم تعد هنالك شقة فارغة، رغم كثرة الشقق التي كانت معدة للإيجار في بروكسل وفي بقية المدن البلجيكية، ولم يعد هنالك غرفة في أي فندق لم تحتفظ بعدد من هؤلاء الوافدين. وصلت من الكاساي صاحبة الشقة التي كنا نسكنها فطلبتهما، وكان علينا أن نخليها وأن نفتش عن سواها، ولم يكن ذلك سهلاً، وشعرنا بالأزمة أكثر من غيرنا، وتوقفنا فيما بعد إلى شقة مناسبة كان يملكها رجل تركي تخلى عنها لنا بشروط مغرية.

واستمرت أزمة الكونغو بالتفاقم رغم قرارات مجلس الأمن والمساعي التي بذلها الأمين العام للأمم المتحدة سواء بزياراته المتكررة للكونغو أو بإرسال قوات دولية لحفظ الأمن والنظام فيه. كان موقف الجمهورية العربية المتحدة من أحداث الكونغو دعم رئيس الوزراء «باتريس لومومبا» بطلبه الاستقلال الكامل للكونغو، كما استجابت لطلب الأمين العام للأمم المتحدة بإرسال قوات لحفظ الأمن وحماية السكان. وقد مر ببروكسل في ١١/٧/١٩٦٠ اللواء سعد الدين الشاذلي على رأس قوة مصرية - سورية كان معاونه فيها المقدم عدنان الدقر من سورية، ضمن طائرة ملأى بالجنود في طريقها إلى الكونغو. والطريف في الموضوع أن الطائرة لدى وصولها ليلاً إلى أجواء ليوبولدفيل (العاصمة) حامت فوقها ولم تعثر على المطار فسقطت في نهر الكونغو الكبير، ولولا أن الضباط والجنود سبحو إلى الشاطئ لافترستهم الحيتان. هذا ما ذكره السيد عدنان الدقر الذي أصبح فيما بعد سفيراً في وزارة الخارجية السورية.

في بروكسل، وقبل أعياد الميلاد ورأس السنة، وتحديدًا في ١٥ كانون الأول ١٩٦٠، تم زواج الملك «بودوان» من الأميرة الإسبانية «دونا فابيولا»، وتمت احتفالات الزواج التي حضرناها في القصر الملكي بشكل مبسط نظراً للأحداث الهامة التي ضربت الكونغو وانعكاساتها السيئة على بلجيكا.

رغم كل الإجراءات التي اتخذتها بلجيكا والأمم المتحدة وإرسال فرق من القوات الدولية لحماية المدنيين والبيض والمراكز الحكومية الهامة في الكونغو، لم

تستطع هذه القوات السيطرة على الوضع المتفجر نظراً لامتداد رقعة الدولة والثورة العارمة التي اندلعت في مختلف مناطقها، والفوضى التي تبعتها، وظهرت زعامات جديدة على الساحة، كل واحدة منها تدعي سيادتها على الآخرين. ففي مقاطعة «كاتانغا Katanga» تزعم «تشومبي» الثورة فيها ونادى بانفصالها عن الكونغو، وفي ليوبولدفيل العاصمة استأثر «كازافوبو» بالسلطة وعزل رئيس الوزراء «لومومبا»، واعتبر لومومبا قرار عزله غير دستوري، ورفض التخلي عن رئاسة الوزارة، يدعمه في ذلك مجلسا النواب والشيخ، وتنطج «موبوتو» الذي كان رقيباً في الجيش ورفّع نفسه إلى رتبة عميد، تنطج للسلطة، تدعمه في ذلك المخابرات الأمريكية CIA.

كما أشرت إليه أعلاه، كانت الجمهورية العربية المتحدة تدعم الشرعية الممثلة بـ«لومومبا» رئيس الوزراء الشرعي، إلا أن دعم السوفييت له عرضة لنقمة الأمريكيين.

وكما طالب تشومبي بانفصال كاتانغا عن الكونغو وإعلان استقلالها، طالبت «بانغوانغا» في مقاطعة «الكاساي» بالانفصال عن الكونغو والاتحاق بكاتانغا.

الحالة المضطربة في الكونغو أثرت تأثيراً عميقاً على الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية في بلجيكا، فثارت المظاهرات تدعو إلى استقالة الحكومة التي عجزت عن تأمين المصالح البلجيكية في تلك المستعمرة الكبيرة الغنية.

وفي الكونغو، اختلّ حبل الأمن وتفرقت الكلمة وسادت الفوضى، وبدأت الدول الكبرى: الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بالتدخل السافر في توجيه الثورة لصالحها وإبعاد الطرف الآخر. ودعمت أمريكا الكولونيل موبوتو الذي أصبح قائداً عاماً للجيش، فاستولى على السلطة وطرّد كازافوبو ولومومبا وفرض سيطرته على البلاد. وإذا رفضت الأمم المتحدة تسليم «لومومبا» إلى «موبوتو» فقد أعلن هذا الأخير قطع علاقاته مع الأمم المتحدة. وكان كازافوبو، قبل طرده من قبل موبوتو، أمر بقطع علاقات بلاده بالجمهورية العربية المتحدة التي تدعم لومومبا، وبسحب السفير العربي وجميع موظفي السفارة من ليوبولدفيل. وبما أن كازافوبو كان يعتبر رجل بلجيكا في الحكم، فقد قررت الجمهورية العربية المتحدة، ردّاً على ذلك، تأمين الشركات وسائر المصالح البلجيكية لديها كما طلبت إلى الأمين العام للأمم المتحدة، داغ همرشولد، اتخاذ جميع الترتيبات الأمنية لسحب كتيبة الجمهورية العربية المتحدة في الكونغو، وعودتها بسلام إلى القاهرة، وقد تم ذلك في الرابع من شباط ١٩٦١.

بعد تسلم الكولونيل موبوتو زمام السلطة في الكونغو، أمر جميع الرعايا السوفييت والتشيكيين بمغادرة البلاد، وعيّن «جوستين بومبوكو» الذي كان وزيراً للخارجية، رئيساً للجنة الفنية التي ستولى إدارة البلاد. إلا أن باتريس لومومبا، الذي كان محاصراً في منزله، تمكن من الهرب والتجأ إلى مقر أنصاره في «ستانليفيل»، إلا أنه لم ينجح في ذلك فاعتقلته قوات موبوتو وأعادته إلى ليوبولدفيل (العاصمة) موثقاً، فأعلن «أنطوان غيزنغا» الذي كان نائباً لباتريس لومومبا، أعلن نفسه الحاكم الشرعي الوحيد في الكونغو كما أعلن مدينة «ستانليفيل» في مقاطعة الكاساي عاصمة له، وأعلنت الجمهورية العربية المتحدة اعترافها بحكومته، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً، إذ سلّم الكولونيل موبوتو باتريس لومومبا إلى خصمه اللدود «موسى تشومبي» حاكم مقاطعة كاتانغا الذي سجنه واثنين من أعوانه ثم قتلهم مدعيّاً أنهم هربوا من السجن بعد أن استولوا على بعض أسلحة الحرس. وكان لمقتل لومومبا أثر أليم في الجمهورية العربية المتحدة التي اعتبرت أن بلجيكا هي التي كانت وراء اغتياله في ١٣ شباط ١٩٦١، فقامت المظاهرات في القاهرة تطالب بالانتقام من بلجيكا، وسارت المظاهرات، يتقدمها كمال الدين حسين، الذي كان وزيراً للتربية والتعليم، وبعض المسؤولين الآخرين، تحيط بها وسائل الإعلام من صحافة وتلفزة حتى وصلت إلى السفارة البلجيكية في القاهرة، فهاجمتها وأعملت فيها التخريب، واضطر السفير المسكين، الذي كان أسعد الناس بتعيينه سفيراً بالقاهرة، اضطر وبقية الموظفين إلى الهرب عن طريق أدراج النجاة الخلفية للسفارة.

إزاء ذلك، قدّرنا أن البلجيكيين سيقومون بعمل مماثل على سفارتنا، لا سيما وأنها كانت تقع مقابل جامعة بروكسل في شارع فرنكلان روزفلت. وفي الواقع، كان الطلاب يمرون أمام السفارة ويقذفونها بالأحجار ويقطع الحديد وبما تصل أيديهم إليه، كما أن الإذاعة البلجيكية كانت تذيع، بين الفينة والفينة، نداء إلى الرعايا البلجيكي، بعدم السفر إلى الجمهورية العربية المتحدة «لعدم قدرة حكومتها على الحفاظ على سلامتهم».

بعد أسبوع من ذلك، جاءنا أحد طلابنا من جامعة لياج Liège، وقال للمستشار الثقافي الأستاذ علاء الدين عابدين إنه علم أن نداءً وجّه إلى جميع الطلاب البلجيكيين في سائر الجامعات، بالتوجه إلى بروكسل يوم السبت القادم والتجمع في جامعة بروكسل تجاه سفارتنا، ثم الهجوم على سفارتنا وإحراقها وتدميرها.

طلب إليّ السفير أن أبلغ هذا الخبر إلى الأمين العام لوزارة الخارجية البلجيكية

«فان دن بوش Van den Bosch»، وإلى وزارة الخارجية في القاهرة، فقامت بذلك.

في بروكسل، اتخذت الحكومة البلجيكية الإجراءات التالية لحمايتنا، إذ نصبت الأسلاك الشائكة في منتصف الشارع الفاصل بيننا وبين الجامعة، وحشدت قوات من السيارات المصفحة ومن سيارات الإطفاء في ميدان خلف السفارة تحسباً ليوم السبت.

أما في القاهرة، فقد طلبت إلينا الوزارة أن ننقل آلة الرمز والوثائق السرية إلى سفارتنا في هولندا، وأن نوزع بقية الملفات والأمور الهامة في السفارة على بيوت الموظفين حفاظاً عليها، وأن تغادر السفارة خارج بروكسل إن أمكن. فعلنا ما أوصت به الوزارة.

كانت هنالك مشكلة أخرى تتعلق بالسفير الأستاذ صالح خليل وبزوجته السيدة بهية، وكانا قد جلبا معهما من القاهرة أفضل ما عندهما من ملابس وحلي وسجاد وأدوات زينة ذات القيمة الكبيرة، فأين يذهبون بها وكيف العمل على حفظها؟.

قلت للشاب التركي، الذي كان يقطن في الشقة تحت شقتنا: إن ضيوفاً وأقرباء لنا سيصلون إلى بروكسل لزيارتنا لبضعة أيام، وشقتنا لا تتسع لنا ولهم، وأريد أن أستأجر شقته لأسبوع واحد فقط وبالأجرة التي يرغب بها، فقال: يمكن إنزال الضيوف في الفندق، قلت: تعلم عاداتنا نحن الشرقيين، فمن العيب أن ينزلوا في الفندق، قال: وأين أذهب؟ قلت: إلى دار والدتك، ولا شك أنها ستكون سعيدة بلبقائك معها. وبعد مفاوضات طويلة قَبِلَ على أن لا تزيد المدة عن أسبوع، فوافقته على ذلك. وعندها نقلنا أهم ما جلبه السفير معه من القاهرة من متاع إلى هذه الدار، وهيانا المنامة والإقامة فيها التي لم تستمر أكثر من ليلة واحدة.

يوم السبت في ١٨ شباط ١٩٦١، تجمّع صباحاً في جامعة بروكسل أكثر من خمسمائة طالب (كان المفروض أن يجتمع زهاء ثلاثة آلاف طالب)، وقرروا الهجوم على السفارة لإحراقها، إلا أن السلطات البلجيكية كانت استعدت لذلك فجاءت بعدد كبير من الشرطة والخيالة ومن سيارات قاذفة الماء، فاصطدمت بالطلاب واستعملت الغازات المسيلة للدموع وفرقتهم بالقوة، وقد سقط من الطلاب عدد من الجرحى نقلوا إلى المستشفيات كما جرح أحد الجنود من الخيالة، واستمرت الاصطدامات أكثر من ساعتين حتى أرخى الليل سدوله على المنطقة، فذهبت لتفقد السفارة وما يحيط بها. بقي السفير في البيت الذي استأجرناه له ولزوجته، كما أن زملاء تفرقوا في العاصمة.

وجدت في السفارة، التي لم يصبها أي أذى، مدير الشرطة والعشيرة البلجيكية التي لم تغادر المبنى وقد هيأت بعض الحساء للسفير إن عاد إلى السفارة. وقدّرت لها هذا الموقف الجريء وهذه الطيبة، وشكرت مدير الشرطة على ما بذله للحفاظ على السفارة وحمايتها، وعرضت عليه أن أذهب وإياه غداً لعيادة الشرطي الذي أصيب في الحادث أثناء سقوطه عن جواده، وعيادة الطلاب الذين جرحوا أو أصيبوا ودخلوا المشفى للعلاج. فقال: لا حاجة لعيادتهم، وإن هؤلاء الطلاب يثيرون الشغب دوماً، وكان هذا درساً لهم. فلم أوافق على ذلك وبعثت في اليوم التالي الورود لهم وللشرطي المصاب.

انتظرنا أن تقطع بلجيكا العلاقات الدبلوماسية معنا. وخلال الأسبوع الذي تلا هجوم الطلاب على سفارتنا لم يحدث شيء، إلا أنه وفي يوم السبت الذي تلاه، استدعى أمين عام وزارة الخارجية البلجيكية «فان دن بوش» السفير صالح خليل إلى منزله وأبلغه قرار الحكومة بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الجمهورية العربية المتحدة.

أبلغني السفير ذلك، وطلب إلي أن أزور يوم الاثنين الوزارة للاستعلام عن المدة التي تمنحنا إياها لمغادرة بلجيكا. ذهبت لمقابلة مدير المراسم «الفيكونت ده بارك» وسأله عن ذلك، قال: مضى علي أكثر من عشرين عاماً في هذا المنصب ولم نقطع علاقاتنا مع أي دولة، على كلٍّ خذوا الوقت الذي تحتاجون إليه، وأنا آسف لما حدث. قلت: ونحن آسفون لذلك، إلا أن الموضوع لا يتعلق بنا.

في اليوم التالي، استدعاني السفير وقال إنه تلقى هاتفاً من سكرتير رئيس الوزراء يطلب إلينا مغادرة بلجيكا فوراً، فاستغربت ذلك وعدت إلى الأمين العام للوزارة أستوضحه الخبر، قال: اتصل بنا سفيرنا بالقاهرة وقال إن وزارة الخارجية فيها أبلغته ضرورة مغادرة الجمهورية العربية المتحدة فوراً، وبالمقابل، فنحن مضطرون لنعاملكم بالمثل.

اتصلنا بالقاهرة وأعلمناهم استحالة التنفيذ الفوري ومغادرتنا بروكسل بهذا الشكل، واتفقنا على أن يمنحوا السفارة البلجيكية أسبوعاً بحيث نحصل أيضاً على أسبوع نتدبر فيه شؤون السفارة المالية والسياسية والاجتماعية، وكلفنا سفارة يوغوسلافيا في بروكسل، بناء على تعليمات القاهرة، برعاية مصالحنا في بلجيكا، وبقيت سفارتنا مفتوحة وفيها موظف يقوم بالأعمال القنصلية وبشؤون الطلاب والمحاسب، وعوضاً عن علم الجمهورية العربية المتحدة، رفع العلم اليوغسلافي على السفارة.

وزعت وزارة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة موظفي السفارة على السفارات العربية في أوروبا، وبقيت والسفير والملحق العسكري، العقيد الطيار عبد الرحمن عنان، بدون تحديد، فوجب علينا العودة إلى القاهرة. وإذ عاد العقيد عنان بالطائرة، قال السفير إنه من الأفضل أن نعود بالباخرة بحراً لاصطحاب سيارته المرسيدس التي اشتراها من شتوتغارت وسيارتي التي كانت عندي في بروكسل. وهكذا، مررنا بهولندا ثم بألمانيا ثم سويسرا وأخيراً بإيطاليا والبندقية، حيث استقلنا الباخرة «أوزونيا» في الأول من أيار إلى الإسكندرية. قال لي السفير إن تعليمات الخارجية، أنه لدى قطع العلاقات الدبلوماسية مع إحدى الدول، يتقاضى الموظفون المنقولون إلى الإدارة المركزية تعويض الدولة التي نقلوا منها لمدة ثلاثة أشهر، وأن نسبيته (أي زوج شقيقة زوجته) هو الآن وزير المالية وسيؤمّن لنا هذه التعويضات. لذا، في طريقنا من بروكسل إلى الإسكندرية أنفقت كل ما كان لدي من مال، إلا أننا علمنا، لدى وصولنا إلى القاهرة أن الوزارة استقالت، وأن النسب الكريم لم يدخل الوزارة الجديدة فذهبت الأحلام مع أمواج البحر^(١).

٣- في القاهرة: ١ نيسان ١٩٦١ - ٢١ حزيران ١٩٦١

لم يكن لي عمل أو مكتب في وزارة الخارجية التي كنت أتردد عليها من حين لآخر، كما أن زملائي السوريين الموجودين في القاهرة لم يلحقوا بالمكاتب المتخصصة، لذا كنا نمضي أكثر أوقاتنا في مقهى «جروبي» أو «غروبي» حيث ألتقي أحياناً السفير صالح خليل، أو أذهب إلى دمشق لبضعة أيام ثم أعود. كان الحر في القاهرة في شهر أيار وحزيران شديداً لم تشهده مصر منذ زمن بعيد، إذ وصلت درجة الحرارة إلى ٤٧ درجة واستمرت على هذه الحال أكثر من أسبوع، فغادرنا الشقة التي كنا استأجرناها إلى فندق هيلتون حيث الغرف مكيفة ومبردة.

أخيراً، صدر قرار نقلي إلى سفارة الجمهورية العربية المتحدة في أنقرة بتركيا، خلفاً للزميل الوزير المفوض الدكتور جهاد الهواش الذي كان على خلاف مع السفير المصري علي كامل فهمي.

(١) بعد أربعين عاماً من مقتل لومومبا عام ١٩٦١، نشرت جريدة الغارديان البريطانية بتاريخ ١٥/١/٢٠٠٠، تقريراً نسبته إلى خير بشؤون الكونغو لدى استقلالها، أن الحكومة البلجيكية كانت لها يد باغتيال باتريس لومومبا، أكثر زعماء الكونغو جاذبية، وهذا يدل على أن شكوك الجمهورية العربية المتحدة كان لها ما يبررها.

وفي الخارجية المصرية، حذّرني بعض الزملاء الذين عملوا مع السفير علي كامل فهمي من شدته وقسوة معاملته لموظفيه، إلا أنني استخرت الله وقررت السفر إلى أنقرة.

٤ - في سفارة الجمهورية العربية المتحدة بأنقرة: ٢٥ حزيران - ٢٨ أيلول ١٩٦١

نقلت سيارتي بحراً إلى بيروت وجئت بها إلى دمشق وقررت أن أسافر بها إلى أنقرة بمفردي، ريثما أعرّ على شقة مناسبة فأستدعي زوجتي وابنتي وشقيقتي.

في الطريق، وقبل ما يقرب من ثمانين كيلومتراً من أنقره، وقبل المغرب بقليل ورغم أن الطريق كانت عريضة وواسعة، هجمت علي سيارة شحن كبيرة كانت قادمة بالاتجاه المقابل فتفاديتها واضطرت للنزول في الحقل المجاور الذي كان رطباً وموحلاً نتيجة هطول الأمطار قبل يوم من ذلك النهار، وقد انقلبت سيارتي مرتين ثم استقرت، أما سيارة الشحن فتابعت مسيرها دون أن تأبه لي. سعت لإخراج السيارة إلى الطريق العام إلا أن الحقل الموحل لم يتح لي ذلك، وبقيت على هذه الحال أكثر من ساعة حتى جاءت سيارة مكشوفة وفيها بعض الشباب الأتراك فساعدوني، وتابعت مسيري بتؤدة حتى وصلت أنقره ليلاً وحللت في فندق أنقره بالاس.

عندما ذكرت الحادثة لزملائي في السفارة وفي السفارات العربية، قالوا: الآن فهمنا لماذا نرى سيارات رعايانا العائدين من أوروبا إلى لبنان أو سورية أو الأردن ساقطة إلى جانب الطريق العام والمسافرين متوفين والأغراض منهوبة، وكنا نعتقد أنهم إما كانوا ساهين وهم يقودون سياراتهم أو نائمين أو أكثروا من الشراب. وذكرت هذه الحادثة أيضاً إلى كبار موظفي وزارة الخارجية التركية، وقلت: يجب وضع دوريات من الشرطة والدرك على الطرقات لتفادي هذه الحوادث، وهذا ما فعلته السلطات التي اكتشفت، فيما بعد، عصابات من سائقي سيارات الشحن، يهجمون على السيارات الصغيرة على الطريق فيضطرونها للخروج من الطريق فتتقلب، فيأتي السائقون ويجهزون على الركاب وينهبون أشياءهم.

في أنقرة كان الزملاء:

السفير : علي كامل فهمي (مصري).

الوزير المفوض : الدكتور جهاد الهواش (سوري)، الذي نقل إلى

القاهرة وحللت محله.

الملحق العسكري : المقدم جمال الشناوي (مصري).

السكرتير الأول : طارق الصفدي (سوري).

السكرتير الثاني : حسن سلامة (مصري).

الملحق : شريف قطمة (سوري).

الملحق، المحاسب : محمد عبد الحليم محمود (مصري).

قبل وصولي إلى أنقره، سأل السفير علي كامل فهمي الزميل شريف قطمة عني، فقال له: إن عبد الله كان مديراً عاماً في رئاسة الجمهورية في دمشق، وهو صديق للوزير علي صبري (وزير رئاسة الجمهورية بمصر)، كما أن الرئيس عبد الناصر يقدره كثيراً وقد منحه وسام الاستحقاق المصري من الدرجة الأولى، فقال له السفير: «أنا أمشي من المحيط للحيط، ويا ربي السترة».

كان السفير علي كامل فهمي، كما وصفوه لي، شديداً وقاسياً مع الضعيف، وضعيفاً مع القوي. وكان الزميل الدكتور جهاد الهواش مهذباً ناعماً فاستضعفه السفير وجار عليه، لذلك طلب نقله إلى القاهرة.

كانت علاقتي وزوجتي مع السفير وزوجته على خير ما يكون، يحترمني وأحترمه، ولم يطل وجودنا معاً مدة طويلة لأنه سافر في الصيف إلى إستنبول ليستمتع فيها ببناء القنصلية العامة، التي كان السلطان عبد الحميد أهداها للخديوي إسماعيل مقابل إهداء مصر للسفارة التركية قصراً على النيل. كانت العاصمة عندئذٍ إستنبول، وعندما انتقلت العاصمة إلى أنقرة بقيت القنصلية العامة في (قصر بيبك) على البوسفور للقنصل، وكان السفير، وأكثر السفراء أيضاً، يذهبون في فصل الصيف إلى إستنبول للتمتع بالبحر والراحة والاستجمام في واحدة من أجمل مدن العالم.

كانت علاقتنا مع السلطات التركية جيدة رغم المواقف المبدئية المتفاوتة للبلدين، كما كانت تأتينا وفود من القاهرة ودمشق لحضور المؤتمرات، ومنها مؤتمر طب الأطفال الذي عقد في أنقره من ٢ إلى ١٠ أيلول ١٩٦١، وحضره من القاهرة الدكتور ديواني ومن دمشق الدكتور جميل سالم، وقد قمنا بالعناية بهما حسب الأصول لا سيما وأنني كنت أعرفهما شخصياً.

كما كانت علاقتنا بالسفارات العربية والأجنبية جيدة، وتبادل الزيارات وحضور حفلات الأعياد القومية وحفلات الكوكتيل والعشاء، كما هو متعارف عليه في جميع العواصم، كثيرة.

كانت تردنا أخبار الوطن من الصحف المصرية والسورية ضمن الحقيبة

الدبلوماسية، التي كانت تصلنا في يوم معين من كل أسبوع، ويذهب الزميل طارق الصفدي والملحق محمد عبد الحليم محمود لإحضارها إلى السفارة، كما أن الصحف المحلية التركية كانت تنقل إلينا أخباراً موجزة عن بلادنا، وتهتم أكثر بأخبار الأحزاب التركية والخلافات الكثيرة بينها، وكان يقرأها ويترجم بعض مقالاتها ويوزعها لنا الموظف المحلي التركي لعدم معرفتنا باللغة التركية. كنت أ لمس بعض التذمر في صحفنا من سوء الأوضاع الاقتصادية في سورية، ومن تدخل المخابرات السورية والمصرية في كثير من الأمور الداخلية مما جعلني أخشى على مسيرة الوحدة.

في الثامن والعشرين من أيلول ١٩٦١، فاجأتنا وسائل الإعلام التركية والسورية والعالمية بخبر أقص مضجعي وجعلني أرتجف وأفقد إدراكي، وهو خبر قيام مجموعة من الضباط السوريين بحركة انقلاب على الوحدة.

سألني السفير إن كنت أعرف أحداً ممن قاموا به، قلت: لا أعرف أحداً منهم ولكنهم، بحسب انتماءاتهم العائلية، يبدون من دمشق، وهذه هي المرة الأولى التي يقوم فيها ضباط من دمشق بحركة انقلابية، وكان الضباط من حماه هم الذين يقومون بمثل هذه الحركات في الماضي، وأجهشت بالبكاء. أين الحلم الكبير، حلم الوحدة العربية الشاملة، وأين الآمال الواسعة بقيام دولة عربية قوية تجمع حولها بقية الدول العربية وتعيد لنا أمجادنا؟.

سعى السفير للتخفيف عني وقال: فلننتظر ما ستؤول إليه هذه الحركة. والتصقنا بالراديو نستمع من دمشق ومن القاهرة إلى هذه الحركة، راجين أن لا تؤدي إلى الانفصال. ولكن الأمور ازدادت سوءاً، وبدأت بوادر الانفصال بين سورية ومصر تظهر وتتأكد. لم أحزن في حياتي على فقد عزيز، حتى عندما توفيت والدتي وتوفي والدي، مثلما حزنت عندما وقعت الواقعة بين سورية ومصر، وبدأ الانفصال يتبلور.

بادرت تركيا إلى الترحيب بالانفصال وإلى الاعتراف بالنظام في سورية، وتلتها إيران الشاهنشاهية، ثم فيتنام الجنوبية (سايجون) ثم كوريا الجنوبية، ثم الصين الوطنية (فورموزا)، أي الدول العدو للعرب والدول التي تدور في فلك الاستعمار الأمريكي والبريطاني، مما زاد في ألمي وحرقتي على ضياع الوحدة.

نتيجة اعتراف تركيا بالعهد الجديد في سورية، قطعت الجمهورية العربية المتحدة (مصر) علاقاتها الدبلوماسية مع تركيا، وطلبت إلى السفير وأعضاء السفارة العودة إلى

القاهرة، كما طلبت إلى السفير التركي وأعضاء السفارة في القاهرة، مغادرة مصر.

كان موقفني، كسوري، حرجاً. هل أذهب مع السفير وأعضاء السفارة المصريين إلى القاهرة أم أبقى في أنقرة، أم أعود إلى دمشق؟. اتصلت بي وزارة الخارجية بدمشق تطلب تأييدي للانفصال، وأنه صدر مرسوم بتعييني سفيراً بالباكستان، فرفضت الاعتراف ورفضت التعيين في الباكستان. كان الزميلان السوريان في السفارة طارق الصفدي وشريف قطمة في إجازة بدمشق، لم يكن في السفارة سوى السفير والسكرتير الثاني حسن سلامة وأنا، أما الملحق العسكري المقدم جمال الشناوي، فكان قد نقل إلى القاهرة وغادر أنقرة في الشهر الماضي.

كان السفير بمنتهى الهدوء والحكمة، قال لي: إن العلاقة بين مصر وسورية ستبقى أقوى علاقة، وستبقى سورية أقرب الدول العربية إلى قلب مصر وستبقى مصر أقرب الدول إلى قلب سورية، وما جمعه الله لا يفرقه أناس مهما بلغوا من القوة، ابق أنت في سورية وستبقى علاقتنا كما كانت وعلى أحسن ما تكون، وليس بمقدورك ولا بمقدوري تغيير أي شيء مما حدث. سأذهب وحسن سلامة إلى مصر وأرجو أن تقوم نيابة عنا بتجميع أغراض السفارة وتضعها في مكان أمين، أو تبعث بها إلى إستنبول، إلى القنصلية في قصر بيبك. وقام حسن سلامة بإتلاف وحرق وثائق السفارة وأوراقها السرية والعادية، وأخذ آلة الرمز إلى القاهرة.

قال السفير إنه سيعادر وعائلته بالباخرة من إستنبول بعد أسبوع، وحجزنا له على أول باخرة مغادرة إلى الإسكندرية.

إمعاناً بالإساءة، كتبت جريدة «جمهوريت» التركية، وكانت أهم الصحف، إن خلافاً نشب بين السفير المصري والوزير المفوض السوري، أيهما يريد أن يحصل على الصحف أولاً لقراءتها!...

استدعيت مندوب الجريدة وقلت له: إن هذا الخبر هو أسخف ما يمكن أن ينشر في صحيفة تحترم نفسها مثل صحيفة «جمهوريت»، فلا السفير المصري ولا الوزير المفوض السوري يقرآن الصحف التركية لأنهما لا يلمان باللغة التركية، إنما من يقرأها هو الموظف المحلي الصغير الذي يترجم لنا أهم ما يرد فيها، وإنه معيب على أهم الصحف التركية أن تنزل إلى هذا المستوى.

عندما غادر السفير وزوجته إستنبول، حشدت له جميع الطلاب السوريين، من أنقرة وإستنبول وإزمير، لوداعه في المرفأ وكانوا زهاء ثلاثمائة طالب، وكان ذلك ضربة لمن أراد أن يزرع بيننا الشقاق.

عدت إلى أنقره ومعني المحاسب محمد عبد الحليم محمود، وبدأنا بجمع أمتعة السفارة، فما كان يعود منها إلى مصر وضعنا عليه إشارة E أي Egypt، وما كان يعود لسورية وضعنا عليه إشارة S أي Syria، ثم وضعناها في مكان خاص للحفظ. انتظرت تعليمات الوزارة من دمشق. طلبت إلي أن أستمّر بالبقاء في أنقرة ريثما يصل السفير الجديد، وكانت الوزارة قد عينت السفير مؤيد العظم سفيراً في تركيا.

سألت عن السفير عبد الرحمن العظم، قالت الوزارة إنه عين سفيراً في لندن بإنجلترا. قلت: أريد أن أذهب معه: قالت: بل أنت بمرتبة سفير، وقد جرى تعيينك سفيراً في الباكستان: قلت: أفضل أن أذهب مع السفير عبد الرحمن العظم ولو بأي صفة. فجرى تعييني ونقلني إلى لندن، إلا أنني بقيت أمارس مهام قائم بالأعمال بالنيابة في أنقرة ريثما يصل السفير الجديد إلى تركيا السيد مؤيد العظم، الذي كان صديقاً حميماً لي.

كان في البناية التي كنا نقطن فيها بأنقرة ضابط طيار أمريكي يقطن في الطابق الأدنى، وكان يغيب عدة أيام بطائرته في جولة فوق تركيا، وقامت بين زوجتي وزوجته صداقة، وكانت تأتي لزيارتنا مع أطفالها الصغار يلعبون مع ابنتي الصغيرة. وعندما أغلق الاتحاد السوفياتي المجال الجوي فوق برلين، بحيث عزل برلين الغربية، التي كانت تحت حكم الدول الغربية الأربع، عن ألمانيا الشرقية، توترت العلاقات بين دول حلف الأطلسي والاتحاد السوفياتي مما أُنذر بحرب عالمية جديدة. قلت للضابط الطيار: إن تركيا قد تكون معرضة لهجوم صاعق من الاتحاد السوفياتي، قال: إننا حسبنا لكل احتمال حساب، إذ إن هنالك عدداً من الطيارين مثلي يجوبون بشكل مستمر بطائراتهم، المزودة بقنابل ذرية، في الأجواء القريبة من الاتحاد السوفياتي، وقد قسّمنا الاتحاد السوفياتي إلى مربعات، وعلى كل طائرة من طائرتنا، متى صدرت إليها الأوامر أن تتجه إلى المربع المخصص لها وتلقي قبيلتها النووية قبل أن يستطيع الاتحاد السوفياتي إطلاق أي صاروخ. لقد أرعبني حقاً ولم يرحني ولم يطمئنني، لا سيما وإنني أعلم ما فعلته أمريكا باليابان عندما ألقت قبيلتيها النووييتين على هيروشيما وناكازاكي، إن أي حرب قادمة معناها دمار العالم.

في ٢٩ تشرين الأول ١٩٦١، احتلفت تركيا بعيد الاستقلال، ودعا رئيس الجمهورية إلى حفلة استقبال في مجلس النواب في الساعة الحادية عشرة من صباح

هذا اليوم، أعقبها عرض عسكري في المرج، اشتركت فيه، مع قطعات الجيش المختلفة، فرقة الانكشارية الفولكلورية بألبستها المزركشة القديمة، وهي فرقة لم يعد لها وجود إلا في الاحتفالات الفولكلورية مع الطبول والزممر.

في الأول من كانون الأول ١٩٦١، وصل السفير مؤيد العظم وقرينته، وسررت جداً بقدميهما لما تربطني وزوجتي بهما من صداقة وتقدير. وفي التاسع من كانون الأول، ذهبت وإياه إلى وزارة الخارجية التركية لمقابلة الأمين العام أولاً السفير نامق يولغا، الذي كنت أعرفه عندما كان وزيراً مستشاراً في السفارة التركية بدمشق، ثم مدير عام الشؤون السياسية السفير إسماعيل إبريس، ثم وزير الخارجية لتقديم صورة أوراق الاعتماد إليه. وفي الثاني عشر من كانون الأول قدّم السفير أوراق اعتماده إلى رئيس الجمهورية الجنرال غورسيل بالملابس الرسمية وكنت معه والزميلان طارق الصفدي وشريف قطمة، اللذان بقيا معنا في السفارة بعد الانفصال. قالوا لنا: إنه بعد استعراض فرقة الحرس في القصر الجمهوري، قبل الدخول إلى القصر وبعد الخروج منه، يجب على السفير أن يلتفت إلى الفرقة، ويقول: «مرحبا عسكري»!...

كانت مراسم تقديم أوراق الاعتماد مبسطة، إلا أنه كان يجب على السفير، بعد انتهائها، أن يذهب إلى الضريح الكبير حيث يسجى كمال أتاتورك، فيضع إكليلاً من الزهور ويسجل كلمة في السجل الذهبي بهذه المناسبة، وقد قمنا بذلك. وبعد الانتهاء من هذه المراسم، أقيمت للسفير مأدبة غداء في الدار عندي، دعوت إليها السفراء العرب المعتمدين في أنقرة للتعرف عليه.

بعد أن استقر المقام للسفير في أنقرة استأذنته بالعودة إلى دمشق لأهليّ نفسي للسفر إلى لندن للالتحاق بعملتي الجديد مع السفير عبد الرحمن العظم.

كنت أوصيت على سيارة مرسيدس من ألمانيا، فذهبت أولاً إلى شتوتغارت لاستلام السيارة وقدمتها إلى بروكسل ببلجيكا، حيث زرت السفير السوري فيها الدكتور أسعد محفل، الذي كنت أعرفه عندما جاء أميناً عاماً لرئاسة الجمهورية لفترة وجيزة، كذلك زرت الدكتور نجيب صدقة سفير لبنان وكنت أيضاً أعرفه من قبل، ثم تابعت سفري إلى لندن حيث حللت في فندق كينسينغتون حيث كان السفير عبد الرحمن العظم وزوجته قد حلا فيه بانتظار تأمين منزل مناسب له ولعائلته. كان وصولي إلى لندن في الثامن من آذار ١٩٦٢.

وزارة خارجية الجمهورية العربية السورية

١ - في السفارة السورية بلندن: ٨ آذار ١٩٦٢ - ٣٠ نيسان ١٩٦٤

العقارات في بريطانيا تملكها الملكة، ولا يجوز بيعها أو التنازل عنها لأحد، إنما يجوز إيجارها ولمدد طويلة حتى ٩٩ سنة. عندما عيّن الدكتور نجيب الأرمنازي وزيراً مفوضاً ثم سفيراً بلندن عام ١٩٤٦، استأجر بناء للسفارة في شارع المليونيرية (كما كانوا يسمونه) في كينسينغتون بالاس غاردن، لمدة ثلاثين سنة، وهي المدة المتبقية من إيجار المستأجر السابق تنتهي في عام ١٩٧٦.

عندما توحدت سورية مع مصر في الجمهورية العربية المتحدة في شباط ١٩٥٨، أصبح البناء مقراً لقنصلية الجمهورية العربية المتحدة، ويقطن فيه القنصل العام السيد سميح أنور (من مصر). ولدى الانفصال، تمسكت مصر بالبناء، وكان على الموظفين السوريين، الذين كانوا في سفارة الجمهورية العربية المتحدة، الوزير المفوض الدكتور جودت المفتي والمستشارين غالب الكيالي وبشير القطب أن يستأجروا بناء آخر، فوجدوا بناء متواضعاً في منطقة كينسينغتون أصبح مكاتب للسفارة السورية وللقنصلية أيضاً. مع مجيء السفير الجديد، أصبح لزاماً التفتيش عن بناء لسكانه يتناسب مع المقام، وبعد مدة وجدنا شقة واسعة في البناء الملاصق لبناء ومسرح «رويال ألبرت هول» الشهير.

أما بالنسبة لي فلم أجد خيراً من الشقة التي كان يقطنها الدكتور جودت المفتي الذي نقل إلى الوفد الدائم في نيويورك بعد مجيئي إلى لندن فاستأجرتها، وفرض علي شراء أثاثه القديم بالسعر الذي يريد.

بعثت إلينا وزارة الخارجية بموظفين جديدين هما: فائز الرفاعي (وكان ضابطاً في الجيش) ومصباح الدلاطي، كما بعثت وزارة الدفاع بالعقيد سليم إبراهيم عبود ملحقاً عسكرياً بالسفارة، وبعثت وزارة التربية بملحق ثقافي هو ناظم الطحان، وهكذا اكتمل نصاب موظفي السفارة.

العمل في السفارات في العواصم الكبيرة يختلف عنه في باقي السفارات. إنه نشاط متواصل، سياسي واجتماعي واقتصادي وإداري وقنصلي، لذلك كان عدد الموظفين يختلف من سفارة لأخرى، فكل يوم تحمل الطائرات وفوداً سورية أو عربية أو دولية رسمية وغير رسمية، وكان علينا أن نعتني بها، أما الأقارب والأصحاب فكثيرون الذين أحبوا زيارة لندن لوجودنا فيها، وكل يوم مؤتمر

دولي هام أو غداء أو عشاء رسمي أو عيد قومي لإحدى الدول الشقيقة أو الصديقة، هذا بالإضافة إلى الأنشطة الثقافية والفنية التي تزخر بها مدينة عظيمة مثل لندن. وهكذا فإن الوقت كان مليئاً بالأحداث الهامة التي كانت تحدث أو «تطبخ» في لندن، ومع ذلك فالعمل في لندن كان مدرسة عالية بالدبلوماسية والعمل السياسي المجدي.

بعد وصولي إلى لندن بقليل جاء لزيارتنا، أو بالأحرى لزيارة السفير، رئيس الوزراء السوري السابق خالد العظم، وكان ذلك في ١٦ آذار ١٩٦٢، فأخذناه بجولة في لندن حضر خلالها جلسة لمجلس العموم البريطاني، ثم جلنا في جنوب إنكلترا، في برايتون، وغادرنا في ٢١ آذار، أي بعد خمسة أيام، حضر خلالها بعض المسرحيات اللندنية الشهيرة، كما زار بعض متاحفها الغنية.

وزارنا في ٦ تشرين، في طريقه إلى نيويورك لحضور إحدى جلسات الأمم المتحدة، الدكتور بشير العظمة نائب رئيس الوزراء، ولم يمكث في لندن سوى ليلة واحدة.

كما زارنا الموسيقار محمد عبد الوهاب زيارة خاصة إلى لندن، والأخوان رحباني مع فيروز التي قدّمت حفلتين حضرتهما الجاليات العربية في لندن.

أما الأقارب والأصدقاء الذين زارونا أثناء إقامتنا في لندن فكانوا كثيرين.

لن أستعرض جميع ما مر بنا من أحداث أثناء إقامتنا في هذه العاصمة الكبيرة، بل سأتي على أهمها وما كان له من أثر علينا، إلا أنني سأعود إلى ما يجري في بلدنا سورية في هذه الفترة التي أعقبت فصل الوحدة بين سورية ومصر. في هذه الفترة تشكلت في سورية خمس وزارات هي^(١):

| شهر | يوم | | |
|-----|------------|-------------------|---------------|
| ١ | واستمرت ٢١ | من ٢٩ أيلول | وزارة الدكتور |
| | | إلى ٢٠ (ت ٢) ١٩٦١ | مأمون الكزبري |
| ١ | واستمرت ٢ | من ٢٠ (ت ٢) | وزارة الدكتور |
| | | إلى ٢٢ (ك ١) ١٩٦١ | عزت النص |

(١) الوزارات السورية، رئاسة مجلس الوزراء.

| | | | |
|-----------------|---------------------|------------|---|
| وزارة الدكتور | من ٢٢ (ك ١) ١٩٦١ | واستمرت ٥ | ٣ |
| معروف الدواليبي | إلى ٢٧ آذار ١٩٦٢ | | |
| وزارة الدكتور | من ١٦ نيسان ١٩٦٢ | واستمرت ١ | ٥ |
| | إلى ١٧ أيلول ١٩٦٢ | | |
| | وعُدلت في ٢٠ حزيران | | |
| بشير العظمة | ١٩٦٢ | | |
| وزارة السيد | من ١٧ أيلول ١٩٦٢ | واستمرت ١٩ | ٥ |
| خالد العظم | إلى ٨ آذار ١٩٦٣ | | |

وهكذا، وخلال أقل من سنة ونصف، تشكلت خمس حكومات في سورية، مما يدل على عدم الاستقرار نتيجة القوى المعارضة للانفصال والتمسكة بالوحدة في سورية من جهة، وقوة الجمهورية العربية المتحدة في مصر، وكذلك الانقلاب الذي حدث في العراق في ٨ شباط ١٩٦٣ والذي أثر تأثيراً مباشراً على الوضع في سورية من جهة أخرى.

عدم الاستقرار الحكومي والسياسي جاء نتيجة لعدم تمكن الضباط، الذين قاموا بحركة ٢٨ أيلول ١٩٦١، من فرض سيطرتهم على البلاد، إذ كانوا قلة من ضباط الجيش (٢٣ ضابطاً)، منهم: عبد الكريم النحلاوي وموفق عصاصة ومهيب الهندي وفيصل الحسيني وحيدر الكزبري وعادل الحاج علي وفائز الرفاعي وعبد الغني دهمان.... وأكثرهم من مدينة دمشق^(١).

(١) من حديث مع أحد الضباط الذين شاركوا في العملية:

قام العقيد جاسم علوان في حلب، في نيسان ١٩٦٢، متعاوناً مع الضباط البعثيين، بانقلاب على الضباط الانفصاليين، وأذاع بياناً باسم الجمهورية العربية المتحدة - الإقليم الشمالي - وقتل أربعة من الضباط المواليين لعبد الكريم النحلاوي، قائد حركة الانفصال، هم: نصوح نعال وصفوت حللي وكامل عرنوس وجميل قباني. فأرسل النحلاوي قوة إلى حلب بقيادة مسلم الصباغ وأحمد حركة جاسم علوان وفر الضباط البعثيون، إلا أن السلطة تعقبهم وألقت القبض على صلاح جديد وحافظ الأسد وسجنتهما في مركز شرطة العبدية في طرابلس، أما الباقيون، وكان منهم عبد الكريم الجندي، فقد اعتقلتهم وسجنتهم في سجن المزة.

إثر ذلك، رأت قيادة الجيش، اتقاء للفتنة، إرسال الضباط الذين اشتركوا بالانفصال والمواليين للنحلاوي، إلى خارج البلاد، فعينت العقيد عبد الغني دهمان ملحقاً عسكرياً في واشنطن، وعبد الكريم النحلاوي ومهيب الهندي مستشارين في السفارة السورية في صوفيا ببلغاريا، وعادل الحاج إبراهيم في بغداد، وفائز الرفاعي وبسام العسلي في لندن.

في ٣١ آذار، رافقت السفير في زيارة إلى منشستر، حيث يوجد لنا فيها جالية قديمة وغنية للاطلاع على أوضاعها ودعم مواقفها وتقوية علاقتها بالسفارة بلندن، وقد سرّنا ما هي عليه من مكانة اجتماعية مرموقة، وبما تتمتع به من تقدير واحترام من قبل السلطات البريطانية ومن السكان المحليين في منشستر.

خلال فترة وجيزة، تمكن السفير عبد الرحمن العظم من إقامة صلات وثيقة مع المسؤولين في الحكومة البريطانية، ولا سيما مع رئيس الوزراء «هارولد ماك ميلان» ووزير الخارجية، «سير أليك دوغلاس هيوم»، ومع مدير عام الشؤون السياسية في وزارة الخارجية «سير فيرغسون كروفورد»، ومع الجنرال «سير إدوارد سبيرس»، الذي كان صديقاً حميماً لرئيس الوزراء الأسبق سير ونستون تشرشل، أوفده كمندوب خاص إلى الشرق الأوسط، فأقام في بيروت، ولعب دوراً هاماً في سياسة الشرق الأوسط أثناء الحرب العالمية الثانية ودعم استقلال سورية ولبنان. وعندما كنا نلقاه، كان يحدثنا عن علاقاته مع تشرشل وكيف أنه أوفده إلى فرنسا بطائرته الخاصة حتى يحمل إليه الجنرال ديغول عندما أعلن هذا قيام «فرنسا الحرة»، بعد أن احتلت القوات الألمانية فرنسا، مما اضطر «الماريшал بيتان» إلى عقد معاهدة معها وإقامة عاصمة له في منتجع «فيشي»، مما عرف فيما بعد «بحكومة فيشي» والتي قضت عليها الحرب العالمية الثانية ووحدت فرنسا بقيادة الجنرال ديغول.

كان السفير عبد الرحمن العظم معتمداً أيضاً كسفير لدى فرنسا، إلا أنه لم يذهب إلى باريس لتقديم أوراق اعتماده إلى الجنرال ديغول إلا بعد حين.

في تموز ١٩٦٢، نقل العقيد سليم إبراهيم عبود، الملقق العسكري بالسفارة، إلى دمشق وعينت وزارة الدفاع مكانه العميد الطيار زهير عقيل والمقدم بسام العسلي كمعاون له، أما الموظفون الدبلوماسيون فبقوا على ما كانوا عليه.

كان من أصدقاء السفارة، ومن أصدقاء العرب الكاتبة البريطانية «مس أثل مانن»، وكانت وضعت عدة كتب عن البلاد العربية وعن القضية الفلسطينية، وكانت منصفة وإيجابية في كتاباتها وكانت لنا علاقات وثيقة بها.

لن أستعرض في هذا المجال إلا بعض الأمور الهامة التي عشناها أثناء إقامتنا في لندن:

١ - الصواريخ السوفياتية إلى كوبا: في صيف ١٩٦٢، باع الاتحاد السوفياتي إلى كوبا، التي كانت تسير بقيادة كاسترو وبالتعاون مع موسكو، في سياسة اشتراكية مضادة للولايات المتحدة، باعها صواريخ متطورة وعابرة للمقاربات محمولة على

إحدى البواخر الروسية، اكتشفتها الأقمار الصناعية والرادارات الأمريكية، فشعرت واشنطن بالخطر الشديد الذي يتهدها من وجود هذه الصواريخ، القادرة على حمل رؤوس نووية، على مقربة من أراضيها، فأصدر الرئيس الأمريكي «جون كينيدي» إنذاراً إلى الاتحاد السوفياتي بأنه إن لم يسحب هذه الباخرة مع الصواريخ ويعيدها من حيث أتت، فإنه سيأمر بضربها وإغراقها، وعشنا مع العالم أجمع ساعات من الخطر الشديد، وعلى أعصابنا، ونحن نراقب على التلفاز سير الباخرة وعليها الصواريخ متجهة إلى كوبا وتتقرب تدريجياً من سواحلها، إلى أن أعلنت الإذاعات أن رئيس الاتحاد السوفياتي خروتشوف ذهب إلى الأوبرا (البولشوي) وأمر الباخرة مع الصواريخ بالعودة إلى قواعدها. كان العالم على شفا حرب عالمية ثالثة، وعاش على أعصابه أكثر من ساعتين!...

٢ - مقتل الرئيس الأمريكي جون فيتسجيرالد كينيدي^(١): كنت أحضر في السفارة

(١) بعد عشرين سنة من مقتل كينيدي، عرض التلفاز البريطاني، على قناته الأولى، فيلماً وثائقياً عن مقتله يشرح قصة المؤامرة عليه من أولها:

بعد فشل الحملة الأمريكية على كوبا في «خليج الخنازير»، تلك الحملة التي فقدت فيها قوات البحرية الأمريكية «المارينز» عدداً كبيراً من جنودها وانسحبت مخذولة، قرر جون كينيدي تسريح المسؤولين عن هذه الحملة، ولا سيما رئيس وكالة المخابرات المركزية C.I.A. وأيضاً رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي F.B.I «إدغار هوفر»، إلا أن هذا الأخير كان يعتبر نفسه الحاكم الفعلي للولايات المتحدة، لا سيما وأنه بقي في مركزه هذا أكثر من عشر سنوات، وكان يمسك سلطة الأمن بيده، فتأمر الاثنان، أي رئيس وكالة المخابرات العامة ورئيس مكتب التحقيقات الفدرالية، للتخلص من الرئيس كينيدي.

بعث رئيس وكالة المخابرات العامة، الجندي من المارينز «أوزولد»، وكان مشهوراً بدقة تصويبه، إلى موسكو وألحقه بمكتب الملحق العسكري الأمريكي فيه، وبعد ستة أشهر استدعاه وأعلن أنه أصبح شيوعياً متحمساً للفكر الشيوعي، وأخذ يعطيه مناشير تدعو إلى الشيوعية في أمريكا، فيقف على أبواب دور السينما يوزعها، حتى اشتهر أنه شيوعي، فاتصلت به جماعة من الكوبيين تطلب التعاون معه. نقل الأمر إلى رئيس المخابرات العامة فوافق، طلب الكوبيون إليه أن يمددهم ببعض الأسلحة، فأمنت له وكالة المخابرات ما يطلبونه، ثم اتصلت به جماعة من نيكاراغوا وقدمت له خمسة وعشرين ألف دولار وطلبت أسلحة، فأمنها لها.

عندما قرر كينيدي زيارة «اللاس»، عدل مكتب التحقيقات الفدرالي خط سير موكبه من الشوارع المتعرجة إلى شارع مستقيم ليسهل اصطياذه ووضعت «أوزولد» في أحد الدور المطلة على الشارع وزودته ببندقية فيها منظار، إلا أنها خشيت أن لا يصيبه بمقتل، فوضعت أحد أفرادها خلف أحد الأشجار القريبة من الطريق، ووضعت وكالة المخابرات أحد عناصرها وراء شجرة أخرى على الرصيف المقابل، وأمرت الثلاثة بإطلاق النار على الرئيس لدى مرور سيارته المكشوفة فأمنت مقتله.

عندما أطلق «أوزولد» رصاصته أصاب كينيدي في جلدة رقبته، ولم تكن هي الرصاصة القاتلة، أما الرصاصة القاتلة فجاءت في جبينه من الأمام، أي من عنصر وكالة المخابرات العامة، عندها أطلق=

اللبنانية حفلة الاستقبال التي أقامها السفير بهيج تقي الدين بمناسبة العيد القومي اللبناني، مساء الجمعة ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٣، عندما شعرنا أن السفير الأمريكي انسحب على عجل، بعد أن همس مساعده بأذنه، وغادر وإياه السفارة. تساءلنا عن السبب، فقالوا إن الرئيس الأمريكي جون كيندي قد قتل. ساد الحفلة وجوم، وتفرق المدعوون، كل إلى سفارته يستطلع الخبر ويتابع الأحداث، ويتساءل عما يمكن أن يؤدي إليه هذا الاغتيال.

كان لمقتل كيندي وقع شديد على الحكومة وعلى الشعب البريطاني، الذي عرف والد جون كيندي عندما كان سفيراً للولايات المتحدة في بريطانيا، كما أن العلاقة بين بريطانيا والولايات المتحدة هي أكثر من صميمية، وكل ما يؤثر على الولايات المتحدة يؤثر على بريطانيا بشكل مباشر، ويؤثر أيضاً بشكل مباشر أو غير مباشر على جميع دول العالم، نظراً لمكانة أمريكا المميزة في العالم.

تساءل الناس عمن يكمن وراء هذا الاغتيال، ولمصلحة من تم هذا الاغتيال؟، وذهبت التكهنات كل مذهب. فمن الناس من اعتقد أن الاتحاد السوفياتي هو وراء هذه العملية نتيجة إنذار كيندي للاتحاد السوفياتي بسحب بواخره التي كانت تحمل الأسلحة والصواريخ إلى كوبا، ومنهم من قال إن كوبا كاسترو الشيوعية هي وراء هذا الاغتيال.

واعتقلت السلطات الأمريكية المدعو «أوزولد»، وكانت معه بندقية وفيها منظار، وكان أطلق منها النار على كيندي وأصابه، فزج به في السجن، إلا أنه، عندما كان مغادراً بسيارة للشرطة من السجن المعتقل فيه إلى سجن آخر، تصدى له، وفي مدخل السجن، المدعو «روبي» وأطلق عليه النار مدعياً أنه ينتقم منه لمقتل رئيس الجمهورية، فأرداه قتيلاً، إلا أن الحرس أطلق النار على «روبي» فقتله أيضاً.

= عنصر مكتب التحقيقات الفدرالي النار على عنصر وكالة المخابرات العامة فقتله كيلا يفشي السر. وعندما اعتقلت سلطات مكتب التحقيقات الفدرالي «أوزولد» وأودعته السجن، ثم قررت نقله إلى سجن آخر، جاءت بأحد عناصرها واسمه «روبي» فأطلق النار على «أوزولد» في مدخل السجن وأرداه قتيلاً، وقال إنني انتقم للرئيس كيندي، ثم قتله حرس السجن كيلا يفشي السر. وهكذا اختفت الحقيقة وراء مقتل كيندي، حتى فضحتها شبكة التلفاز البريطانية بعد أن عرضت صوراً لجمعية الرئيس كيندي وفيها حفرة الرصاصة في الجبين، وهي التي قتلته. وبقيت قصة مقتل كيندي مستورة حتى بعد وفاة «إدغار هوفر» رئيس مكتب التحقيقات الفدرالي، الذي كانت بينه وبين والد جون كيندي خصومة منذ أن كان هذا الأخير سفيراً لبلاده في لندن، وانتقلت الخصومة لابنه الرئيس جون فيتسجيرالد.

وما زالت الاتهامات في أمريكا تذهب يميناً ويساراً، وتنتشر التكهّنات ويكتب الكثيرون المقالات والكتب والادعاءات بأنهم اكتشفوا حقيقة مقتله، إلا أن الحقيقة بقيت، في الولايات المتحدة، مطموسة.

٣ - الحكومة البريطانية الجديدة: استقال «هارولد ماكميلان» من رئاسة الوزارة في مطلع عام ١٩٦٣ لتقدّمه بالسن، فكان على الملكة أليزابيث الثانية أن تختار أحد الأعضاء البارزين في حزب الأكثرية، حزب المحافظين، لخلافته، وتردد اسم «بطلر» وزير الداخلية في الحكومة المستقيلة، واسم وزير الخارجية «هيوم» لملء هذا المنصب. كان «بطلر» في البداية أوفر حظاً من زميله «هيوم» في كسب ثقة الملكة، سيما وأنه سبق ورُشح للرئاسة أكثر من مرة ولم يحالفه الحظ، إلا أن الملكة اختارت «السير أليك دوغلاس هيوم» وكلفته بتشكيل الحكومة الجديدة. أراد «هيوم» أن يعوّض على «بطلر» خسارته، فكلفه بوزارة الخارجية في الوزارة الجديدة التي شكلها.

وفي جلسة مجلس العموم للحصول على الثقة، ألقى «هيوم» بيانه الوزاري المتضمن سياسة الحكومة الجديدة وبرنامجه، ثم جرت مناقشة البيان من قِبَل أعضاء المجلس، وفي آخر الجلسة تقدّم عضو محافظ، من الصفوف الخلفية وكان أستاذاً للتاريخ، فألقى خطاباً مطولاً أنهاه بما يلي:

«عندما ولي «بولدوين» رئاسة الوزارة البريطانية في العشرينات، قدّمت له زوجته النصيح التالي: لا تهمل مؤيديك، فهم الذين ولوك وهم دعامتك في المستقبل، ولا تستخف بأعدائك فقد يقضون عليك، ولا تعتمد على سياسي (منحوس) أي قليل الحظ (وكان يعني «بطلر») فإن «نحسه» قد يصيبك (تصل عدواه إليك)».

ثم أنهى خطابه بالقول:

«اثنان لا قيمة لهما: جريدة قديمة ورئيس وزراء قديم».

وقد أثار هذا الخطاب ضحك جمهور النواب والنظارة، وكنت بينهم.

٤ - ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣: في صباح الثامن من آذار ١٩٦٣، طلعت علينا وسائل الإعلام بحركة عسكرية قامت بها فرقة من الجيش السوري احتلت المراكز الرئيسية في العاصمة، وألقت القبض على عدد من المسؤولين بينهم رئيس الجمهورية، وزجت بهم في سجن المزة.

شكل ذلك الحدث الانقلاب السابع في سلسلة الانقلابات التي عصفت بسورية خلال أقل من عقد ونصف من تاريخها الحديث.

في السفارة قمنا بالاتصال بوسائل الإعلام البريطانية التي أخذت تزودنا أولاً بأول، بأخبار هذا الانقلاب، قائلة إن الذي قام به هو اللواء زياد الحريري رئيس أركان الجبهة، وإن سائر قادة الألوية انضمت إليه وأزرتة فيما بعد.

وقالت وكالات الأنباء إن رئيس الوزراء السوري خالد العظم تمكن من الهرب ونزل من بيته، في الطابق الثاني في ساحة أبي العلاء المعري، إلى السفارة التركية في الطابق الأول من المبنى نفسه واحتمى بالسفارة، وإن قيادة الجيش السوري، مقابل ذلك، قطعت العلاقات الدبلوماسية مع تركيا، وأوعزت إلى السفير السوري في أنقرة مؤيد العظم بالعودة فوراً إلى دمشق وسرحته وأنهت خدماته.

وتتالت الأخبار عن هذه الحركة وعن تطوراتها وعن أهدافها التي زعمت في البداية أنها قامت لإعادة الوحدة مع مصر.

في ثاني يوم من هذه الحركة، جاءت مجموعة من الطلاب العرب تربو على العشرين طالباً، وبعضهم من الطلاب البعثيين الذين يدرسون في لندن، ودخلت الطابق الأرضي من السفارة وكان معها دف وأخذت تهزج وتنادي باحتلال السفارة. اتصل بنا مدير عام شرطة لندن وقال إن باستطاعته أن يبعث بمفرزة من الشرطة لإخراجهم من السفارة إن أردنا، فقال له السفير: إن هؤلاء الطلاب هم أولادنا ونحن نتدبر أمرهم، ولا نريد أي تدخل من السلطة البريطانية. ثم طلب إليهم اختيار خمسة منهم لمقابلته، ولما جاؤوه لم يكن بينهم أي طالب سوري، فأخذهم بالحكمة والرؤية، وبعد أن هاجوا وماجوا لمدة ساعتين انسحبوا بسلام من السفارة.

الخبر الذي وردنا بعد ذلك وآلمنا جداً هو اغتيال رياض العظم، شقيق السفير عبد الرحمن العظم، وكان معروفاً بطيبته وسمو أخلاقه وحبه للخير وعطفه على الفقراء ومعالجته للمرضى. سمع بأن أحد المزارعين أصابه المرض فذهب يحمله له الدواء، فتعقبوه واغتالوه لدى ذلك المريض، فنارت حماه لمقتله، مما اضطر السفير عبد الرحمن أن يسافر إلى حماه لتهدئة الوضع فيها، إلا أن سلطات الثورة أصدرت قائمة «عزل سياسي» ببعض رجالات «العهد البائد» كان منهم السفير عبد الرحمن العظم، وأنهت خدماته وصادرت أملاكه، وهذا ما زاد في ألمنا وحسرتنا.

بقيت أدير شؤون السفارة بصفتي قائماً بالأعمال بالنيابة بانتظار تعليمات الوزارة.

في دمشق، أصدر المجلس الوطني لقيادة الثورة بتاريخ ٩ آذار ١٩٦٣ قراراً بتكليف صلاح الدين البيطار بتشكيل أول وزارة كان أكثر وزرائها من حزب البعث العربي الاشتراكي، إلا أن هذه الوزارة لم تدم سوى شهرين ويومين، ثم أصدر الفريق لؤي الأتاسي، رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة، قراراً بتعيين الدكتور سامي الجندي رئيساً للوزارة الجديدة، التي لم يتم تشكيلها، فاستقال الدكتور سامي الجندي بعد يومين^(١).

(١) ذكر لي أحد الضباط الذين شاركوا في هذه العملية (ولا يريد ذكر اسمه):

السفير الأمريكي والسفير السوفياتي: ثاني يوم الانقلاب، جاء السفير الأمريكي لزيارة قائد الانقلاب اللواء زياد الحريري وعرض عليه كل مساعدة ممكنة، فقال له زياد: إن احتجنا إلى شيء سنخبركم، وبعد أسبوع جاء السفير السوفياتي (بواسطة شقيق زياد، الشاعر محمد، وكان شيوعياً) وعرض عليه المساعدة في كل شيء، قال له زياد: كانت الحكومة السابقة أوصت على صواريخ من الاتحاد السوفياتي، وباعتبار أنه لا يوجد لدينا ما نسدده بثمنها فنرجو إلغاء الصفقة. قال السفير: هذا موضوع لا يتعلق بي، أمهلوني لأتصل بالمسؤولين في موسكو وأعود إليكم. وعاد بعد أسبوع وقال: ألغينا الصفقة. ثم قدّم لزياد لائحة بأسماء الضباط البعثيين الذي يريدون «سرقة» الانقلاب منه، وأعلمه عن سائر التحركات التي ينوون القيام بها، فلم يأبه بها، وقد نفذها الضباط البعثيون بحذافيرها فيما بعد.

الخروج: إثر حدوث الانقلاب، تحرك الشارع السوري بأعوان عبد الناصر، وقامت مظاهرات في دمشق تطالب بإعادة الوحدة مع مصر كما كانت، وإلغاء كل ما حدث في الفترة السابقة وكان الانفصال لم يكن. اقترح صلاح البيطار تشكيل وفد يزور الجزائر لمحادثة الرئيس أحمد بن بللا للتوسط بين السوريين والرئيس جمال عبد الناصر، لأن هنالك خطراً على عملية الانقلاب إن لم يرض عنها الرئيس عبد الناصر. وتشكل الوفد من ميشيل عفلق وصلاح البيطار وزياد الحريري.

بعد وداع الوفد في المطار، طلب لؤي الأتاسي، الذي رُفِعَ إلى مرتبة فريق وأصبح رئيساً لمجلس الثورة، طلب إلى عارف الجاجة، المقرب من زياد الحريري، أن يركب معه. وفي الطريق قال له: أريد أن أغتنم الفرصة معك لنجري بعض التنقلات بين ضباط الجيش. فأجابه عارف الجاجة: إن هذا يعتبر خيانة لأن الوفد توجه الآن إلى الجزائر للتوسط، فضحك الأتاسي ولم يتكلم، وانقطع الحديث. ذهب عارف الجاجة إلى العميد أمين الحافظ، وكان عندئذ وزيراً للدخالية، وأطلعه على ما ذكره له لؤي الأتاسي، فقال أمين الحافظ: «نعيماً، الآن صارت السكين على المذبح، لأن الضباط البعثيين استلموا الحكم فعلاً».

أجرى لؤي الأتاسي تنقلات بين الضباط الموالين لزياد الحريري، أثناء غياب الأخير في الجزائر، فبعث بقسم منهم إلى وزارة الخارجية ويقسم آخر كملحقين عسكريين، ولما عاد الحريري ووجد هذه التغييرات والتنقلات غضب وانزوى في بيته.

استدعاه علي صالح السعدي وصالح عماش إلى بغداد، وجربوا إقناعه بالعودة إلى مركزه والتعاون مع البعثيين، كما عرضوا عليه أن يدخل حزب البعث، وأتوا بالقرآن الكريم ليقسم عليه، فأبى وقال: «إن فعلت ذلك انفض عني جميع الضباط الذين اعتقدوا بحيادي».

وكلف لؤي الأتاسي، مجدداً، صلاح الدين البيطار بتشكيل وزارة جديدة لم تدم سوى شهرين واثنتين وعشرين يوماً، ثم عدلت هذه الوزارة، عندما أصبح العميد أمين الحافظ رئيساً للمجلس الوطني لقيادة الثورة بعد أن ترفع إلى رتبة لواء، وكان صلاح الدين البيطار يحتفظ دوماً بوزارة الخارجية بالإضافة إلى رئاسة مجلس الوزراء. بعدها شكل اللواء محمد أمين الحافظ وزارة جديدة، عيّن فيها أحد سكرتيري الوزارة وزيراً للخارجية، ثم عاد أمين الحافظ فكلف صلاح الدين البيطار بتشكيل الوزارة الجديدة، بتاريخ ٢٤ أيار ١٩٦٤، ولم تستمر سوى أربعة أشهر وتسعة عشر يوماً، مما يدل على عدم استقرار الوضع في سورية.

لا بد من الإشارة في هذا المجال إلى ما جرى في العراق وفي مصر، في هذه الأثناء، مما كان له أثر فعال في حدوث هذه الثورة في سورية.

في العراق، عصفت انقلاب جديد في ٨ شباط ١٩٦٣ بحكم اللواء عبد الكريم قاسم، قاده زميله السابق عبد السلام عارف الذي أحل البعث فيه، بزعامة أحمد حسن البكر وعلي صالح السعدي، وأدى هذا الانقلاب العراقي إلى زعزعة حكم الانفصال في سورية، الذي كان متداعياً بطبيعة الحال، وإلى قيام انقلاب زياد الحريري في ٨ آذار ١٩٦٣، ثم إلى استلام حزب البعث الحكم في سورية. كان أول ما سعى إليه حزب البعث في بغداد وفي دمشق إقامة وحدة ثلاثية مع مصر مما يدعم موقف الحزب في القطرين، ويتجاوب مع مبادئ الحزب بإقامة هذه الوحدة.

وبين ١٤ آذار و١٧ نيسان ١٩٦٣، تشكل وفدان من حزب البعث العراقي والسوري وذهبا إلى القاهرة لطرح مشروع الوحدة على الرئيس جمال عبد الناصر.

كان الوفد السوري برئاسة السيد نهاد القاسم (مستقل) نائب رئيس مجلس الوزراء، وضم السيد عبد الحليم سويدان (مستقل)، وعبد الكريم زهور عدي (بعث)، واللواء راشد قطيني واللواء زياد الحريري، والمقدم فواز محارب، والمقدم فهد الشاعر.

وكان الوفد العراقي برئاسة علي صالح السعدي (بعث)، والفريق صالح مهدي

= ولما عاد إلى دمشق زاره صلاح البيطار وصلاح جديد وعرضا عليه أن يذهب إلى باريس لفترة قصيرة للاستجمام يعود بعدها إلى دمشق. وبعد مدة تقرر إرساله إلى باريس كسفير متنقل Ambassador at Large، وسافر معه زميله عارف الجاجة، واستلم الضباط البعثيون السلطة بمعونة بعث العراق.

عماش والسيد طالب شبيب (بعث)، والدكتور عبد الرحمن بزاز (مستقل ناصري). وكان الوفد المصري برئاسة جمال عبد الناصر وعضوية نواب الرئيس عبد اللطيف البغدادي والمشير عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين، وعلي صبري رئيس المجلس التنفيذي، وأمين هويدي سفير الجمهورية العربية المتحدة في بغداد، وعبد المجيد فريد أمين عام رئاسة الجمهورية.

وإذ طالب الوفد العراقي بإقامة اتحاد أو وحدة بين الدول الثلاث خلال سنتين أو ثلاث سنوات، طالب الوفد السوري بإقامة الوحدة فوراً بغية إعادة الأمور إلى نصابها بعد أن قضت الثورة على الانفصال.

وهكذا، فإن الخلاف في وجهات النظر بين الوفدين السوري والعراقي دُلَّ مجدداً على عدم التنسيق بينهما، وعدم الدراسة والاندفاع بالعاطفة بعيداً عن التمحيص.

إلا أن الرئيس جمال عبد الناصر، الذي كان قد اكتوى من الانفصال وكان أكثر خبرة وأوسع علماً وأكثر واقعية من زميليه، استعرض لهما الصعوبات والعقبات والخلافات الواجب تجاوزها قبل الوصول إلى الوحدة التي كان يفضلها على الاتحاد، إلا أنه وبالنسبة لسورية قال:

«... لا بد أن نتعامل على نور... هل المطلوب منا الآن أن نقيم وحدة مع حزب البعث... أم وحدة مع سورية؟. إذا كان حزب البعث هو الذي يحكم سورية وستكون الوحدة معه، فأنا على غير استعداد للبحث على الإطلاق. وحدة مع سورية كلها، أنا على استعداد لها، وحدة مع حزب البعث سأقول لكم متأسف. إن حزب البعث في رأيي انقلب على تجربة الوحدة وحاربها وكان من القوى التي مهدت للانفصال، ولم يكتف بذلك بل أراد أن يؤثر في الأوضاع في مصر نفسها في المرحلة الحرجة بعد الانفصال، وأنا أعتبر ذلك جريمة...»^(١).

وتنالت الاجتماعات، وتعددت الوفود وتغير أعضاؤها، وعرضت مشاكلها الداخلية والسياسية والاجتماعية وتصارحت الشخصيات، منها من اعترف بأخطائه

(١) مؤسسة الأهرام، أغسطس ١٩٦٣، محاضر محادثات الوحدة، مارس - إبريل ١٩٦٣. للاطلاع على جميع المحادثات، يرجى الرجوع إلى هذا المصدر وإلى كتاب رياض طه، نقيب الصحفيين في لبنان.

ومنها من برر موافقه، وانتهت هذه الاجتماعات العشرة إلى إقامة وحدة اتحادية ثلاثية في ١٧ نيسان ١٩٦٣، وتم التوقيع على ميثاقها في القاهرة بحضور الرئيس جمال عبد الناصر عن مصر، والفريق لؤي الأتاسي عن سورية، وعلي صالح السعدي عن العراق^(١).

(١) ومع توقيع وثيقة الوحدة، أو الاتحاد، في ١٧ نيسان ١٩٦٣، بدأ حلم الوحدة العربية الشاملة يدغدغ أفئدة وعقول الشعب العربي في شتى أقطاره، وتجسم هذا الحلم برؤية العلم ذي النجوم الثلاثة المشيرة إلى الدول الموقعة عليه: مصر وسورية والعراق. ولكن حلم الربيع هذا لم يدم، وللأسف الشديد، سوى عمر الورود الربيعية فذبل بمجيء الصيف، ذلك أن كل دولة من هذه الدول الثلاث أرادت الاتحاد على طريقتها ولدهم وجودها ونظامها، ولم تفكر بأن تضحي بأي شيء من مكتسباتها في سبيل هذه الوحدة. ففي سورية، سافر اللواء زياد الحريري، وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش والقوات المسلحة، الذي قاد ثورة الثامن من آذار، للمشاركة مع الوفد السوري الذي قام بزيارة للجزائر في ١٩ حزيران ١٩٦٣ للتهنئة بالاستقلال، والذي ضم عدداً من الشخصيات الحزبية والحكومية برئاسة رئيس الوزراء صلاح الدين البيطار ومعه ميشيل عفلق وعدد من قيادات البعثيين منهم: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، وعندما عاد الحريري بعد يومين إلى دمشق وجد أن ثلاثين من ضباطه إما أنهم قد أحيلوا على التقاعد أو أنهم نُقلوا إلى ملاك وزارة الداخلية، وكان المجلس الوطني لقيادة الثورة قد أبرق إليه بأنه صدر قرار بتعيينه ملحقاً عسكرياً في السفارة السورية بواشنطن، وأن عليه أن يذهب من باريس رأساً إلى مقر عمله الجديد دون العودة إلى دمشق، إلا أنه عاد متحدياً القرار الذي كان الهدف منه إبعاده عن الحكم في سورية. كان ذلك أول شرح في الصف وأول خطوة لانفراد البعث بالسلطة. وازداد الشق اتساعاً عندما رفض الحريري أن ينتسب إلى حزب البعث، وأصر على إعادة ضباطه المسرحين، وحين رفض طلبه، قدّم استقالته، عندئذ قدّم أربعة من الوزراء استقالتهم تضامناً معه، كما تحركت بعض ألوية الجيش من الموالين للحريري، من المنطقة الجنوبية ومن حمص ومن اللاذقية، مهددة بالزحف إلى دمشق، فقرر المجلس الوطني لقيادة الثورة تجميد قرارات النقل والتسريح بحق ضباط الحريري، وفي الوقت نفسه أعلن الاستنفار في جميع قطعات الجيش لتقف في وجه ألوية الحريري. وفي ٧ تموز ١٩٦٣ قرر المجلس الوطني لقيادة الثورة تسريح اللواء زياد الحريري من جميع مناصبه العسكرية، وإبعاده عن البلاد إلى باريس وسماء سفيراً متنقلاً، أي سفير بدون سفارة، وبعث معه زميله المقدم عارف الجاجية الذي كان مسؤولاً عن قسم المخابرات، بعد أن زودتهما بالمال اللازم للإنفاق في باريس، وكان في وداعهما بالمطار، يوم ٨ تموز ١٩٦٣، صلاح الدين البيطار والعميد غسان حداد فقط.

على أن الوضع لم يستقر لقيادة المجلس الوطني والثورة، وكان أكثر أعضائه من حزب البعث العربي الاشتراكي، إذ بعد عشرة أيام فقط من مغادرة الحريري إلى باريس، قام العقيد المسرح جاسم علوان، الذي كان، في ٢٨ آذار من العام الماضي، أجرى محاولة انقلابية في حلب لضرب الانفصال وإعادة الوحدة مع مصر، قام هذه المرة بمحاولة انقلابية فاشلة ساعده فيها اللواء المسرح محمد الجراح، مدير الأمن العام في عهد الوحدة، والعقيد هشام شبيب رئيس أركان سلاح الإشارة والنقيب محمد نبهان ويوسف مزاحم ورائف المعري ومصطفى رجب وأكرم صفدي وهيثم الأيوبي، وكلهم من=

.....
= الوحدويين الناصريين، إلا أن السلطات السورية تمكنت من إحباط هذه المحاولة، واعتقلت القائمين بها وأحالهم إلى المجلس العسكري العرفي لمحاكمتهم.

أدى توقيف هؤلاء الناصريين إلى انزعاج الرئيس جمال عبد الناصر، فقام الفريق لؤي الأتاسي في ٢٨ تموز يرافقه الدكتور سامي الجندي والمقدم فهد الشاعر والعقيد محمد عمران بزيارة إلى القاهرة للقاء الرئيس جمال عبد الناصر وتصفية الجو بين دول ميثاق القاهرة، وأفل عائداً إلى دمشق، إلا أن الرئيس عبد الناصر، ألقى خطاباً بتاريخ ٢٢/٧ أي تموز، بمناسبة عيد الثورة الحادي عشر، قال فيه:

«إن اتفاقية الوحدة قد وقعت مع الشعب السوري كله وليس مع قيادة حزب البعث، وإنه لا وحدة مع حزب البعث».

وعقب ذلك ألقى اللواء أمين الحافظ، رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة، خطاباً في خريجي الكلية الحربية اتهم فيه مباشرة القاهرة بأنها «هي التي دبرت محاولة قلب الحكم في سورية» بتاريخ ١٨ تموز الماضي.

وأخذ الانشقاق يدب ويتسع بين سورية ومصر، وبين حزب البعث والرئيس جمال عبد الناصر رغم المساعي الكثيرة التي بذلها المشير عبد السلام عارف رئيس جمهورية العراق لرأب الصدع وتنفيذ ميثاق القاهرة الموقع في ١٧ نيسان ١٩٦٣، إذ اتهمت القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، في بيان لها، الرئيس عبد الناصر «... بالانسحاب من الوحدة وبضرب ميثاق ١٧ نيسان، والتأمر على الحكم الثوري في سورية بغية رد اعتباره الشخصي...».

ورد الرئيس عبد الناصر على هذا البيان بأن البعثيين قدموا للنحلاوي (قائد الانفصال) أسماء أربعين ضابطاً بعثياً ليعاونوه في تنفيذ الانفصال، وأن وزراء من قيادة حزب البعث اشتركوا في حكومة الانفصال، وقال: «إننا نقول للانفصاليين الجدد لن تكفر أبداً بالقومية العربية ولا بالوحدة العربية» (*).

(*) (الوقائع العربية، الجزء ٢ و ٣ لعام ١٩٦٣، دائرة الدراسات والإدارة العامة - الجامعة الأمريكية في بيروت).

واتجهت بعدئذ قيادة حزب البعث السوري إلى العراق نظراً لوجود حزب البعث في القيادة ببغداد، فوثقت العلاقات معها، وتم الاتفاق على إقامة وحدة عسكرية بين الجيشين العراقي والسوري يرأسها الفريق الركن صالح مهدي عماش، كما اتخذت موقفاً لها في دمشق، وبدأت المفاوضات لإقامة وحدة اقتصادية بين البلدين.

إلا أنه ما عثم أن دب الخلاف بين أعضاء قيادة البعث في العراق ووقعت الواقعة بينهم، ذلك أن القيادة القطرية اجتمعت في ١٣/١١/١٩٦٣ وأجرت انتخابات جديدة أخرجت منها علي صالح السعدي الذي كان أميناً عاماً فيها، وزميله حمدي عبد المجيد ووضعتهما في طائرة أفلتت بهما إلى مدريد، كما قامت طائرة عسكرية أخرى تحمل وزير الداخلية حازم جواد ووزير الخارجية حسين شبيب وبعض مؤيديهما ونقلتهم إلى بيروت. وتحرك الحرس القومي وتحدى قوى الجيش، ووقع بينهما العديد من القتلى والجرحى، وأعلن عن حل القيادة القطرية العراقية والدعوة لانتخاب قيادة قطرية جديدة خلال أربعة أشهر.

ووصل إلى بغداد عدد من أعضاء قيادة البعث السورية: ميشيل عفلق واللواء أمين الحافظ واللواء صلاح جديد وحمود الشوفي والدكتور نور الدين الأتاسي والدكتور عبد الخالق النقسبندى =

.....
= للاطمئنان على الوضع في العراق، ثم عادوا في اليوم التالي إلى دمشق.

وأعلن المشير عبد السلام عارف، رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة، بياناً حل بموجبه الحرس الوطني، وأمر أفرادہ بتسليم أسلحتهم، وقال الزعيم رشيد مصلح، الحاكم العسكري العام: إن أعضاء الحرس القومي العراقي المنحل ارتكبوا فظائع أسوأ من الفظائع التي ارتكبتها المغول في القرون الوسطى!...

وساءت العلاقات بين فرعي حزب البعث العراقي والسوري، وهاجمت بعض صحف البعث العراقي ميشيل عفلق لتجنه على ثورة ١٨ تشرين الثاني.

وفي سورية، أصدر المجلس الوطني لقيادة الثورة بياناً أعلن فيه مؤازرة ثورة الرابع عشر من رمضان العراقية، وشجب حركة الانقلاب الأخير التي تدعمها الاحتكارات البترولية والرجعية(*)...
(*) (الوقائع العربية، الجزء ٢ و ٣ لعام ١٩٦٣ دائرة الدراسات والإدارة العامة - الجامعة الأمريكية في بيروت).

وإذ تأرجحت العلاقات ضعفاً ووثوقاً بين سورية والعراق نتيجة إبعاد علي صالح السعدي من قيادة البعث في بغداد، وإخراج اللواء محمد عمران من قيادة البعث في سورية، قويت العلاقات بين بغداد والقاهرة، وتم الاتفاق على التنسيق السياسي بين البلدين، ووقعت اتفاقية لهذا الغرض في القاهرة بتاريخ ٢٦ أيار ١٩٦٤، وألقى بهذه المناسبة الرئيس جمال عبد الناصر خطاباً تعرّض فيه إلى الانفصال بين مصر وسورية في ٢٨ أيلول ١٩٦٢، وإلى من كان وراء هذا الانفصال: الاستعمار والانتهازية، وحيّ الشعب السوري البطل الذي:

«... قاوم الرجعية وقاوم الاستعمار وقاوم الانتهازية وقاوم الذين ضلّوهم باسم الوحدة، ولم يكن هدفهم إلا أن يتحكموا فيه وإلا أن يحكموا سورية. نادوا بالوحدة وهم أبعد ما يكونون عن الوحدة، ونادوا بالحرية وهم أبعد ما يكونون عن الحرية، ونادوا بالاشتراكية وهم أبعد ما يكونون عن الاشتراكية...» «... وإن شعب سورية الذي كان دائماً يمثل قلب العروبة النابض، هو قلب العروبة النابض من أجل الوحدة...».

كما ألقى الرئيس العراقي عبد السلام عارف، في هذه المناسبة خطاباً، قال فيه:

«... إن هذا الشعب القومي المؤمن الطيب، إذ يلتقي بشقيقه شعب الجمهورية العربية المتحدة في الخطوة المباركة، إنما يتحد معه ضميراً وقلباً ويداً ليكون أقوى دعامة لتحقيق أمل الملايين العربية، وليسيراً سيراً حثيثاً متواصلاً في طريق تحقيق الوحدة الشاملة إن شاء الله...».

وتضمنت الاتفاقية: تشكيل مجلس رئاسة مشترك... من رئيس الجمهورية العربية المتحدة ورئيس الجمهورية العراقية وعدد من الأعضاء... ويختص:

- ١ - بدراسة وتنفيذ الخطوات اللازمة لإقامة الوحدة بين البلدين.
- ٢ - تخطيط وتنسيق سياسة البلدين، في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفي ميدان الإعلام.

٣ - تحقيق الوحدة الفكرية بين شعبي الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية.

= كما تضمنت الاتفاقية إنشاء منظمات مشتركة:

لنعد إلى لندن، فقد حدثت خلال هذه الفترة أحداث كثيرة هامة بعثت بتقارير مفصلة عنها إلى وزارة الخارجية، وسأكتفي بذكر بعضها:

١ - العلاقة مع السفارات العربية: للدول العربية سفارات مميزة في لندن، إذ إن لندن تعتبر من المراكز السياسية والدبلوماسية العريقة والهامة في العالم، وتبعث إليها الدول بخيرة رجالاتها وديبلوماسيها، أذكر منهم على سبيل المثال: غروميكو

= أ - اللجنة السياسية.

ب - القيادة العسكرية.

ج - اللجنة الاقتصادية.

د - لجنة الثقافة والإعلام.

هـ - لجنة الفكر الاشتراكي العربي.

و - لجنة التنظيم الشعبي.

ز - أي لجان أخرى تقتضي الضرورة تكوينها.

كما نصت الاتفاقية على أن للمجلس أمانة عامة يتولى إدارتها أمين عام، مقرها القاهرة، وتضمنت الاتفاقية مواد كثيرة لتنظيم هذا التنسيق.

وفي ١٦/١٠/١٩٦٤، تم التوقيع في القاهرة على إنشاء القيادة السياسية الموحدة بين البلدين.

[الوقائع العربية، الجزء ٢ و ٣ لعام ١٩٦٣، دائرة الدراسات والإدارة العامة - (الجامعة الأمريكية في بيروت)].

في دمشق، أصدرت القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي بياناً في ٣/١٠/١٩٦٤ حول الحكم في العراق قالت فيه:

«يا أبناء شعبنا العظيم...

لقد أصيب الضمير العربي بهزة مؤلمة للأبناء الواردة من العراق عن الحملة الإرهابية الشرسية التي يشنها حكام ردة تشرين، ضد مناضلي حزبنا وجميع المواطنين المتمسكين بالعروبة والديمقراطية وحقوق الشعب، هذه الحملة التي أعادت العراق إلى أوضاع كالأوضاع الخائفة التي كان قد عاشها في ظل نوري السعيد وعبد الكريم قاسم، بل أسوأ.

إن حكام العراق الذين تأمروا على ثورة رمضان الديمقراطية الشعبية، تدفعهم وتساندهم قوى الاستعمار والرجعية والانتهازية المعادية للشعب، قد دأبوا منذ تسلطهم على الحكم على تنفيذ خطط الاستعماريين والرجعيين في محاولة ضرب وتصفية القوى الثورية المناضلة ومنظمات

الفلاحين والعمال والطلبة والمهنيين وإلغاء دورها...

[الوقائع العربية، الجزء ٢ و ٣ لعام ١٩٦٣، دائرة الدراسات والإدارة العامة - (الجامعة الأمريكية في بيروت)].

وهكذا، وللأسف الشديد والألم العميق، حلت المهاترات والخصومات محل التعاون والتوافق والوحدة المنشودة، وانقسم الشعب العربي الواحد إلى شعوب تمزقها الاتهامات الرنانة والادعاءات الطنانة والجمل المعادة الفارغة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عن الاتحاد السوفياتي (أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية ثم رئيساً للاتحاد السوفياتي)، وحسن عوض القوني من مصر، وحسين الجسر من لبنان، وعبد الرحمن البزاز من العراق (أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء ثم اعتقل وسجن وعذب وتوفي في السجن ببغداد)، والحبيب الشطي من تونس (أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية، ثم سفيراً بدمشق، ثم أميناً عاماً لمنظمة المؤتمر الإسلامي)، وحنانيا من الأردن، والأمير حسن، ابن عم ملك المغرب، من المغرب، وكانت علاقاتنا معهم جيدة بل متميزة.

وفي ٢٤ حزيران ١٩٦٣، وبمناسبة مغادرة السفير عبد الرحمن العظم لندن عائداً إلى دمشق، أقام له سفير مصر، محمد عوض القوني، مأدبة غداء فخمة دعا إليها السفراء العرب وكبار موظفي وزارة الخارجية البريطانية وبعض الشخصيات السياسية البريطانية المعروفة.

٢ - اليهود في بريطانيا : لليهود في بريطانيا أثر بيّن في جميع المجالات، ولا أدل على ذلك من وعد بلفور أثناء الحرب العالمية الأولى، ذلك الوعد الذي فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية من جميع أنحاء العالم، ما أدى إلى إقامة دولة إسرائيل في قلب العالم العربي، وإلى سلسلة الجرائم البشعة التي ارتكبتها عصابات اليهود بداية، مثل «الهاغاناه» و«شترن» و«أريغون زفاي ليومي» بحق الفلسطينيين، ثم الحروب العدوانية التي قامت بها إسرائيل ضد الدول العربية والجرائم المستمرة ضد عرب فلسطين إلى يومنا هذا.

ويشعر الإنكليز بالغضاضة إزاء سيطرة اليهود عليهم، إلا أنهم لا يجرؤون على التعبير عن مقتهم لليهود إلا ما ندر، وفيما يلي سأستعرض بعض جوانب هذه العلاقة وهذا الشعور:

أ - زيارة غولدا مائير لبريطانيا : في بداية آذار ١٩٦٤، قامت غولدا مائير، وزيرة خارجية إسرائيل، بزيارة إلى لندن للقاء المسؤولين فيها، فأحبيت أن أطلع من وكيل وزارة الخارجية ومن المدير العام لشؤون الشرق الأوسط عن فحوى هذه الزيارة.

قابلت السير جيفري هاريسون وكيل الوزارة يوم الجمعة ٦ آذار ١٩٦٤، بناء على موعد سابق بطلب مني، واستوضحته عن هذه الزيارة وعن اتصال غولدا مائير بالمسؤولين البريطانيين ومباحثاتها معهم حول قضايا الشرق الأوسط وتحويل مجرى نهر الأردن، فقال: إن زيارتها كانت مقررة منذ شهرين واضطرت لتأجيلها نتيجة تعديل الحكومة البريطانية (كان رئيس الوزراء البريطاني هارولد ماكميلان، ووزير الخارجية

سير أليك دوغلاس هيوم، ووزير الداخلية المستر بطلر، فاستقال ماكميلان وحل محله هيوم، وحل بطلر كوزير للخارجية في حكومة هيوم)، وإن هذه الزيارة هي عادية غير رسمية. قلت: ومع ذلك فقد استقبلها رئيس الوزراء، كما استقبلها وزير الخارجية وسيستقبلها اليوم أيضاً رئيس حزب العمال (حزب المعارضة)، وأقيمت لها حفلات تكريمية رسمية. قال: إنها تنوي زيارة بعض العواصم الأوروبية في سلسلة زياراتها، كما إننا بانتظار زيارة وزراء الخارجية العرب، وأرجو أن يأخذوا بعين الاعتبار عطلة عيد الفصح. قلت: إن زيارة غولدا مائير تأتي في أعقاب زيارة شيمون بيريس وبنحاس سابير، فما معنى هذا التركيز، لا سيما وأنه يأتي مع تصريحات مختلفة لزعماء المعارضة والحكومة بتأييد إسرائيل، فهل معنى هذا أن الحكومة البريطانية التزمت جانب إسرائيل في خلافها مع العرب؟ (كان هارولد ويلسون، زعيم حزب العمال، قد زار إسرائيل وأمضى مدة في أحد الكيبوتزات، ولما عاد إلى لندن، قال: «إن على بريطانيا أن تتعلم من إسرائيل الكثير من العلوم الاشتراكية»).

قال: إن موقف بريطانيا صريح في عدم التزام أي جانب ضد الجانب الآخر. قلت: أود أن أقنع نفسي بذلك، ولكن كيف يمكن إقناع الرأي العام العربي في سائر العالم العربي الذي لا يسمع إلا تصريحات مخالفة لذلك ومشجعة لإسرائيل، ولم يصدر عن المسؤولين البريطانيين أي تصريح يدل على التزام جانب الحياد من الخلاف العربي - الإسرائيلي؟ قال: معك حق. ولم يزد على ذلك.

وبعثت بعد ذلك بتقرير مفصل عن زيارة غولدا مائير إلى لندن، ولقاءاتها مع المسؤولين والحصول على مساعدات مالية ودعم سياسي وأسلحة.

وبعد أيام، قابلت سير فيرغسون كروفورد، الأمين العام المساعد المختص بشؤون الشرق الأوسط، وأثرت معه الموضوع نفسه، فقال: إن غولدا مائير جاءت للتعرف على الوزير الجديد بطلر، لأنه لم يسبق أن التقت به قبلاً في الأمم المتحدة، لأنه لم يسافر إليها، ولا في لندن. ولم يزد على ما قاله وكيل الوزارة شيئاً.

ب - الحزب الوطني الاشتراكي البريطاني: في يوم السبت من أحد أيام شتاء ١٩٦٣، دعا الحزب الوطني الاشتراكي البريطاني إلى القيام بمظاهرة في لندن تنطلق من غربها في «نوتينغهيل غيت» إلى ساحة «ترافالغار» (الطرف الأغر) في وسط لندن.

والحزب الوطني هذا هو من الأحزاب اليمينية المتطرفة، وينعتونه بالحزب النازي الجديد، لذلك اتخذت سلطات الأمن في لندن الاحتياطات اللازمة أثناء مسيرة

المظاهرة الحاشدة، كما رافقها تلفاز لندن طيلة الطريق. وكنت أشاهدها على التلفاز.

عندما وصلت المسيرة إلى ساحة الطرف الأغر، حيث كان الحزب قد نصب سرادقاً كبيراً، تتالت الخطب من رجالات الحزب ضد الصهيونية وضد اليهود، ثم ألقى أمين عام الحزب، المستر جوردان، وكان أستاذاً للتاريخ في إحدى المدارس الثانوية، ألقى خطاباً قال فيه:

«انظروا إلى البنايات الضخمة المحيطة بهذه الساحة، من يملكها؟ يملكها اليهود، وهذه الشركات الضخمة التي تقيم مكاتبها فيها، من هم مدراءها وأعضاؤها؟ إنهم اليهود. أما نحن الإنكليز، فإننا عمال التنظيفات فيها وعمال المصاعد. إن اليهود يمتصون دماءنا، ولم يفهم بمعاملتهم إلا هتلر عندما سعى للقضاء عليهم».

عندئذٍ سيطر الهرج والمرج على الجماهير المحتشدة في الساحة، وكان بينهم الكثير من اليهود ومن أنصارهم، فقفزوا الخطيب بالبيض والطماطم وما وصلت إليه أيديهم، وتدخلت الشرطة فاعتقلت الكثير منهم وقذفت بهم في السيارات الكبيرة التي كانت أحضرتها تحسباً لما يجري، وتفرقت المظاهرة بعد تدخل الشرطة.

واستغل اليهود هذه المظاهرة فيما بعد، فتقدموا بمشروع قانون إلى مجلس العموم البريطاني، جمعوا له ما يقرب من مليون توقيع، للحيلولة دون التعرض لليهود في أي تجمع أو خطاب أو بيان في بريطانيا، وصدر فيما بعد القانون الذي يحظر ذلك.

وبما أن بريطانيا تقدس حرية التعبير والخطابة والكتابة، فهي تسمح بالتعرض علناً للنظام الملكي وحتى للأديان في زاوية هايد بارك، إلا أنه قد حظر عليها، بموجب هذا القانون، التعرض لليهود بأي شكل من الأشكال وفي أي مكان.

جـ - مقابلة مع رئيس اتحاد نقابات العمال في بريطانيا (٤ آذار ١٩٦٤): يعتبر اتحاد نقابات العمال من القوى المؤثرة في الحياة السياسية والاجتماعية في بريطانيا، ويعتمد عليه حزب العمال في دعم مواقفه، وفي النجاح في الانتخابات البرلمانية. كان رئيسه «ريه غنتر Ray Gunter» من الشخصيات البارزة في حزب العمال، وأصبح فيما بعد وزيراً للعمل في وزارة ويلسون العمالية.

لمست من بعض خطبه أنه يمالئ اليهود وإسرائيل، فدعوته يوم الأربعاء، الرابع من آذار ١٩٦٤، للغداء في أحد المطاعم الشهيرة الفرنسية في لندن، فقبل الدعوة.

حدثته مطولاً عن حق الفلسطينيين في فلسطين، وما أصابهم من حيف نتيجة السياسة البريطانية في فلسطين أولاً، ثم الجرائم التي ترتكبتها السلطات الإسرائيلية بحقهم. كان يصغي بكل اهتمام لحديثي من دون أن يبدي أي ملاحظة، ثم قال: سأقص عليك هذه القصة:

في يوم من أيام الشتاء شديد البرد شديد المطر، يطرق بابك شخص وقد تبلل بالمطر، هو يرتجف من البرد ومن الماء الذي ملأ ملابسه ويقول لك: هل تسمح لي أن أقف أمام بابك فأتقي المطر تحت رواق الباب، فتسمح له بذلك. ثم يحن قلبك عليه، فتقول له: ادخل، وتأخذه إلى المطبخ وتقدم له كأساً من الشاي مع ما تجد له من مأكّل، فيأكله بنهم لأنه جائع، ثم تحن عليه مجدداً، فتقول له: تعال أمام الموقد لتجفف لباسك، فيأتي إلى الصالة ويقف أمام الموقد، وعندما يشعر أن ألبسته قد جفت وأن معدته قد امتلأت، يستل سكيناً، قد خبأها تحت سترته، فيشهرها عليك، ويقول لك: ماذا تفعل هنا، اخرج من هذا البيت، إنه بيتي! ... قال: هكذا هم اليهود.

قلت للمستتر غنتر: هذا تماماً ما حدث للفلسطينيين في فلسطين. قال: إننا نعلم ذلك. قلت: ولماذا لا تقفون من اليهود الموقف المناسب؟. قال: لا نستطيع ذلك فسلطتهم هنا قوية!...

د - مانكروفت والقائمة السوداء: في عام ١٩٦٣، رفضت دولة الإمارات العربية تحميل نفطها على ناقلة نفط تابعة لشركة «مانكروفت» البريطانية، لأن هذه الشركة كانت مدرجة على القائمة السوداء لمكتب المقاطعة التابع لجامعة الدول العربية، فقامت قائمة الشركة وتقدمت إلى مجلس العموم البريطاني بطلب لاتخاذ قانون يمنع تطبيق أحكام المقاطعة العربية على الشركات البريطانية وعدم الاعتراف بما يسمى بالقائمة السوداء.

حضرت جلسة مجلس العموم التي بحثت هذا الموضوع، ولم يتغيب عن الحضور أي عضو خلافاً للعادة، إذ نادراً ما يكتمل حضور أعضاء المجلس إلا أثناء التصويت على الثقة في حال تشكيل حكومة جديدة، والغريب، أنني رأيت السير ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية يأتي إلى المجلس يساعده على المشي شخصان يمسكان به من يمينه ويساره، ذلك أنه كان مريضاً بعد أن سقط وكسر عظم الفخذ عنده. كانت جلسة صاخبة تبارى فيها النواب من طرف الحكومة (حزب المحافظين) والمعارضة (حزب العمال) بالحديث عن استقلالية

الشركات البريطانية، ورفض موضوع المقاطعة العربية وعدم الرضوخ لما يسمى بالقائمة السوداء التي تحظر التعامل مع الشركات التي لها فروع في إسرائيل.

سألت أحد معارفي، كيف يأتي ونستون تشرشل، وهو مريض جداً، لحضور هذه الجلسة؟، أجاب إن ونستون تشرشل يحرص دوماً على أن يثبت، وعلى الأقل مرة كل عام، أنه صديق لإسرائيل!...

وتبين فيما بعد أن مانكروفت هو يهودي وصاحب نفوذ كبير في بريطانيا.

هـ- الصحافة البريطانية: أما الصحافة البريطانية، فرغم استقلاليتها الظاهرة الرسمية فإنها تخضع، بشكل مباشر أو غير مباشر، للتأثير اليهودي ولا تجرؤ على النيل من إسرائيل ولا من أعمالها الإجرامية ضد الشعب الفلسطيني، هذا عدا عن الصحف التي يملكها اليهود ملكية كاملة والتي تنطق بلسانهم، وهي: الجويش كرونيكل، التي تعطي أبناء المؤسسات اليهودية والجمعيات وأي موضوع له علاقة مباشرة باليهود، ليس في بريطانيا فحسب وإنما أخبار إسرائيل واليهود في العالم، ثم الجويش غازيت، وتدافع بشكل خاص عن مواقف إسرائيل ضد العرب، وهناك صحف يهودية صغيرة أقل انتشاراً مثل الجويش غازيت، والجويش جورناليست، والجويش بوست، والجويش كوارتيرلي، والجويش ريفيو، والجويش تلغراف والجويش فانغارد.

وبالإضافة إليها، تسيطر الصهيونية البريطانية على صحف كبرى واسعة الانتشار مثل الديلي تلغراف وإلى حد ما الفاينانشال تايمس.

أما الإذاعة البريطانية BBC، ولا سيما القسم العربي منها، فتسعى لأن تكون حيادية في إيراد أخبار فلسطين والعدوان الإسرائيلي المستمر على عرب فلسطين.

وهذا يدل على هيمنة «اللوبي اليهودي»، إن صح التعبير، على السياسة البريطانية تجاه قضايا الشرق الأوسط عامة، عدا عن كون السياسة البريطانية تتبع بشكل عام السياسة الأمريكية وتسير في ركابها، وهي سياسة تعطف على إسرائيل وتحميها وتدعمها.

٣- شتاء لندن: كان شتاء لندن بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ أسوأ شتاء عرفته منذ القديم، فالضباب الكثيف لف المدينة بكاملها، لا سيما أنه كان مشبعاً بالدخان الناجم عن احتراق الفحم المستعمل لتدفئة البيوت والمؤسسات الحكومية وسواها، والممزوج بثاني أكسيد الكربون، مما دفع الحكومة إلى السماح لموظفيها بعدم الدوام في دوائريهم، وقد توفي نتيجة ذلك أكثر من ٤٥٠٠ شخص من كبار السن ومن

الأطفال مما يزيد على نسبة الوفيات من سكان لندن أثناء الحرب العالمية الثانية، حسب الإحصاءات الرسمية. وكان من المتعذر الرؤيا لأكثر من مترين، والتجأت الحكومة إلى قوات كثيرة من الشرطة ورجال الأمن لإيصال الناس إلى بيوتهم، كما أن المدارس منحت التلاميذ والطلاب فرصة للبقاء في بيوتهم. واستمرت هذه الأزمة أكثر من أسبوع، وجرى بيع وتوزيع الكمادات بشكل واسع، وحتى غرف البيت امتلأت بالدخان وأصيب أكثر السكان بنزلة صدرية وبصعوبة بالكلام.

٤ - الاحتفال بمرور أربعمئة عام على ولادة وليم شيكسبير ١٥٦٤ - ١٩٦٤ : لا يمكن التحدث عن إنكلترا دون الحديث عن شيكسبير.

هناك قول معروف: إنه لو خيرت بريطانيا بين أن تفقد مستعمراتها أو تفقد شيكسبير لاختارت أن تفقد جميع مستعمراتها وتحفظ بوليم شيكسبير، وفي هذا دلالة واضحة على تقدير البريطانيين لأدبائهم، ولا سيما لزعيم هؤلاء الأدباء.

ولد وليم شيكسبير في ستراتفورد/إيفين Stratford upon Avon في نيسان ١٥٦٤، وإن لم يكن يعرف على الضبط يوم ولادته ولكن من المعتقد أنه بين ٢٣ و٢٦ نيسان، لأن تسميته جرى في كنيسة المدينة في ٢٦ نيسان ١٥٦٤. وتحفل بريطانيا سنوياً بعيد ميلاده في مدينة مولده، وتحيط ذكراه بالكثير من الإجلال والاحترام، أما هذا العام - وبمناسبة مرور أربعمئة سنة على ولادته - فقد طلبت وزارة الخارجية إلى السفراء الأجانب ورؤساء البعثات الدبلوماسية المشاركة في هذا الاحتفال، الذي تضمن مسيرة منظمة من البيت الذي ولد فيه إلى مسرح «غلوب» Globe الذي شارك في إنشائه والتمثيل فيه.

هنالك من يطعن بشيكسبير ويقول إن هذه المؤلفات والروايات والأعمال الأدبية الكثيرة ليست من قلمه وإنما نسبت إليه فيما بعد، لأنها لم تعرف ولم تكتب في حياته، إلا أن السلطات البريطانية والمؤرخين البريطانيين لا يأخذون بهذا القول، ولا يقللون من تقديرهم وإعجابهم بالكاتب الكبير شيكسبير.

حضرت الاحتفال، طلب إلي المشرفون عليه أن أهيء إكليلاً من الزهور أحمله وسيدة خصصتها سلطات ستراتفورد لمرافقتي وحمله معي، لكي نضعه مع بقية الزملاء والمسؤولين على قبره.

كما حضرنا وليمة غداء كبرى في أكبر فنادق ستراتفورد، وحضرنا تمثيلية «الملك لير» على مسرح غلوب وعدت مساءً إلى لندن.

وفي اليوم التالي، دعيت إلى حفلة غداء في أحد فنادق لندن الكبرى، وكان حظي في الجلوس إلى يسار «اللورد ماوتباتن» والد «البرنس فيليب» زوج الملكة، وكان اللورد ماوتباتن آخر نائب للملك في الهند، وحضر أول احتفالات الهند بالاستقلال قبل عودته نهائياً إلى لندن. أذكر أنه في نهاية الغداء جاء النادل ليقدم لنا «الكونياك» فاعتذرت لأنني لا أتعاطى المشروبات الكحولية، إلا أن الكأس وقع وسقط محتواه على بذتي الجديدة، فقال لي اللورد ماوتباتن مازحاً: «ألم يكن من الأفضل أن تشربه من أن تشربه بذلك الجديدة؟!». يبدو أن ذلك الكونياك كان من النوع الممتاز، لأنني أرسلت بذتي عدة مرّات للتنظيف ولم يذهب أثر الكونياك عنها.

٥ - مع الدكتور يوسف زعيّن: بعثت إلي وزارة الخارجية السورية برقية في العشرين من آب ١٩٦٣ تقول فيها: «أبلغوا الدكتور يوسف زعيّن ضرورة عودته فوراً إلى دمشق». سألت المستشار الثقافي في السفارة ناظم الطحان إن كان يعرف الدكتور يوسف زعيّن الذي يدرس في لندن، فنفى معرفته به، ثم سألت القنصل بشير القطب، فنفى معرفته به أيضاً، ثم قال المستشار ماجد الرداوي إن أخاه الدكتور داود، الذي يدرس أيضاً في لندن، قد يعرفه. فطلبت إليه أن يبلغ الدكتور زعيّن ضرورة المجيء للسفارة.

حضر الدكتور يوسف إلى السفارة لمقابلتي، وكان عندي في المكتب طبيب الأسنان الشهير الدكتور شفيق شحادة الذي حضر إلى لندن للقاء ابنه المهندس وضاح. كان الدكتور يوسف زعيّن يتمرن للاختصاص في أحد مستشفيات لندن، وكان شاباً في مقتبل العمر، فسألته إن كان والده وأهله بخير وأنه يتصل بهم، اعتقاداً مني أن ورود هذه البرقية على هذا الشكل فيها ما يشغل البال تجاه أقاربه. فقال إنه يتصل بهم دوماً وهم بخير، فأعطيته البرقية، وبعد قراءتها سألت إن كان يستطيع أن يتصل بالهاتف بدمشق، فاتصل وطلب الدكتور نور الدين الأتاسي، الذي كان وزيراً للداخلية، فلم يجده، ثم طلب الدكتور إبراهيم ماخوس، الذي كان وزيراً للصحة، فطلب إليه هذا الأخير أن يعود إلى دمشق دون إبطاء.

سألته: ماذا يريدون منك؟ قال: يريدون أن أعود لأعمل معهم.

قلت له: إنني أعتبر الطلاب هنا كأولادي وأشعر أنني مسؤول عنهم، وإذا كانت لدي خبرة بسيطة في العمل السياسي في بلدنا، فإنني أضعها تحت تصرفهم، وأريد أن أقول لك، نتيجة هذه الخبرة البسيطة، إن بلدنا بحاجة إلى أطباء مختصين مثلك أكثر من حاجته إلى سياسيين، وإن ما من رجل عندنا عمل في مجال السياسة إلا

وانتهى إما في السجن وإما في القبر، فأرجو أن تأخذ ما أقول لك بالحسبان وتنتهي اختصاصك هنا وتعود إلى بلدك طبيياً ماهراً، فهذا أفضل لك ولنا.

ثم قال له الدكتور شحادة: إن ما يقوله لك الأستاذ عبد الله هو لمصلحتك، ثم هل لديك ولدى زملائك الخبرة الكافية للعمل في مجال الحكم والسياسة؟ وبعد التفكير قليلاً قال: إنني أفضل الاستمرار في الاختصاص كما تقولون. قلت: بارك الله فيك. ثم انصرف.

بعد مدة، لاحظت أن صغار الموظفين في السفارة يتملقون له ويدعون له للغداء أو العشاء. ثم أخذ يسأل إن كانت القوانين والأنظمة تسمح له بأن يدخل معه، لدى عودته إلى سورية، براداً وغسالة، ذلك أنه كان قد جلب معه بعض المال لشراء تجهيزات طبية لممارسة مهنته، ففضل الآن أن يؤمن هذه التجهيزات المنزلية.

استدعيته وقلت له: أراك الآن وقد عدلت عما اتفقنا عليه من ضرورة متابعتك دراستك وتخصصك. فقال: إن الرفاق يصرون على عودتي. فقلت: على بركة الله...، وقلت في نفسي: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

بعد أن عاد إلى دمشق علمت أن «الرفاق» عرضوا عليه أن يكون محافظاً للذقية فرفض، وكان هذا المنصب لا يتقلده في الماضي إلا من كانت له خبرة طويلة في الإدارة وفي العمل السياسي؛ وأنه لن يقبل بأقل من منصب وزير، وبالتحديد، منصب وزير الإصلاح الزراعي!...

وكان له ما أراد في وزارة اللواء محمد أمين الحافظ، التي تشكلت في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٣ واستمرت حتى ١٤ أيار ١٩٦٤، حيث أصبح فيها وزيراً للإصلاح الزراعي.

النشاط السياسي والاجتماعي والثقافي والفني في لندن: تزخر لندن بكل هذه الأنشطة:

فلا يمضي يوم إلا ويزور بريطانيا أحد رؤساء الدول من مختلف أنحاء العالم ولا سيما من دول الكومنويلث، أي رابطة الدول التي كانت تابعة لبريطانيا، وتجري له الاحتفالات والدعوات، وتصدر عقب زيارته البيانات الرسمية عن الأبحاث التي أجراها مع المسؤولين البريطانيين.

ولا يمضي يوم إلا ويكون هنالك عدد من حفلات الاستقبال تقيمها سفارات الدول المعتمدة في بريطانيا بمناسبة العيد القومي لتلك الدول، أو بمناسبة زيارة أحد

مسؤوليها، ولا يمضي يوم إلا وتكون هنالك حفلة موسيقية كبرى لإحدى الفرق السمفونية المشهورة، أو يكون هنالك معرض أو معارض للرسامين الشهيرين في العالم، أو محاضرة أو محاضرات لعلماء مرموقين في مواضيع مختلفة وحديثة وجذابة، فلندن تعتبر عاصمة الثقافة والعلم والفن والحضارة، يتعلم فيها الديبلوماسي الكثير الكثير من سائر العلوم والفنون.

إلى جانب كل هذا، تقيم الملكة، في صيف كل عام، وحسب ما يسمح به الطقس، حفلة لرؤساء البعثات الديبلوماسية في حدائق قصر بكنغهام، كما تدعو الخارجية البريطانية رؤساء البعثات إلى حفلة افتتاح البرلمان، حيث تلقي الملكة خطاب العرش، باحتفال مهيب، وهو الخطاب الذي يكون رئيس الوزراء قد هيأه لها، والذي يتضمن سياسة الحكومة وبرنامج عملها للسنة القادمة.

ويقيم محافظ مدينة لندن Lord Mayor، المنتخب لسنة واحدة فقط، والذي يتمتع بامتيازات شبيهة بامتيازات الملكة من حيث القصر الذي يقيم فيه في المدينة City، والعربة المذهبة التي تجرها الخيول والحرس بألبسته القديمة المزركشة، يقيم حفلة استقبال وعشاء لرؤساء البعثات، غالباً ما تكون أبهى وأجمل من الحفلة التي تقيمها لهم ملكة بريطانيا.

كانت لي علاقة وثيقة مع بعض كبار المسؤولين في الخارجية وفي الأحزاب السياسية ومع رجال الصحافة، وكنت تعرفت بإدوار هيث، الذي أصبح فيما بعد رئيساً لحزب المحافظين ورئيساً للوزارة قبل مارغريت تاتشر، وذلك منذ أن كان وزيراً للدولة عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ يتفاوض في بروكسل مع الأوروبيين لدخول بريطانيا إلى السوق الأوروبية المشتركة، عندما كنت قائماً بأعمال سفارة الجمهورية العربية المتحدة في بلجيكا أثناء قيام الوحدة مع مصر، والتقيته مرات عديدة في لندن أثناء وجودي فيها، وكان دوماً حيادياً غير منحاز لإسرائيل مقدراً ظروف الفلسطينيين الصعبة.

في سفارتنا، كان العمل يسير بانتظام وبهدوء، وكانت العلاقة مع الزملاء علاقة صداقة وتعاون لا تشوبها شائبة والكل يجهد في عمله حسب ما هو مكلف به.

وفي المحيط العائلي، رزقت بابنتي الثانية التي ولدت على يد الطبيب المولّد الشهير «غوردن بورن» في ٦ نيسان ١٩٦٣.

في أواخر شهر نيسان ١٩٦٤، وردت من الوزارة برقية باستدعاء شاب وتعيينه في السفارة. كلفت القنصل باستدعائه، ف جاء إلى السفارة. لم يكن سوري الجنسية بل من

بلد عربي آخر. سألته ما كان يفعل؟، قال: إنه كان يدرس. قلت: وفي أي فرع؟. قال: الهندسة. قلت: وكم مضى عليك من الوقت فيها؟. قال: عشر سنوات. قلت: إذن، أنت أنهيت الدراسة وتخرجت؟. قال: كلا. قلت: وفي أي صف أنت الآن إذن؟. قال: في الصف الأول. قلت: عشر سنوات وما زلت في الصف الأول؟! فلم يجب. قلت: لا شك أنك تحسن اللغة الإنكليزية، وأعطيتة إحدى الصحف، وقلت له: أرجو أن تترجمها لي. قال: هل تأذن أن أنزل إلى الطابق الأول؟. قلت: انزل. سألت بعدئذ هل تمكن من ترجمتها، قالوا بل أعطاها إلى سكرتير الملحق العسكري فترجمها له، إذن، لم يكن يدرس، ولا تعلم اللغة الإنكليزية بعد عشر سنوات من وجوده في لندن، وكان شكله ينبئ على أنه ممن يصلح، لو أراد أحد مخرجي السينما أن يحصل على من يمثل دور المجرم، قاطع الطريق، لما وجد أفضل منه، عدا عن أن أحد معارفه من موظفي السفارة قال لي: إنه كان يمضي معظم أوقاته في المقاهي، يلاحق خادومات المقهى حتى ضجت منه المقاهي المعروفة في حي كنسغتون، فمنعت دخوله إليها.

أرسلت برقية جوابية إلى الوزارة بأنه لا يصلح للتعيين في السفارة، عدا عن أنه لا توجد مخصصات مالية لدفع رواتبه. فجاءت برقية تقول: ادفعوا رواتبه من وفر مادة الرواتب. أجبت ببرقية جوابية، إنه لا يصلح للتعيين في السفارة، ولن أعينه فيها. فجاءت برقية تتضمن نقلي من لندن إلى دمشق، والتنفيذ فوراً!...

لا أود أن أذكر ما قاسيت للتخلص من سيارتي وفرش شقتي المتواضعة في لندن، عدا عن أن ابنتي الصغرى، التي ولدت في لندن منذ عام، قد ارتفعت حرارتها فجأة وعجز الطبيب عن مداوتها فنصح بأخذها إلى مشفى الأطفال حيث وضعناها، وكنت وزوجتي نمضي الوقت بين الشقة والمشفى والسفارة، وكانت الوزارة تصر على التنفيذ الفوري غير عابئة بظروفي الصعبة. حملت ابنتي من مشفى الأطفال، وما زالت حرارتها مرتفعة، ووزعت فرش شقتي على بعض الأصدقاء لأن الوزارة لا تتحمل نفقات نقلها، لا سيما ولم يكن لدينا بيت في دمشق، ولا شقة صغيرة، مما جعل حياتنا جحيماً، وكان وراء ذلك النقل الفوري السكرتير الثاني في الوزارة، الذي ارتقى دفعة واحدة فأصبح وزيراً للخارجية.

٢- في دمشق ٩ أيار ١٩٦٤ - ٩ حزيران ١٩٦٦

عدت وعائلتي الصغيرة إلى دمشق: زوجتي وابنتاي الصغيرتان، ولم يكن لدينا مكان نلجأ إليه، وكانت أزمة السكن في مدينة دمشق على أشدها، فأمضينا ستة أشهر

نتنقل من الشقة الصغيرة لشقيقتي ذات الغرفتين، غرفة نوم لها وغرفة جلوس اتخذناها لأربعتنا، أو نذهب إلى حلب، إلى دار والد زوجتي لنقضي أسبوعاً فيها، أو نذهب إلى بيروت لدار شقيق زوجتي، فنقضي فيها أياماً معدودة، ثم نعيد الكرة، مثل القبائل الرحل، حتى وقفنا الله إلى الشقة التي استأجرناها بضعف راتبي والتي نسكنها حتى الآن.

في هذه الأثناء، أسندت إليّ وزارة الخارجية إدارة أوروبا، وجلست في المكتب الذي تقاسمته مع مدير إدارة أمريكا، في البناء الذي أصبح الآن مقر الجبهة التقدمية. كان الأستاذ صلاح البيطار رئيساً لمجلس الوزراء، والسيد حسان مريود وزيراً للخارجية، إلا أنه كان دائم الأسفار، وكان الوليد طالب، وزير الدولة، يحل محله.

استقالت هذه الوزارة التي تشكلت في ١٤ أيار ١٩٦٤، عقب وزارة اللواء أمين الحافظ، استقالت في ٣ تشرين الأول ١٩٦٤، فعاد أمين الحافظ وشكل وزارة جديدة احتفظ فيها بأكثر وزرائه السابقين ومنهم حسان مريود للخارجية، وبقي الوليد طالب، الذي أصبح وزيراً لشؤون الرئاسة، يمارس صلاحيات وزارة الخارجية بالوكالة. استمرت هذه الوزارة حتى ٢٣ أيلول ١٩٦٥ حينما استقالت وعهد بعدها إلى الدكتور يوسف زعين بتشكيل وزارة جديدة استمرت حتى ٢٧ كانون الأول ١٩٦٥، وجاء فيها الدكتور إبراهيم ماحوس نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للخارجية.

بقيت أمارس عملي في الوزارة كمدير لإدارة أوروبا، ولمست أن الوزير الجديد أخذ يعتمد عليّ في المقابلات مع السفراء الأجانب وفي تهيئة الدراسات عن الأوضاع الدولية. كان الدكتور ماحوس عصبي المزاج، سريع الانفعال، إلا أنه كان مؤمناً بقضية بلاده وبالعمل الجاد من أجل تحرير فلسطين والوقوف في وجه الصهيونية العالمية. وفهمت فيما بعد أن عصبية سببها أن ابنتيه الصغيرتين كانتا مريضتين بمرض البحر الأبيض المتوسط، وكان عليه أن يغير لهما الدم كل أسبوع للحافظ على حياتهما، وأنهما لن تعيشا بعد سن الرابعة عشرة. بعد مدة، توثقت العلاقات فيما بيننا، وكنت وزوجتي نذهب لزيارتهم في المنزل، وكان قلبنا يتقطع لدى رؤية هاتين الزهرتين، وكأنتا على جانب كبير من الجمال والأنوثة، لا سيما عندما قالت لنا إحدهما: «إننا نعلم أننا سنموت قريباً»، وبالفعل، لم يمهلهما الموت إلا قليلاً. وأشفت على هذا الوزير الطبيب، الذي يرى أمامه فلذتي كبده تنتظران الموت بين يوم وآخر، وأن عليه أن يمارس مهام منصبه الحساس والشاق والدقيق

في ظروف صعبة بالنسبة للخلافات الحزبية الداخلية والإقليمية والقومية، والتهديدات والتحديات الإسرائيلية المستمرة، علاوة على الخلافات مع بقية الدول العربية المجاورة.

شراء طائرة سوبر كارافيل : كانت الحكومة السورية قد أوصت على شراء طائرتين مدنيتين فرنسيتين من طراز «سوبر كارافيل» التي تصنعها شركة «سود أفياسيون» الفرنسية، بعد أن أثبتت هذه الطائرة جدواها وتفوقها على مثيلاتها من الطائرات النفاثة الحديثة، ولا سيما طائرة «الكوميت» البريطانية.

وإذ جهزت الطائرة الأولى، فقد دعت الشركة الصانعة وفداً سورياً لاستلام هذه الطائرة، فشكّلت الحكومة السورية هذا الوفد من مختلف الوزارات وكان برئاسة الأستاذ عادل السعدي، الذي كان وزيراً للصناعة في وزارة صلاح البيطار ثم أصبح مديراً عاماً للمؤسسة الاقتصادية؛ وكان من جملة الأعضاء إبراهيم فوزي أمين عام رئاسة مجلس الرئاسة، والدكتور أسعد الخانجي أمين عام وزارة الخارجية، واللواء أسعد مقيد من وزارة الدفاع، وقد اختارني الدكتور إبراهيم ماخوس بصفتي مديراً لإدارة أوروبا لأكون في عداد هذا الوفد، كما كان معنا مجموعة مختارة من وزارة الاقتصاد والجامعة السورية، وكان بينهم عميد كلية الطب الدكتور منير البيطار ومدراء من شركة الطيران السورية، ومن المخابرات العامة.

وقد هيأت لنا شركة «سود أفياسيون Sud Aviation» برنامجاً حافلاً، إذ أنزلونا في فندق «كريون»، أفخم فنادق باريس، والذي يحل فيه عادة كبار الضيوف الرسميين الأجانب لدى زيارتهم للعاصمة الفرنسية، كما وضعوا لكل عضو من أعضاء الوفد سيارة خاصة تحت تصرفه، كما دعونا لأشهر المطاعم ولزيارة أهم معالم باريس، إلا أن بعض عناصر الوفد قد أساءوا التصرف أثناء هذه الزيارة، مما أفسد سمعتنا وللأسف الشديد. بدأت الزيارة في ٢٤ تشرين الأول ١٩٦٥ وانتهت في ٢٨ تشرين الأول أي بعد أربعة أيام، وعدنا إلى دمشق بالطائرة الجديدة التي قادها موفق التيناوي، أشهر طيارينا.

كان الخلاف قد بدأ يدب بين أجنحة حزب البعث الحاكم، فما لبثت حكومة الدكتور يوسف زعيّن أن استقالت في ٢٧/١٢/١٩٦٥، وكلف اللواء أمين الحافظ، رئيس مجلس الرئاسة، صلاح الدين البيطار بتشكيل حكومة جديدة، فشكلها في الأول من كانون الثاني، أي في ١/١/١٩٦٦ واحتفظ بوزارة الخارجية إلى جانب رئاسة مجلس الوزراء.

لم أكن مطلعاً على ما يجري ضمن حزب البعث الحاكم، لأنني لم أنتسب إلى الحزب ولا إلى أي حزب آخر، ولكن بدأت تفوح روائح خلاف بين فصائل الحزب من يمينيين ويساريين، وبين قيادة قومية وأخرى قطرية، وبين مدنيين وعسكريين، مما أُنذر بوقوع صدام بينهم.

كان الدكتور يوسف زعين الذي عرفته في لندن يتردد علي بين الحين والآخر. وفي أحد الأيام، استدعاني صلاح البيطار، وقال: ابعث إلى الحكومة البريطانية باستمزاز لتعيين الدكتور يوسف زعين سفيراً لديها. صعقت، قلت له: يوسف زعين الذي كان يدرس في لندن نبعث به سفيراً إلى بلاط سانت جيمس مع غروميكو وأعظم سفراء العالم؟ وماذا نكتب في موجز حياته، أي C.V، إنه كان طالباً لديكم ثم أصبح سفيرنا لديكم؟ فتشوا له عن سفارة أخرى غير لندن. قال: افعل ما أقوله لك. (وسبق أن أبعد قبله الدكتور سامي الجندي سفيراً إلى باريس).

نزلت إلى مكنتي واستدعيت يوسف زعين وقلت له: مبروك، صلاح البيطار يريد أن يبعثك سفيراً إلى لندن... فقفز عن كرسيه، وقال: إنه يريد أن يبعثني ليتخلص مني؟ سأريه!.... سأخرجه!... وسأحل مكانه!... على كل أنا لا أفهم شيئاً بالديبلوماسية. قلت: ليس هذا مهماً، سنبعث معك من يقوم بالعمل في السفارة. قال: من؟ قلت: الدكتور عزيز علوني. وكان يعرفه لأنه هو أيضاً من دير الزور. قال: لا بأس. أبلغت الخبر إلى عزيز علوني الذي كان يتوق للتعيين في الخارج، فسر للخبر، وقال: هل سترسلون سفيراً فوقني؟ قلت: لا تخف، إن السفير المرشح لن يذهب وستبقى قائماً بالأعمال، فوقع ذلك منه موقعاً حسناً.

ثم شاهدت الدكتور يوسف زعين يخرج من عندي وهو يهدد ويتوعد، فانتظرت قرب حلول الواقعة.

وفي رسالة أرسلها صلاح البيطار أشعلت نار الخلاف الحاد، وتضمنت بعض الفقرات الماسة بضباط الحزب، فأدت إلى الانفجار الذي هز دمشق وهز الحزب وأدى إلى تقسيمه وشرذمته. وقد ورد في هذه الرسالة:

«... وبعد ١٨ تموز بالذات، دخل الحزب في معركة مع نفسه، وبرزت فيه تناقضات ما كان لها أن تبرز لولا أن بعض العسكريين ممن عُرف فيما بعد أنهم ألفوا لجنة عسكرية، قد قرروا فيما بينهم، وبعيداً عن مؤسسات الحزب والحكم والشعب، مستندين في ذلك إلى قطاعات ومواقع معينة في الجيش

ومستغلين قوة السلاح، لحصر السلطة الفعلية في أيديهم، ومسخرين أكثر من قيادة قطرية لتنفيذ مآربهم».

ويشير في آخر رسالته إلى المأساة التي حصلت، فيقول:

«... إن العقلية العسكرية القائمة على القهر والفرص والإكراه والإرهاب، لا يمكن أن تتلاءم مع العقلية الحزبية القائمة على الانفتاح على القواعد الحزبية وعلى الشعب، وإنه الانقلاب الآخر والفاجعة الأخيرة التي ذهب ضحيتها ضباط وجنود ورفاق بواسل وضعهم بعض الضباط السياسيين في مواجهة بعضهم بعضاً دون قضية، ليقبضوا ويحكموا بدلاً من أن يستشهدوا في مواجهة أعداء الأمة العربية، لأكبر دليل على أن العقلية العسكرية والتسلط العسكري، بصرف النظر عن الأشخاص، لا يمكن أن يؤدي إلا إلى سفك الدماء...»^(١).

وحدث الصدام صبيحة يوم ٢٣ شباط ١٩٦٦، ووقعت الواقعة بين فصائل من الجيش السوري في شارع الجلاء (أبو رمانة) أهم شوارع العاصمة، وامتد القتال من شماله حيث الدار التي يقيم فيها اللواء أمين الحافظ، رئيس مجلس الرئاسة، إلى جنوبه حيث وزارة الخارجية وقصر الضيافة الذي كانت فيه قوة موالية لأمين الحافظ، واستعملت في هذا القتال الأسلحة الخفيفة والثقيلة بما فيها المدافع والدبابات، التي تركت آثارها على جدران البنايات في هذا الشارع الشهير، وكان نصيب بيتنا منها بعض الشظايا وبعض الحفر بالجدران. واستمر القصف من صباح ٢٣ شباط حتى عصر ذلك اليوم، وكانت الغلبة فيه للقوات المهاجمة بقيادة اللواء صلاح جديد واللواء حافظ الأسد والعقيد أحمد سويداني الذي رفع إلى رتبة لواء.

وصدرت إثر هذه الحركة، البلاغات التالية:

بلاغ رقم - ١ :-

«يمنع التجول في كافة أنحاء القطر العربي السوري اعتباراً من الساعة السادسة من صباح اليوم الأربعاء ٢٣ - ٢ - ١٩٦٦ وحتى إشعار آخر».

بلاغ رقم - ٢ :-

«تغلق الحدود والمطارات والموانئ البحرية في القطر العربي السوري اعتباراً من لحظة إذاعة هذا البلاغ وحتى إشعار آخر».

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت،

سنة ١٩٦٦ (ص ١٣ وما يليها).

بلاغ رقم - ٣ :-

«في صبيحة هذا اليوم، تم إلقاء القبض على كل من: أمين الحافظ، ميشيل علق، منيب الرزاز، محمد عمران، منصور الأطرش، صلاح البيطار، شبلي العيسمي، وسيقدمون أمام محكمة حزبية خاصة لمحاكمتهم على ما اقترفوه بحق الحزب والثورة».

القرار رقم - ١ :-

«قررت القيادة الموقته لحزب البعث العربي الاشتراكي في جلستها المنعقدة بتاريخ ٢٣ - ٢ - ١٩٦٦ ما يلي:

مادة أولى: وقف العمل بالدستور الموقت وحل المجلس الوطني للثورة.

مادة ثانية: يعين اللواء حافظ الأسد وزيراً للدفاع ويباشر عمله فوراً.

مادة ثالثة: يرفع العقيد أحمد سويداني إلى ربة لواء ويعين رئيساً للأركان العامة ويباشر عمله فوراً»^(١).

وأصدرت القيادة القطرية الموقته، التي تشكلت عقب هذه الحركة، بياناً في ٢٣/٢/١٩٦٦ تبريراً لما حدث، قالت فيه:

«... لقد حاولت قوى الرجعية والتخلف أن تنفذ إلى قلب الثورة لتحرفها عن طريقها الحتمية وتقودها إلى هاوية الحكم الفردي وأسلوب المساومة والارتماء. وإن استطاعت هذه القوى أن تنفذ إلى الحزب عن طريق فردية أمين الحافظ وتخاذل محمد عمران ويمينية صلاح البيطار وأنانية ميشيل علق، وتمكنت من جر الحزب خلال الأشهر الأخيرة إلى حافة التمزق والضياع، فإن الحزب الذي حمى ثورته من كل خصومة لم يكن غافلاً عن تأمر هؤلاء. فبعد أن حذر ونبه وأنذر، متبعاً في ذلك كل الأساليب الحزبية والدستورية الممكنة، قرر أن يخوض المعركة معهم ويسحقهم إلى الأبد ليكونوا عبرة لكل من يفكر بضرب هذا الحزب أو تخريب ثورته سواء من الداخل أو الخارج...»^(٢).

وإذ تمكن منيف الرزاز، أمين عام الحزب، من الهرب والاختفاء، فقد أصدر من

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٦ (ص ١١٧).

(٢) المصدر نفسه، (ص ١٧٧).

مخبطه بياناً، في ٨/٣/١٩٦٦، عن الخلاف الذي ذكره بين الفئات المتصارعة ضمن الحزب الواحد، قال فيه:

«أخاطبكم من مخبئي، بعد أن أصدر المرتدون أمراً بإلقاء القبض على قيادة الحزب العليا، مدفوعين بشهوة الحكم والسلطة، ضاربين بالحزب وأخلاقياته ومبادئه وقيادته عرض الحائط، مستعينين بقوى عسكرية لفرض إرادتهم، متشدقين، بعد هذا كله، بالشرعية والنظام والمؤتمرات، وهم الذين داسوا كل شرعية وهتكوا كل نظام.

لقد أريق في هذه الردهة من الدماء ما لم يرق مثله في أي انقلاب مرّ على القطر السوري منذ عرف هذا القطر الانقلابات، وكان الهدم والتخريب و«الدم حتى الركب» شعاراً ينادون به مثلاً للأحقاد التي يحملونها في قلوبهم ضد كل من يحاول أن يقف أمام شهوة الحكم والسلطان المتمثلة فيهم...».

وينتهي بيانه بالقول:

«... إن هذا الانقلاب العسكري هو انقلاب على الحزب ومبادئه وأخلاقياته ونظامه، وإن على المنظمات جميعاً أن تدرك مبلغ انحرافه وأن تقف منه الموقف المبدئي العقائدي الذي لا موقف غيره. والمجد والخلود لرسالتنا»^(١). وأصدرت القيادة القومية، بتاريخ ١٩/٤/١٩٦٦، توضيحاً لموقفها من أحداث ٢٣ شباط ١٩٦٦، التي تسميها «ردة ٢٣ شباط»، قالت فيه:

«... إن الحزب كان دائماً ضد الانقلابات العسكرية (؟) وإنه يعني أن الانقلاب العسكري، في أحسن صوره، تعبير عن غياب القوة الشعبية، وإن حزب البعث في ترجمته لتطلعات شعبنا ترجمة صادقة مخلصه هو العلاج الوحيد لتكرار الانقلابات العسكرية...»

... إن ردة ٢٣ شباط، إذا لم يردّ عليها رداً قاسياً، تكون قد رفعت تقليداً جديداً في الحزب، فبعد اليوم لا حاجة للقيادات ولا للمؤتمرات. بعد اليوم، يكفي لمن يريد أن «يصحح» ما لا يعجبه في الحزب، أن يجمع حوله قوة ضاربة في الجيش يحركها متى شاء ثم يصطنع المؤتمر الذي يعجبه ليبارك ما «صحح». بعد اليوم على الحزب أن يخضع للقوة...

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٦ (ص ١٤٦).

... إن ردة ٢٣ شباط قد فضحت كل ما كان مستوراً عن غاياتهم، وإذا «الشرعية» مجرد سلاح من أسلحة الخداع والتزييف... إن شرعية الحزب تنبع من شرعية التآمر...»^(١).

ووقفت القيادات القطرية في لبنان وفي الأردن إلى جانب القيادة القومية، واستنكرت «ما قام به بعض الرفاق في القطر السوري ضد سلطة الحزب الشرعية الممثلة بالقيادة القومية...». وردت عليهم حركة ٢٣ شباط بخطابين من زعيمها العسكريين اللواء حافظ الأسد واللواء أحمد سويداني، إذ ألقى الأول خطاباً في إحدى القوى الجوية بتاريخ ١٢/٥/١٩٦٦ أنهاء بالقول:

«وكلمة أخيرة نقولها لأعداء الثورة والشعب في هذا القطر: إننا ملزمون بمصلحة الجماهير الكادحة في هذا القطر، ملزمون بمصلحة الأكثرية الساحقة من هذا الشعب، مصممون على الضرب، وعلى سحقهم وتصفيتهم تصفية جذرية جسدية نهائية مرة واحدة وإلى الأبد، ونرجو ونتمنى أن يخوضوا معنا المعركة هذه المرة...».

وألقى اللواء أحمد سويداني، رئيس الأركان العامة للجيش السوري بعده خطاباً، قال فيه:

«أيها الرفاق:

... لقد قام حزبنا، كما تعرفون، على أكتاف الطبقة الكادحة في الوطن العربي، وإننا في الجيش كجزء من المجتمع العربي، في هذا الجيش الكادح الذي رُكبت بنيته من الطبقة الكادحة أيضاً من أكبر قائد فيه إلى أصغر رتبة عسكرية، وإننا، أيها الرفاق، كجزء من الطبقة الكادحة، لا بد أن نأخذ دورنا كما أخذتموه منذ الثامن من آذار حتى الآن وبخط متصاعد...»^(٢).

في دمشق، تشكلت الوزارة الجديدة بتاريخ الأول من آذار ١٩٦٦ برئاسة الدكتور يوسف زعيّن، وجاء فيها الدكتور إبراهيم ماحوس نائباً لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للخارجية، كما كان في وزارة يوسف زعيّن السابقة، وتولى فيها اللواء حافظ الأسد، قائد القوى الجوية، اختصاصات وسلطات وزير الدفاع إضافة إلى عمله، وتولى محمد

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٦، (ص ٢٥٢).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٢٩٨، ٢٩٩).

عيد عشاوي وزارة الداخلية، وعبد الكريم الجندي وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي. واستمر هؤلاء الوزراء في وزاراتهم رغم التعديلات التي أدخلت على وزارة يوسف زعيّن في ١٦/١٠/١٩٦٦ وفي ٢٨/٩/١٩٦٧، والتي شملت عدداً من بقية الوزراء. واستمرت هذه الوزارة حتى ٢٩/١٠/١٩٦٨ عندما شكل الدكتور نور الدين الأتاسي، الذي كان رئيساً للدولة، وزارة جديدة استمرت حتى ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٠ عندما عصفت بها الحركة التصحيحية التي قادها الفريق حافظ الأسد^(١).

في منتصف أيار ١٩٦٦، استدعاني الدكتور إبراهيم ماخوس وزير الخارجية وقال لي، إنه تقرر نقلي إلى السفارة السورية في باريس. استغربت هذا القرار لأنني كنت بمرتبة سفير (المرتبة الممتازة)، وفي باريس يوجد سفير هو الدكتور سامي الجندي (طبيب أسنان من السلمية، بعثي قديم وقريب من عبد الكريم الجندي، رئيس المخابرات العامة، ومن خالد الجندي، رئيس اتحاد نقابات العمال)، (هذا مع العلم أن تعيين السفراء كان يتطلب موافقة القيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، كما أن السفراء كانوا ينتقون فقط من بين أعضاء الحزب)، فكيف لي أن أذهب كشخص ثانٍ في السفارة؟ قال: اذهب الآن، وسنرى ما سنفعل في المستقبل.

لم تكن العلاقة على ما يرام بين رئيس الوزراء الدكتور يوسف زعيّن ووزير الخارجية الدكتور إبراهيم ماخوس من جهة، والدكتور سامي الجندي وآل الجندي من جهة أخرى، وما كان لي شأن في هذا الخلاف الحزبي والشخصي، ولم يكن لي «ناقة فيه ولا جمل»، لا سيما وأنني بعيد عن الحزب وعن الخلافات والانقسامات داخل حزب البعث، إلا أنه كان علي أن أنفذ النقل.

عندما ذهب الدكتور سامي الجندي، في العام السابق، سفيراً لأول مرة، إلى باريس، ولم تكن له خبرة بالعمل الدبلوماسي، أخذ معه الزميلين سليم اليافي مستشاراً في السفارة، وناظم القضماني (بعثي من جماعة صلاح الدين البيطار)، إلا أنه ما عثم أن يختلف معهما فطلب إعادتهما إلى دمشق، وعادا إلى الإدارة المركزية للوزارة.

كان الوزير الدكتور إبراهيم ماخوس يزعم زيارة باريس، وما كان يثق بالدكتور سامي الجندي، وكان يريد أن ينقله سفيراً إلى مدريد ويعينني مكانه سفيراً في باريس، وقد أعلم برغبته هذه الأمين العام للوزارة السيد هيثم الكيلاني، الذي أطلعني عليها عندما زار باريس برفقة الوزير في كانون الثاني ١٩٦٧.

(١) الوزارات السورية.

عندما علمت السفارة الفرنسية بدمشق بقرار نقلي إلى باريس، جاءني مستشار السفارة مهنتاً، وقال: إن نسيبه مدير في رئاسة الجمهورية لدى الجنرال ديغول، وقد كتب له وأوصاه بي، فإن احتجت لشيء فيمكنه أن يساعدني على قضاء ما أحتاج إليه، فشكرته، ووعدت بالاتصال بنسيبه متى وصلت باريس.

٣- في باريس ٩ حزيران ١٩٦٦ - ٢٢ آب ١٩٦٩

باريس مدينة النور والجمال وعاصمة النشاط السياسي والدبلوماسي، من لا يريد رؤيتها وزيارتها والعمل فيها؟ كل الدبلوماسيين السوريين والعرب والأجانب يريدون أن يعملوا فيها، فمنها يطلع الدبلوماسي على أحوال العالم مكشوفة أمامه، ويتعلم فيها الكثير الكثير من علوم وفنون وخفايا السياسة العالمية، ويتصل فيها بأهم رجالات السياسة والدبلوماسية في العالم.

أما أنا فكنت أخشى الذهاب إليها نتيجة ما علمت من أوضاع السفارة من الزميلين سليم اليافي وناظم القضماني، بعد أن عادا إلى دمشق إثر خلافهما مع السفير، كما كنت أطلع على بعض التقارير (النادرة) الواردة من السفارة بصفتي مديراً لإدارة أوروبا، لذلك كنت أقدر صعوبة العمل وحساسية الموقف ورداءة الجو الاجتماعي فيها، إلا أنني حُزمت أمري وتوكلت على الله.

أمضيت في باريس ثلاث سنين ونيف، حدثت خلالها أحداث هامة بالنسبة لمنطقتنا، ولفرنسا وللعالم، ولن أستطيع أن أسردها بكاملها أو أوفيه حقها من البحث والتحليل، وسأكتفي بأهمها، لا سيما وأن السفارة في باريس كانت تقوم بعملين هامين وبمسؤوليتين: السفارة المعتمدة لدى الحكومة الفرنسية، والوفد الدائم لدى اليونسكو.

أ- السفارة لدى الحكومة الفرنسية

١ - أوضاع السفارة عامة والسفير وموظفي السفارة، والموفدين تحت رعاية السفارة.

٢ - الزيارات الرسمية السورية إلى فرنسا؛ وزيارة المسؤولين السوريين المارين عبر باريس.

٣ - زيارات المسؤولين الأجانب لفرنسا والمسؤولين الفرنسيين للخارج.

٤ - زيارة المسؤولين العرب لفرنسا.

٥ - إنشاء معمل للطائرات في إسرائيل.

- ٦ - الأزمات الفرنسية: قضية اغتيال واختفاء المهدي بن بركة.
- ٧ - ثورة أيار ١٩٥٨ والإضراب العام.
- ٨ - كارثة حرب ١٩٦٧ وآثارها وموقف فرنسا منها.
- ٩ - ربيع براغ واحتلالها من قبل قوات حلف وارسو.
- ١٠ - الاستفتاء على بعض مقترحات الجنرال ديغول بتعديل الدستور، واستقالة الجنرال ديغول.

١١ - معجىء سفير سوري جديد إلى فرنسا.

ب - الوفد الدائم لدى اليونسكو:

- ١ - المشاركة في المؤتمر العام عام ١٩٦٦، وفي المؤتمر العام ١٩٦٨.
- ٢ - الكتب المدرسية في وكالة غوث اللاجئين.
- ٣ - حماية الممتلكات الأثرية في الأراضي المحتلة أثناء الحروب.
- ٤ - إدخال اللغة العربية كلغة رسمية في المؤتمر العام واللجان الفرعية.
- ٥ - زيادة أعضاء الدول العربية في المجلس التنفيذي.
- ٦ - العلاقة الطيبة مع مدير عام اليونسكو، المسيو ماهو، ودعوته لزيارة سورية.

أ - السفارة السورية لدى الحكومة الفرنسية

١ - السفارة والموظفون فيها: بعد عودة الزميلين سليم اليافي وناظم القضماني إلى دمشق، لم يبق في السفارة إلا موظف دبلوماسي واحد، لذا كانت أمورها تسير بشكل سيء أو لا تسير أبداً. فقد بقيت بيد السفير الدكتور سامي الجندي الذي كان يعتبر أن وجوده في باريس، رغم إغراءاتها الكثيرة، إبعاد له لأنه يجب أن يكون في دمشق رئيساً للوزراء، أما الموظفون فكانوا:

عادل مراد، وكان مسؤولاً عن الشؤون القنصلية والأمن.

ومحمد علي الأسطواني، الموظف الإداري الكفء والمنظم ومحاسب السفارة، وكان يقوم بالعمل من حيث تنظيم السجلات والمحاسبة والحقائب.

وكان هنالك ثلاثة موظفين محليين من أقارب بعض المسؤولين في الحزب عاثوا في السفارة فساداً وأسأوا إلى سمعة سورية، ونفروا الطلاب والسوريين من السفارة ومن بلدهم.

في المكتب العسكري، كان العقيد تيسير دعدوش، الملحق العسكري، ومعاونه الرائد محمد جحجاح، الذي وصفه الوزير الدكتور إبراهيم ماخوس، أنه لا يوجد فيه سانتيمتر واحد من الفهم أو العمق.

أما السفارة، أو مكاتب السفارة، فقد اتخذت مقراً لها في بناء كان فيلاً لسكن الملياردير اليهودي الشهير مارسيل داسو، صاحب شركة صناعة الطائرات المعروفة باسمه وتنتج طائرات «الميراج». كان مارسيل داسو مهندساً في الطيران أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم بدأ بصناعة الطائرات، وأصبحت طائراته العسكرية المقاتلة من أفضل الطائرات، وما زالت تحتل المكانة الأولى في فرنسا. انتقل من هذا البناء الذي يقع على شارع «سوشيه» الشهير إلى فيلاً بناها خلفه تطل على غابة بولونيا، لأن الشارع أصبح شرياناً رئيسياً، وكان التلوث والضجيج فيه صعب الاحتمال. كان البناء مؤلفاً من قبو وطابق أرضي وطابق أول وراجع للخدم. وقد وجدت أن القبو أصبح يستعمل لجمع الأوساخ وإطارات السيارة المهترئة، والصحف القديمة، وكانت الصحف التي تصلنا بالحقيبة قديمة بطبيعة الحال.

أما الطابق الأرضي، فكان عبارة عن مدرسة للأولاد، لأن الموظفين المحليين كانوا يدعون أنهم مسجلون للدراسة، يغيبون بحجة الدراسة، ولا يذهبون للدراسة.

أما الطابق الأول، وهو الرئيسي، فكانت فيه صالة للسفير كبيرة، إلا أن السفير كان يجلس في أحد زواياها الصغيرة، وراء مكتب صغير، وللسكرتيرة مكتب آخر، كان اسمها دانييل لابورد، أمها سورية ووالدها فرنسي، ثم مكتب الوزير المفوض، وهو المكتب الذي جلست فيه، ثم مكتب القنصل عادل مراد، والشؤون الإدارية والمحاسبة وكان يجلس فيه السيد محمد علي الأسطواني.

في الطابق الثاني، أو الطابق الراجع، كان مكتب الملحق العسكري ومكتب معاونه.

كان مكتب السفير، على سعته، يشبه ما يسمّى في حماه (القناق)، يدخل إليه كل من يأتي من سورية من الضيوف ومن المراجعين والطلاب، أما مكتب الملحق العسكري فكان أشبه ما يكون بنادي الضباط، أو بالأحرى بالمستشفى العسكري لكثرة ما يؤمه من الضباط الذين أوفدوا للعلاج أو للإبعاد أو للترفيه، وكانوا يطلبون دوماً أن تزودهم بزجاجات الوسكي والسجائر الأمريكية ليقدموها إلى الأطباء الفرنسيين ليمنحوهم شهادات كاذبة أنهم بحاجة للعلاج الطويل ليقبوا في باريس، كما كانوا يفعلون في

الدول الاشتراكية. وقد جاءني مرة أحد هؤلاء الأطباء متذمراً وقال لي إن هؤلاء الضباط لا يحتاجون لأية عناية طبية، فصحتهم أفضل من صحتي، كما أن طريقتهم برشوتنا بالوسكي والسجاير هي طريقة تافهة وسخيفة ومرفوضة من قبلنا. نحن لسنا في بلد شيوعي. ويطلبون منا أن نزودهم بشهادات كاذبة أنهم بحاجة إلى معالجة طويلة، لا يمكننا فعل ذلك، لذا جئنا نسألكم ماذا نفعل؟، قلت: إن لم يكونوا بحاجة للعلاج فلا تمنحهم هذه الشهادات، ولا تقبلوا منهم زجاجات الوسكي.

كان يقطن في الطابق الرابع معاون الملحق العسكري وبعض عناصر المكتب العسكري، فكانوا يطبخون فيه، وتنتشر روائح الطبخ في السفارة إلى جانب الضجيج والضحكات العالية وصوت الراديو وآلات التسجيل.

كانت الأبواب الخارجية للبناء دون أقفال، يدخل منها من يشاء، أما الباب الداخلي فكان كل موظف دبلوماسي أو عسكري أو محلي يحمل له مفتاحاً يدخل متى شاء ويخرج متى شاء، يقفل الباب أو لا يقفله، هذا غير مهم.

أما العَلَم، رمز شرف الأمة وعنفوانها، فمنذ أن رفعوه فوق الشرفة على سارية السفارة منذ عامين، لم ينزلوه ولم يغيّروه، ونتيجة هطول الأمطار الكثيرة والغزيرة في باريس فقد حلت ألوانه بعضها على البعض الآخر، فالأحمر حلّ على الأبيض، وأخضر النجوم امتزج مع الأبيض والأحمر.

وجدت الأمر على هذا الشكل وقد راعني، وما كنت أتصور أن يكون الوضع على هذا الشكل من الفوضى. كان السفير غير مهتم أو غير عارف بما يجب أن تكون عليه السفارة، فهو يهتم بما يرده من أخبار دمشق، أو يهتم برفاقه الذين يأتون لزيارته. كان لطيف المعشر، حاضر النكتة، يحب الأدب ويستمتع بمفاتيح باريس وبفاتناتها، استأجر شقة صغيرة في شارع «جان جوريس» في منطقة «نويي»، وكانت عائلته في دمشق لا تأتي إلا لأيام قليلة في فصل الصيف ثم يضيق بها المقام لجهلها باللغة ولعدم استمتاعها بجو باريس، فتعود والأولاد إلى دمشق.

كان عليّ أن أفتش عن سكن لي كي أطلب إلى عائلتي المجيء، وقد استدعى التفتيش عن شقة مناسبة وقريبة من السفارة أكثر من شهر حتى عثرت على شقة في شارع سوشيه نفسه لا تبعد عن السفارة سوى نصف كيلومتر، وكانت في الدور السابع في بناية حديثة وجميلة، وقد فرشتها لي صاحبها فرشاً بسيطاً إلا أنه كان أنيقاً وكافياً. وكنت أريد شقة مفروشة لأنني كنت أعتقد أنه لن تطول إقامتي في باريس. وبعد قليل حضرت زوجتي وشقيقتي وابنتاي الصغيرتان فارتحت نفسياً.

كما حضر حماي - أي والد زوجتي - وشقيقتها، وهكذا انتقلت رأساً من الوحداية إلى الحياة العائلية المزدحمة. ثم اشتريت سيارة فرنسية من طراز «بيجو ٤٠٤»، فكنت آخذ العائلة فيها، بعد الدوام، للفسحة وللتجوال في شوارع باريس وحدائقها الكثيرة المنسقة الجميلة.

وجدت السفير سامي الجندي، أنيساً لطيفاً مرحاً ذا نكتة وجاذبية. قال لي: «خوي، أنا ما يعرف شي بالسفارة، أنت امسكها وديرها مثل ما بتريد».

كان عليّ أن أصلح شؤون السفارة مبتدئاً بالبناء. غيرت أفعال الأبواب الخارجية والداخلية وجعلت لهذه الأبواب ثلاثة مفاتيح فقط، أحدها معي وآخر مع الملحق العسكري والثالث مع الإداري محمد علي الأسطواني الذي كان يأتي للسفارة قبل جميع الموظفين ولا يغادرها إلا بعد خروجهم جميعاً.

استغنيت عن موظفين محليين كانا يسيئان إلى الطلاب ويحبسونهم أحياناً في قبو البناء، وباعتبار أنهما قريبان لمسؤولين في الحزب، قلت لهما أن يأتيا في أول الشهر لقبض الراتب فقط، واستعضت عنهما بغيرهما قاما بالعمل بجد وحياد، فسارت شؤون القنصلية بشكل جيد.

منعت نوم عناصر الملحق العسكري في الطابق الرابع، وحولت غرفهم إلى مكاتب، بعد تنظيفها وطلائها، مما أكسبنا خمس غرف استعملناها للموظفين الجدد الذين بعثت بهم الوزارة إلى باريس، إذ أرفدتنا الوزارة بالدكتور رياض سياج الذي استلم شؤون القنصلية مكان السيد عادل مراد الذي نقل إلى دمشق، وبالزميل حنين حاتم الذي استلم شؤون الصحافة والإعلام، والأستاذ سمير الدروبي الذي أصبح المستشار الثقافي وأشرف على شؤون الطلاب، كما أوصينا على عدد من الإعلام السورية، صناعة فرنسية، لا تحلّ ألونها تحت المطر ولا تتغير، كما اشترينا للصالة الكبرى في الطابق الأول، حيث يجلس السفير، بعض المفروشات الجديدة، وجئنا بمن نظف السجادة الكبيرة (الموكيت) التي كانت متسخة جداً، نظراً لأن السفارة كانت تقيم حفلات العيد القومي في مبنى السفارة، وكان المدعوون يلقون بأوساخهم وبعض المأكولات والمشروبات على السجادة.

وهكذا بدأت السفارة تأخذ شكل سفارة ونظامها وعملها تدريجياً.

٢ - زيارة المسؤولين السوريين لفرنسا:

(١) زيارة الدكتور إبراهيم ماخوس، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الخارجية:

في كانون الأول ١٩٦٦، قام الدكتور إبراهيم ماخوس بزيارة رسمية إلى باريس قابل خلالها وزير الخارجية الفرنسي، كوف ده مورفيل، مرتين حضرتها، كما حضرهما السفير الدكتور سامي الجندي، وقد تمّت في وزارة الخارجية الفرنسية في «الكية دورسيه»، رافق الدكتور ماخوس مدير مكتب السيد سيفي الحموي.

في المقابلة الأولى، تحدّث الدكتور ماخوس عن القضية الفلسطينية وانعكاساتها على أمن وسلم المنطقة، وكان متحدثاً بارعاً ومحامياً واعياً استحوذ على تقدير المسيو كوف ده مورفيل وإعجابه، إلا أنه، في المقابلة الثانية، أفسد الفكرة التي أخذها عنه الوزير الفرنسي، وكأنّه أفرغ في المقابلة الأولى ما كان بجعبته حول القضية الفلسطينية لأنه، في الحديث الثاني، تكلم عن البورجوازية في صفوف الجيش وفي البلد وعن محاسن الاشتراكية.

دعاه المسيو كوف ده مورفيل إلى الغداء في الكية دورسيه، واعتذرت عن حضوره لأنني كنت صائماً في شهر رمضان المبارك، وأقام الدكتور ماخوس عشاء على شرف وزير الخارجية الفرنسي دعا إليه بعض الزملاء في السفارة كان بينهم الرائد محمد الجحجاح، معاون الملحق العسكري، الذي أثار حفيظة الوزير بوقوفه إلى جانبه باستمراره، ولا سيما في حديثه مع كوف ده مورفيل، وقال بعدئذٍ عن الجحجاح إنه لا يوجد فيه سنتيمتر واحد من العمق ولا يفهم ما يدور من أبحاث. واصطدم الوزير أيضاً بعد العشاء مع سفيرَي السعودية والأردن الدكتور مدحت شيخ الأرض والسفير عبد الله صلاح عندما تعرّض للبورجوازية مادحاً الاشتراكية.

واستقبله، أثناء هذه الزيارة، الجنرال ديغول، رئيس الجمهورية، وقد رافقته فيها من دون السفير سامي الجندي!... تحدّث الدكتور ماخوس وشرح القضية الفلسطينية بشكل جيد كما شرح موقفنا منها، فوجد لدى الجنرال تفهماً كاملاً لموقفنا، وقال إنه يدعم استقلالنا وكياننا، إلا أن إسرائيل قائمة وموجودة.

كان الدكتور ماخوس يريد أن يقول لدى عودته إلى دمشق إنه قابل الجنرال ديغول كسائر كبار الشخصيات العالمية الذين يستقبلهم ديغول، وهذا يعطيه، بنظر زملائه، قوة ومكانة له وللعهد الذي يمثله. أما الجنرال، فكان يريد أن يزرع في منطقة الشرق الأوسط مكانة لفرنسا وله تراحم الاتحاد السوفياتي وقد تحل محله.

٢) زيارة الدكتور يوسف زعيّن رئيس مجلس الوزراء:

تمت هذه الزيارة بين ١٠ - ١٥ كانون الأول ١٩٦٧، وجاءت أيضاً في شهر

رمضان المبارك، وبعد حرب حزيران ١٩٦٧، وعقب تأميم المدارس الأجنبية في سورية، وقد هيأت فرنسا لهذه الزيارة ترتيبات خاصة عسى تستطيع حمل الحكومة السورية على إعادة النظر بموضوع تأميم المدارس، أو، على الأقل، دفع تعويض عادل لمن يملكونها.

وصل الوفد الرسمي السوري، برئاسة الدكتور يوسف زعين، على الطائرة السورية إلى مطار «لو بورجيه» (لم يكن مطار «أورلي» قد أصبح جاهزاً، كما أن مطار «شارل ديغول رواسي» Roissy Charles De Gaulle لم يكن التفكير فيه قد بدأ)، وصل الوفد في الساعة السادسة إلا ربعاً بعد ظهر الأحد العاشر من كانون الأول، وجرى له استقبال رسمي رأسه وزير الخارجية كوف ده مورفيل، كما غطت شبكات التلفزة الفرنسية قدوم الوفد، وكان في المطار عدد كبير من الصحفيين والمصورين جاؤوا ليروا أولئك الذين خسروا حرب حزيران فانتقموا بتأميم المدارس الأجنبية.

نزل الدكتور زعين من الطائرة، وكان مرتدياً اللباس الخاكي فوق الجزمة متشبهاً بـ«تشي كيفارا» المناضل الأمريكي اللاتيني المعروف - ليثبت أنه يمثل الثورة الاشتراكية في سورية - و«كانت الحكومة الفرنسية قد حجزت في فندق «كريون» لإقامة الوفد، فوصل إلى الفندق ولم يكن له أي موعد رسمي في مساء ذلك اليوم الذي خصص للاستراحة.

أطلعت الدكتور زعين، الذي كنت أعرفه من لندن كما مر ذكره، على البرنامج الذي وضعتة الحكومة الفرنسية له ولمرافقيه خلال هذه الزيارة، وقلت له إن «اللباس الثوري» الذي جاء به لا يتناسب مع الاحتفالات والمقابلات الرسمية التي هيئت له، وأن عليه أن يرتدي بذة غامقة مع ربطة عنق، فاستجاب لطلبي.

كان الوفد المرافق مؤلفاً من:

الدكتور إبراهيم ماخوس : نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الخارجية.

الأستاذ زهير الخاني : وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية.

الدكتور أحمد الحسن : وزير النفط والكهرباء وتنفيذ المشاريع الصناعية.

الدكتور عدنان الفرّاء : حاكم المصرف المركزي بدمشق.

الدكتور محمد العمادي : وزير الدولة لشؤون التخطيط.

ومدراء مكاتب رئيس الوزراء، ووزير الخارجية، وبعض عناصر المرافقة من الأمن.

كان أول لقاء رسمي للدكتور زعيّن مع جورج بومبيدو رئيس الوزراء الفرنسي، يوم الإثنين الحادي عشر من كانون الأول في الساعة الثانية عشرة في مكتب رئيس الوزراء «ماتينيون Matignon». كان لقاء بروتوكولياً ضم أعضاء الوفد السوري بكامله، ورئيس الوزراء ووزير الخارجية الفرنسيين، تضمن كلمات الترحيب فقط على أن تتم لقاءات العمل بين الوزراء المختصين من الطرفين فيما بعد.

ثم جرى لقاء خاص بين بومبيدو والدكتور زعيّن حضرته، ولم يحضره أحد آخر، ولم يطلب الدكتور زعيّن إلى السفير الدكتور سامي الجندي حضوره. جرى البحث حول تأميم المدارس الفرنسية. تمسّك الدكتور زعيّن بقرار التأميم حرصاً على شمولية ووحدة التعليم العربي في سورية ولضرورة جعل التعليم كله تابعاً لوزارة التربية بما في ذلك المدارس. سأل بومبيدو عن إمكانية التعويض المادي على هذه المدارس، فقال الدكتور زعيّن إن هذا الموضوع هو قيد الدرس. في نهاية الحديث، سأل المسيو بومبيدو الدكتور زعيّن: كم عمرك؟ فأجابه ٣٩ سنة (كان أصغر من ذلك إلا أنه أراد أن يكبر في سنه، كما أنه ربّى شاربیه ليبدو أكبر من عمره)، فقال له المسيو بومبيدو: «كم أشعر أنني هرمت» (كان بومبيدو في ذلك الوقت يناهز الرابعة والخمسين)، فقال له الدكتور زعيّن: «إن علينا في بلادنا مسؤوليات جسام تتطلب شباباً للقيام بها»... فأجابه بومبيدو مبتسماً: «طبعاً، طبعاً». وانتهت المقابلة.

في الساعة الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم، جرى اجتماع آخر بين الدكتور يوسف زعيّن والدكتور إبراهيم ماخوس من جهة، ومسيو كوف ده مورفيل وزير الخارجية الفرنسي، جرى فيه بحث الأوضاع السياسية في منطقتنا وبشكل خاص بحث قضية الشرق الأوسط وفلسطين، وحضر هذه المباحثات، من الجانب الفرنسي، المسيو بادفان مدير عام الوزارة، والمسيو فرانسوا شارل رو السفير الفرنسي بدمشق، والمسيو ده لبار ده نانثوي معاون مدير إدارة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في وزارة الخارجية والمختص بشؤون الشرق الأوسط، كما حضر من الجانب السوري السفير الدكتور سامي الجندي، والسيد هيثم الكيلاني أمين عام وزارة الخارجية، وحضرتها أنا أيضاً.

وفي الساعة الثامنة والنصف مساءً، أقام المسيو كوف ده مورفيل حفل عشاء للوفد السوري في مقر وزارة الخارجية في «الكيه دورسيه».

كان المسيو كوف ده مورفيل يريد أن يقيم للوفد حفل غداء في ذلك اليوم، فقلت له إننا في شهر رمضان الكريم، وأخشى أن يكون أعضاء الوفد صائمين، فنزل عند

رغبتي وجعله عشاء. والمعروف من الوجهة البروتوكولية، أن العشاء أسمى وأعلى مقاماً من الغداء، ومع ذلك فقد لاحظ المرافقون الفرنسيون للوفد، أن أعضاء الوفد السوري قد نزلوا في الفندق إلى المطعم ظهراً وتناولوا وجبة غداء كاملة مع المشروبات، وقد خجلت من ذلك، كما استغرب المرافقون الفرنسيون هذا التصرف، ذكر لي أحدهم فيما بعد - وكان مقرباً منهم - أنهم كانوا يريدون أن يثبتوا أنهم «اشتراكيون» (أي غير متمسكين بأهداب الدين).

جرت للوزراء السوريين في اليوم التالي لقاءات مع نظرائهم الفرنسيين، فاجتمع الدكتور أحمد الحسن وزير الطاقة والنفط وتنفيذ المشاريع الصناعية مع مسيو غيشار M. Guichard وزير الصناعة الفرنسي.

واجتمع الأستاذ زهير الخاني وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية مع المسيو نونجيسر M. Nungesser وزير الدولة للاقتصاد والمالية، ثم مع المسيو دوبريه وزير الاقتصاد.

واجتمع الدكتور عدنان الفرّا حاكم المصرف المركزي مع المسيو برونيه M. Brunet حاكم مصرف فرنسا.

في المساء، أقام الدكتور يوسف زعيّن حفل عشاء على شرف المسيو بومييدو رئيس الوزراء الفرنسي في فندق كريون، حيث حل الوفد السوري.

في اليوم الثالث، أي الأربعاء ١٣ كانون الأول، ذهب الوفد لزيارة «المعهد الفرنسي للبترول» في رويل Ruel ثم إلى فرساي لزيارة القصر فيها، وفي المساء دعي الوفد إلى الأوبرا حيث حضر باليه «بحيرة البجع» الشهيرة للموسيقار الروسي تشايكوفسكي.

في اليوم الرابع، أي الخميس ١٤ كانون الأول، ذهب الوفد لزيارة معامل «رينو» لصناعة السيارات والتجهيزات الثقيلة في فلنس Flins ومنها إلى ماركوسيس Marcoussis حيث مركز الدراسات للشركة العامة للكهرباء.

في المساء، أقام السفير، الدكتور سامي الجندي، حفلة استقبال في السفارة على شرف الوفد السوري، حضره المسيو كوف ده مورفيل وبعض كبار موظفي وزارة الخارجية الفرنسية، وبعض رجالات الجالية السورية في باريس وأعضاء السلك العربي.

في صباح آخر يوم من الزيارة، أي يوم الجمعة ١٥ كانون أول، جرى اجتماع

موسّع للوفدين في مبنى رئاسة الوزارة بماتينيون تمّ فيه عرض الأبحاث والاتفاقات التي توصل إليها الطرفان.

وفي الساعة الثانية عشرة والرّبع من اليوم نفسه، استقبل الجنرال ديغول الدكتور زعيّن، وقد رافقته في هذه الزيارة التي كان من المفروض أن يرافقه فيها السفير الدكتور سامي الجندي، وقد أثار ذلك تساؤلات كثيرة. كانت زيارة ودية أثار فيها الجنرال، مرة أخرى، موضوع المدارس الفرنسية، كما أبدى تفهماً للمواقف السياسية السورية، ثم دعا الوفد السوري للغداء في قصر الرئاسة، واضطرت لحضوره ففطرت في ذلك اليوم، وصمت غيره وأخرجت الكفارة اللازمة.

عقب الغداء، ذهب الوفد إلى الفندق، ومنه إلى المطار عائداً إلى دمشق.

وصدر عقب الزيارة بيان مشترك ركز على ضرورة تمتين العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية بين البلدين، كما أشار إلى أن هذه الزيارة تندرج في سياق الزيارتين اللتين قام بهما الدكتور إبراهيم ماخوس، نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية، في كانون الأول ١٩٦٦ وفي أيار ١٩٦٧.

كانت هذه الزيارة وزيارة الدكتور ماخوس الزيارتين الرسميتين لمسؤولي الحكومة السورية إلى فرنسا، أما الزيارات غير الرسمية لباريس، من وزراء سوريين ومن مسؤولي الحزب ومن الأصدقاء، فكانت أكثر من أن تحصى، إذ لا يسافر أحدهم إلى أي بلد آخر في أوروبا أو في إفريقيا أو في أمريكا إلا ويجعل محطته الأولى باريس، وعلى السفارة أن تعتني به وتضع السيارة تحت تصرفه، وتضع أحد الموظفين في خدمته لشراء ما يحتاج إليه، وليدعوه إلى الغداء والعشاء والسهرة الفنية الجميلة. وهكذا لم يمض يوم واحد من دون أن يقوم أحدنا بهذه الأعباء المرهقة المملة المكلفة.

وبالإضافة إلى هؤلاء، كانت الوفود الحزبية تمر بباريس ذهاباً وإياباً في طريقها إلى الجزائر، الدولة الوحيدة التي كانت تقبلها، لا رغبة بتوثيق العلاقات معها أو لمساعدتها في أول عهدها بالاستقلال، وإنما للفرجة ولمتعة السفر وللفادة المادية. وكانوا يلقون بثقلهم و«غلاظاتهم» على السفير (رفيقهم في الحزب) ويمثّونه أنهم هم الذين يبقونه في منصبه، وعلى كل كانت لغتهم ومفاهيمهم مشتركة - ولم يكن لي بهم أي شأن ..

العلاقة بين السفير الدكتور سامي الجندي ورئيس الوزراء الدكتور يوسف زعيّن

ونائبه الدكتور إبراهيم ماخوس لم تكن علاقة حميمة ولا حتى جيدة، بل كانت تسودها البرودة ويسودها الجفاء وعدم الثقة، وقد بدا ذلك جلياً أثناء هذه الزيارة. كان الدكتور الجندي يعتبر نفسه أعلى مقاماً من الدكتور زعّين والدكتور ماخوس، إذ كُلف بتشكيل الوزارة منذ بداية الثورة في ١١ أيار ١٩٦٣ إلا أنه لم يشكّلها، وطلب بعدئذٍ لصالح الدين البيطار تشكيلها ودخل معه كوزير للإعلام إلا أنه، في ترتيب الوزراء، جاء أول وزير بعد رئيس الوزراء ونائبه العميد أركان حرب محمد أمين الحافظ.

وفي الوزارة التي تلت ذلك، والتي أعاد تشكيلها صلاح الدين البيطار، حيث أصبح اللواء أمين الحافظ رئيساً للمجلس الوطني لقيادة الثورة في ٤ آب ١٩٦٣، جاء ترتيب الدكتور سامي الجندي كأول وزير بعد البيطار، وبقي ترتيبه متقدماً على مَنْ سواه من الوزراء في الوزارات التالية التي شكّلها اللواء محمد أمين الحافظ في ١٢ تشرين الثاني ١٩٦٣، وهكذا حتى جاء الدكتور يوسف زعّين فشكل وزارته الأولى في ٢٣ أيلول ١٩٦٥ وأبعد سامي الجندي سفيراً إلى باريس.

وكما بينت سابقاً، لم يكن الدكتور الجندي ليولي السفارة اهتمامه بالكامل، فعكف على وضع كتاب عن العلاقة بين العرب واليهود، أوحى إليه بكتابته الصحفي الفرنسي «إريك رولو» (يهودي من أصل مصري، ويكتب في جريدة لوموند عن أمور الشرق الأوسط)، وقد وضع له خاتمة الكتاب الذي أخذ اسم «يهود وعرب»، وكتب له مقدمته الملك حسين ملك الأردن بعد أن رجاه فعل ذلك. وصدرت أول طبعة للكتاب باللغة الألمانية في تشرين الثاني ١٩٦٧، إلا أن الغلاف، الذي حمل الاسم، وردت عليه نجمة داوود باللون الأزرق، وهي شعار إسرائيل، مما هيأ حملة عنيفة على الدكتور جندي أدت إلى نقله من باريس وتسريحه^(١). وكان الدكتور زعّين يريد تسريحه منذ زمن، وفي كل مرة كان يهيهء مرسوم إنهاء خدماته يعلم بها الجندي فيبعث بزوجته - الست أم محمد - إلى اللواء حافظ الأسد، وكان على علاقة جيدة به، فيحول دون صدور المرسوم. وفي إحدى المرات، عندما ذهب اللواء حافظ الأسد إلى موسكو في زيارة استمرت أسبوعاً، تمكن الدكتور زعّين من إصدار مرسوم النقل والتسريح. كان الدكتور سامي الجندي قد تعرّف، بواسطة صديقه منصور خالد من السودان، وكان معاون مدير المراسم لدى اليونسكو، على فتاة

(١) Juden und Araber، صدر عن دار النشر الألمانية Bechtle، تشرين الثاني ١٩٦٧.

فرنسية جميلة تعمل سكرتيرة في الوفد الإيراني لدى اليونسكو، فهم بها ثم تزوجها، وعندما أنهيت خدماته التجأ وإياها إلى تونس حيث أمضيا ما يقرب من السنة ثم غادراها إلى إستنبول لمدة سنتين ثم افترقا.

كان الدكتور الجندي مرحاً بطبعه، لطيفاً متواضعاً يحب الحياة، كثير الصرف والإنفاق، يستدين دوماً على راتبه مما رتب عليه ديوناً للوزارة لدى نقله وتسريحه بلغت أكثر من عشرين ألف ليرة سورية، عدا عن العشرة آلاف ليرة التي حصل عليها من قريبه عبد الكريم الجندي (لشراء كتب للمخابرات...) لم يشتر بها سوى عشرة كتب. وقد أسفت لما حصل له، وتابعت أخباره حتى إستنبول ثم انقطعت عني.

وكان الخلاف قد اشتد بين الحكومة وآل الجندي (العقيد عبد الكريم الذي كان رئيساً للمخابرات) و(خالد الجندي الذي كان رئيساً لاتحاد العمال)، لما قاما به من أعمال مشينة أثارت نقمة على الحزب وعلى الحكومة وعلى أعضائها، فاعتقل خالد الجندي وزج به في السجن، وضيق الخناق على عبد الكريم فأثر الانتحار وكتب وصية طعن بها بالحكومة ولا سيما بالفريق حافظ الأسد وزير الدفاع، بعث بها إلى جريدة «النهار» نشرتها في ١٩٦٥/٣/٥.

أما الدكتور سامي الجندي فكان قد زعم أن الدكتور إبراهيم ماخوس، وزير الخارجية، طلب إليه أن يتصل بـ«أبا إيبان» وزير خارجية إسرائيل، ويبحث معه إمكانية سحب القوات الإسرائيلية من الجولان، فطلبت وزارة الخارجية إلى السفير كامل حسين أن يصدر التكذيب التالي، نشرته جريدة الحياة بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢٨^(١).

«أشارت جريدتكم في عددها الصادر يوم ٩ آب إلى مقدمة كتاب للسيد سامي الجندي، زعم فيه أن طلباً قدّم إليه من قبل وزير الخارجية السابق، عندما كان الجندي سفيراً للجمهورية العربية السورية في باريس، للشروع بإجراء مفاوضات مع السيد أبا إيبان بقصد ضمان انسحاب الجيوش الإسرائيلية التي احتلت الجولان.

إن سفارة الجمهورية العربية السورية، التي سبق لها وكذبت هذه الادعاءات التافهة، تتمسك مرة أخرى بهذا التكذيب بصورة قاطعة، ذلك أن موقف الجمهورية العربية السورية كان يقوم دائماً على أساس المطالبة بالجملاء

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٩، (ص ٦١٧).

الفوري غير المشروط للقوات الإسرائيلية من جميع الأراضي العربية المحتلة، وتريد السفارة أن تلاحظ أن السيد الجندي، لو كان صادقاً ومنسجماً مع نفسه لكشف على الفور عن هذا الطلب وقدم استقالته، ولما كان ادعاؤه قد ظهر بعد أن أعفي من مهامه الرسمية على أثر كتابه «عرب ويهود»، الذي اتخذ فيه موقفاً هو نفس الموقف الذي يتهم به الجمهورية العربية السورية، فإن هذا يكفي لإثبات تفاهة ادعاءاته بصورة قاطعة».

ونشرت جريدة «لوموند» الفرنسية رد الدكتور سامي الجندي على بيان السفارة السورية، وأكد أن كل ما ذكره في مقدمة كتابه صحيح، وأنه لم يقدم استقالته في ذلك الوقت لأن عدداً من أصدقائه كانوا سجنوا وعذبوا في ظروف مشابهة، وأن عائلته كانت تحت المراقبة الجبرية، وأن أخاه خالد، رئيس اتحاذ النقابات السابق، كان قد سجن^(١).

مع الدكتور الجندي تعرفت على اللواء زياد الحريري، قائد انقلاب (أو ثورة) ٨ آذار، وكان يأتي إلى السفارة، ويأتي معه المقدم عارف الجاجة زميله في الجيش والمقرب منه، لقبض الراتب في أول الشهر، ثم قويت معرفتي بهما لا سيما بعد أن نقل السيد عارف الجاجة إلى وزارة الخارجية وأصبح رئيساً للديوان فيها، ثم نقل سفيراً في كوبا قبل أن يحال على التقاعد، كما قويت معرفتي باللواء زياد رغم اختلاف الآراء والنهج. وتعرفت على جميع الضباط الذين أبعادوا إلى باريس مكافأة

(١) يقول الجندي في رده: «... إنني أصر على كل ما ذكرته في المقدمة المشار إليها، وأقول للتوضيح: إنه غداة التصويت على قرار مجلس الأمن بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧، طلب إبراهيم ماخوس، وكان في باريس عائداً من الولايات المتحدة، أن أتصل بالسيد أبا إيبان، ولا جدوى من القول إن طلبه هذا كان يتناقض تناقضاً فاضحاً مع السلبية العنيفة التي كان يتظاهر بها شفهياً وزير الخارجية السورية السابق فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية».

«إن السفارة تتساءل لماذا لم أقدم استقالتي في ذلك الحين؟ ولكن هل لي أن أؤكد أنه لا بد من الحذر في نظام ذي طبيعة تفوق حد الوصف».

«إن عدد الأصدقاء الذين ماتوا أو عذبوا في ظروف مشابهة تدعو إلى التأمل. وهل أنا في حاجة إلى أن أضيف أن أولادي، وأكبرهم يبلغ من العمر ١٧ عاماً وأصغرهم عشرة أعوام، هم في هذه الساعة تحت الإقامة الجبرية مع اثنين من رجال الشرطة يقومان على مراقبتهم في الليل والنهار!».

«... أريد أن أوضح أن توقفي الأخير لا يعود فقط إلى ظهور كتابي «عرب ويهود»، ولكن لمجموع آرائني حول مختلف القضايا والمشاكل التي تخص بلدي، والسفارة السورية لا تجهل، على ما أعتقد، أنني كنت سفيراً في منفى...».

لهم على مواقفهم من «ثورة ٨ آذار»، وقد نقل معظمهم، فيما بعد، إلى وزارة الخارجية وأصبحوا سفراء معتمدين.

بعد مغادرة الدكتور سامي الجندي، أصبحت أقوم بمهام السفارة كقائم بالأعمال بالنيابة بانتظار تعيين سفير جديد إلى باريس، وبقيت على هذه الصفة أكثر من سنة حتى اعتمدت الحكومة الأستاذ كامل حسين، الذي كان عضواً في القيادة القطرية، سفيراً في باريس، وقد وصلها في حزيران ١٩٦٩.

في هذه السنة، مرت أحداث هامة في منطقتنا وفي فرنسا وفي العالم أجمع، وتمت زيارات رسمية للمسؤولين الفرنسيين إلى الخارج، وزيارات لرؤساء الدول العالمية إلى فرنسا لن أستعرضها جميعاً، إذ لم يمض يوم من دون زيارة رئيس دولة أوروبية أو آسيوية ولا سيما إفريقية إلى باريس، وكنا نتعرف عليهم من أعلام هذه الدول تنشر إلى جانب العلم الفرنسي على أعمدة شارع الشانزليزيه المشهور، أو، إن كانت دولاً عربية، من الدعوات لحضور حفلات الاستقبال في سفاراتها، وسأذكر أهمها: هارولد ويلسون، رئيس وزراء بريطانيا - كوسيغين، رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي - كيسنجر، مستشار ألمانيا الاتحادية - نيكسون، رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية - شيلياك، رئيس وزراء يوغوسلافيا - وأبا إيبان، وزير خارجية إسرائيل، وكثيرون من مسؤولي إسرائيل ومن دول العالم.

٣ - الزيارات الرسمية للمسؤولين الفرنسيين للخارج:

١) زيارة الجنرال ديغول إلى الاتحاد السوفياتي:

قام الجنرال ديغول بزيارة رسمية إلى الاتحاد السوفياتي، وذلك بين ٦/٢٠ إلى ١٩٦٦/٧/١. وإذا كان من المفروض اعتبار هذه الزيارة، من الناحية البروتوكولية، ردّاً للزيارة التي سبق أن قام بها خروتشوف لفرنسا عام ١٩٦٤، فإن هذه الزيارة تأخذ أبعادها من كونها نتيجة منطقية لانسحاب فرنسا من الحلف الأطلسي، وتكريساً لنظريات ديغول الخاصة بأوروبا التي بدأت أولى فصولها بعقد المعاهدة الفرنسية - الألمانية عام ١٩٦٤، ثم في انسحاب فرنسا من الحلف الأطلسي.

يعلم السوفييت، قبل غيرهم، أن القوى الرئيسية في أوروبا موجودة تحت سيطرة الولايات المتحدة، كما أنهم يعرفون مدى سيطرة الرأسمال الأمريكي على الصناعات الرئيسية في أوروبا الغربية، ويعرفون بالتالي أن كل حل سياسي وأساسي لقضايا الأمن في أوروبا وقضايا نزع السلاح المتصلة اتصالاً وثيقاً بالمشكلة الألمانية يجب أن تمر عبر أمريكا.

ويعلمون أيضاً أن ربط سياستهم، على المدى الطويل، برجل عجوز- هو ديغول - أمر خطير، في الوقت الذي تمد فيه أمريكا أخطبوط رؤوس أموالها إلى الشركات والصناعات الفرنسية، وفي الوقت الذي يقف فيه الحزب الشيوعي الفرنسي نفسه مع الاشتراكيين في جبهة موحدة معادية لسياسة ديغول الداخلية، يعمل الاتحاد السوفياتي على استغلال التناقضات الغربية وتعميق تفكيك الحلف الأطلسي ومحاولة الوقوف دون توسعه.

ومع أن البيان المشترك الختامي نص على تعميق التعاون الثقافي والعلمي والتقني بين الدولتين، إلا أن الناحية الإيجابية من هذه الزيارة هي أنها مكنت الاتحاد السوفياتي من استعمال ورقة رابحة، هي فرنسا، للضغط على أمريكا والغرب في محادثاته المقبلة معها.

ومن ناحية ثانية، فإن ديغول يعلم، كما تعلم أمريكا والدول الأوروبية، أن الاتحاد السوفياتي ينتظر اليوم الذي يتمكن فيه من التفاوض مباشرة مع الولايات المتحدة لحل المشاكل العالمية وتأمين سلامته تجاه خطرين أساسيين بالنسبة له: الخطر الألماني والخطر الصيني، لأن الاتحاد السوفياتي يعلم أنه لا يمكن إيجاد حل نهائي لهذه المشاكل إلا بالاتفاق مع أمريكا، وربما كان ترحيبه بزيارة ديغول هو إحدى الوسائل لبلوغ هذا الهدف. وقد أحاط الاتحاد السوفياتي وزعماءه هذه الزيارة بعناية فائقة نظراً لأن ديغول، زعيم أوروبا الغربية، هو الزعيم الوحيد من زعماء الحرب العالمية الثانية الذي بقي على قيد الحياة.

٢) زيارة رئيس الوزراء الفرنسي ووزير الخارجية إلى لندن:

قام رئيس الوزراء الفرنسي جورج بومبيدو ووزير خارجيته كوف ده مورفيل بزيارة إلى لندن بين ٨ - ١١ تموز ١٩٦٦، وجاءت ردّاً على الزيارة الرسمية التي قام بها، في العام الماضي، رئيس الوزراء البريطاني هارولد ويلسون ووزير خارجيته مايكل ستوارت إلى باريس. وتمت هذه الزيارة في أعقاب الزيارة التي قام بها الجنرال ديغول إلى موسكو، وكأنهم أحبوا أن يطلعوا زملاءهم الغربيين على نتيجة مساعيهم لدى الاتحاد السوفياتي بالنسبة لتنقية الجو بين الشرق والغرب وتحسين العلاقات، سعياً لحل المشاكل العالمية المستعصية لا سيما مشكلة الفيتنام. وتضمن البيان المشترك توضيحاً لذلك إذ أشار إلى عزم رئيس الوزراء البريطاني زيارة الاتحاد السوفياتي في ١٦ تموز الجاري تلبية لدعوة تلقاها من السيد كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي، وقبل عشرة أيام فقط من زيارته المرتقبة للرئيس الأمريكي جونسون.

وأشار البيان المشترك، الذي صدر عقب الزيارة، إلى المواضيع التي بحثت، وقد ورد فيها:

- ١ - انسحاب فرنسا من حلف شمال الأطلسي.
- ٢ - شروط انتساب بريطانيا للسوق الأوروبية.
- ٣ - النفق تحت بحر المانش.
- ٤ - طائرة الكونكورد وضرورة الاستمرار ببنائها.
- ٤ - أما رؤساء الدول العربية والأمراء والوزراء الذين قاموا بزيارة فرنسا في هذه الفترة، فأذكر منهم:

الملك حسين، ملك الأردن - الرئيس شارل حلو، رئيس جمهورية لبنان - المشير عبد الحكيم عامر - الأمير فهد بن عبد العزيز - الأمير سلطان بن عبد العزيز - السيد عبد الرحمن عارف، رئيس جمهورية العراق - الشيخ عبد الله السالم الصباح، وزير الدفاع الكويتي - الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، ولي عهد الكويت.

- زيارة عبد الرحمن عارف، رئيس جمهورية العراق، لفرنسا:

كانت هذه الزيارة حلقة في سلسلة الزيارات العربية لباريس، وقد أحاطتها فرنسا برعاية خاصة لأن عارف جاءها والبترول في وفاده، وسوق جديدة لفرنسا ولبضائعها تفتح في العراق.

رافق عارفاً وفد مؤلف من ٣٥ شخصاً بين وزير وضابط كبير وموظف كبير، ورفعت أعلام العراق إلى جانب الأعلام الفرنسية على أعمدة الشانزليزيه قبل الزيارة بيومين، وظلت مرفوعة بعد الزيارة يومين. وأقام الجنرال ديغول، على شرف ضيفه، حفلة عشاء في قصر الإليزيه أعقبها حفلة استقبال وحفلة غداء في «الكراند تريانون Grand Trianon» في فرساي، أعقبها حفلة باليه في أوبرا فرساي، ذلك المسرح الذي لم تقم فيه حفلة لرئيس دولة منذ زيارة الرئيس الأمريكي جون كينيدي لباريس، وأقامت له وزارة الخارجية أيضاً حفلة عشاء في الكيه دورسيه.

عقد الرئيسان ديغول وعارف أربع جلسات كانت آخرها جلسة عامة، وبحثت أثناء هذه الاجتماعات مواضيع البترول التي بدأت بالاتفاقية التي وقعها اللواء عارف صباح الأحد ٤ شباط، أي قبل قدومه بيومين، وقد أعطيت شركة ERAP حق التنقيب لمدة ست سنوات في حقل مساحته ١٠٨٠٠ كم^٢ في جنوب العراق وخليج البصرة، ثم التعاقد على إنتاج النفط وذلك بالإضافة للمفاوضات من أجل حقل

الرميلة الغني بالنفط، كما تم الاتفاق على إنشاء معهد للدراسات البترولية الذي تشرف عليه منظمة اليونسكو ويموله صندوق المساعدة الفنية.

وبالنسبة للكبريت، كان من المنتظر نجاح المفاوضات الجارية بين ELF-ERAP وبين العراق لاستثمار مناجم الكبريت في شمال العراق، فإذا نجحت المفاوضات، أصبحت فرنسا ثاني دولة في العالم في إنتاج الكبريت بعد الولايات المتحدة.

بالنسبة للأسلحة، اعتبرت فرنسا أن بيع الأسلحة للعراق لا يتنافى مع مبدأ الحظر بالنسبة للشرق الأوسط، لأن العراق، حسب رأيها، لم يتدخل في حرب ٥ حزيران كمحارب Belligerent، وأظهرت فرنسا استعدادها لبيع العراق طائرات ميراج Mirage ودبابات AMX13 لتدريب ضباطه.

وتعرضت الحكومة الفرنسية للنقد، من قبل أصدقاء إسرائيل، نتيجة عقد صفقة الأسلحة مع العراق، ورد كوف ده مورفيل على سؤال وجه إليه في البرلمان بأنه يجب التفريق بين الاتفاق على بيع الطائرات وبين تحديد موعد تسليمها!...

٥ - إنشاء معمل للطائرات في إسرائيل:

تم الاتفاق بين فرنسا وإسرائيل على إنشاء شركة لصنع الطائرات باسم Turbomeca يكون رأسمالها موزعاً بنسبة ٥١% إفرنسي و ٤٩% إسرائيلي، لصنع محرك لطائرات التدريب Fouga Magistaire وطائرات الهليكوبتر Alouette II في المرحلة الأولى، ثم محركات الميراج ومحركات Super Frelon. ويقوم هذا المنصع في بيت شمسين. وقد سلّمت فرنسا لإسرائيل، خلال (حزيران ١٩٦٨) ٢٥ قانصة من نوع Fouga Magistaire يجري تجميعها في إسرائيل، وإن العملية جرت تحت اسم (إرسال قطع مجزأة) منعاً لوقوعها تحت طائلة الحظر الذي فرضته فرنسا والذي لا يزال مرعياً؟ بشكل كلي بالنسبة لطائرات الميراج.

ووصل إلى باريس يوم الأربعاء ٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ الجنرال زفي تزور، معاون وزير الدفاع الإسرائيلي، في زيارة لها علاقة بطائرات الميراج الخمسين التي أوصت عليها إسرائيل في كانون الثاني ١٩٦٦، والتي كان من المفروض أن تستلمها اعتباراً من تشرين الثاني ١٩٦٧ لولا قرار الحكومة الفرنسية بحظر شحن الأسلحة للشرق الأوسط.

وأشار وزير الدفاع الفرنسي «المسيو مسمير» إلى أن الحكومة الفرنسية يمكن أن تعيد النظر بحظر شحن الأسلحة في نهاية عام ١٩٦٧ بالنسبة للمعدات «الأساسية».

٦ - قضية المهدي بن بركة - اختطافه واغتياله والمحاكمة:

في التاسع والعشرين من شهر تشرين الأول ١٩٦٥، كان المهدي بن بركة يتناول القهوة في حانة «ليب» في شارع سان جيرمان بباريس، عندما تقدم منه اثنان من رجال الأمن الفرنسي وهمساً في أذنه أن شخصية كبيرة تريد لقائه، فاصطحباه إلى سيارة (بيجو ٤٠٣) تابعة للشرطة كانت واقفة أمام المقهى حيث ركب الثلاثة وانطلقت بهم، ولم يعرف بعدئذ ما حل بالمهدي بن بركة.

كان المهدي أحد زعماء المعارضة في المغرب، وصدر عليه حكم بالإعدام لأنه وقف إلى جانب الجزائر في «حرب الرمال» عام ١٩٦٣، إلا أن الملك الحسن نفاه إلى فرنسا حيث كان يتنقل بين باريس وجنيف في سويسرا، ثم بعث إليه الملك يستدعيه، وأوهمه أنه يريد أن يكلفه بتشكيل وزارة مغربية بعد أن يصدر عفواً عنه وعن حكم الإعدام الذي صدر عليه، ولكن المهدي لم يعد إلى المغرب وبقي في باريس، ثم اختفى بعد خروجه مع موظفي الأمن ولم يعرف مكانه بعدئذ.

سعت السلطات الفرنسية للتفتيش عنه في كل مكان، وللتفتيش عن جثته أيضاً بعد أن تأكدت من وفاته، حتى أن الغطاسين نزلوا إلى البحيرات للعثور على جثته، ولكن من دون جدوى.

وفي شهر آب من العام ٢٠٠١، نشرت جريدة «لوموند» الفرنسية تحقيقاً لأحد عناصر المخابرات المغربية السابقين «أحمد البخاري»، أفاد فيه بأن مسؤولين أمنيين مغاربة بارزين، ويعني بذلك الجنرال أحمد أوفقيير وزير الداخلية، ورئيس جهاز الأمن المغربي، قد تورطوا في خطفه وتعذيبه حتى الموت ثم نقلوا جثته إلى المغرب حيث ذوبوها بحامض الأسيد، كما فعلوا من قبله مع العديد من المعارضين للملك الحسن الثاني وللحكم في المغرب.

ضجت فرنسا لهذه الحادثة، واعتبر الجنرال ديغول أن اختطاف واغتيال المهدي بن بركة في باريس طعنة له ولحكمه، فأمر بإجراء تحقيق واسع عن الموضوع وبإغلاق حدود فرنسا البرية والجوية والبحرية في وجه المسؤولين المغاربة، وأحيلت القضية إلى محكمة الجنايات في باريس، نظراً لأن الجرم وقع في الأراضي الفرنسية، ورغم هذه الإجراءات المشددة وصل الكولونيل أحمد دليمي، معاون الجنرال أوفقيير إلى باريس متحدياً هذه الإجراءات، وللإطلاع على مجريات المحاكمة.

هبت الحكومات والمنظمات والهيئات اليسارية في مختلف دول العالم للتدخل

في هذه القضية وإرسال شهود!... يقدمون شهاداتهم أمام المحكمة في الأعمال الجليلة التي كان يقوم بها المهدي، وفي المكانة السامية التي كان يتمتع بها في العالم، وكانت في الواقع هجوماً من اليسار على الحكم في المغرب.

ما يهمنا من هذا الموضوع، الذي كلفني وزارة الخارجية السورية بمتابعته، هو الشاهد الذي بعث به الحكومة السورية ليدلي بشهادته أمام محكمة الجنايات هذه. إذ اختارت الحكومة الأستاذ سليمان الخش، وزير التربية، لهذه المهمة، فحضر إلى باريس منذ بداية الجلسات، مستمتعاً بجو باريس وبرفقة السفير الدكتور سامي الجندي، ولمدة ثلاثة أسابيع، من دون الذهاب إلى المحكمة لرؤية المحكمة والاطلاع على ما يجري فيها من مرافعات وشهادات أو لتهيئة شهادته. وقد طلبت إليه أكثر من مرة أن يكتب شهادته لنقوم بترجمتها وإعطائها، يوم الإدلاء بها، إلى القضاة، فتتحقق الغاية منها. قال السيد الخش إنه يرتجل عادة خطبه ولا يكتبها فذلك أوقع، وأعدت الطلب مرات إلى السفير الجندي، فقال إنه سأل إن كان هنالك، أي في المحكمة، من يقوم بالترجمة من العربية إلى الإفرنسية، فأجابوه بأنه يوجد، لذا لا حاجة للكتابة والترجمة. إلا أنه قد تبين له، وقبل يوم واحد من الموعد الذي حددته المحكمة لسماع شهادة الخش، أن المترجم لن يكون على المستوى المطلوب، لأن المترجم الإسباني، الذي ترجم قبل يوم لوزير خارجية كوبا، لم يكن جيداً، فقبع السفير والأستاذ الخش، في مساء ذلك اليوم، لكتابة الشهادة وترجمتها. في تلك الليلة، لم أستطع أن أكون معهما لأنني كنت قد أقمت حفل عشاء في الدار عندنا للسيد هنري مازويه، السفير الفرنسي الجديد المعتمد في سورية، ودعوت معه مدير عام الشؤون السياسية ومدير الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ومعاونيه وزوجاتهم. لم تكن لغة السفير الجندي الفرنسية كافية للترجمة، فكان يتصل بي هاتفياً كل خمس دقائق ويسألني كيف نترجم الكلمة الفلانية أو الجملة الفلانية، وهكذا، مما أفسد علي العشاء مع ضيوفي.

قلت للسفير الجندي، ثاني يوم: لقد رجوتكم عدة مرات أن تكتبوا الشهادة لأترجمها لكم فلم تستجيبوا، وجئتم في آخر دقيقة تكتبونها؟ قال: لم نستطع ترجمتها ومزقنا ما كتبنا، وسنرى غداً كيف ستكون الترجمة. كان السيد سليمان الخش، قبل مجيئه إلى باريس، قد أتم المدارس الأجنبية التي تدرّس اللغات الأجنبية إلى جانب البرامج الحكومية، وقال: «الآن استقلّت سورية!...».

في ثاني يوم، ذهبنا إلى المحكمة، وكانت ملأى بالمحاميين البارزين، أكثر من

ثلاثين محامياً من أشهر المحامين في فرنسا وفي بعض الدول المجاورة، وبعدد كبير من الصحفيين الذين كانوا يغطون باستمرار كل ما يلقي أو يقال أو يكتب عن هذه القضية الهامة.

كان أول المتكلمين، الأستاذ عبد الرحمن اليوسفي، محام مغربي قدير، من أصدقاء وزملاء المهدي بن بركة، يتقن اللغة الفرنسية إتقاناً كاملاً ويجيد المرافعة، من زعماء «الاتحاد الوطني للقوات الشعبية» الذي انشق عن «حزب الاستقلال»، ومن زعماء المعارضة للحكم في المغرب. ألقى، باللغة الفرنسية طبعاً، مرافعة ممتازة كان يغمز فيها من حين لآخر من قناة «الحكام في المغرب»، فيطلب إليه رئيس المحكمة عدم التعرض لأمور المغرب السياسية (أصبح الأستاذ اليوسفي فيما بعد رئيساً لوزراء المغرب، بعد أن كلفه الملك الراحل الحسن الثاني بذلك).

جاء بعده الأستاذ سليمان الخش، وكان الترجمان الجزائري قريباً منه، (ويبدو أن هذا الترجمان كانت تأتي به المحكمة كلما ألقى القبض على أحد المجرمين الجزائريين بجريمة قتل أو اعتداء أو ما شابه، وما كان يعرف من اللغة العربية إلا ما يقال في الجزائر).

- سأل رئيس المحكمة - بالفرنسية طبعاً - الأستاذ الخش: ما هو اسمك؟
- فترجم المترجم: وش يكون النوم Nom بتاعك؟ (فردوه من بعيد: إنه يسأل عن كنيثك).

- فقال: سليمان الخش.
- سأل رئيس المحكمة: ما هو اسمك؟ فقال المترجم: وش يكون البرينوم Prenom بتاعك؟

- قال الخش: الآن قلته لك؟، قال رئيس المحكمة: إن لم يكن له اسم، فلا مانع.
- قال له رئيس المحكمة: ارفع يدك اليمنى وقل «أقسم بالله العظيم أن أقول الحق دون زيادة أو نقصان»، فلم يفهم السؤال، كما أن المترجم لم يستطع أن يترجم له ذلك.
- قال رئيس المحكمة: هل أنتما (الخش والمترجم) متأكدان أنكما تتكلمان اللغة ذاتها؟

ثم التفت إلى الحضور، وقال: إن كان بينكم من يستطيع أن يساعدنا فإننا نكون له شاكرين، فالتفت السفير الجندي وعدد من الحضور وأشاروا إلي.
- قال لي رئيس المحكمة: هل تفضل بمساعدتنا، ولك منا جزيل الشكر.

- قلت: إنما أنا دبلوماسي، وقد لا يجوز لي أن أقوم بما تطلب.

- قال: هذه مشكلة جديدة. ثم قال القاضي الجالس إلى يمينه: إن جاء هذا الدبلوماسي، فقد نستطيع أن نستمع إلى شهادة بلغة دبلوماسية.

- فقال رئيس المحكمة: أرجوك تفضل وساعدنا.

فذهبت ووقفت إلى جانب سليمان الخش، وقلت له: قل ما تشاء، وأنا أقوم بالترجمة فيما بعد. فتكلم بصوت جهوري وكأنه في أحد احتفالات الحزب، لمدة خمس دقائق. قلت له: كفى، ثم تكلمت عن خطورة الاعتداء في باريس على الشخصيات السياسية، ولمدة خمس دقائق أخرى، إذ ما كان من المفيد ولا من المجدي ترجمة ما قاله عن الاشتراكية وعن الحزب، وانتهت المرافعة وشكرني رئيس المحكمة.

في اليوم التالي، صدرت الصحف الفرنسية تستهزئ بسليمان الخش وبالحكومة السورية التي بعثته ليلقي شهادتها، وقالت جريدة «الفيغارو»: إن الخش كان يعتقد أنه في مثذنة، يؤذن بصوته العالي للصلاة». قلت للسفير: هل سرّكم هذا الاستهزاء؟.

المهم أن وزير التربية الموقر قد أمضى في باريس ما يقرب من شهر يتجول بين حاناتها، وحصل مقابل ذلك على تعويضٍ مجزٍ.
لا أعتقد أن سمعة سورية كانت تهمهما كثيراً.

كما بينت آنفاً، لا يمر يوم في باريس، إلا وتحدث حادثة هامة، فلو أردت التعرض والكتابة عن كل ما يجري لمألت كتاباً ضخماً عنها، وسأقصر بحثي على أمور أربعة فقط هي:

١ - العدوان الإسرائيلي على الدول العربية في ٥ حزيران ١٩٦٧.

٢ - أحداث أيار ١٩٦٨ في فرنسا، والإضرابات العامة.

٣ - ربيع براغ، واحتلال تشيكوسلوفاكيا من قبل قوات حلف وارسو.

٤ - برنامج الجنرال ديغول لإصلاح النظام في فرنسا، والاستفتاء عليه، واستقالة الجنرال ديغول.

ب - الوفد الدائم لدى اليونسكو

١ - إقرار اللغة العربية كلغة عمل في منظمة اليونسكو.

٢ - المجلس التنفيذي في دورته السابعة والسبعين ١٩٦٧.

٣ - التوزيع الجغرافي للدول الأعضاء في منظمة اليونسكو ونصيبها في المجلس التنفيذي.

٤ - مدارس الأوروا.

٥ - والكتب المدرسية.

العدوان الإسرائيلي في ٥ حزيران ١٩٦٧ ومراحل تهيئته وموقف فرنسا منه

بدأت الدوافع والتهيئة لهذا العدوان الإسرائيلي منذ العام ١٩٦٦، واشتد في بداية العام ١٩٦٧، عندما أخذت إسرائيل تعتدي على المناطق المجردة بينها وبين سورية قصد ضمها إليها. كان الدافع الأساسي لهذه الاعتداءات الصغيرة، في بادئ الأمر، ليس ضم هذه المناطق فحسب وإنما اختبار قوة الرد السوري، واستدراج سورية إلى معركة حاسمة تغطي بها إسرائيل أزمته الاقتصادية والاجتماعية الخائفة، ذلك أن المساعدات المالية التي كانت تتدفق عليها من ألمانيا (التعويضات) ومن يهود أمريكا وأوروبا، قد تضاءلت كثيراً إن لم نقل قد توقفت، وكنتيجة لهذه الأزمة، ارتفع عدد العاطلين عن العمل، بعد توقف بعض الصناعات المحلية، إلى أكثر من ٩١ ألف عامل، وذلك بحسب إحصاءات الهستدروت، وهذا الرقم يشكل خمس الطاقة العمالية في إسرائيل، وهي أعلى نسبة في العالم، وتبعت ذلك هجرة معاكسة من إسرائيل إلى كندا والولايات المتحدة وأوروبا بلغت حتى هذا العام ٧٥ ألف يهودي، نتيجة الضيق الذي يعانونه ونتيجة التفرقة العنصرية الشديدة التي تميز يهود أوروبا وأمريكا عن يهود آسيا وإفريقيا، مما يؤدي إلى اصطناع حرب مع سورية تستجر لإسرائيل عطف ومساعدات يهود العالم والدول التي تعطف عليها.

هذا الوضع الأمني في المنطقة، وهذا الخطر المائل بوقوع حرب، لم يكن خافياً على المسؤولين الفرنسيين ولا على الأمين العام للأمم المتحدة «أوثانت» الذي وجه نداء إلى كل من سورية وإسرائيل يناشدهما فيه عدم القيام بأي عمل يضر السلام في منطقة الشرق الأوسط.

في حفلة الوداع التي أقامها السفير الأردني في باريس، السفير عبد الله صلاح، بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٦٧، بمناسبة تعيينه وزيراً للخارجية، جاءني السكرتير الأول في السفارة الأمريكية، وعرفني بنفسه أنه «بيتر سياستيان»، وأنه مكلف من قبل حكومته ليتصل بي وينقل إلي قلق حكومته حيال تأزم الوضع في الشرق الأوسط

وحدوث ما لا تحمد عقباه (كان بيتر سياستيان، السكرتير الأول، هو في الواقع موظف وكالة الاستخبارات المركزية CIA، وفي كل سفارة أمريكية، يكون السكرتير الأول أو أحد المستشارين من موظفي هذه الوكالة)، وأضاف أن الحكومة الأمريكية تقدر خطورة الوضع لا سيما من الوجهة الإسرائيلية، وأنها أفهمت ذلك إلى كل من حكومتي دمشق وتل أبيب، وهي تأمل أن تقبل الحكومتان نداء «أوثانت» الأمين العام للأمم المتحدة، وتتعاون مع أجهزته لتحول دون وقوع صدام في المنطقة.

قلت: أعتقد أن إسرائيل لن تقوم بأي عمل عسكري ما لم تؤمن موافقة الولايات المتحدة، أو على الأقل سكوتها عنها.

قال: هذا ما يعتقده الكثيرون في منطقة الشرق الأوسط، إلا أنه غير صحيح، فلاسرائيل سياستها المستقلة ودوافعها الداخلية المحضة التي تملئ عليها مصلحتها ونهجها الخارجي، وقد كنا ننصحها في مناسبات كثيرة وما كانت تستمع لنصحننا.

قلت: إن النصح تتوقف الإجابة عليه على الطريقة التي يقدم بها، فإذا كان النصح بتقديم الأسلحة والصواريخ، فإن النتيجة معروفة سلفاً.

قال: كنت أفتش عنك لأنقل إليك، بشكل رسمي، تخوفنا من قوع صدام في المنطقة، وإن لأمريكا مصالح في الشرق الأوسط تحرص عليها، لذا، فهي تحرص جدياً على السلام.

قلت: إذا كانت حكومتك تحرص جدياً على السلام، فما عليها إلا أن تنصح إسرائيل، بالشكل الرادع الذي تفهمه، فيستتب السلام، وإذا كانت إسرائيل تزمع الإقدام على الحرب، فلا شك أنها قد تأكدت مسبقاً من دعم الدول الغربية لها، فليكن نصحكم لها بالشكل الجدي والملزم.

وقد لمست من حديثي مع بيتر سياستيان (وهو موظف CIA، وعلى اطلاع على الأحداث في أمريكا وفي منطقة الشرق الأوسط التي هو مختص بها)، أن إسرائيل مزمنة على القيام بعدوان واسع النطاق. وكان المسيو لوبيل، مدير إدارة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في الخارجية الفرنسية، ألمح لي أنه غير متفائل من مستقبل السلام في المنطقة. وتردد الصحافة يومياً تأزم الوضع بين سورية وإسرائيل وتشير إلى تطورات، وقد ذكرت إحداها أن معركة سيناء عام ١٩٥٦ عرّضت منطقة الشرق الأوسط للخطر إلا أنها أمنت السلام لحدود إسرائيل الجنوبية طيلة السنوات العشر الأخيرة.

وقد بعثت بتقرير مفصل عن هذه المقابلة إلى وزارة الخارجية في حينه.

معاهدة الدفاع المشترك بين سورية ومصر

لم يخف على سورية ما تبته إسرائيل من عدوان عليها، فقوت علاقتها بمصر، وقام الدكتور يوسف زعين رئيس الوزراء، والدكتور إبراهيم ماحوس بزيارة إلى مصر كان من نتائجها توقيع اتفاق للدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية في القاهرة وذلك في ٤/١١/١٩٦٦، ونص هذا الاتفاق في مادته الأولى:

«تعتبر الدولتان كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منهما أو قواتهما اعتداء عليهما، ولذلك، عملاً بحق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي عن كيانهما، تلتزمان بأن تبادر كل منهما إلى معونة الدولة المعتدى عليها، وبأن تتخذاً على الفور جميع التدابير، وتستخدم جميع ما لديهما من وسائل، بما في ذلك استخدام القوات المسلحة لرد الاعتداء».

كما تضمن الاتفاق إنشاء الأجهزة الرئيسية التالية:

١ - مجلس دفاع.

٢ - قيادة مشتركة، وتشكل من:

أ - مجلس رؤساء الأركان.

ب - هيئة الأركان المشتركة.

- يتكون مجلس الدفاع من وزيري الخارجية والدفاع (الحربية في كل من البلدين)، وهو المرجع الأعلى لمجلس رؤساء الأركان.

...

المادة السابعة:

في حالة بدء العمليات، يتولى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة قيادة العمليات في الدولتين.

...

المادة التاسعة:

مدة هذه الاتفاقية خمس سنوات تتجدد تلقائياً لمدة خمس سنوات أخرى، وهكذا...».

وهناك مواد أخرى تفصيلية لهذا الاتفاق.

قامت إسرائيل بالتحرش مجدداً بالقوات السورية في ٧/٤/١٩٦٧ بأن أرسلت، وللمرة الثالثة خلال أسبوع، جرّاراً زراعياً إلى المنطقة المختلف على فلاحتها من

الأراضي المنزوعة السلاح، فقامت القوات السورية بإطلاق نيرانها على الجرّار وحطمته، وعلى أثر ذلك جرى تبادل إطلاق النار بين المواقع الأمامية السورية والمواقع الإسرائيلية، فدمرت القوات السورية جرارين آخرين ودبابتين، فأرسلت إسرائيل بطائراتها لتضرب المواقع السورية، فتصدت لها الطائرات السورية وأسقطت منها خمس طائرات، وقذفت المدفعية السورية مواقع العدو الأمامية في مستعمرات كعوش وعين جيف وبيت كاسير وهاؤون ودمرتها. كانت الخسائر الإسرائيلية خمس طائرات وما يقرب من سبعين قتيلًا، وكانت الخسائر السورية أربع طائرات وخمسة شهداء^(١) (حسب بيان الناطق العسكري السوري).

كان غرض إسرائيل من هذا التحرش، اختبار تصميم سورية على الرد، واستدراجها إلى الحرب واختبار تنفيذ اتفاق الدفاع المشترك، في وقت كان الجيش المصري منهمكاً في معركة طويلة في اليمن، وكانت حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦ في سورية قد استغنت عن عدد غير يسير من الضباط الأكفيا إضافة إلى الضباط الذين سرحوا بعد الثامن من آذار ١٩٦٣. وجاء الرد السوري قوياً وسريعاً.

وتساءل بعض الصحفيين الأجانب: لماذا لم تبادر الجمهورية العربية المتحدة، تنفيذاً لاتفاق الدفاع المشترك، إلى إرسال طائراتها لدعم الطيران السوري؟ فأجاب الرئيس جمال عبد الناصر: «إن مدى طيران الطائرات العسكرية لا يصل إلى الحدود السورية حيث جرت المعركة الجوية، وتعود بعده إلى قواعدها في مصر. ولو كانت لنا قاعدة عسكرية في سورية ومطار لما توانينا عن المشاركة في هذه المعركة»^(٢).

وفي اعترافات للملازم فرحان الزعبي في ٧/٥/١٩٦٧، بعد أن عاد إلى سورية، وكان أحد الضباط الذين فروا إلى الأردن، واطلعوا على المؤامرة التي هياها المخابرات الأردنية (وصفي التل وراضي العبد الله ومحمد رسول الكيلاني) مع الضباط السوري المنشق سليم حاطوم في ٨ أيلول ١٩٦٦، قال: إن سليم حاطوم تلقى من أخيه من أمه، الكولونيل أنيس حاطوم الموجود في إسرائيل، رسالة تشير إلى إمكانية الاتفاق بين السلطات الإسرائيلية والأردنية على أن تقوم الأولى بهجوم على سورية، فتدخل القوات الأردنية سورية لإخراجها، فتخرج، ويتبين بعد ذلك أن

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت،

سنة ١٩٦٧، بيان ناطق عسكري سوري.

(٢) المصدر نفسه.

الجيش الأردني قد أنقذ سورية من إسرائيل، وينهار الحكم البعثي في سورية^(١). وهذه المؤامرة شبيهة تماماً بتلك التي كان الملك عبد الله، الجد، قد اتفق على تنفيذها مع بن غوريون عام ١٩٤٧ ليوحد سورية والأردن تحت عرشه، إلا أن المؤامرتين تم اكتشافهما وإحباطهما.

في باريس، لمست من مقابلاتي مع المسؤولين في وزارة الخارجية (مدير إدارة الشرق الأوسط ومعاونيه المختص بشؤون الشرق الأوسط وبعض السياسيين والنواب والصحفيين) ومع الدبلوماسيين الأجانب (السوفييت والأمريكان والإنكليز واليوغسلاف) أن الأزمة بين مصر وسورية من جهة ومع إسرائيل آخذة بالازدياد، لا سيما بعد أن لُغمت الجمهورية العربية المتحدة مضيق تيران الموصل إلى خليج العقبة، وأن هذا العمل قد وضع النار في البارود. وكان تعليقي على الموقف الفرنسي:

«إن فرنسا ترتبط بعلاقات ودية مع إسرائيل بدأت قبل حرب السويس عام ١٩٥٦، ونمت أثناءه ولم تفتربعد، فما زالت فرنسا تزود الجيش الإسرائيلي بأسلحته وطائراته وأعتدته، وما زالت العلاقات على الصعيد العسكري متينة بين البلدين، إذ يقوم عدد كبير من الضباط الإسرائيليين بالدراسة في فرنسا والتدرب على استعمال أسلحتها، كما يوجد خبراء عسكريون فرنسيون في إسرائيل للغرض نفسه.

وفي الوقت ذاته، وبعد أن حَلَّت فرنسا عقدة الجزائر، أخذت تحسّن علاقاتها مع الدول العربية وتقوّي ارتباطاتها الثقافية والاقتصادية معها، مستفيدة من النقمة العامة على الولايات المتحدة في الأقطار المتحررة، ومن الخطة الحيادية التي انتهجتها فرنسا خلال السنين التسع الأخيرة، مما أظهرها بمظهر الصديق المحايّد المتحرر من السيطرة الأمريكية، المحرر للشعوب الآسيوية والأفريقية، وفرنسا حريصة على استمرار هذا التحسن مع الدول العربية وهذا المظهر الذي اكتسبته، وهي، إلى حد ما، فخورة به وبالمكانة الجديدة التي حصلت عليها في العالمين الاشتراكي والحيادي.

وزارة الدفاع الفرنسية تؤيد ضمناً إسرائيل وترى ضرورة استمرار دعمها، ووزارة الخارجية تريد الحفاظ على صداقتها مع الدول العربية التي نمتها بكل

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٧، (ص ٣٠٠).

جهد بدون أن تفقد مع ذلك صداقتها مع إسرائيل، فهي تعتبر أن لها رصيذاً من التقدير والمحبة في العواصم العربية وفي تل أبيب، يجب أن تحافظ عليه، وقد تعتمد إلى استخدامه لإبعاد شبح الحرب الذي بدأ يخيم على هذه المنطقة بشكل خاص، وعلى العالم بشكل عام.

ولولا وجود الجنرال ديغول رئيساً للدولة الآن، لتوقعنا نجاح الاتجاه الأول، أما وهو يقود شخصياً سياسة فرنسا في الداخل والخارج، فإننا نعتقد أنه سيحبب فرنسا هذا الانحياز، وسيستفيد من مكانته للتوسط في هذه المشكلة الصعبة التي تزداد تعقيداً كل يوم^(١).

وفي ٢٤ أيار ١٩٦٧، وصل إلى باريس «أبا إيبان»، وزير خارجية إسرائيل، يحمل رسالة من «ليفي أشكول»، رئيس وزراء إسرائيل، إلى الجنرال ديغول يطلب إليه فيها دعم وجهة النظر الإسرائيلية في الخلاف مع الجمهورية العربية المتحدة ومع سورية، فعقد الجنرال جلسة لمجلس الوزراء الفرنسي، بعد أن بين كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا موقفه من هذا النزاع. وجاء موقف الجنرال ديغول حازماً، إذ حذر إسرائيل من مغبة الإقدام على بدء الحرب.

وفي الوقت نفسه، قامت البارجة الفرنسية «جان دارك» بزيارة إلى حيفا، فزرت مدير إدارة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا محتجاً على هذه الزيارة التي تتم في هذا الوقت بالذات، فقال: إن هذه البارجة تعتبر مدرسة بحرية متنقلة، وإن زيارتها لحيفا كانت مقررّة منذ زمن، وإنه لو ألغتها لاعتبر ذلك تحيزاً ضد إسرائيل. قلت: إن هذه الزيارة تعتبر ممالة لإسرائيل وتحيزاً ضد العرب.

وقابل السفير، الدكتور سامي الجندي، وزير الخارجية كوف ده مورفيل يوم ٢٣/٥/١٩٦٧، وسأله عن موقف فرنسا، فقال: «نحن موقفنا حيادي ونرغب السلام. نرفض دعوة مجلس الأمن لأنها غير مجدية، ونفضل، بل نرغب دعوة الكبار، غير أنني أقدر أن الاتحاد السوفياتي غير متحمس لهذا الاجتماع، ونقدّر أن الخطر الوحيد يأتي من موضوع لغم المياه في خليج العقبة».

ولم تكن أهداف إسرائيل بالقيام بهجوم على الجمهورية العربية المتحدة وعلى سورية بخافية على الحكومة السورية أو على حكومة القاهرة، وفي دمشق أصدر مكتب العلاقات الخارجية في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي بياناً

(١) من تقرير بعثت به إلى وزارة الخارجية في ٢٠/٥/١٩٦٧.

عرض فيه الأسباب التي تدعو إسرائيل لشن حرب على القوى التقدمية، وإحباط حرب التحرير الشعبية التي يهيئها حزب البعث العربي الاشتراكي، وقال:

«إن مكتب العلاقات الخارجية في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي يرى من واجبه أن يؤكد لكم أن احتمالات العدوان قائمة ومتزايدة، وأن مظاهره والتمهيدات الأولية واضحة كل الوضوح، وتتمثل بالتحركات التالية حسب الأدوار المرسومة لكل طرف من أطراف العدوان:

١ - تصريحات المسؤولين الإسرائيليين العلنية، والمباهاة بالعدوان والإصرار عليه «بحجة تأديب سورية».

٢ - تصريحات المسؤولين الإسرائيليين من دعم الأسطول الأمريكي لهم في مخططاتهم العدوانية، وتأكيد المسؤولين الأمريكيين لمحتوى هذه التصريحات...

٣ - الطلب الذي تقدمت به السلطات الأمريكية لزيارة الأسطول السادس الأمريكي ورسوّه في مياه عربية مجاورة.

٤ - تسخير الأقاليم المأجورة في الصحف المعروفة بمنشئها واتجاهها الاستعماري الفاضح... للظعن بجيشنا العقائدي، والحكم الثوري في سورية...
٥ - تحرك مرتزقة الحلف الاستعماري الجديد المتمسترين بالدين والمتاجرين بمقدسات الشعب، والمتحالفين مع أعداء الجماهير بقصد القضاء على مكاسبها الثورية.

٦ - استئراء الحملة الاستعمارية والرجعية على الحكم الثوري في سورية، واشتراك هذه الحملة في الترويج للعدوان الإسرائيلي... والتآمر على سورية بإرسال الجواسيس...

أما الهدف الرئيسي للعدوان الإسرائيلي فهو القضاء على النظام الثوري في سورية، وكل ما عدا ذلك حجب واهية...»^(١).

وبتاريخ ١٩/٥/١٩٦٧، صرح اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع السوري:

«... إذن، فالدافع الأول الذي تتحرك به إسرائيل اليوم ناجم عن كونها قاعدة استعمارية وحربة موجهة ضد تطلعات شعبنا العربي الثورية، وضد أهدافه المصيرية.

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٧، (ص ٢٠٧).

وهناك دافع آخر منبثق عن الشعار الذي أطلقته الثورة في حرب التحرير الشعبية...
...إننا نعتقد أن التصريحات الاستفزازية من قبل العدو جديّة، وإن العدوان الموسع أو الحرب هو الوسيلة الوحيدة التي بقيت لديه للخروج من الأزمة...
وقد قمنا باستعداداتنا للرد المناسب^(١)... وإن إسرائيل لا يمكن أن تقوم بمغامرة أصلاً لولا دفع الولايات المتحدة بصورة خاصة لها، وهذا لا يحتاج إلى برهان، فتصريحات أشكول وتهديدات ماكنامارا (وزير الدفاع الأمريكي) بالإضافة إلى مساعدات ألمانيا الغربية المادية الضخمة الي تعتبر أن أمريكا مسؤولة عنها... لأكبر دليل على ذلك»^(٢).

وكان الفريق أول محمد فوزي، رئيس هيئة أركان القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة، وجّه رسالة إلى الجنرال ريكي، قائد قوات الطوارئ الدولية في غزة، بتاريخ ١٦/٥/١٩٦٧، يطلب إليه فيها سحب القوات الدولية. وجاء نص الرسالة كما يلي:

«الجنرال ج.أ. ريكي

قائد قوات الطوارئ الدولية - غزة.

أحيطكم علماً أنني أصدرت تعليمات إلى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد إسرائيل فور قيامها بعمل عدواني ضد أية دولة عربية.

وتنفيذاً لهذه التعليمات، تجمعت قواتنا في سيناء على حدودنا الشرقية، ولضمان أمن قوات الطوارئ الدولية المتمركزة في نقط المراقبة على حدودنا، أطلب إصدار أوامركم بسحب هذه القوات فوراً.

وقد أصدرت تعليماتي لقائد المنطقة العسكرية الشرقية فيما يتعلق بهذا الشأن. أفاد بتنفيذ هذا الطلب»^(٣).

أما الرئيس جمال عبد الناصر، فقال في مؤتمر صحفي بتاريخ ٢٢/٥/١٩٦٧:

«في يوم ١٣ مايو، وصلتنا معلومات مؤكدة أن إسرائيل تحشد على حدود

(١) التخطيط تحت الكلام من قبلي.

(٢) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٧، (ص ٣٢٤).

(٣) المصدر نفسه، (ص ٣٢١).

سورية قوات مسلحة كبيرة، يبلغ قوامها حوالي ١١ لواء إلى ١٣ لواء، وأن هذه القوات وزعت على جبهتين: جبهة جنوب طبريا وجبهة شمال طبريا، وأن القرار الإسرائيلي الذي اتخذ في هذا الوقت كان ينص على القيام بعمل عدائي ضد سورية ابتداء من ١٧ مايو. يوم ١٤ مايو، أخذنا إجراءتنا وبحسنا هذا الموضوع واتصلنا بإخواننا السوريين، والسوريين كان عندهم أيضاً هذه المعلومات، وعلى هذا الأساس سافر الفريق فوزي إلى سورية لتنسيق الأوضاع بين مصر وسورية، وقلنا لهم إن احنا أخذنا قرار إن إذا حصل هجوم على سورية فإن مصر ستدخل المعركة من أول دقيقة...^(١).

بعد كده، في يوم ١٦ مايو، طلبنا سحب قوات الطوارئ الدولية بواسطة جواب الفريق فوزي، ثم طلبنا بعد هذا سحب قوات الطوارئ الدولية كلية... طيب، يوم ١٢ مايو، لما صرح رئيس وزراء إسرائيل وصرح كبار القادة الإسرائيليين بأنهم حيثلوا دمشق وأنهم حيسقطوا الحكم السوري، وأنهم حيزربوا سورية ضربة كبيرة، وأنهم حيثلوا جزء من أراضي سورية، محدش تكلم عن السلام، محدش تكلم عن الأمم المتحدة، محدش تكلم عن الأمن، وكان باين أنهم موافقين على الكلام اللي قالوه الإسرائيليين...^(٢).

وكما وقفت الجمهورية العربية المتحدة إلى جانب سورية للدفاع عنها إذا ما قامت إسرائيل بالاعتداء عليها، وقفت جميع الدول العربية إلى جانبها، رغم ما كان بينها من خلاف ومهاترات، وقفت بكامل عددها وعدتها إلى جانبها.

صرح السيد سعد جمعة، رئيس مجلس الوزراء الأردني، في ١٧/٥/١٩٦٧:

«... وقد صدرت الأوامر العاجلة بوضع جميع القوات المسلحة تحت الإنذار تحسباً للطوارئ، والمبدأ الأول الذي تنطلق فيه سياسة هذا البلد هو أن خطوط الهدنة بين العدو والدول العربية تعتبر خطأ واحداً، وأن أي اعتداء على أي جزء منها يعتبر اعتداء عليها كلها، وأن الأردن سيقف مع شقيقاته العربيات ضد الخطر المشترك بما يمليه الواجب القومي وبكل عزم وتصميم».

(١) الخط تحت الكلام من قبلي.

(٢) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٧، (ص ٣٢٩).

وصدر إثر ذلك بيان بفتح باب التطوع في الجيش لكافة أفراد الشعب للمشاركة في هذا الجهاد، جنباً إلى جنب مع الجيش الباسل لحكومة الأردن.

كما تم التوقيع، في ٣٠/٥/١٩٦٧، على اتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة الأردنية الهاشمية شبيهة بالاتفاقية التي كانت وقّعت بين الجمهورية العربية المتحدة وسورية، وانضم العراق في ٦/٤ إلى هذه الاتفاقية.

وقرر مجلس النواب اللبناني، بجلسته المنعقدة في بيروت بتاريخ ٢٣/٥/١٩٦٧:

«١ - أن يطلب من الحكومة أن تعبئ أقصى الطاقات الحكومية والشعبية لتوفر جميع الإمكانيات والأسباب التي من شأنها تمكين جيش لبنان من القيام بدوره كاملاً فعلاً، كما يمليه الواجب وإيمان لبنان بعدالة قضية فلسطين.

٢ - ويؤيد الشقيقتين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية في موقفهما ضد العدو المشترك...».

وأصدر الأمير فهد بن عبد العزيز وزير الدفاع السعودي:

«استناداً إلى توجيهات صاحب الجلالة القائد الأعلى للقوات المسلحة، بتاريخ ٢٥/٥/١٩٦٧، أمراً بإلغاء جميع إجازات الضباط وضباط الصف والجنود، ثم الوقوف على أهبة الاستعداد ووضع القوات تحت الإنذار، مع اتخاذ جميع الترتيبات العسكرية الضرورية لقيامها بدورها الطبيعي حال صدور الأمر بذلك».

ثم صدر الأمر بوضعها على ساحل خليج العقبة...

وبعث العراق بقوات إلى الأردن لرد العدوان الإسرائيلي، وألقى الرئيس عبد الرحمن عارف بهذه القوات كلمة، قال فيها:

«... إن القطعات العراقية التي ستشارك جيش الجمهورية العربية المتحدة هي قطعات رمزية، نظراً لأن جيش المتحدة جيش كامل بعدته وعدده، وإن قطعاتنا العراقية سيكون لها شرف المشاركة مع جيوش الدول الشقيقة القريبة منا وعن طريق سورية والأردن... إن ذهابكم إلى أشقائكم ومشارككم في الجهاد مفخرة تذكرنني بواقعة بدر التي كانت الحد الفاصل بين الشرك والإسلام...».

وبالإضافة إلى ذلك، قرر مجلس الوزراء العراقي قطع ضخ النفط إلى «أية دولة تشترك في العدوان».

كما أرسل الكويت بقوات إلى الجمهورية العربية المتحدة، وألقى فيها الشيخ صباح السالم الصباح، أمير دولة الكويت، كلمة قال فيها:

«... واليوم، تقف الجيوش العربية على طول حدود فلسطين المحتلة متأهبة للقتال، لمحو العار الذي ظل يلزم أمتنا العربية تسعة عشر عاماً أو يزيد، مؤمنة أن ساعة التحرير قد دنت...».

وأصدر مكتب منظمة التحرير الفلسطينية نداء إلى الفلسطينيين من دمشق، في ٥/٦/٦٧، دعا فيه الفلسطينيين إلى معركة التحرير قائلاً:

«سنظهر كل شبر من أراضينا المحتلة، وليكن كل فرد منا قبلة في وجه الغزاة تحرقهم، وناراً تطهر أرضنا من المعتدين. اليوم، يوم السلاح، يوم الشهادة، يوم النصر، يوم تحرير فلسطين».

وقطع السودان علاقاته الدبلوماسية مع كل من بريطانيا والولايات المتحدة بعد أن تأكد أن كليهما أقاما مظلة جوية لحماية إسرائيل.

ووقف الشعب الجزائري وقائده الكبير هواري بومدين إلى جانب الجمهورية العربية المتحدة بدون تحفظ وبغير حساب^(١).

إذن، لم تفاجأ الحكومة السورية ولا حكومة الجمهورية العربية المتحدة بهذا العدوان الإسرائيلي عليهما، لا سيما وقد جاءنا إلى السفارة بباريس، يوم ٤ حزيران ١٩٦٧، أحد موظفي شركة النفط الفرنسية «توتال» وقال للسفير الدكتور سامي الجندي إن إسرائيل ستقوم بعدوانها يوم الخامس من حزيران، فاتصل السفير بالمسؤولين في دمشق مباشرة وأبلغهم الخبر، ولا شك أن الحكومة السورية قد أبلغت الخبر أيضاً إلى القاهرة، واتخذت حذرهما وجميع الإجراءات اللازمة.

لن أتعرض إلى هذه الحرب وأسباب الهزيمة النكراء التي جعلت من هذه الهزيمة نكبة عربية لم تماثلها إلا كارثة حرب ١٩٤٨، مع الفارق الكبير، إذ في عام ١٩٤٨ لم يكن لدى سورية جيش ولا سلاح، بل كان جيشها فتى العهد قليل العدة والسلاح، ومع ذلك فقد أبلى بلاء حسناً وأحرز انتصارات باهرة، إذ خرق خط إيدن المحصن المنيع ووصل إلى سمخ جنوب بحيرة طبريا، واحتل عدداً من المستعمرات الصهيونية. أقول، لن أتعرض إلى هذه الحرب، وكنت بعيداً عنها في باريس، لأن ذلك من

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٧.

اختصاص العسكريين والخبراء في الاستراتيجية العسكرية، وقد كُتب عن هذه النكبة، التي يسمونها «النكسة»، الكثير من الكتب، بعضها سعى جاهداً لتبريرها، ولا يوجد ما يبررها، وبعضها تغاضى عنها، وما زالت أسرارها الحقيقية خافية حتى الآن.

وسأكتفي بعرض موقف فرنسا من هذه الحرب العدوانية التي أفقدت الدول العربية المجاورة لإسرائيل أفضل أراضيها، كما قلبت موازين القوى في المنطقة، وأدت إلى الكثير من الكوارث السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الدول العربية وفي المنطقة، والتي ما زلنا نعيش أثارها التي تزداد اتساعاً وسوءاً وخطراً مع الأيام.

ادعت إسرائيل، طيلة سنوات عدة، أن الدول العربية هي التي شنت عليها حرب ٥ حزيران ١٩٦٧، وأنها كانت في حالة الدفاع عن النفس. وقامت وسائل الإعلام العالمية التي تسيطر عليها الصهيونية بترداد مزاعم إسرائيل في هذا المجال، وتضيف عليها أن الدول العربية كانت تريد أن تقضي على إسرائيل وأن تزيلها من الوجود.

وخلال الأعوام الأخيرة، تسربت بعض الأنباء عن حرب حزيران. ففي عام ١٩٨٢ صرح «ميناحيم بيغن» رئيس الوزراء (الذي كان عضواً في حكومة ١٩٦٧ التي أعلنت الحرب)، صرّح بقوله:

«في حزيران ١٩٦٧ كان لنا الخيار... إن حشد القوات المصرية في المناطق القريبة من سيناء ما كانت لتثبت أن ناصر يريد حقاً أن يهاجمنا. يجب أن نكون صادقين مع أنفسنا، لقد قررنا نحن أن نهاجمه».

اعترف بيغن بذلك ليبرر خياره الشخصي بالحرب في لبنان، إلا أن تأكيده الجريء بأن إسرائيل لم تكن مضطرة للقيام بهجوم على العرب عام ١٩٦٧، وأنه كان باستطاعتها تفادي الحرب تماماً، جاءت تدعمه تصريحات ثلاثة من جنرالات إسرائيل غير العاطفين:

فآزر وايزمن، الذي كان قائداً لسلاح الطيران ثم نائباً لرئيس أركان الجيش، وكان هو الذي خطط للحرب قال، عام ١٩٧٢:

«لم يكن هنالك أي تهديد لتدميرنا في عام ١٩٦٧، إلا أن هجومنا على مصر والأردن وسورية وجد ما يبرره في أن إسرائيل يجب أن تعيش حسب المدى والفكر والنوعية التي تجسدها الآن».

أما الجنرال «ماتياهو بيليد» الذي كان، قبل تطوره إلى الحمايم، من أعتى غلاة الصقور في أركان الجيش، فقد صرح:

«إن الادعاء بأن القوات المصرية المحتشدة على حدودنا كانت قادرة على تهديد الوجود الإسرائيلي لا يعتبر إهانة لذكاء أي شخص يستطيع تحليل الوضع فحسب، وإنما هو إهانة لجيش إسرائيل».

وأما «إسحاق رابين» الذي كان رئيساً لأركان الجيش قبل الحرب وأثناءه، فقد ردد التوافق العسكري عندما صرح:

«إنني لا أعتقد أن ناصر كان يريد الحرب، وأن الفرقتين اللتين بعث بهما إلى سيناء في ١٤ أيار كانتا كافيتين لشن هجوم على إسرائيل، إنه كان يعلم ذلك، كما أننا كنا نعلم ذلك أيضاً»^(١).

كان موقف فرنسا بالنسبة للحرب متعاطفاً مع إسرائيل، نظراً لقوة اليهود في فرنسا ومكانتهم المالية والسياسية والاجتماعية، ونفوذهم في الأوساط الحكومية والإعلامية والاجتماعية والفنية، ولولا وجود الجنرال ديغول على رأس الدولة وموقفه الحيادي الجريء من هذه الحرب، ونصحه أبا إيبان بعدم البدء بها وانزعاجه من إسرائيل لبدئها العدوان على سورية وعلى الجمهورية العربية المتحدة، لكان انحياز فرنسا لجانب إسرائيل أقوى وأبين.

ومع ذلك فقد تخطى اليهود الفرنسيون الموقف الرسمي الحيادي لفرنسا، وذهب عدد من الطيارين الفرنسيين اليهود بطائراتهم إلى إسرائيل، واشتركوا بالمعارك الدائرة ضد القوات المصرية والسورية.

وهكذا، وفي التاسع من حزيران ١٩٦٧، اجتمع مجلس الأمن وأصدر قراراً بوقف القتال ووقف جميع العمليات العسكرية، فأوقفت الجمهورية العربية المتحدة القتال مراعاة للقرار بوقف إطلاق النار، وكانت قواتها قد انسحبت إلى الضفة الغربية من قناة السويس، إلا إن إسرائيل، رغم قرار مجلس الأمن، استمرت بقصف المواقع المصرية ولا سيما منطقة قناة السويس، مستفيدة من تفوقها الجوي ومن سكوت الولايات المتحدة الأمريكية.

واستجابت سورية لقرار وقف القتال، ولم تكن قد خسرت من الأرض شيئاً، إلا أن إسرائيل استغلت تقييد سورية بالقرار فهجمت على الجولان.

(١) كتاب «العلاقة الخطرة» للكاتبين أندرو وليسلي كوكبيرن، دار النشر: هاربر كولينز، ١٩٩١.

«Dangerous Liaison» by: Andrew and Leslie Cockburn, Harper Collins Publishers, 1991, 10 East, 53rd Street, New York.

اجتمع مجلس الأمن مرة أخرى وأصدر قراراً آخر بوقف القتال، واستمرت إسرائيل بعدوانها، فاتصل وزير الخارجية الأمريكي برئيس الوزراء الإسرائيلي «أشكول» في بيته فلم يجده، فأخبر زوجته بالقرار وطلب إليها إبلاغه لزوجها. فاتصلت به هاتفياً إلى الجبهة. قال لها: قولي لهم (أي الأمريكان) إنك لم تستطعي الاتصال بي لأن خطوط الهاتف مقطوعة، ولن أوقف القتال حتى أنجز الأهداف التي جئنا من أجلها واحتلال كامل هضبة الجولان!...

كانت إسرائيل تعلم أن ميزان القوى، رغم تجمع القوات العربية من مختلف الدول العربية، كان لصالحها لا سيما بالنسبة لسلاح الطيران الذي هو أهم سلاح في مثل هذه الحرب وفي هذا الوقت، فقد كانت تملك أسطولاً كبيراً من أحدث الطائرات الفرنسية والأمريكية والبريطانية بالقياس مع الطائرات السوفياتية التي تملكها الدول العربية. كما كان عدد طائراتها أكثر من ضعف طائرات الدول العربية مجتمعة. وعلمنا، فيما بعد، أن طيارين فرنسيين، من اليهود وغيرهم، جاؤوا بطائراتهم وانضموا إلى السلاح الجوي الإسرائيلي، وهذا ما أثار الجنرال ديغول كثيراً وجعله ينقم على إسرائيل.

لقد كسبت إسرائيل المعركة السياسية والمعركة الإعلامية في فرنسا قبل أن تكسب المعركة العسكرية. كانت سعادة الفرنسيين عامة، بادية على وجوههم، وفي أعلامهم وصحفهم وأغانيهم ومجتمعاتهم، أما العرب، وأصدقائهم في فرنسا، فقد شعروا بمرارة الهزيمة وبالإحباط واليأس.

كان ألمي عميقاً جداً جداً، وزاد في ألمي أن عدداً من الطلاب الحزبيين وغيرهم جاؤوا لاحتلال السفارة وهم يهزجون ويمرحون لأن النصر كان حليفنا؛ وكيف كان ذلك؟...

قالوا إن إسرائيل كانت تريد القضاء على الحزب، وطالما أن الحزب قد بقي، فقد انتصرنا!... ما شاء الله على هذه الحجة وهذا التفكير؟...

وزاد في ألمنا جميعاً عندما رأينا جنودنا البواسل الذين بعثت بهم الحكومة وقد أصيبوا بحروق النابالم (وهو سلاح ممنوع دولياً) وقد تشوهوا، لإدخالهم في المشافي المتخصصة بمعالجة الحروق، وكان منظرهم مؤلماً للغاية، وكنا نزورهم يوماً للاطمئنان عليهم.

وزاد في ألمي أيضاً، عندما طلبت إلي الوزارة أن استقبل وفداً، بعثت به الحكومة إلى دول أمريكا اللاتينية للاتصال بالجاليات العربية وجباية بعض الأموال منها. كان

الوفد مؤلفاً من اثني عشر عضواً برئاسة رئيسة الاتحاد النسائي... وعدد آخر من الحزبيين. جاؤوا في طريقهم إلى أمريكا اللاتينية، ولم ينسوا أن يستفيدوا من وجودهم في باريس لبعض المتعة!... فبأي وجه وأي لسان كانوا سيقابلون الجاليات والمغتربين السوريين ويطلبون منهم المال، وكانت نفقات سفرهم تزيد أضعافاً مضاعفة على ما يمكن أن يجبوه؟...

وملأني ألماً وكدرأ ما علمت أن الرئيس شكري القوتلي، الذي أفنى حياته في سبيل استقلال سورية وعزتها وصيانة ترابها وتحقيق أول وحدة عربية، قد انزوى في عزلته في بيروت لدى سماع أخبار الهزيمة وسقوط أغلى قطعة من أرض الوطن بيد العدو، تلك القلعة التي كانت تحمي دمشق وتحمي سورية، انزوى في غرفته وتوقف عن الأكل والشرب ومخاطبة أهله حتى وافته المنية بعد أيام قليلة، فمات ألماً وحسرة.

منذ بداية الأزمة مع إسرائيل، حولت شقتي الصغيرة إلى ورشة عمل، جمعنا فيها بعض السيدات العربيات اللواتي عملن في خياطة البيجامات والألبسة للجنود السوريين، ولجمع الألبسة والتبرعات والأدوية التي أرسلناها إلى دمشق.

أما السفير، الدكتور جندي، فقد قبع في منزله، وكان يتصل بي هاتفياً كل يوم ليطمئن على الأوضاع والأخبار.

أنزويت كما انزوى بقية السفراء والدبلوماسيين العرب، فاتصل بنا سفير الصين الجديد ودعانا إلى العشاء، وأصر على كل واحد منا للحضور. بعد العشاء، دعانا إلى قبة سفارته الواسع وكان قد حوَّله إلى قاعة للسينما. عرض لنا فيلماً صينياً عن معركة بين صينيين يعيشون في قرية مسالمة وبين المحتلين اليابانيين، ورغم استعدادات الصينيين فقد قضى عليهم الجود اليابانيون، إلا أنهم لم ييأسوا وعادوا، بل عاد منهم من عاد، وبدؤوا يهيئون أنفسهم للمعركة القادمة مستفيدين من الأخطاء التي ارتكبوها في المعركة السابقة فأصلحوها، ولما قاموا بالمعركة الجديدة مع اليابانيين تمكنوا من السيطرة عليهم والإجهاز عليهم.

بعد انتهاء الفيلم، قال لنا السفير الصيني: إن معركتكم مع إسرائيل معركة طويلة الأمد، تخسرون يوماً وتكسبون يوماً. إن إسرائيل هيأت هذه الحرب وهيأت لها جميع وسائل النجاح، ولا بد أنكم ستنتصرون عليها في النهاية. أراد السفير بذلك أن يقوّي معنوياتنا ويذهب عنا اليأس والقنوت.

نتيجة خسارة حرب حزيران ١٩٦٧، قرر الرئيس جمال عبد الناصر التنحي، متحملاً كامل المسؤولية، وأوصى بالرئاسة خلفاً له إلى زميله «زكريا محي الدين»، فرفض زكريا هذا التنحي وأصر على بقاء الرئيس في منصبه ليهيئ المعركة القادمة، وثار الشعب المصري بكامله يطالب الرئيس بالبقاء، كما أن جميع الرؤساء العرب بعثوا إليه ببرقيات التأييد والرجاء بالبقاء بمنصبه، فاستجاب لهم، وعاد عن قراره بالتنحي.

في بغداد، عقد اللواء عبد العزيز العقيلي، وزير الدفاع العراقي الأسبق، اجتماعاً حضره عدد من رجال السياسة، ألقى فيه كلمة مطولة حول أسباب النكبة والدروس التي يجب أن نستوحيها من الهزيمة، ومما قاله:

«... فقد مُرَّغ شرف الأمة العربية وكرامتها في التراب خلال فترة قصيرة وبشكل مذهل لم يكن في الحسبان قط، وسبب ذلك، على ما أعتقد، هو كذب الساسة والقادة المسؤولين وتضليلهم لشعوبهم عبر سنوات طويلة. فقد سمعنا مراراً وتكراراً وطيلة سنوات عديدة عن استعدادات هائلة وجيوش عظيمة وقوات ضخمة وقوات مدرعة جبارة...

كما أن الدول العربية كلها هددت إسرائيل المرة تلو الأخرى بالويل والثبور، وقلنا لليهود انتظروا الجولة الثانية وإننا سنختار الزمان والمكان للمعركة... وقال المسؤولون إنهم اختاروا الزمان والمكان للمعركة، وإنهم حسبوا لكل شيء حسابه، وإنهم سيلقون اليهود في البحر ويستردون فلسطين لأهلها العرب أصحاب الحق فيها.

وفجأة هجمت إسرائيل صباح يوم ٥ حزيران، وإذا بالجيوش العربية تنهاوى بسرعة مذهلة الواحد بعد الآخر وكأنها لم تكن. والواقع أن بعض الجيوش العربية خيبت آمال الأمة العربية خيبة مريعة. تبين الآن بجلاء أن قياداتها عاجزة كلياً وأن كفاءتها واطئة جداً...

إذا أردنا أن نستفيد من دروس هذه المعركة في المستقبل، فيجب أن ننقد أنفسنا ونشخص أخطاءنا بجرأة وبمجرد تام وبمعزل عن العاطفة، أما إذا بقينا نصفق للمنهزمين ونكرّم المندحرين ونتعامى عن الحقائق ونكذب على الجماهير، فإننا نشجع الروح الانهزامية، ونقود أمتنا إلى الهاوية مرة أخرى...»^(١).

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٧، (ص ٤١٦).

تصريح وزير الإعلام السوري

في مؤتمر صحفي عقده وزير الإعلام السوري محمد الزعبي بتاريخ ٢٤/٦/١٩٦٧، أحب أن أعطي دعماً لمواقف الحكومة السورية ولحزب البعث وتبريراً لنتائج الحرب، ومن جملة ما قاله:

«إن ما صرح به أشكول يوم ٥/٩ من أنه سيحتل دمشق من أجل إسقاط حكم البعث فيها، ومن ثم تهديده بإسقاط الحكم في المتحدة، يحمل في طياته معاني عميقة وأساسية بالنسبة لمستقبل الأمة العربية... إنه يشهد بذلك على أن مثل هذه الأنظمة هي الخطر الفعلي على وجود الصهيونية، وبالتالي المصالح الأمبريالية في المنطقة!»...

ثم تكلم عن نائج القتال وعن الخسائر السورية، فقال:

«كانت خسائرنا في الأرواح قليلة نسبياً بسبب الخطة الحكيمة التي عمدت إليها قيادة الجيش في أوامر الانسحاب، وكانت على النحو التالي:

الشهداء: ٢٠ ضابطاً - عسكريون وضباط صف ١٢٥

الجرحي: ٩٨ ضابطاً - ١٥٠٠ عسكريون وضباط صف

المصابون بقنابل النابالم المحرمة دولياً: أكثر من ٣٠٠ بين مدني وعسكري»^(١).

مساعي التسوية

١ - مساعي الماريشال تيتو: في الثامن من أيلول ١٩٦٧، بعث الماريشال تيتو، رئيس يوغوسلافيا، رسالة إلى الجنرال ديغول، مع وزير خارجيته «بوبوفيتش Popovic»، يناشده فيها العمل على إيجاد حل سلمي لمسألة الشرق الأوسط بالتعاون معه ومع رؤساء الدول الكبرى، وتضمن اقتراحه، حسب ما قاله لي الوزير المفوض في السفارة اليوغوسلافية: سحب القوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة مقابل إعطاء ضمانات من الدول الأربعة الكبرى لكيان إسرائيل وحدودها واستقلال وسيادة دول المنطقة.

وكان الماريشال تيتو قد بعث برسائل مماثلة إلى الرئيس الأمريكي جونسون،

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٧، (ص ٤٤٥).

وإلى رئيس الوزراء البريطاني هارولد ويلسون وإلى رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي كوسيجين بواسطة سفرائه في تلك الدول.

وعد الجنرال ديغول أن يبعث برسالة جوابية إلى الماريشال تيتو، وقد تحفظ بالالتزام بأي رأي في البداية، وإن كان قد أبدى تفهماً طيباً للمشروع اليوغسلافي. وألمح ديغول إلى ضرورة إيجاد حل سريع للأزمة الحالية، لأن كل يوم يتأخر فيه الحل تتثبت فيه القوات الإسرائيلية في المناطق التي احتلتها ويصبح وجودها فيها أمراً واقعاً يصعب تغييره.

وقال لي المسيو مارتينوفيتش، الوزير المفوض اليوغوسلافي، إنه لمس نفس الاتجاه في أوساط وزارة الخارجية الفرنسية التي تخشى من ازدياد قوة إسرائيل واختلال التوازن العسكري في المنطقة، كما أن تصريحات المسؤولين الإسرائيليين حول حدود إسرائيل الطبيعية... أصبحت تدعو للقلق. وهذا ما تحقق وللأسف الشديد.

أما عن مهمة الوزير اليوغوسلافي نيكيزيتش Nikezitch في واشنطن، فقد قال محدثي إنها لم تنجح النجاح المطلوب، إذ يبدو أن الرئيس جونسون متعنت ومتمسك بنقاطه الخمس التي أعلنها بعد بدء القتال، والتي تستند إلى وجوب إعطاء الدول العربية ضمانات كافية لإسرائيل عن عدم قيامها في المستقبل بعدوان عليها، ويعتقد الوزير المفوض اليوغوسلافي أن أجوبة كل من الاتحاد السوفياتي وبريطانيا كانت إيجابية ومشجعة، ووعدني بأن يطلعني على جواب الجنرال ديغول متى تم ذلك.

وكان تعليقي على ذلك أن أهم ما في الموضوع حرص الماريشال تيتو على إيجاد حل للقضية قبل أن يُضفي عليها الزمن صفة الأمر الواقع، وقبل أن تظهر الخلافات جلية في الصف العربي، فتستطيع إسرائيل عندئذ فرض الحل الذي تريد.

٢ - مع سفير السويد في باريس: السفير غونار هيغلوف - هو من العائلة المالكة في السويد - كان سفير السويد في لندن وعميداً للسلك السياسي فيها منذ أكثر من عشر سنوات، متزوج من سيدة إيطالية كانت في طباعها على النقيض منه. كان هادئ الطبع، رصيناً، متحفظاً، يزن كلامه ويختار أصدقاءه ويفرض احترامه وتقديره حيثما حل. أما هي، فكانت ثورة وبركاناً هائجاً بكلامها وحركاتها وتصرفاتها. أصبحنا أصدقاء في لندن وقويت صداقتنا في باريس. أصبح أيضاً صديقاً لسفير الأردن في باريس، الصديق وزميل الدراسة في جامعة بيروت الأمريكية السفير عبد الله صلاح.

قدم غونار هيغلوف بزيارة إلى فلسطين وعاد فوضع كتاباً عن مشاهداته بعنوان: «القدس وراء الأسلاك الشائكة» وقد ترجم الكتاب لعدة لغات، التزم فيه جانب الحق العربي مما جعل اليهود ينقمون عليه، إلا أنه لم يأبه لهم. كانت له علاقة وثيقة مع الحكومة البريطانية ومع الحكومة الفرنسية ولا سيما مع الجنرال ديغول. بعد مغادرته لندن، وقبل المجيء إلى باريس، دعوته لزيارة سورية ودعاه السفير عبد الله صلاح لزيارة الأردن، فقام وزوجته بتلبية الزيارتين وكانا مسرورين مما لقياه من عناية وتكريم في البلدين. وكانوا يعتبرونه في الغرب من أصدقاء العرب.

زمرته يوم الخميس ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٨، زيارة مجاملة للترحيب به بعد نقله سفيراً للسويد في باريس، وتناول حديثنا أوضاع الشرق الأوسط عامة وأوضاع اليهود في فرنسا، وقد ذكر لي شعوره بازدياد النعمة في فرنسا على اليهود نتيجة تصلبهم وتشددهم، واستشهد بالقصة التالية:

قال: منذ يومين، ونحن، منذ مجيئنا، ما زلنا نقطن في فندق «بلازا أثينيه Plaza Athéné»، وفي الساعة العاشرة والنصف ليلاً، جاء لزيارتنا، وبدون موعد سابق، «إدموند ده روتشيلد» (أحد أهم اليهود وأغناهم في العالم)^(١)، وما كنت أعرفه سابقاً، ولكنه قال إنه صديق لأحد أصدقائي، وقد سمع عني الكثير من ذلك الصديق، وإنه يأسف لزيارتي في ساعة متأخرة من الليل ودون موعد سابق، إلا أنه كان عائداً من إسرائيل حيث قابل أصدقاءه فيها: بن غوريون وأشكول ودايان وأبا إيبان، وقد كلفوه أن يتصل بي باعتباري صديقاً للزعماء العرب، وأستطيع أن أنقل إليهم وجهة نظر الزعماء الإسرائيليين. قال روتشيلد: إن كل من قابلته في إسرائيل يريد السلام مع العرب، ومستعد للتفاوض معهم بالشكل الذي يريدون على إنهاء حالة الحرب والعيش بسلام وإخاء مع جيرانهم. وأضاف: إنني أستطيع، بما لدي من صداقة مع الزعماء العرب، ورصيدي عندهم أن أقنعهم بحسن نوايا الزعماء الإسرائيليين.

قال سفير السويد: وقد استمر الحديث بيننا حتى الساعة الثانية والنصف صباحاً، وكنت أركز على أن إسرائيل يجب أن تثبت حسن نيتها بسحب قواتها من الأراضي

(١) قول المؤلف وليس قول هيغلوف.

المعروف أن عائلة روتشيلد في إنكلترا هي التي قدمت الأموال للحكومة البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى لتحصل منها على وعد بلفور المشؤوم.

التي احتلتها وبحل مشكلة اللاجئين، لا بأن تستولي على أراضٍ جديدة (وكان السفير قد وزع مذكرة تبرز الحيف والإجرام الناجمين عن اغتصاب الأراضي التي اقتطعتها إسرائيل من القدس القديمة وضمتها إلى القدس المحتلة)، وقد شكرته على هذه المذكرة وعلى ما يبذله من نشاط، هو وزوجته، لصالح اللاجئين العرب (وكانت زوجته تشرف على مدرسة لأولاد اللاجئين في القدس)، فقال: إن هذا المشروع قد سقط بعد سقوط القدس.

وقال: لقد لمست لدى إدموند روتشيلد تخوفه من ازدياد الشعور اللاسامي في فرنسا، وقال إن ابن عمه «غي ده روتشيلد» قال له مرة: إذا استمرت على الحديث عن إسرائيل بهذا الشكل فإنني سأقلب إلى كاره للسامية Antisémite.

ثم تعرض السفير لمهمة زميله غونار يارنغ، فقال: إن يارنغ وإن لم ينجح في مهمته كاملاً، فقد حقق بعض النجاح في الأمور الثانوية، مثل تبادل الأسرى بين الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل وفي تنظيف وإعادة فتح قناة السويس.

وأعرب السفير هيغلوف عن أمله في إيجاد حل للاجئين الذين هم أكثر الناس بؤساً، ولا سيما بعد حصول العواصف الثلجية في المنطقة وتعرض مخيماتهم لأهوال الطبيعة القاسية.

ثم قابلت السفير السويدي غونار هيغلوف مرة أخرى في ٢٦ تموز ١٩٦٨ بعد عودته من الأردن، حيث قضى بعض الوقت هناك، وقد لمس أن الأمور عادت إلى طبيعتها، فالبنائات تنشأ والتجارة تزدهر، ويقوم التعاون والتآخي بين أفراد الجيش الأردني ورجال المقاومة الفلسطينية ومنظمة فتح.

واستعرض الأعمال الجريئة التي يقوم بها فدائيو فتح، وقال إنها الطريقة الوحيدة لتحرير فلسطين، وفي البلاد الإسكندنافية بدأ التحرير ضد القوات النازية على هذا الشكل وبهذه الطريقة.

سألته إذا كان قد لمس من اتصالاته مع السفارة الأمريكية في باريس نشاطاً من هذه الأخيرة لفرض حل معين لقضية فلسطين، فقال إنه لم يلمس ذلك، إلا أنه أضاف أن فرنسا تسعى مع الاتحاد السوفياتي لإيجاد حل سلمي يضمن مصالح العرب بانسحاب القوات الإسرائيلية، وإن المدير العام للشؤون السياسية في وزارة الخارجية الفرنسية «المسيو بومارشيه» قد ذهب إلى موسكو لهذا الغرض.

أحداث أيار ١٩٦٨

الإضرابات في فرنسا «موضة»، وهي «موضة» رائجة لا بد منها، فكل فئة وكل منظمة وكل مهنة لها موعدها بالإضراب لتحصل على كل أو، على الأقل، بعض مطالبها.

فالطلاب يُضربون في الربيع بعد أن يكونوا قد تعبوا من الدراسة، وعمال البريد يضربون في آخر العام - النصف الثاني من كانون الأول - طلباً للزيادة في أجورهم، وآخر العام هو المناسبة التي يكثُر فيها تبادل الرسائل بمناسبة الأعياد، وتصفيات حسابات الشركات والمصارف والمؤسسات، وموظفو الأنفاق (المترو) لهم موعدهم في الإضراب شتاء عندما يشتد البرد ويهطل المطر، وموظفو النقل والمطارات في الصيف، في موسم السياحة وكثرة السفر.. وهكذا، فكل فئة لها موعدها بالإضراب.

إلا أن الإضرابات هذا العام (١٩٦٨) اتسمت بطابع لم يسبق له مثيل، وهددت بثورة عارمة أشبه بثورة ١٧٨٩ بل أشد وأدهى، لولا أن رئيس الدولة كان رجلاً شديد المراس قوي العزيمة صلب الإرادة لا يلين ولا يستكين، هو الجنرال ديغول.

الفرنسيون عاطفيون بطبعهم، يحبون التغيير ولا يطيقون صبراً بمن يحكمهم طويلاً ولو كان أفضل الحكام، وباعتبار أن الجنرال ديغول، رغم كل محاسنه، ورغم أنه أنقذ فرنسا في الحرب العالمية الثانية وأعاد إليها اعتبارها ومكانتها في العالم، إلا أنه مضى على حكمه لها ما يقرب من عشر سنوات، منذ ١٩٥٨، وهذه مدة طويلة لا يتحملها الفرنسي.

بدأت الإضرابات من كلية الطب في نانثير، ولم تلبث أن امتدت إلى باقي الكليات: الحقوق، الهندسة، الآداب، العلوم، ولم يمض وقت طويل حتى شمل جميع الكليات.

بدأت - الإضرابات - بجامعة السوربون، ثم انتقلت إلى الجامعات الأربع في باريس، ومنها انتقلت إلى بقية الجامعات الفرنسية في مختلف المدن الفرنسية، تضامناً مع زملائهم الباريسيين، لحقت بهم بعد قليل اتحادات العمال C.G.T. و C.F.D.T. بملايينها التسعة، وتدرجياً توقفت المعامل ووسائل النقل ومراكز توزيع الوقود ومراكز توزيع البريد وبقية الخدمات، ليس في باريس وحدها وإنما في سائر أنحاء فرنسا، ولم يعد باستطاعة الموظفين الوصول إلى دوائريهم.

وتعاطفت مع الإضرابات الفرنسية أحزاب كثيرة في أوروبا، إذ قامت مظاهرات

في إيطاليا وفي ألمانيا وفي إسبانيا وحتى في الجزائر، وفي بعض الدول الإفريقية مساندة لحركة الإضرابات في فرنسا.

وتدريجياً، انعزلت فرنسا عن العالم، إذ توقفت حركة المطارات والقطارات والموانئ، كما توقفت الاتصالات السلكية واللاسلكية، وتعطلت الهواتف والاتصالات الدولية لكثرة الضغط عليها وعدم وجود من يصونها. وأبشع ما في الموضوع، إضراب عمال النظافة، فتكومت القاذورات في الشوارع وانتشرت الروائح الكريهة، كما انتشرت الجرذان والقوارض والذباب والناموس والحشرات، وتوقفت الحركة في الشوارع لتوقف محطات توزيع الوقود، وانتشرت سرقة البنزين من السيارات، إذ أخذ بعض الناس يأتون في الليل ومعهم نريش فيفتحون غطاء مستودع الوقود في السيارات الواقفة في الشوارع ويمتصون ما فيها من بنزين، فلجأ الناس إلى وضع أقفال على غطاء مستودع البنزين حفاظاً على ما عندهم في سياراتهم من قليل الوقود.

إن أجمل مدينة في العالم أضحت، خلال عشرة أيام، أقذر وأبشع مدينة في العالم، حتى المشافي والصيديات توقفت عن العمل إلا صيدلية واحدة في كل منطقة، المطاعم والمقاهي ودور اللهو كلها أضربت وأغلقت.

وفي باريس، انفصلت منطقة الجامعات في ما يسمّى «الحي اللاتيني» في شارع سان ميشيل وشارع سان جيرمان أو «الضفة الغربية»، أي غرب مجرى نهر السين، عن الضفة الشرقية، وأقام الطلاب والعمال المتاريس في الشوارع ضد قوات الشرطة، ونزعوا أحجار الطرقات والحواجز الحديدية التي تصون الأشجار، وكل ما وصلت إليهم أيديهم وجعلوا منها متاريس تحميهم من الشرطة، واتحدت أحزاب المعارضة مع الأحزاب الشيوعية، والأحزاب الاشتراكية مع الطلاب والعمال مطالبة بإسقاط الحكم الذي يتزعمه الجنرال ديغول. وانقسمت هذه الأحزاب المعارضة إلى عدة أقسام اتخذ كل قسم منها منطقة خاصة به يحتمي فيها ويرفع عليها علمه ويطلق عليها اسمه: فهناك الشيوعيون التروتسكيون وعلمهم الأحمر، وهنالك الاشتراكيون الفرنسيون Parti Socialiste Français ورئيسه غي موليه، والاشتراكيون الودويون Parti Socialiste Unifié وأمينه العام ميشيل روكار (أصبح بعد ثلاثين عاماً رئيساً لوزراء فرنسا بعد أن توحد الحزبان الاشتراكيان)، وعلمهم الفرنسي ذو الألوان الثلاثة، وهنالك العدميون Nihiliste في أقصى اليسار الذين يريدون تدمير كل شيء والقضاء على كل شيء، واتخذوا مقراً لهم في بناء مسرح الأوديون Odéon في شارع سان جيرمان، واتخذوا لنفسهم العلم الأسود.

لم يعد باستطاعة الشرطة الفرنسية اجتياز هذه الحواجز، وأصبح الوضع خطراً ليس على الحكم فحسب وإنما على كيان فرنسا ككل.

جازفت بالنزول إليهم بسيارة السفارة وعليها العلم، فلما عرفوا من أنا سمحوا لي بالدخول والوصول إلى جامعة السوربون، نظراً لأنني أمثل دولة اشتراكية مثلهم صديقة لهم. ما شاهدته من قذارة ومن تسبب ومن انهيار أخلاقي وجنسي بين الطلاب والطالبات لا يوصف، فجدران الجامعة الجميلة، إحدى أقدم وأرقى وأجمل جامعات العالم، أصبحت مأوى للجنس والنفائات، حيث انتشرت الأمراض الزهرية ونقص المناعة، ولم يكن معروفاً من قبل. سألت رئيس الحركة، ماذا تبغون من هذه الحركة، وما هو برنامجكم للعمل في المستقبل. قال نريد تدمير هذا الحكم الفاسد الرجعي الإقطاعي، ولم نضع برنامجاً للمستقبل، فالثورة كالنار تقضي على الفساد أو كالشمس ستسطع في المستقبل. وعدت غير مطمئن على المستقبل. سألني، لماذا لم تقم مظاهرات في سورية دعماً لنا؟. قلت إن ما تطالبون به الآن قد حققناه منذ زمن: تطالبون أن يشارك الطلاب مع الأساتذة بوضع أسئلة الامتحانات، وهذا ما تحقق لدينا. تطالبون بأن يكون لكم اتحادات تشارك في الإشراف على الامتحانات، وهذا أيضاً حققناه. بل إننا حققنا أكثر من ذلك. فُسِّرَ.

قررت أحزاب المعارضة والأحزاب الاشتراكية، تدعمها اتحادات العمال، القيام بمظاهرة عارمة تبدأ من ساحة الباستيل وتنتهي بساحة الجمهورية، فتمكنت من حشد مليون متظاهر، لهذه المظاهرة.

فقررت أحزاب الحكومة أن تدعو إلى مظاهرة مقابل تلك، جمعت لها أيضاً أكثر من مليون شخص سارت من ساحة الكونكورد إلى ساحة النجمة حيث قوس النصر، فملأت الساحات وشارع الشانزليزيه واهتفت للجنرال ديغول.

كنت أذهب يومياً إلى السفارة مشياً، نظراً لأنني كنت أقطن على مقربة منها، ولم يكن باستطاعة غيري من الموظفين الوصول إلى السفارة لعدم وجود وسيلة نقل توصلهم إليها، على كل لم تكن هنالك إمكانية الاتصال بدمشق أو بأي مكان آخر، نظراً لتعطل الهاتف في فرنسا.

كانت زوجتي قد تسجلت في جامعة دمشق - قسم التاريخ - وكان عليها أن تسافر إلى دمشق لتقدم امتحان السنة النهائية، وقد انزعجت كثيراً لعدم استطاعتها السفر، فنصحننا أحد أصدقائنا أن نذهب بسيارتنا إلى لندن، ومن هناك تستطيع السفر إلى

دمشق. قلت إن ما يوجد بسيارتي من الوقود لا يوصلني إلى الهافر Le Havre. قال لا بد أن تجد على الطريق مخفراً للشرطة يعطيك بعض البنزين فتكمل طريقك. كان إقدامي على ذلك مجازفة ما بعدها مجازفة، فتوكلت على الله وأخذت زوجتي وابنتي الصغيرتين واتجهنا شمالاً. توقفنا عند أول مخفر للشرطة فكان مغلقاً، واتجهنا بعده إلى ثاني مخفر للشرطة كان مغلقاً أيضاً، وتابعت السير شمالاً وأنا أخشى من التوقف في كل لحظة ولا يوجد على الطريق سواي. نظرت من بعيد فرأيت، على الطرف الآخر من الطريق الدولية - أوتوستراد - حاملة وقود - سترن - تفرغ حمولتها في خزانات الوقود في إحدى محطات البنزين، فاجتزت الشارع بالعرض وقفزت بالسيارة فوق الحاجز الأوسط، وشعرت بالفرج عندما ملأت خزان الوقود بسيارتي، وتابعت المسير حتى وصلنا إلى مرفأ الهافر على المانش، ثم استقلينا العبارة البريطانية Ferry Boat ووصلنا إلى الساحل البريطاني في دوفر Dover ومنها إلى لندن. حللنا في أحد الفنادق، وسافرت زوجتي في اليوم التالي إلى دمشق وعدت وابنتي إلى باريس بعد أن اشتريت صفيحتين ملأتهما من محطة الوقود بالبنزين، وهكذا ارتاحت أعصابي وشعرت أنني أغنى رجل في فرنسا، إذ إن كثيراً من الزملاء السفراء كانوا يرجونني أن أعطيهم خمس ليرات من البنزين ليصلوا إلى سفاراتهم.

ذهبت في أحد الأيام لأوصل ابنتي (٨ سنوات) إلى صديقها لتلعباً معاً، نظراً لأن مدرستها قد تعطلت الدراسة فيها. قالت لي والدتها: «إن شقيق زوجي ضابط في الجيش اتصل بي البارحة من قرب باريس، وأنا أعرف أنه مع قطعه في الجنوب، فاستغربت ذلك». قلت: «يبدو أن الجنرال ديغول قد استدعى الجيش ليضرب المتظاهرين ويفك الإضراب». قالت: «قد يكون ذلك».

في مساء ذلك اليوم، أعلن أن الجنرال سيلقي خطاباً هاماً على الراديو (وكان يفضل الراديو على التلفزيون ليخفي انفعاله)، وكان قد مضى على الإضرابات ما يقرب من عشرين يوماً. ألقى خطاباً كله تهديد ووعد، ثم قال إنه أمر بحل «الجمعية الوطنية» أي البرلمان، ودعا إلى انتخابات جديدة ينتخب الشعب فيها مثليه.

كان رئيس الوزراء، جورج بومبيدو، في زيارة إلى رومانيا، فعاد إلى باريس وتصدى في البرلمان للمعارضة بشكل قوي ومقنع وممتاز وبرز كزعيم منتظر لفرنسا.

وكان الجنرال ديغول قد بعث ابنه اللواء فيليب ليتصل أيضاً بالقوات الفرنسية في منطقة الإلزاس واللورين، في شرق فرنسا ليهيئها لحصار باريس أن اقتضى الأمر، إلا

أن حل البرلمان والدعوة لانتخابات جديدة جعلت أحزاب اليسار والمعارضة تلتفت لضم شملها للدخول في معركة الانتخابات، وهدأت الأوضاع تدريجياً ولم يحتج ديغول إلى استخدام الجيش في فض الإضراب، إلا أن المناطق التي كانت محجوزة بالمتاريس بقيت محصورة وراءها.

جرت الانتخابات في جو مشحون ومضطرب، وكان معظم الناس قد استأثروا من الإضرابات الطويلة التي حرمتهم الراحة والأكل والعمل، كما أن العمال لم يعد لديهم ما ينفقون، فصبوا أصواتهم إلى جانب الحكومة، وفاز الحزب الديغولي بالأكثرية المطلقة للأصوات. عندئذٍ تمكنت الشرطة من التغلب على المضربين في الجامعات ففكت الإضرابات الواحد تلو الآخر، وكانت آخر المعازل التي سقطت مسرح الأوديون حيث جماعة العدميين Nihiliste الذين تركوا المسرح والبناء والمفروشات بحالة يرثى لها.

شعر الجنرال بانتصاره، فعزل رؤساء اللجان البرلمانية وعين محلهم نواباً ديغوليين، وبقي «جيسكار ديستنج» رئيساً للجنة الموازنة التي استمر مدة طويلة برئاستها، وهو خريج كلية ENA، أي المدرسة الوطنية للإدارة Ecole Nationale d'Administration، وهي أشهر كليات فرنسا بالمالية والإدارة العامة، كما أنه زعيم حزب صغير يملك من الأصوات واحد ونصف بالمائة من مجموع أصوات الناخبين.

كنت عائداً إلى المنزل بالسيارة وأسمع الأخبار من مذياع السيارة، عندما أعلن المذيع أن الجنرال عزل جيسكار ديستنج من رئاسة لجنة الموازنة وعيّن أحد النواب الديغوليين محله، فقلت لمن كان معي في السيارة: «هذا خطأ كبير»، إلا أن الجنرال كان ناقماً على الجميع، ويريد فرض سلطته وهيمنته على الجميع. ولاحظ، أثناء الإضرابات، موقف الإذاعة والتلفزيون غير الودي تجاهه، وكان وراء ذلك بعض اليهود المتعاطفين مع «الثوار» أمثال «إدوار سابلييه» (يهودي من أصل عراقي أصبح مدير البرامج في الإذاعة)، فأمر بتسريحه، كما أن «كوهين بانديت» اليهودي الألماني كان من أنشط المحرضين على الإضرابات وقد أحاطته وسائل الإعلام بهالة كبيرة وكأنه أحد زعماء الحركة الطلابية، فأمر بعدم دخوله إلى فرنسا، ومع ذلك تمكن من الدخول والارتباط بالطلاب متحدياً السلطة والأوامر. كان موقف الصهيونية الفرنسية المعادي لديغول مرده إلى أن ديغول لم يدعم إسرائيل في عدوانها على الدول العربية في العام الماضي، فنقمت عليه وحركت عليه بعض المتظاهرين مما جعله يتصلب بموقفه تجاههم.

وخلال سنة من شهر أيار المضطرب، سارت الأمور كما يحب ويرضى الرئيس الجنرال الذي لا يسمح أن يناقشه أحد، أو يخالفه، بل على الجميع أن يقولوا له: نعم، سيدي الجنرال، Oui, mon Général.

وفي ٢١/٧/١٩٦٨ حضر لمقابلتي، بناء على طلبي، سكرتير اللجنة السياسية للحزب الشيوعي الفرنسي، المسيو مينيو Migniot، وتحدثنا عن موقف الحزب الشيوعي من هذه الأحداث، ألخصه في النقاط التالية:

- قال: «لقد برز الحزب الشيوعي الفرنسي، خلال أحداث أيار الماضي، على أنه المدافع الحقيقي عن أهداف العمال وحقوقهم، إذ حقق لهم من خلال اتحاد نقابات العمال CGT والإضرابات الشاملة التي دعا إليها، والتي شملت تسعة ملايين عامل والمفاوضات التي أجراها الاتحاد مع وزير العمل، زيادة في الأجور تتراوح بين ١٢ و ٣٥ بالمئة، وفي بعض الحالات وصلت هذه الزيادة إلى ١٢٥٪، بالنسبة للحد الأدنى من الأجور الصناعية، كما حقق لهم حرية نقابية مضي على العمال عشر سنوات وهم يطالبون بالحصول عليها».

» - إن إضرابات الحي اللاتيني والمتاريس التي أقامها الطلاب وبعض الفئات من متطرفي اليسار كانت هزيلة وتافهة، وغير منظمة استغلتها الحكومة لتثير الذعر في نفوس الفرنسيين وتجعلهم يعتقدون أنهم على أبواب حرب أهلية. ولو أراد الحزب الشيوعي والعمال أن يقيموا المتاريس لاختلف الأمر كثيراً، ولما انتهى إلى ما انتهى إليه، ولكن هدفنا كان الحصول على مكاسب حقيقية للطبقة العاملة، وقد حققنا ذلك».

» - أراد ديغول أن يبطش منذ البداية بالعمال والمتظاهرين، وكان ردنا المظاهرة الضخمة التي جمعت مليون عامل من ساحة الباستيل إلى ساحة الجمهورية يوم ٢٦ أيار، وكنا نعلم أن أي خطأ أو شطط منا سيثير تدخل الجيش الذي كان يحاصر المدينة، ولكننا فوتنا على ديغول هذه اللعبة، وكانت مظاهرتنا تعبيراً منظماً لمطالبنا وتحدياً قوياً لسلطة ديغول».

» - إن الزعماء الاشتراكيين، أمثال ميتران ومنديس فرانس وأقل منهم بقليل غي موليه، وغير الاشتراكيين، أمثال لوكا نويه، كانت تلعب بهم الرساميل الأمريكية والصهيونية والفرنسية، وكانوا يلعبون لعبتها، وقد اتفقت في ذلك عناصر اليمين وعناصر اليسار المتطرفة غير الواعية».

« - هنالك خطأ شاع في البلاد العربية ولا سيما الرجعية منها - وقد حصلت على بعض صحف المغرب التي تقول إن الصهيونية العالمية هي التي أثارت هذه المظاهرات - وأود أن أصحح هذا الاعتقاد بأن الصهيونية وإن سعت لاستغلال هذه الأحداث، لم تكن هي المحرك الرئيسي لها بل هي تسعى لاستغلال الظروف كما هو شأنها دائماً».

« - إن الرأسمال اليهودي في فرنسا إلى جانب الحكومة، إذ لا يعقل أن يقف روتشيلد ودريفوس وداشو وأمثالهم إلى صف العمال، وإذا وجد من اليهود من يقف إلى جانب الطلاب أو في صفوف الفوضويين فذلك أمر طبيعي، ولا يوجد سوى الحزب الشيوعي، نقي من هذه العناصر المستغلة!...»

سألته إن كان يعتقد أن هنالك علاقة بين حوادث بولونيا، التي ظهرت فيها عناصر فعالة يهودية وصهيونية، وحوادث الطلاب في بدايتها في فرنسا، إذ من الملاحظ أن الدول التي وقفت موقفاً معتدلاً من إسرائيل أثناء عدوان ٥ حزيران الماضي هي التي كانت أكثر من غيرها عرضة لهذه الإضرابات والفوضى.

- فقال: «إن حوادث الطلاب قد انتشرت في سائر بلاد العالم، ولا يعتقد أن هنالك تنظيماً واحداً أثارها في سائر البلاد، كما أن اليهود في بولونيا، الذين يبلغ عددهم الآن بين ٣٠ و ٣٥ ألف يهودي، كانوا عرضة للاضطهاد في النظام السابق وفي زمن الاحتلال الألماني، وقد تمكنوا الآن من احتلال بعض المراكز القيادية في الإدارات العامة وليس في قيادات الحزب، وقد يكون هذا الذي أثار الحقد عليهم».

« - أما بالنسبة للمستقبل، فقال إن الجنرال ديغول قد نجح في خطته بحل مجلس النواب وإجراء انتخابات جديدة في ظل الخوف والذعر، فحقق بذلك نصراً كبيراً وأكثرية ساحقة في المجلس، ولا شك أن ذلك يعود لا إلى الجنرال ديغول وحده بل إلى مستشاريه الأذكياء ولا سيما «بومبيدو» الذي ظهر كرجل دولة في الواقع... يهيئه الجنرال ديغول لخلافته في المستقبل».

- سألته عن رأيه فيما يشاع عن خلاف بين ديغول وبومبيدو أدى إلى إقصاء هذا الأخير عن رئاسة الوزارة، فقال «إنه لا يعتقد أن هنالك خلافاً جوهرياً، بل إن ديغول أراد أن يحفظ بومبيدو، وهو في أوج نصره في الانتخابات، ليحافظ له على الهالة التي أحاطت به خشية أن تفسدها المصاعب الاقتصادية التي ستعرض لها الحكومة الحالية في المستقبل».

«هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن الجنرال لا يحب أن يلمع حوله أشخاص
أكفيا يمكن أن يؤثروا على لمعانه هو، بل يريد أن يثبت دوماً أنه هو الرئيس الوحيد
الحاكم بأمره لا يزاحمه في ذلك منازع، يهب المكانة لمن يشاء ويحجبها عمن
يشاء!...»

ربيع براغ

في ربيع هذا العام، ١٩٦٨، جرت في تشيكوسلوفاكيا انتخابات جديدة للحزب الشيوعي فاز فيها الاتجاه التحرري المعتدل بزعامة «دوبتشيك»، الذي ترأس أول وزارة في العهد الجديد.

بدأت الوزارة بوضع برنامجها السياسي الذي يعطيها بعض الاستقلال عن موسكو وبعض الصلاحيات التحررية لسلوك نهج جديد في الداخل والخارج، فما كان من موسكو، إلا أن بعثت بقواتها - قوات حلف وارسو - في ٢٠/آب/١٩٦٨ لاحتلال براغ واعتقال دوبتشيك وأعوانه وأخذهم إلى موسكو.

وقد أعلمت الحكومة السوفياتية الحكومة الفرنسية رسمياً بعزمها على احتلال تشيكوسلوفاكيا، عندما قام «فالوريان زورين»، سفير الاتحاد السوفياتي في باريس، بزيارة القصر الجمهوري في الساعة الواحدة إلا ربعاً بعد منتصف ليل الأربعاء، وقابل الأمين العام للرئاسة «المسيو تريكو» الذي نقل الخبر مباشرة إلى رئيس الوزراء المسيو «كوف ده مورفيل»، الذي كان يصطاف في شامونيكس، وإلى الجنرال ديغول، الذي كان يرتاح في مقره الخاص في «كولومبيه ليه دوزغليس Colombey Les Deux Eglises»، فعاد إلى باريس وعقد اجتماعاً لمجلس الوزراء، وصدر بعد الاجتماع البيان الرسمي التالي:

«إن التدخل العسكري، الذي قام به الاتحاد السوفياتي في تشيكوسلوفاكيا، يدل على أن حكومة موسكو لم تتخلص بعد من سياسة الأحلاف، تلك السياسة التي فرضتها على أوروبا رواسب اتفاقيات يالطا والتي لا تتناسب وحق الشعوب بتقرير مصيرها، والتي لا تستطيع إلا أن تقود العالم إلى التأزم الدولي.

إن فرنسا، التي لم تشارك بهذه الاتفاقيات والتي لا تنتهج هذه السياسة، تلاحظ وتستنكر أحداث براغ التي تشكل افتئاتاً على حقوق ومصير شعب صديق، كما أن طبيعتها تضر بالتفاهم الأوروبي بالشكل الذي تنتهجه هي (أي

فرنسا)، وتسعى لكي تحمل بقية الدول على السير به والذي يمكن أن يؤمن وحدة السلام».

وتابع الرأي العام الفرنسي ووسائل الإعلام، طيلة هذه الأيام، باهتمام بالغ فاق اهتمامه بإضرابات أيار الماضي أو أحداث حزيران (العدوان الإسرائيلي على الدول العربية)، أحداث تشيكوسلوفاكيا دقيقة بدقيقة، وكانت الإذاعة الفرنسية تقطع نشراتها المعتادة لتنقل تعليقات وأخبار مراسليها في موسكو وواشنطن ونيويورك ولندن وبون وروما وفيينا، بالإضافة إلى بلغراد وبوخارست وغيرها من العواصم الأوروبية والعالمية.

وكما أعربت الحكومة عن استنكارها لاحتلال قوات وارسو تشيكوسلوفاكيا، أعربت بقية الأحزاب، بما فيها الحزب الشيوعي الفرنسي، عن إدانتها لهذا الاحتلال. وقد أصدر الحزب الشيوعي، الذي كانوا يعتبرونه مرتبطاً بموسكو، بياناً شديداً أيد فيه حق تشيكوسلوفاكيا بانتهاج سياسة اشتراكية حرة مستقلة، واستنكر فيه التدخل السوفياتي:

«... إن المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي، الذي كان أبدى ارتياحه الشديد لمباحثات سيرنا وبراتيسلافا ولنتائجهما الإيجابية، يعبر الآن عن دهشته واستنكاره للتدخل العسكري في تشيكوسلوفاكيا.

... وفي الفترة الأخيرة، أوضحت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي أنها تعتبر أن المشاكل، التي تقوم بين الأحزاب الشيوعية، يجب أن تتم دراستها وحلها عن طريق المباحثات الأخوية الثنائية أو متعددة الأطراف، وذلك في إطار احترام سيادة كل بلد وحرية تقرير المصير لكل حزب من الأحزاب وفي روح الأممية العمالية...».

وينتهي المكتب السياسي بيانه:

«... إن الحزب الشيوعي الفرنسي لم يأل جهداً في إظهار معارضته الشديدة لكل تدخل عسكري يأتي من الخارج، سواء في قرارات مكتبه السياسي أو لجنته المركزية أو حيال الحزب الشيوعي السوفياتي أو الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي...».

وقد جاء هذا الموقف غريباً بالنسبة لتاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي، وكان نتيجة منحى استقلالي جديد بدأ يتخذه الحزب منذ أربع سنوات، وكان المسيو «فالديك روشيه»، الأمين العام للحزب، قد نصح زعماء الكرمليين لدى زيارته

لموسكو في الشهر الماضي بعدم اللجوء إلى استعمال القوة، كما سعى لبذل مساعيه الحميدة بين موسكو وبراغ، وقد أعطى هذا المنحى الجديد للحزب الشيوعي هوية فرنسية، وسهّل تعاونه مع باقي الأحزاب اليسارية الفرنسية قصد إقامة جبهة يسارية متحدة في المستقبل.

أما الحزب الاشتراكي الموحد، فقد جاء بيانه أشد وأعنف، إذ قال:

«... إن العدوان العسكري الروسي ضد تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية يقع في وقت كنا نعتقد فيه أن الأزمة قد حلت جزئياً. إن هذا العنف الذي صاحبه التآمر من قبل حكومة موسكو يذكّرنا بموقف حكومة برلين أثناء أزمة مونيخ قبل ثلاثين عاماً.

وعندما يقاتل الشعب التشيكي بغية تثبيت حقه في أن يقرر، بحرية تامة، منهجه المستقبلي وطريقته الخاصة نحو الاشتراكية، فيجب أن يعلم أنه يستطيع أن يعتمد على مؤازرة سائر الاشتراكيين، وكل سكوت في مثل هذه الحالات لا يمكن إلا أن يزيد في التآمر بالنسبة للمعتدي».

وأصدرت سائر الأحزاب والكتل والنقابات بيانات مماثلة دانت فيها (العدوان السوفيياتي، وطالبت بانسحاب القوات التابعة لحلف وارسو من تشيكوسلوفاكيا، كما قامت مظاهرات متفرقة في أماكن متعددة من باريس ونيس ومرسيليا ضد (العدوان السوفيياتي) على تشيكوسلوفاكيا الحرة، واتخذت الحكومة الفرنسية احتياطات خاصة لحماية السفارة السوفياتية في باريس.

كان الشعور العام في باريس يتّصف بالامتعاض والأسى، والخوف من العودة إلى الحرب الباردة واقتسام مناطق النفوذ، والجميع يعلم هنا أن الولايات المتحدة وحلف الأطلسي التابع لها لن يتخذا أي إجراء، اللهم إلا إلقاء بعض الخطب الرنانة في مجلس الأمن والأمم المتحدة إذا ما عرض الأمر عليها، وسيتوه هذا «العدوان» بين مشاريع التوصيات والمشاريع المعدلة والتوصيات المقابلة وأخيراً «الفيديو» السوفيياتي إن وصل الأمر إلى التصويت.

وتعتبر الأوساط المطلعة في فرنسا أن هنالك اتفاقاً ضمناً بين الاتحاد السوفيياتي والولايات المتحدة الأمريكية على عدم التدخل في مناطق نفوذ كل منهما، وكما أن الاتحاد السوفيياتي سحب صواريخه من كوبا وسكت على نزول القوات الأمريكية في «سان دومينغ»، فإن الولايات المتحدة ستسكت على دخول الدبابات السوفيياتية إلى براغ، ولن تحرك ساكناً في منطقة النفوذ السوفيادية.

إلا أنها تخشى أن تثير الولايات المتحدة النزاع في مناطق أخرى من العالم بغية تسجيل إصابة على هدف الاتحاد السوفياتي مقابل هذه الإصابة على هدفها، ولن يكون الشرق الأوسط بعيداً عن هذا النزاع، ذلك أن إمكانية التفجير فيه قائمة بشكل مستمر.

لقد أصابت الأزمة التشيكية السياسة الديغولية بخيبة أمل مريرة، ذلك أن الجنرال ديغول، الذي بنى سياسته الخارجية على إزالة الكتل والأحلاف وإقامة تقارب واقعي بين الشرق والغرب وبناء أوروبا الأوروبية من الأورال إلى الأطلسي، قد خاب أمله في الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية، ووجد أن كل ما بناه حتى الآن انهار في يوم واحد، شأنه في ذلك شأن سياسته الداخلية التي كادت تلقى نفس المصير على أيدي الطلاب في شهر أيار الماضي.

التعديلات الدستورية التي أراد الجنرال ديغول إدخالها والاستفتاء عليها

بعد أن نجح الجنرال ديغول (بكسر) الإضرابات في أيار ١٩٦٨، وحصل في الانتخابات البرلمانية، التي أجراها عقب ذلك، على الأكثرية المطلقة في مجلس النواب (الجمعية الوطنية)، اعتقد أن باستطاعته أن يفرض أي تعديل دستوري يريته، طالما أنه يطرح ما يريد تعديله على الاستفتاء العام الذي يضمن نتيجته مسبقاً، لأن الشعب الفرنسي يقدّره ويقدره ولا يعصي له أمراً، فطرح أموراً ثلاثة دفعة واحدة يطلب رأي الشعب فيها:

التعديل الأول: كان يرمي إلى إقصاء رئيس مجلس الشيوخ عن رئاسة الجمهورية، إذ إن الدستور كان يقضي أنه في حال شغور منصب رئيس الجمهورية فإن رئيس مجلس الشيوخ يتولّى الرئاسة بالنيابة حتى انتخاب رئيس جديد. وأثناء الإضرابات العامة في أيار الماضي هيأ المسيو «آلان بوهير» نفسه للخلافة، مما أثار حفيظة الجنرال، فتقدّم بالتعديل الأول للدستور بزيادة عدد أعضاء مجلس الشيوخ من ٢٩٣ عضواً إلى ٣٣٢ عضواً يمثلون المناطق الفرنسية ومناطق ما وراء البحار، والفعاليات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والجاليات الفرنسية في العالم، ثم تجريد رئيس المجلس من صلاحية الإنابة عن رئيس الجمهورية في حال غيابه، وإعطاء هذا الحق لرئيس الحكومة.

التعديل الثاني: جعل الحكومة مسؤولة أمام مجلس النواب والشيوخ بعد

أن كانت مسؤولة تجاه الأول فقط، وحل المجلس الاقتصادي والاجتماعي الذي يعتبر هيئة استشارية للحكومة ودمجه فعلياً بالمجلس الجديد.

التعديل الثالث: يتعلق بإعادة تنظيم المناطق الفرنسية ودمج المحافظات الـ ٩٦ في ٢١ منطقة مع ما يستتبعه هذا الدمج من تخفيف المركزية الإدارية ومنح صلاحيات جديدة للمنطقة، وهو ما أسماه Régionalisation.

ومع أن الأحزاب السياسية كانت تنادي بهذه الإصلاحات، إلا أنها وقفت الآن، وقد طرحها الجنرال ديغول، موقف المعارض نظراً لتركز الاستفتاء حول شخصه بالذات.

وقد حميت المعركة بين الحكومة والمعارضة، وانقلبت إلى معركة سياسية تقف فيها الحكومة وحزبها «الاتحاد الديمقراطي الجمهوري» وحيدة تجاه معارضة موحدة، جمع في صفوفها أقصى اليمين وأقصى اليسار، بالإضافة إلى الوسط وإلى المعتدلين، حتى إن «حزب الجمهوريين المستقلين، الذي يرأسه جيسكار ديستغ، والذي يشترك في الحكومة بأربعة وزراء، قرر رئيسه ونصف أعضائه التصويت ضد هذا المشروع.

والذي أعطى هذه المعركة خطورتها وأبعادها هو ربط بقاء ديغول في الحكم بنتيجة هذا التصويت، إذ أعلن صراحة، في حديث تلفزيوني، أنه إذا كانت نتيجة التصويت سلبية فإنه، أي ديغول، سترك كرسي الرئاسة، فقرن بذلك مصيره بمصير التصويت مما جعل خصومه يقولون إن الجنرال حوّل، بذلك، التصويت العام إلى استفتاء على شخصه.

أراد الجنرال بذلك أن يجر المعارضة إلى معركة على أرض كان يعتقد أنه يحسن القتال فيها، وأن الشعب سيؤيده في إصلاحاته، إلا أن وقوف مجلس الدولة، وهو أعلى سلطة قضائية في فرنسا، ضد هذه الإصلاحات قد أضعف كثيراً من قيمتها.

ولأول مرة يعطي «معهد الإيفوب» للإحصاء نتيجة سلبية لاستقراؤه آراء الناس في التصويت مع الإصلاحات أو ضدها، إذ كانت النتيجة ٥٣% ضد الإصلاحات و٤٧% معها، مع استنكاف ثلث السكان.

وجرى الاستفتاء وكانت نتيجته كما توقع معهد الإيفوب، وجاءت كالتالي:

| | | |
|----------------------------|----------|--------|
| عدد المسجلين | ٢٨٦٥٦٤٩٤ | |
| عدد المستنكفين | ٥٥٦٥٤٧٥ | |
| عدد المصوتين | ٢٣١٩١٠١٩ | |
| الأوراق الملغاة أو البيضاء | ٦٣٢١٣١ | ٢,٢٠% |
| عدد الأصوات المعتبرة | ٢٢٤٥٨٨٨٨ | |
| الذين صوتوا / نعم/ | ١٠٥١٠٦٥٥ | ٤٦,٨٢% |
| الذين صوتوا / لا/ | ١١٩٤٣٢٣٣ | ٥٣,١٧% |

هذه الأرقام هي التي ظهرت في آخر عملية فرز، وجاءت مؤيدة للاستفتاء الذي توصلت إليه وكالتا «إيفوب» و«سوفريس».

وقبل إعلان هذه النتائج، كان الجنرال ديغول قد حزم حقائبه وجمع أوراقه وتوجه إلى قريته في «كولومبيه ليه دوزغليز»، وبعث باستقالته بكلمات جد مقتضبة تنم عن انزعاجه وألمه وغضبه وخيبة أمله من هذا الشعب الذي أنقذه من الاحتلال الألماني ورفع شأنه بين الأمم، وأعاد له مكانته السامية بين الدول العظمى، وأحله في المكانة الأولى في أوروبا، أهكذا يكافئه عندما أراد أن يصلح له شأنه ونظامه الإداري والدستوري والمالي؟ لا شك أن الشعوب تكون عادة ناكرة للجميل وغير مقدرة لزعمائها البررة، كان عليه أن يتعظ من أمثلة كثيرة في التاريخ خذلت فيها الشعوب زعماءها الذين أحسنوا إليها، وليس مثل الرئيس شكري القوتلي ببعيد عندما قام حسني الزعيم بانقلابه عليه.

تضمنت استقالته كلمات قليلة، جاءت معبرة عن ألمه، أعلنها في الساعة ١١،٠٠، أي بعض منتصف ليل الإثنين بإحدى عشرة دقيقة:

«إنني أتوقف عن ممارسة صلاحياتي كرئيس للجمهورية، وهذا القرار يبدأ مفعوله ظهر هذا اليوم».

وبعد إذاعة هذا البيان، وجه كتاب شكر وتقدير لرئيس وزرائه كوف ده مورفيل، واعتكف في منزله ولم يستقبل أحداً.

هكذا انطوت صفحة مشرقة من تاريخ فرنسا الحديث، ملأها الجنرال ديغول بالفخر والمجد والازدهار والاستقرار، لتفتح صفحة جديدة لا يستطيع أحد التكهّن

بما تخبئه من أحداث، وسيكتب المؤرخون كتباً كثيرة عن هذه الشخصية الفذة التي أعادت إلى فرنسا هيبتها ومكانتها في العالم الحر والعالم الثالث. وإذا كان لديغول أن يفخر بشيء، وله أن يفخر بالكثير من المنجزات، فهو أنه أنهى عهد الاستعمار الفرنسي في أفريقيا، فأعطى الدول المستعمرة استقلالها، وأقام معها صلات وثيقة من الصداقة والتعاون المثمر، كما أضفى على فرنسا عهداً من الاستقرار الطويل المنتج الزاهر.

والسؤال الذي حيرَ المقرئين من الجنرال: لماذا اختار ديغول هذه النهاية المفاجئة وبهذه الطريقة المفجعة؟ ولا أحد في العالم كان يعلم، قبل أسبوعين، أن هنالك استفتاء سيجري في فرنسا، استفتاء اختاره ديغول بنفسه وعلى مواضيع معقدة كان من الممكن حلها وتنفيذها بالطرق المشروعة القانونية، وبواسطة الجمعية الوطنية (مجلس النواب) الذي يملك فيه ديغول أكثرية مطلقة مطواعة؟.

هنالك من يدعي أن ديغول أحب أن ينهي حياته السياسية فاختر هذه الطريقة المسرحية، ويستندون في ادعائهم هذا إلى أن ديغول كان، قبل ذهابه يوم الجمعة إلى قريته (كولومبية)، قد أخذ معه أكثر أمتعته الشخصية، كما أن بعض المقربين منه أفادوا أنه أعلمهم عن عدم رغبته العودة إلى قصر الإليزيه!...

إن معرفتنا بشخصية ديغول وعقليته تسمح لنا أن نجد في هذا القول بساطة وسذاجة، لأن الجنرال ديغول كان أكد أكثر من مرة، وبشكل جازم ورسمي ولأكثر من جهة، أنه سيبقى حتى آخر فترة من رئاسته، أي حتى آخر عام ١٩٧١، والمعروف عن الجنرال أنه لا يتراجع أمام الصعاب بل يزداد شدة كلما اشتدت الصعاب في وجهه. إذن، لماذا اختار هذه الطريقة بالانتحار؟ إذ إن ما أقدم عليه كان مجازفة خطيرة وانتحاراً سياسياً؟!

طبعاً، لم يكن الجنرال ينتظر هذه النتيجة، إذ كان من المفروض، بعد الانتصار الساحق الذي أحرزه حزبه في الانتخابات السابقة، أن يجدد له الشعب هذه الثقة، لا سيما وأنه لم يمض على الانتخابات السابقة عام واحد بعد.

كان الجنرال يخشى أن يجره الطلاب والعمال، هذا العام أيضاً، إلى معركة في هذا الشهر لم يكن متهيئاً لها، فأراد أن يستجرهم إلى معركة هيأها بنفسه وفي أرض تعود القتال عليها، أرض الاستفتاء.

إلا أن الجنرال جمع ضده كل أعدائه، وكتّل الجبهات في معركة واحدة، فاشترك

ضده كل من لا يؤمن بنظام المناطق الجديدة، وكل من يستفيد من وجود مجلس الشيوخ، وكل من يؤمن بالقانون وبهيبة القضاء ومجلس الدولة، وكل من يأبى الحكم العسكري والنظام الفردي، وكل من لا يطبق الديمومة والاستمرار ويحب التغيير والتنوع، وكل حاقف وناقم أو متضرر من ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة وزيادة الضرائب والرسوم، وكل هؤلاء، وإلى جانبهم أحزاب المعارضة كلها، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار مارة بأحزاب الوسط والمعتدلين وحتى بعض الأنصار والصهيونية العالمية وأنصارها وعملائها الكثيرين في فرنسا، وجماعة الحلف الأطلسي وجماعة الكيان الأوروبي.

كل هؤلاء اتفقوا على التصويت بـ(لا) على المشاريع المجمعة التي قدمها الجنرال ديغول والتي طلب لها كلها جواباً واحداً، ثم أضاف إليها فوق ذلك، وعندما شعر بازدياد المعارضة ضدها، أنه يربط مصير بقائه في الحكم بنتيجة التصويت، فأضاف إلى قائمة المعارضين على برنامجه الإصلاحية، الناقمين عليه شخصياً، فجاءت النتيجة على غير ما ينتظر، ولم تكن مفاجئة لأكثر الفرنسيين.

الطبقة البورجوازية والرأسمالية، التي كانت أكثر الطبقات تعرضاً للإصلاحات السابقة المطبقة عقب حوادث أيار الماضي، سواء من حيث رفع أجور العمال أو مشاركتهم في إدارة المشاريع أو في دفع النصيب الأوفى من الضرائب، كان دورها، في تهديم ديغول، أخبث الأدوار، إذ عمدت هذه الطبقة إلى تهريب أموالها إلى سويسرا وألمانيا فهددت الفرنك بالانهيار، وافتعلت الأزمة المالية والاقتصادية التي كانت السبب الرئيسي بالقضاء على ديغول.

أما دور اليهود والصهاينة، فإنه وإن لم يكن ظاهراً للعيان أو ملموساً، فإنه لم يكن خافياً على أحد. فالأموال التي تم تهريبها إلى سويسرا وألمانيا كانت في غالبيتها أموالاً يهودية وبواسطة المهربين اليهود، والصحافة ووكالات الإحصاء التي تنبأت بزوال ديغول ولعبت دوراً هاماً بتسميم الأفكار تملكها أو تسيّرُها السيوتات الصهيونية، عدا عن اليهود الذين يزيد عددهم على الستمائة ألف في فرنسا والذين صوّتوا جميعهم ضد ديغول.

وأما المستعمرون الذين كانوا في الجزائر (الأرجل السود Pieds noirs)، فقد كان نصيبهم بارزاً في إحباط الأكثرية الديغولية.

كذلك الأمر، جماعة الحلف الأطلسي والمنادون بعودة فرنسا إليه، والمنادون بدخول بريطانيا للسوق المشتركة.

كانت أثقل الكلمات وقعاً على أذني ديغول كلمة «الخلافة الغولية» (أي الوراثة لديغول) (La Succession Gaulienne) حتى ولو جاءت من أقرب الناس إليه وممن هبّاهم لخلافته!...

أثر الهزيمة

(١) في الحكومة: في الساعة العاشرة والربع من مساء الأحد، أي بعد ساعتين وربع من بدء فرز الأصوات، وبعد أن ظهرت النتائج الأولية للاستفتاء، أعلن السيد كوف ده مورفيل، رئيس الوزراء، أنه تلقى بحزن عميق نتائج التصويت التي تعطي أكثرية مطلقة لـ... (لا)... وأنه، وإن كانت هذه النتيجة تعني عدم الموافقة على الإصلاحات التي طرحها الجنرال ديغول وحكومته، وتعني بالتالي ذهاب رئيس الجمهورية، فإن الحكومة باقية وستستمر بالقيام بمهامها. ومع ذلك، استقال وزير العدل.

(٢) لدى الشعب الفرنسي: قابل الفرنسيون عامة هذا القرار وهذه النتيجة بكثير من الخوف والوجوم، وحتى الذين صوتوا ضد الإصلاحات وكانت لهم دوافعهم الخاصة، باتوا يحسّون بالخطأ الفادح الذي ارتكبه، وباتوا يشعرون بالفراغ الكبير الذي سيحدثه غياب هذا الرجل العظيم عن مسرح السياسة الرسمي، وإن كانوا يعتقدون أن دوره في التوجيه السياسي لم ينته بعد.

(٣) في الأوساط الدولية: إذا كان القول «لا كرامة لنبي في أهله» ينطبق على أحد، فإنه ينطبق أكثر ما يكون على الجنرال ديغول الذي يتمتع بأكثر «كراماته» في الخارج. فلقد أجمعت سائر الدول - ما عدا إسرائيل - على إظهار أسفها، والتعبير عن عميق تأثرها لحرمان فرنسا من رجلها القوي، وتبارى رؤساء الدول بإرسال الكتب والبرقيات للجنرال معبرين فيها عن احترامهم وتقديرهم له وعن عميق أسفهم لتركه رئاسة الجمهورية.

فقد بعث له الرئيس نيكسون رسالة يقول فيها إن دعوته له لزيارة أمريكا ما زالت قائمة، وإنه يسعد أن يليها في أي وقت يشاء.

وقال معلق الإذاعة الفرنسية من موسكو إن الزعماء السوفييات، الذين يعتبرون «غوليين» أبدوا شديد أسفهم لاستقالة الجنرال الذي أخرج الاتحاد السوفيياتي من عزلته.

أما الدول الاشتراكية في أوروبا، فقد كانت ترى فيه أملها في التحرر، وكذلك

دول العالم الثالث، حتى بريطانيا، أجمعت صحافتها على تبجيله، وأوردت الصحافة المحلية التعليقات والأقوال الصادرة عن جميع الحكومات والمسؤولين والصحافة في العالم وفي الدول العربية، وقالت إن وزير الإعلام السوري استقبل السفير الفرنسي بدمشق وعبر له عن عميق تأثره لاستقالة الجنرال.

الخلافة الديغولية

قام «آلان بوهير» رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي (ورئيس جمعية الصداقة الفرنسية - الإسرائيلية)، بتسلم مهام رئيس الجمهورية بشكل مؤقت، وذلك بموجب الدستور الذي يكلف رئيس مجلس الشيوخ، في حال شغور منصب الرئاسة، أن يقوم بمهام رئيس الجمهورية ويتمتع بسائر صلاحياته ما عدا اثنتين منها، وهما: إجراء استفتاء عام وحل مجلس النواب، وعلى الرئيس المؤقت أن يدعو لإجراء انتخابات لإملاء منصب الرئاسة في فترة لا تقل عن عشرين يوماً ولا تزيد عن خمسة وثلاثين يوماً.

وإذا كان الدستور لا يسمح للرئيس المؤقت بحل مجلس النواب خلال الفترة الوجيزة هذه، فإن الدستور، وفي مكان آخر، لا يسمح البتة بحل مجلس النواب قبل مرور عام واحد على انتخاب أعضائه.

وبدأت الترشيحات للرئاسة، وكان أول المرشحين السيد جورج بومبيدو رئيس الوزراء السابق، والذي أجمع على تأييد ترشيحه سائر أعضاء حزب الاتحاد الديمقراطي للجمهورية (حزب ديغول)، وسائر أعضاء حزب الجمهوريين الأحرار (حزب جيسكار ديستنغ)، وقد تنبأ الجميع بفوزه للأسباب التالية:

١ - إن الأحزاب التي أيدته تشكّل خمسين بالمائة من أصوات الناخبين (علماً أن جيسكار ديستنغ وحزبه، وأكثر مؤيديه صوتوا في الاستفتاء ضد الإصلاحات مما أفقد ديغول الأكثرية اللازمة للفوز، وجاء موقف جيسكار هذا انتقاماً من ديغول الذي عزله من رئاسة لجنة الميزانية والمالية، وقلت في حينها إن تلك كانت غلطة كبيرة).

٢ - إن الفرنسيين الذين شعروا بخطئهم سيكفرون عما ارتكبه بومبيدو أصواتهم.

٣ - إن الأوساط البورجوازية والرأسمالية التي تأمل برضوخ بومبيدو، ستصوت له.

٤ - إن اليهود، أو على الأقل نصفهم، سيمنحونه أصواتهم، لأنهم يذكرون أنه كان مديراً لمصرف روتشيلد.

٥ - إن خصومة متفرقون مؤرَّعون بين اليمين واليسار وحتى الوسط، ومن الصعب أن يتفقوا على مرشح واحد.

لهذه الأسباب كلها، كان الاعتقاد السائد هو فوز بومبيدو بالرئاسة بأكثرية مطلقة، وقد تمَّ ذلك بالفعل.

النهج السياسي المقبل: القضايا التي تمَّ تعديلها في السياسة الداخلية والخارجية هي تلك التي اتخذ فيها ديغول خطأً سياسياً معيناً لدوافع شخصية، أو لأسباب فرضها هو على الحكومة من دون أن تكون مؤمنة بها.

١ - في السياسة الداخلية

أ) المشاركة: ذلك أنها لم تنجح النجاح المأمول خلال العام السابق، وما زال أساتذة الجامعة يتذمرون منها، وأرباب العمل يستنكرونها ويضعون في سبيل تنفيذها العقبات الممكنة.

ب) الفرنك: إن الفرنك ما كان ليحافظ على قيمته لولا تثبيت الجنرال بعدم التخفيض. فالفرنك الجديد، أو الثقيل كما يسمونه، هو فرنك الجنرال، وقيمته من قيمته، ومع أن أكثر الخبراء الفرنسيين في عالم المال والاقتصاد، بمن فيهم «دوبريه» وزير المالية السابق ووزير الخارجية الحالي، قد نصحوا بالتخفيض، فإن ديغول أصر على عدم التخفيض، وفي الواقع فإن سعر الفرنك في الأسواق المالية العالمية قد فقد، في ذلك الوقت، ما لا يقل عن ١٠٪ من قيمته، وهو يفقد الآن الكثير من الثقة به، وقد تضطر الحكومة المقبلة إلى تخفيضه.

٢ - في السياسة الخارجية

أ) حلف شمال الأطلسي: اشتد الضغط على فرنسا، ولا سيما من قبل حليفاتها، للعودة إلى صفوفها في المجلس العسكري للحلف، وقد عبَّرت الأوساط السوفياتية عن تخوفها من هذه الناحية ومن قلقها من زيادة ضغط المخابرات الأمريكية على المسؤولين المقبلين في فرنسا.

ب) السوق الأوروبية المشتركة: تبذل بريطانيا مسعى جديداً حثيثاً لدخول السوق مستعينة بصديقاتها فيه، ولا سيما إيطاليا وهولندا وألمانيا، والمعروف أن الفيتو الفرنسي كان من الجنرال بالذات.

ج) العلاقات مع إسرائيل : كانت السياسة الحكيمة الحيادية التي انتهجتها فرنسا، بعد العدوان الإسرائيلي على الدول العربية في ٥ حزيران، تعود إلى رأي وتفكير الجنرال شخصياً، وإن الضغوط التي كانت تمارسها الصهيونية العالمية وأنصارها الكثيرون في فرنسا ماكانت تزيد إلا تصلباً وتشبثاً في موقفه العاقل الحكيم، وإن هذه الضغوط لو وقعت على أي شخصية أخرى لما صمدت لها، وكانت الخشية أن لا يستطيع بومبيدو الصمود لها طويلاً، هذا إذا عتقدنا أنه مؤمن بتلك السياسة الإيمان الكامل.

ومن المنتظر أن يكون تعديل السياسة الفرنسية تجاه إسرائيل من ناحيتين:

١) من الناحية العسكرية: مع أن خليفة ديغول لن يصرح رسمياً برفع الحظر عن الأسلحة الفرنسية لإسرائيل، فإن السلطات الفرنسية المختصة ستساهل، كما كانت تفعل في الماضي، بتسليم الأسلحة المطلوبة لإسرائيل وبشتى الطرق.

٢) من الناحية السياسية: أكد لنا الجنرال ديغول، ولجميع زائريه من الرسميين العرب وفي شتى المناسبات، أن تفسيره لقرار مجلس الأمن رقم / ٢٤٢ الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧، هو انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي المحتلة عقب حرب حزيران (بما في ذلك القدس والجولان)، فهل نلمس في المستقبل تساهلاً في التفسير وأخذاً بالرأي البريطاني الذي يمكن تفسيره حسب رغبة كل إنسان؟ هذا ما كنا نخشاه، وهذا الذي ألمحت إليه المصادر الإسرائيلية التي رأت في زوال الجنرال نهاية محادثات نيويورك الهادفة، حسب رأيها، لإيجاد حل (يسلبها) ما حصلت عليه من مغانم أثناء العدوان.

لذا يتوجب على الدول العربية أن تبذل الجهد مضاعفاً لاستجلاب السياسيين الفرنسيين لصفها، وتعميق العلاقات الثقافية والاقتصادية مع فرنسا لربط مصالحها بالعالم العربي بشكل تضطر معه إلى الاستمرار في السياسة التي رسمها لها الجنرال ديغول.

التعليق والرأي

طلب الجنرال ديغول رأي الفرنسيين فيه وفي برامجه الإصلاحية عن طريق الاستفتاء، فجاء جوابهم سلباً، وكان هذا الجواب منسجماً مع عقلية الفرنسيين التي تعشق التغيير وتمج الاستقرار الطويل، وترفض الحكم المسيطر حتى ولو جاء من منقذ ومصلح ومحرر.

والجنرال، الذي جاء عن طريق الاستفتاء الشعبي العام ولم يأت عن طريق القوة العسكرية، كان في كل مرة يريد إصلاحاً أو ينشد سياسة معينة، يلتفت إلى الشعب يستطلع رأيه بشكل مباشر، فأقام بذلك بينه وبين الشعب رباطاً قوياً من الثقة المتينة المتبادلة والحب والإعجاب.

إلا أن الشعب الفرنسي يمتاز بصفة يعتز بها، ويريد أن يحافظ عليها بشكل دائم، وهي صفة الديمقراطية التي حارب دوماً وثار من أجلها. يريد الشعب الفرنسي أن يكون هو الحاكم وهو المسيطر، وهي مكانة حصل عليها بعد الثورة الفرنسية، ويريد أن لا يتنازل عنها لأحد.

على أن ذلك لا يعني أن الشعب الفرنسي لا يقدر قاداته، فهو يحترم ديغول، (وقد أجمع على تقديره ومديحه والإشادة بما حققه لفرنسا سائر الزعماء الفرنسيين، بمن فيهم الشيوعيون والاشتراكيون)، ويكنُّ له كل إكبار وإعجاب، إلا أنه يرى، إلى جانب ذلك، أن دوره في القيادة قد انتهى، وأنه آن لغيره من الزعماء أن يظهروا كفاءتهم في مناصب القيادة.

قد تكون هذه النهاية لخير ديغول، فلقد ترك الرئاسة في أوج عزه، وتركها تلقائياً في استفتاء من صنع يديه، ولا شك أن مجده سيعلو بعد الآن، كما أن خلافته، لمن هياها للخلافة، ستطيل عمر الحركة الغولية والسياسة الغولية لسبع سنين أخرى^(١).

كان الجنرال ديغول يجسد في شخصه عنفوان فرنسا وعظمتها، تاريخاً ومجداً وثقافة وحضارة وعلوماً وقوة، لذلك ثار وتألم عندما انهارت فرنسا، وانهارت معها كل هذه القيم في الحرب العالمية الثانية، فاحتل الألمان أكثر أجزائها وأخضعوا الباقي لسلطانهم في حكومة فيشي، واستهترت بريطانيا، حليفها في الحرب، بها كما أهملتها الولايات المتحدة ونبذها الاتحاد السوفياتي فلم يدعوا زعيمها المنتظر - ديغول - إلى مؤتمر يالطا الذي قرر مستقبل العالم لما بعد الحرب وخطط له، كما أبعدوه عن «النادي الذري» الذي جمع الدول الكبرى الثلاث: أمريكا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي، وهي الدول التي كانت تملك القنبلة الذرية، مما أحدث في قلب ديغول جرحاً عميقاً عمل على دملته وشفائه لاستعادة مجد فرنسا الغابر ومكانتها المهدورة وحقوقها المهضومة.

(١) كتبت هذا التقرير في ١/٥/١٩٦٩، يوم تنحى الجنرال شارل ديغول، رئيس الجمهورية الفرنسية عن السلطة.

كان على ديغول أن ينقذ فرنسا أولاً من أزماتها الداخلية التي أنهكتها بعد الحرب. كان عدم الاستقرار السياسي الطابع الرسمي الذي طبع الحكومات المتلاحقة في عهد الجمهورية الرابعة. كان رئيس الجمهورية، بموجب الدستور، كملكة بريطانيا، يملك ولا يحكم، وكانت السلطة بيد رئيس الوزراء، الذي كان عليه إما أن يعيد تشكيل وزارته كل ثلاثة أشهر، أو أن يستقيل وتأتي حكومة جديدة لا تعمّر أكثر من هذه الفترة. كان انتخاب رئيس الجمهورية يجري بالاقتراع السري وبالأكثرية المطلقة لأعضاء مجلسي النواب (الجمعية الوطنية) ومجلس الشيوخ.

عدّل ديغول الدستور، عندما جاء للحكم عام ١٩٥٨ وجعل انتخاب رئيس الجمهورية يجري باستفتاء عام من قبل الشعب مباشرة، وأصبحت السلطة والحكم بيده يشاطره في بعض صلاحياته رئيس الوزراء. على هذا الشكل ضمن ديغول، عندما انتخب رئيساً لفرنسا، استقراراً للحكم كانت فرنسا بأمس الحاجة إليه بعدما كانت معتبرة «الرجل المريض» في أوروبا، وأنشأ حزباً سياسياً يدين بمبادئه حصل على الأكثرية البرلمانية، فثبت له هذا الاستقرار وضمه.

إلا أن جرحاً بليغاً في جسم فرنسا كان ينزف منذ مدة طويلة كلفها الألوف من قادة قواتها وجنودها، تلك كانت الثورة العارمة التي قامت في الجزائر تطالب بالاستقلال دفعت ثمناً له مليون شهيد.

كانت فرنسا تعتبر الجزائر ولاية فرنسية، كسائر الولايات الفرنسية الأخرى، وتريد الحفاظ عليها مهما كلفها ذلك من ثمن. وجد ديغول أن لا مندوحة من الانسحاب والاعتراف باستقلال الجزائر، وتعرض، نتيجة ذلك، إلى هجوم شديد من قبل المستعمرين الفرنسيين ومن اليمين الفرنسي المتطرف ومن عدد من كبار الضباط الفرنسيين، وجرّت محاولة لاغتياله كادت تؤدي به، إلا أنه صمد وقرر سحب قواته منها.

ومع الجزائر، قرر ديغول منح الاستقلال إلى باقي المستعمرات الفرنسية في أفريقيا، وأقام معها علاقات سياسية واقتصادية وثقافية متينة، وكان عمله هذا سياسة جريئة وحكيمة عادت بالخير والتقدير على فرنسا.

إلى جانب الاستقرار السياسي، سعى ديغول إلى تقوية الوضع المالي والاقتصادي. كانت قيمة الفرنك الفرنسي منهارة، فألغى القيمة السابقة للفرنك وجعل كل مائة فرنك قديم تساوي فرنكاً واحداً جديداً. ودعماً لهذا الفرنك الجديد،

طالب ديغول الولايات المتحدة الأمريكية بأن تعيد إليه من الذهب ما يوازي قيمة الدولارات التي أعادها إليها، مما اضطر الولايات المتحدة، فيما بعد، إلى فك ارتباط الدولار بالعملة الذهبية، فانهارت قيمة الدولار بالنسبة للعملة الأجنبية الأخرى.

في المجال الدولي، سعى ديغول إلى تقوية صلاته بالمستشار الألماني «كونراد أديناور» ليجعل من الحلف الفرنسي - الألماني قوة تقف في وجه الولايات المتحدة، ونجح في ذلك بعض الشيء، إلا أنه، بعد أن خلف المستشار الجديد كيسنغر المستشار السابق أديناور، وجد كيسنغر أن مصلحة ألمانيا هي في السير مع الولايات المتحدة ليضمن الوقوف في وجه الاتحاد السوفياتي، وليستعيد القسم الشرقي من ألمانيا الذي يحكمه نظام شيوعي تابع للاتحاد السوفياتي.

وبالنسبة لبريطانيا، التي لم تقدّر حق قدره أثناء الحرب عندما نادى «بفرنسا الحرة»، استعمل ديغول «حق النقض» للحيلولة دون دخولها السوق الأوروبية المشتركة رغم مساعيها الحثيثة لذلك.

كان لا بد لديغول من أن يرقى بقوته العسكرية إلى مصاف الدول العظمى، لا سيما وأنه ضابط كبير ويعلم قيمة القوة العسكرية في تحديد المكانة السياسية للدولة، وللوصول إلى هذا الهدف كان لا بد له من الحصول على القنبلة الذرية ليصبح في مصاف الدول الكبرى التي تملك هذه القنبلة، ولم تعتم فرنسا أن حققت هذا الحلم ففجرت قنبلتها الأولى في جزيرة موروروا في المحيط الهادئ، رغم احتجاج الدول المشاطئة للمحيط.

رغم كل ماحققه ديغول لفرنسا من استقلال داخلي، وقوة عسكرية عالية ومكانة دولية مرموقة، فقد خذله شعبه إذ استفتاه على عدد من الإصلاحات الإدارية الداخلية فلم يمنحه كامل تأييده، والشعوب قلما تقدّر زعماءها في حياتهم. أصيب ديغول بخيبة أمل شديدة تجلت في استقالته من منصبه بكلمات جد مقتضبة تنم عن استيائه وغضبه، وانزوى في قريته «كولومبي» لا يستقبل أحداً حتى ولا أقرب الناس إليه، وعكف على كتابة مذكراته، ووافته المنية بعد سنة ونيف، وودعت فرنسا أعظم رؤسائها في تاريخها الطويل بكثير من الحسرة والألم.

المعركة الانتخابية في فرنسا

لم يمض على استقالة الجنرال ديغول طويل وقت حتى بدأ الناس يشغلون عنه، وينهمكون في تهيئة المعركة الانتخابية التي بدأت منذ استقالته، ووصلت مرحلة هامة

بعد أسبوع من تنحيه عن السلطة، عندما عقدت الأحزاب اليسارية اجتماعاتها ومؤتمراتها لانتخاب مرشحها للرئاسة.

وبينما ظهر حزب (الاتحاد الديموقراطي للجمهوريين)، وهو حزب ديغول، موحداً، متماسكاً، منظماً وقوياً، برزت في الأحزاب اليسارية الخلافات من جديد والفوارق العقائدية، وقامت كل فئة أو جماعة منهم ترشح شخصية للرئاسة.

سعى الشيوعيون للاتفاق مع الاشتراكيين على مرشح واحد، فلم يفلحوا، ورشح الاشتراكيون مجتمعين «غاستون دو فير» النائب الاشتراكي ومحافظ مرسيليا، وهو الذي كان رشح نفسه ضد ديغول عام ١٩٦٥، ولم يلق أي نجاح، وتنازل في الجولة الثانية لميتران.

أما الحزب الاشتراكي الموحد، فأمام انقسام اليسار، قدّم أمين عامه «ميشيل روكار» كمرشح للرئاسة ليفرض على الاشتراكيين العودة عن قرارهم بالانفراد بترشيح غاستون ده فير، ونحا فرانسوا ميتران باللائمة على اليسار لانشقاقه، وعرض نفسه ليكون مرشحه الموحد أمام بومبيدو.

ونظراً لعدم تعاون الاشتراكيين، قرر الشيوعيون ترشيح الأمين العام المساعد للحزب الشيوعي «جاك دي كلو».

أما «آلان بوهير»، رئيس مجلس الشيوخ، الذي لا يخفي رغبته بالترشح، فكان ينتظر، لكي يضمن أكثرية الأصوات، أن تختلف سائر الجبهات فيما بينها فيبرز هو في الآخر كالحل الوحيد، شأنه في ذلك شأن «رونيه كوتي» عام ١٩٥٣، عندما فشل «لانييل» اليميني و«نيجلان» الاشتراكي في الحصول على الأكثرية المطلقة.

أما «بومبيدو» فقد أعلن أن برنامجه يتلخص بالاستمرار والانفتاح: الاستمرار في سياسة الجنرال ديغول، والخط السياسي العام للحزب الذي ساهم في إنشائه وقاده مدة طويلة من الزمن. والانفتاح: خارجياً نحو الدول الأوروبية... وداخلياً نحو الشعب بتعميق الديمقراطية وانفتاحها، وهو يزداد يوماً ثقة بالنجاح وقرباً من الرئاسة، ويقف معه، إلى جانب حزبه، جماعة جيسكار ديستنغ الذي قرر بالإجماع منح بومبيدو الثقة.

ونعتقد أن تصويت جيسكار ديستنغ ضد مشروع إصلاحات ديغول، يعود إلى ضغينة شخصية عندما فرض ديغول، عقب الانتخابات السابقة، إزاحة جيسكار ديستنغ من رئاسة لجنة الشؤون المالية والموازنة، وهو المنصب الذي كان يحتله منذ

عشر سنوات، ليضع مكانه نائباً من جماعته، نظراً لأن جيسكار ديستنغ أيد ديغول في أحداث أيار ١٩٦٨ بتحفظ (نعم، ولكن Oui, mais) والجنرال لا يقبل أي تحفظ أو تردد. وانتظر جيسكار هذه الفرصة لينتقم من ديغول، ولا شك أن موقفه كان عاملاً مؤثراً في نتيجة الاستفتاء.

وقرر مجلس الوزراء، في جلسته الأولى التي عقدها برئاسة «آلان بوهير»، تعيين موعد التصويت والانتخاب يوم الأحد الأول من حزيران ١٩٦٩، فإن حصل أحد المرشحين على أكثرية الأصوات المطلقة فاز بالرئاسة، وإلا تجري انتخابات ثانية في ١٥ من الشهر نفسه.

الانتخابات الفرنسية والسياسة الخارجية

على الرغم من أن جميع المظاهر تدل على أن معركة الرئاسة الفرنسية هي معركة سياسية داخلية، فإن مواقف المرشحين من السياسة الخارجية، والعربية بشكل خاص، تلعب دوراً كبيراً جداً في التأثير على نتائجها.

فبعد ظهور نتائج الاستفتاء الذي كان للصهاينة يد طولى بفشله، وبعد استقالة ديغول واستلام «آلان بوهير» رئيس مجلس الشيوخ وكالة رئاسة الجمهورية، تنفست الدوائر الصهيونية الصعداء وشمرت عن ساعديها لتأييد المرشح الذي تعتبره أقرب إلى صيانة وخدمة مصالحها، ولشن حملة على السياسة الديغولية القائمة، حسب زعمها، على محاباة فريق على حساب الفريق الآخر.

وانقسمت الحملة الصهيونية إلى:

(١) المحاولات والضغط الصهيوني لتغيير السياسة الفرنسية تجاه الشرق الأوسط.

(٢) مستقبل العلاقات الفرنسية - العربية على ضوء مواقف المرشحين.

(١) بالنسبة للضغط الصهيوني، نجد خشية إسرائيل من احتمال اتفاق الدول الأربع الكبار على قرار يلزم إسرائيل بتطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢/، لذلك رأينا رئيسة وزرائها «غولدا مائير» تهرع إلى واشنطن لمحاولة الضغط على المسؤولين الأمريكيين الذين بدأ موقفهم، كما تزعم إسرائيل، يتحول إلى قبول مبدأ انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة من دون مفاوضات مباشرة، بل بإعلان صادر عن الجانبين ينهي حالة الحرب على النحو الذي تم به إنهاؤها بين اليابان والاتحاد السوفياتي.

وركزت الصهيونية حملتها على المندوب الفرنسي لدى الأمم المتحدة، إذ نقلت رويتر عن لسان أحد أعضاء الوفد الفرنسي قوله إن الأوساط الصهيونية في فرنسا هي المسؤولة عن هزيمة الجنرال ديغول بالاستفتاء، ثم حولت مجلة «لو نوفيل أوبسرفاتور» هذه البرقية حتى أصبحت منقولة عن لسان رئيس الوفد الفرنسي بقوله: «إن الذهب اليهودي هو الذي كان وراء هزيمة الجنرال ديغول»، ونحن نعلم أن ذكر كلمة «يهودي» لا «صهيوني» يقصد بها اتهام المندوب الفرنسي باللاسامية.

وهذا ما حدث بالفعل وأثار احتجاج رئيس «الرابطة الدولية المعادية للسامية والتمييز العنصري»، الصهيونية الاتجاه، على هذه التصريحات، والذي قابل وزير الخارجية الفرنسي المسيو دوبريه من أجلها.

الهدف من هذه الحملة تهديد المندوب الفرنسي والتشهير به لتجميد موقف فرنسا تجاه هذه المفاوضات.

٢) وأما البوادر التالية فكانت في دعوة إسرائيل لمعرض الطيران الفرنسي، وكان من المفروض عدم دعوة إسرائيل لمهرجان (بورجيه) الذي يقام في مطلع حزيران.

وبالرغم من ذلك، فقد توجه وفد فرنسي برئاسة الجنرال المتقاعد «بيديريزيه»، الذي قاد الحملة الجوية على السويس عام ١٩٥٦، إلى إسرائيل لدعوتها رسمياً، باسم اتحاد صناعات الطائرات، لحضور هذا المهرجان، بينما اكتفى المسؤولون عن المهرجان بمخاطبة بعض الملحقين العسكريين للدول العربية طالبين إليهم توجيه الدعوة للمسؤولين لديهم لحضور هذا المهرجان، وفي هذا الأمر بادرة لعودة «العلاقات المفضلة» والتعاون في حقل الطيران التي سادت العلاقات الفرنسية - الإسرائيلية قبل مواقف الجنرال ديغول الأخيرة.

أما «آلان بوهير» فقد صرح أن سياسة فرنسا تجاه الشرق الأوسط ستكون «أكثر عدالة»، أما بالنسبة للسياسة الأوروبية فإن بوهير من أشد المتحمسين لمشروع الولايات المتحدة، أو ما يسمى (أوروبا فوق القوميات) وهذا يفسر ترحيب مستشار ألمانيا كيسنغر باحتمال فوز بوهير، وبذا تكون فرنسا قد خضعت للتسلط الأمريكي - الألماني - الصهيوني - الغربي.

الانتخابات الفرنسية ونجاح جورج بومبيدو

إذا كان فوز جورج بومبيدو برئاسة الجمهورية الفرنسية عقب الانتخابات التي جرت في الدورة الثانية يوم الأحد ١٥ حزيران، غير مفاجيء للرأي العام الفرنسي

والدولي، فإنه قوبل بالاستحسان والرضى في الأوساط الدولية التي ربطت فرنسا معها علاقات وثيقة إبان العهد الديغولي. أما الأوساط اليسارية الفرنسية والغربية الأوروبية والأنكلوساكسونية، فكانت تأمل بنجاح بوهير.

ولم يكن من المنتظر أن يعدل بومبيدو سياسة العهد، بل أكد أنها ستكون سياسة انفتاح واستمرار، الانفتاح داخلياً: على جميع الشعب الفرنسي، فالرئيس للجميع. وخارجياً: بالنسبة لجميع الدول في الشرق والغرب. واستمرار: أي استمرار للمنحى السابق، فلا حل لمجلس الأمة، ولا انتخابات جديدة، ولا إلغاء لمجلس الشيوخ، ولا تعديل في أنظمة المحافظات ولا تخفيض للفرنك.

وقد ثبت فوز بومبيدو أسعار الأسهم الفرنسية وقيمة الفرنك عالمياً، وارتفعت أسعارها في البورصات الدولية والداخلية.

بالنسبة لقضية الشرق الأوسط، لم يمض على انتخاب بومبيدو ٢٤ ساعة، حتى استقبل وزير خارجية إسرائيل إبا إيبان السفير الفرنسي في تل أبيب، واستوضح منه عن السياسة الجديدة للحكومة الفرنسية، كما أن الصحفيين في باريس وجهوا العديد من الأسئلة لبومبيدو حول الشرق الأوسط قصد إحراجة، وكان بومبيدو يتخلص من هذه الأسئلة بلباقة وحكمة من دون أن يعطي لسائليه فرصة لتحديد أقواله، ومع ذلك فقد تكهنت النيويورك تايمز أن سياسة بومبيدو المقبلة ستكون أكثر اعتدالاً في النزاع العربي - الإسرائيلي، وكأنها تعني أكثر انفتاحاً على إسرائيل.

كذلك بالنسبة للسوق الأوروبية المشتركة، إذ لم تعلن نتائج الانتخابات حتى تقدمت بريطانيا بطلب جديد لدخول السوق...

وإذا كان بومبيدو صرح، أثناء المعركة الانتخابية، أنه لا يمانع بفتح باب المفاوضات مع بريطانيا من أجل دخول السوق، فإن المسؤولين البريطانيين قد استعجلوا طرق هذا الباب وتقدموا بطلبهم قبل أن يلج الرئيس الفرنسي باب الإليزيه، ونعتقد أن الدافع لذلك اشتداد الأزمة الاقتصادية البريطانية، والخسارة المستمرة والمتلاحقة لحزب العمال في الانتخابات، والمزاودة الداخلية بين بعض أعضاء حزب العمال.

كان الاهتمام الأولي للرئيس تشكيل الحكومة وتوزيع الوزارات بين الأحزاب التي دعمته: جماعة جيسكار ديستنج وجماعة دوهاميل، أي التقدم والديمقراطية الحديثة والوسط الجمهوري. هذه المجموعات التي كان لها أثر فعال في فوز

بومبيدو وحصوله على هذه النسبة العالية من الأصوات (٥٨,٣٠٪)، ومساء الخميس بلغ المجلس الدستوري المسيو بومبيدو النتيجة الرسمية والنهائية للانتخابات وأعلمه أنه أصبح رئيساً للجمهورية الفرنسية.

وفي اليوم التالي، توجه بومبيدو بموكب رسمي إلى قصر الإليزيه، حيث استقبله على السلم الخارجي ألان بوهير رئيس الجمهورية بالنيابة، وبعد أن جرت مراسم انتقال السلطات استقر الرئيس جورج بومبيدو في قصر الإليزيه وغادره بوهير إلى مجلس الشيوخ.

ثم كلف الرئيس بومبيدو شابان دلماس بتشكيل الحكومة الجديدة.

الحكومة الفرنسية الجديدة ١٩٦٩/٦/٢٦

شكّل جاك شابان دلماس حكومته الأولى من تسعة وثلاثين وزيراً (كانت وزارة كوف ده مورفيل تضم ٣١ وزيراً)، منهم عشرون نائب وزير. وقد خرجت من الوزارة السابقة شخصيات هامة مثل: كوف ده مورفيل، وأندريه مالرو (ثقافة)، وبيير مسمير (دفاع)، وجانونييه (إصلاح الأقاليم)، وإدغار فور (تربية)، وبقيت فيها شخصيات مثل: ميشيل دوبريه (دفاع)، موريس شومان (خارجية)، أوليفيه غيشار (تربية)، وأورتولي (تنمية)، كما دخلتها عناصر جديدة هامة: بليفين (عدل)، جيسكار ديستنغ (مالية واقتصاد)، دوهاميل (زراعة)، فونتانيه (عمل)، ميشليه (ثقافة)...

ولم يجر على الحكومة أيّ تصويت بالثقة، نظراً للتقليد الساري المفعول منذ بداية الجمهورية الخامسة، والذي يقضي بأن الحكومة حاصلة دوماً على ثقة المجلس ما لم تتقدم أكثرية النواب بطلب حجب الثقة عنها.

وقد ضمت هذه الوزارة الزعماء الثلاثة لأحزاب الأكثرية (دوبريه عن الديغوليين)، (جيسكار ديستنغ عن الجمهوريين الأحرار)، و(دوهاميل عن الديموقراطيين التقدميين)، واشترك هذان الحزبان بسبعة وزراء في الوزارة الجديدة، وهو عدد أكبر مما يسمح به تمثيلهم البرلماني، وفي ذلك انفتاح على باقي الفئات.

هذا وعقد السفراء العرب اجتماعاً في مكتب الجامعة العربية، تداولوا فيه موضوع تشكيل الوزارة الجديدة والمنحى الذي ستتخذه هذه الوزارة بالنسبة لعلاقات فرنسا بالبلاد العربية، وبشكل خاص بالنسبة للقضية الفلسطينية.

ورأى المجتمعون أنه لا بد من انتظار بعض الوقت قبل الحكم على الوزارة الجديدة. ومن اتصالاتنا ببعض الشخصيات الديغولية المقربة من بومبيدو، استنتجنا

أن بومبيدو لن يستطيع، وفي أمد قريب، أن يحوّل السياسة التي وضعها الجنرال ديغول، وبحسب تشبيه إحدى هذه الشخصيات (بيير روسي): «إن الجنرال ديغول بنى جبلاً ولن يستطيع بومبيدو أن يهدمه أو يحوّل من مكانه»، لا سيما وأن الفرنسيين بدؤوا يشعرون أن مصالحهم قد ارتبطت بالجهات التي بنى ديغول ووُثّق سياسته معها: الدول الاشتراكية والدول العربية، وأنه ليس من السهل وليس من المصلحة تغيير هذه السياسة وهذا المنحى، كما أن الجنرال ديغول، وإن اعتزل الحكم، فهو لم يعتزل السياسة، وما زال حزبه يدين له بالولاء.

ونعتقد أنه من المستحسن أن تنحو سياستنا منحى استمرار التعاون وتوثيقه مع فرنسا، سواء أكان الرئيس ديغول أم بومبيدو، وأن تركّز صحافتنا على قيمة هذه الصداقة مع الشعب الفرنسي، والفائدة التي يجنيها الشعبان العربي والفرنسي من هذه الصداقة ومن هذا التعاون، وأن تستمر الزيارات في المستقبل بين المسؤولين، في البلاد العربية وفي فرنسا، لكي نؤمّن عدم انحراف السياسة الفرنسية المقبلة عن الخط الذي رسمه لها الجنرال ديغول.

في اليونسكو UNESCO

اليونسكو، أو منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، هي منظمة تابعة للأمم المتحدة، اتخذت مقراً لها في باريس، أسوة بمنظمات أخرى تابعة للأمم المتحدة اتخذت مقراً لها في جنيف أو روما أو فيينا، لذلك عيّنت الدول الممثلة لديها مندوبين دائمين على مستوى السفراء يقدمون أوراق اعتمادهم إلى مدير المنظمة، المسيو ماهو M.René Maheu، منذ عام ١٩٦١.

أما سورية، واختصاراً للنفقات، فقد اعتمدت السفير المعين في باريس مندوباً دائماً لدى اليونسكو، وقدم الدكتور سامي الجندي أوراق اعتماده إلى المسيو ماهو. ولما كان الدكتور الجندي مشغولاً بأعمال السفارة!... فقد كلفني بمتابعة أعمال اليونسكو، وقمت بأداء مهمتي الإضافية بالشكل اللازم وتابعت أعمال المنظمة، وكنت أبعث بتقارير إلى وزارة الخارجية وإلى وزارة التربية عن النشاطات والمهام الرئيسة التي تقوم بها هذه المؤسسة الهامة.

تعقد منظمة اليونسكو مؤتمراً عاماً يحضره وزراء التربية على رأس وفود من الدول المشاركة في هذه المنظمة، مرة كل عام (في الخريف)، ويعقد المجلس التنفيذي اجتماعاً شهرياً للمداولة في الأمور الرئيسة المتعلقة بمهامه، بالإضافة إلى أنشطة كثيرة ثقافية وعلمية واجتماعية وفنية، بحيث لا يخلو يوم إلا ويكون في مقر المنظمة معرض فني أو محاضرة علمية أو اجتماع ثقافي أو ما شابه، لذلك كانت الدول، كما ذكرت، تعتمد لدى هذه المنظمة، وفوداً مستقلة عن سفاراتها يصل عدد أعضائها أحياناً إلى العشرات، أما أنا، فقد خصصت يومين، أو ثلاثة أيام كل أسبوع، أذهب إلى المكتب المخصص لنا لأطلع على «أكوام» الأوراق والدراسات والمؤتمرات، أستخلص منها ما يفيد إعلام وزارتي الخارجية (الإدارة الثقافية) والتربية عنه، وكنت رجوت وزارة الخارجية، أكثر من مرة، أن تعتمد من يقوم بهذا العمل الشاق والهام، بشكل مستقل عن أعباء السفارة الثقيلة، إلا أنها لم تستجب وللأسف، واضطرت للقيام بالعملين معاً.

سأورد، فيما يلي، أهم الأمور التي عرضت علينا خلال وجودي في باريس، من عام ١٩٦٦ إلى عام ١٩٦٩.

١ - إقرار اللغة العربية كلغة عمل في منظمة اليونسكو: كان من أهم الأعمال التي أنجزناها في اليونسكو، إقرار اللغة العربية كلغة عمل في المنظمة، وكان ذلك نجاحاً جديراً بالتقدير، لما للغة العربية من مكانة سامية في حضارات العالم، ومن قيمة علمية وثقافية عبر التاريخ. ولم يكن قد سبقنا في إقرار اللغة العربية في منظمة عالمية هامة سوى منظمة البريد العالمية، ثم تبعنا بعد مدة، منظمة الأمم المتحدة في الجمعية العامة. وقد تجاوب معنا المدير العام المسيو رونييه ماهو، ودعمنا وأرشدنا إلى الطريقة الواجب اتباعها، في اللجنة الخاصة بداية ثم في المجلس التنفيذي، وأخيراً في المؤتمر العام الذي انعقد في تشرين الأول ١٩٦٧.

كان يتوجب على الدول العربية، في البداية، تحمّل نفقات هذا القرار، ويتضمن ذلك نفقات ورواتب الترجمة والموظفين والسكرتيرين وضاربي الآلة الكاتبة، وبقية النفقات التي يستوجبها إقرار اللغة العربية كلغة عمل في المنظمة.

تحمست الدول العربية في البداية، فجمعت (٧٠ ألف) دولار، ولم يكن ذلك المبلغ كافياً، فاقترح علينا المدير العام رفعه إلى (٢٠٠ ألف) دولار، وقال إن المنظمة ستحمّل، في المستقبل، وضمن ميزانيتها هذه النفقات، فإن اقتصرنا على هذا المبلغ الهزيل، خصصت المنظمة في الأعوام القادمة مثله، أي (٧٠ ألف) دولار، وإن رفعناه إلى (٢٠٠ ألف)، خصصت المنظمة في الأعوام القادمة (٢٠٠ ألف ويزيد)، فوافقنا، ولمرة واحدة، على المبلغ (٢٠٠ ألف)، إلا أن الخلاف دب بين مندوبي الدول العربية على من يتحمله أو يتحمل أكثره، وعلى طريقة توزيعه بين الدول العربية.

أشار مندوبو الجمهورية العربية المتحدة (مصر) والمملكة السعودية والكويت إلى أن حكوماتهم تلقت إشعاراً من مكتب التنسيق، الموجود في المغرب، يطلب إليها التبرع بهذا المبلغ من دون تحديد الحصة التي يجب عليها أن تتبرع بها.

وطالبت، باسم سورية، أن يجري توزيع المبلغ على الدول العربية بنسبة حصة اشتراكها بميزانية جامعة الدول العربية، لأن في إقرار استعمال اللغة العربية في اليونسكو تكريماً واعتباراً لسائر الدول العربية، وإن ترك الموضوع للتبرع لا يؤدي إلى جمع المبلغ بكامله، عدا عن أنه يدفع بعض الدول إلى التقاعس في أداء نصيبها من هذا الواجب.

وطالبت، بسرعة، عرض الموضوع على الحكومات العربية لتقرر في ميزانياتها المبالغ المتوقعة عليها كي لا يأتي شهر أيلول المقبل، وهو الشهر الذي يجب أثناءه تأدية هذ المبلغ لصندوق اليونسكو، كئأ آنذاك في شهر آذار، من دون أن تكون الدول قد لحظت في ميزانياتها هذا المبلغ. وأعتقد أن الاتفاق قد تم على ذلك، ولحظت الدول في ميزانياتها المبالغ اللازمة لتغطية هذه النفقة.

٢ - الدورة السابعة والسبعون للمجلس التنفيذي لليونسكو: عقد المجلس التنفيذي لليونسكو دورته السابعة والسبعين في باريس، من ٩ تشرين الأول إلى ٣ تشرين الثاني ١٩٦٧، وبحث خلالها قضايا رئيسة تهم العالم العربي، وسأستعرضها بشكل موجز في الأمور الأربعة التالية:

أ - تعيين مفوض عام للإشراف على التراث الحضاري في سورية ومصر والأردن ولبنان من جهة، وفلسطين المحتلة من جهة أخرى.

ب - زيادة أعضاء المجلس التنفيذي، بحيث يصبح للدول العربية ثلاثة مقاعد ثابتة عوضاً عن اثنين.

ج - موضوع مدارس أبناء اللاجئين والبرامج التعليمية فيها وطلب مراقبتها من قبل اليونسكو.

د - دعوة إسرائيل لمؤتمر التنمية في آسيا (كاستازيا).

أ - تعيين مفوض عام للإشراف على التراث الحضاري في فلسطين المحتلة والدول العربية المجاورة لها: تم الاتفاق على تعيين موفضين عامين اثنين سيكلفان بتطبيق معاهدة لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في هذه الدول، كما تم الاتفاق، بعد مناقشات مطولة وممانعة الدول العربية، على أن تساهم اليونسكو بمبلغ عشرة آلاف دولار بنفقاتها، وتدفع الدول العربية باقي المبلغ أي (١٢٥٠٠) دولار، وذلك لمدة ستة أشهر فقط، بحيث يكون نصيب كل من هذه الدول (٣١٢٥) دولار فقط، يضاف إليه نفقات تنقلات المفوض العام ضمن أراضي كل دولة من هذه الدول، وقد قدرّ لذلك مبلغ لا يتجاوز (٢٥٠) دولار خلال هذه الأشهر الستة.

ب - زيادة أعضاء المجلس التنفيذي: في الدورة السابعة والسبعين للمجلس التنفيذي، تقدمت اللجنة الخاصة باقتراح زيادة الأعضاء من ٣٠ (ثلاثين) عضواً إلى ٣٢ (اثنين وثلاثين) عضواً، وتقدمت المجموعة العربية والآسيوية باقتراح زيادة العدد إلى (٣٤)، بحيث تحصل آسيا على مقعدين إضافيين وأفريقيا على مقعدين إضافيين

أيضاً، وعارض المندوب الأمريكي أي زيادة على الأعضاء الحاليين، قائلاً إن المجلس التنفيذي إذا توسع أصبح (تصغيراً) للمؤتمر العام لا مجلساً تنفيذياً، ولم يعد باستطاعته أن يقوم بأعبائه كاملاً، وعندما كان المجلس التنفيذي يضم ثمانية عشر عضواً كان ينجز من الأعمال أكثر مما ينجزه الآن، كما أنه إذا توسع انحدرت نوعية أعضائه، وقد قوبلت كلمته بكثير من الامتناع لا سيما من جانب الأفارقة، وتقدّمت اللجنة الخاصة بعدئذ باقتراحين يقضي الأول بزيادة مقعدين، ويقضي الثاني بزيادة ٤ مقاعد، وترك أمر البت للمؤتمر القادم الذي سيعقد في خريف ١٩٦٨.

التوزيع الجغرافي للدول الأعضاء ونصيبها في المجلس التنفيذي: وفي هذا المؤتمر الثامن والسبعين للمجلس التنفيذي لليونسكو، تمت الموافقة على توصية اللجنة الخاصة بزيادة عدد الأعضاء إلى ٣٤ عضواً، وبتقسيم المناطق الجغرافية إلى ٥ زمر أو مجموعات، وتوزيع المقاعد بينها على الشكل التالي:

المجموعة الأولى : أوروبا الغربية - أمريكا الشمالية - أستراليا - نيوزيلندا وإسرائيل ومالطا: ٢٧ دولة - ٩ مقاعد.

المجموعة الثانية : الدول الاشتراكية في شرق أوروبا: ١٠ دول - ٣ مقاعد.

المجموعة الثالثة : دول أمريكا اللاتينية: ٢٣ دولة - ٦ مقاعد.

المجموعة الرابعة : الدول الآسيوية، عدا الدول العربية: ١٩ دولة - ٥ مقاعد، بزيادة مقعدين.

المجموعة الخامسة : الدول العربية والدول الأفريقية: ٤٣ دولة - ١١ مقعداً، بزيادة مقعدين.

المجموع : ٣٤ مقعداً

وقد مثّل الجمهورية العربية المتحدة (مصر) الدكتور ثروت عكاشة، ومثّل لبنان الأستاذ فؤاد صرّوف، ولم يجر انتخاب العضو العربي الثالث، وكان من بين المرشحين الدكتور حسان مريود من سورية الذي انتخب فيما بعد.

ج - مدارس أولاد اللاجئين والبرامج التعليمية فيها : يستند التعاون القائم بين منظمة اليونسكو ومنظمة «الأونروا»، فيما يتعلق بتأمين وسائل التعليم لأولاد اللاجئين الفلسطينيين العرب، إلى اتفاق تم التوقيع عليه للمرة الأولى عام ١٩٥٢ واستمر تجديده سنة فسنة، ويعود آخر تجديده له إلى تاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٦٧، وهو يسري لمدة سنتين. وكان المؤتمر العام لليونسكو يوجه المنظمة فيما يتعلق

بالبرامج وبالإشراف عليها، إلا أن العدوان الإسرائيلي على البلاد العربية واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة خلق إشكالات جديدة، ووضعاً قانونياً جديداً جعل مدير «الأونروا» يتجاوز منظمة اليونسكو، ويسعى للحصول على موافقة الأمين العام للأمم المتحدة، وموافقة الجمعية العمومية للأمم المتحدة بغية الاتصال بالسلطات الإسرائيلية المحتلة لتأمين التعليم في مدارس الأونروا في الضفة الغربية وفي قطاع غزة.

وكان المدير العام لليونسكو قد أشار إلى أن الاتفاق المعقود بين المنظمة والأونروا ينص على التشاور مع «الحكومات المعنية»، وهذه الحكومات هي: سورية ولبنان والأردن ومصر، ولا يستطيع المدير العام لليونسكو أن يضم إلى هذه «الحكومات المعنية» إسرائيل. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن المناهج التعليمية في مدارس الأونروا كانت مستمدة ومعتمدة على المناهج التعليمية في المدارس الحكومية لهذه الدول العربية الأربع، بحيث يستطيع هؤلاء التلاميذ الانتقال إلى المدارس الحكومية لهذه الدول بدون أدنى صعوبة.

تقدّم مندوب إسرائيل باعتراض على مضمون الكتب التي تدرّس في مدارس الأونروا، وعلى ما يرد فيها من حض على الكراهية ضد إسرائيل واليهود، وتعريض بالسلطات الإسرائيلية وتحريف لتاريخ إنشاء دولة إسرائيل... مما لا يتماشى مع مبادئ اليونسكو.

وبعد مناقشات طويلة ومشاريع قرارات وتعديل لهذه المشاريع، أقر الاقتراح العربي بتعديل مادة في المشروع البرازيلي - الإيطالي بحيث أصبحت:

«الفقرة ٣ - يخوّل المدير العام (لليونسكو) أن يتعاون مع منظمة الأونروا في مجال التعليم، حيثما توجد مؤسسات علمية تابعة للأونروا، بالاستناد إلى مبادئ القانون الدولي فيما يتعلق بالأراضي المحتلة، وإلى روح الاتفاق المعقود بين اليونسكو والأونروا في ٢٦ كانون الثاني ١٩٦٧».

د - دعوة إسرائيل لحضور مؤتمر تطبيق العلوم والتقنية على التنمية في آسيا (كاستازيا): كانت اللجنة التحضيرية قد أقرت في أكثريتها دعوة إسرائيل لحضور المؤتمر المزمع عقده في نيودلهي بالهند، في خريف العام ١٩٦٧، لتطبيق العلوم والتقنية على التنمية في آسيا، وقد أثير هذا الموضوع مجدداً في آخر جلسة للمجلس التنفيذي في ٣/١١/١٩٦٨.

قال مندوب الهند إن بلده، باعتبارها الدولة المضيفة، قد وجهت الدعوة لسائر

الدول الآسيوية التي حضرت مؤتمر بانكوك (مؤتمر وزراء التربية) (لم تكن إسرائيل بينها)، وقال إن أمر زيادة هذا العدد منوط بالمجلس التنفيذي الذي يعود له اتخاذ القرار النهائي.

قال مندوب إسرائيل إن بلده لا يُدعى لمؤتمرات أفريقيا لأنه ليس بلداً أفريقياً، ولا يُدعى لأوروبا لأنه ليس أوروبياً، ولا يُدعى لمؤتمرات أمريكا اللاتينية لأنه لا علاقة له بها، ولا يستطيع حضور المؤتمرات العربية لأن ذلك ممنوع عليه، وإنه إذا لم يحضر المؤتمر الذي يعقد في آسيا، وإسرائيل دولة آسيوية جغرافياً وتاريخياً وأكثر سكانها هم من مواليد آسيا، فإذا لم تدع لمؤتمر يعقد في آسيا، فأين تذهب.

وأيده مندوب فرنسا، وقال إنه يرحب بدعوة إسرائيل إلى مؤتمر كاستازيا.

فرد عليه مندوب إيران قائلاً: «إنني مع كل الاحترام الذي أكنه لإسرائيل ولما حققته في مضمار العلم والتقنية، أقول هنا لمندوبها، بصراحتي كأستاذ علوم بعيد عن الدبلوماسية: إننا لا نريدكم في هذا المؤتمر، إننا بحاجة إلى هذا المؤتمر، ووجودكم فيه سيثير النزاعات والمشاكل الكثيرة، لذا نرجو عدم الإلحاح بحضوره».

وقال الدكتور طلبة، مندوب الجمهورية العربية المتحدة: «إننا ننطلق في هذا المؤتمر، وفي غيره من المؤتمرات، من المبدأ التالي: يجب أن لا تدعى أي دولة من الدول إلى أي مؤتمر من المؤتمرات خلافاً لإرادتها، كما أنه يجب أن لا تدعى أي دولة من الدول إلى مؤتمر ما إلا برغبة الدول المشتركة في هذا المؤتمر، وعلى هذا الأساس فإننا لا نرغب أن تدعى إسرائيل لمؤتمر كاستازيا خلافاً لرغبة أعضائه.

وجرى التصويت بعدئذ على دعوة إسرائيل إلى هذا المؤتمر، فرفضت بأكثرية أحد عشر صوتاً، وموافقة عشرة أصوات، واستنكاف خمسة.

في دمشق: تشكلت وزارة جديدة برئاسة الدكتور نور الدين الأتاسي، بتاريخ ٢٩ تشرين الأول ١٩٦٨ واستمرت حتى ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٠. في هذه الوزارة عين الدكتور مصطفى السيد وزيراً للتعليم العالي، وترأس الوفد السوري إلى المؤتمر العام لليونسكو الذي عقد في خريف عام ١٩٦٨ في باريس.

سررت بمجيئه رغم عدم معرفتي السابقة به، إلا أنني لمست دماثة أخلاقه وسعة اطلاعه وغزارة علمه وحسن تتبعه، ومناقشته للمواضيع التي كانت مطروحة للتداول والنقاش، وخلال فترة المؤتمر قامت بيننا صداقة وتقدير متبادل.

خلال هذا المؤتمر العام، الذي حضره الدكتور مصطفى السيد عام ١٩٦٨ والذي

حضرته معه، تعرف على المسيو رونييه ماهو المدير العام لليونسكو، وكنت شرحت له مواقف المسيو ماهو المؤيدة لقضايانا، ورغبت إليه أن يوجه له دعوة لزيارة سورية ففعل.

وقام المسيو ماهو بزيارة إلى سورية في ربيع عام ١٩٦٩، وعاد مسروراً جداً مما شاهده من تراث عريق وحضارة نادرة وآثار تحكي تاريخنا المجيد.

زرتة بعد عودته، فقال: «إن ما شاهدته في سورية يفوق ما كنت أتصور وما كنت قد قرأت، كما أن جميع الأشخاص والمسؤولين الذين قابلت، كانوا على مستوى عال من الثقافة والذكاء ولطف المعشر». ولقد سررت لهذا الشعور الودي الصادق الذي حملته من زيارته لسورية مما زاد في دعمه لقضايانا.

وأعيد تأليف الوزارة بتاريخ ٢٩/٥/١٩٦٩، وعين فيها الدكتور مصطفى السيد وزيراً للخارجية، وكان الفريق حافظ الأسد يحتفظ دوماً، في الوزارات المتعاقبة، بمنصب وزير الدفاع إضافة إلى عمله كقائد للقوى الجوية والدفاع الجوي.

في سورية: بعد ظهر الثلاثاء ٨ تموز، جرى اشتباك بين طائرتنا وطائرات العدو الإسرائيلي، وقد نشرت الصحافة والتلفزيون الفرنسي أنباء وصور الاشتباك الجوي التي وردته من إسرائيل، وأوردت البلاغين السوري والإسرائيلي حول نتائج هذا الاشتباك، كما ذهبت في تعليقاتها مذاهب شتى خبيثة، منها أنه بمناسبة سفر الفريق حافظ الأسد وزير الدفاع والقائد العام للجيش والطيران مع الوفد السوري إلى موسكو، أحب خصومه في الجيش إضعاف وضعه ومكانته، فأرسلوا الطائرات السورية إلى معركة يعرفون مسبقاً أنها خاسرة، وأنه ستكون لها نتائج سيئة على وضع الفريق في الداخل.

وذكرت غيرها أن السلطات المصرية قد طلبت إلى السلطات السورية فتح معركة مع إسرائيل في القطاع السوري، كي تخفف الضغط على القطاع المصري وعن قناة السويس، وأن تنقل اهتمام القيادة الإسرائيلية من القطاع الجنوبي (المصري) إلى القطاع الشمالي (السوري)، حتى تستطيع القوات المصرية القيام بهجوم في منطقة القناة، وإقامة رأس جسر على الضفة الشرقية منها بفرقتين مدرعتين، إلا أن الاتحاد السوفياتي نصح القيادة المصرية بعدم القيام بهذه المجازفة الخاسرة، قائلاً إنه طالما لا تتمتع القيادة المصرية بغطاء جوي قادر على حمايتها، فإن الطائرات الإسرائيلية ستغير على هاتين الفرقتين في النهار، وتكون هنالك مجزرة رهيبة ونكسة جديدة، وهذا ما دعا المصريين للإقلاع عن هذه المغامرة.

في هذه الفترة، صدر مرسوم بتعيين الأستاذ كامل حسين، الذي كان عضواً في القيادة القطرية، سفيراً في فرنسا، فاستبشرت خيراً باقتراب نقلي من باريس، إذ بعد أن أمضيت ما يقرب من سنة كقائم بالأعمال بالنيابة، بين نقل وتسريح الدكتور سامي الجندي ومجيء السفير الجديد الأستاذ كامل حسين، فإن بقائي في باريس لم يعد جائزاً بروتوكولياً ورسمياً.

وبعد أن قدّم الأستاذ كامل حسين أوراق اعتماده إلى الرئيس جورج بومبيدو في أوائل آب ١٩٦٩، وقد رافقته في تلك المناسبة، وكان الرئيس بومبيدو يعرفني من قبل، وردت برقية من وزير الخارجية بنقلي إلى دمشق، وبعثت الوزارة مكانني بالزميلين عدنان نشابة وسيفي الحموي ليملاً الفراغ في سفارة باريس.

وبمناسبة سفري، هياً لي بعض الزملاء من العرب حفلات وداع، كان منهم الأستاذ فيليب تقلا سفير لبنان، والسفير الدكتور بطرس ديب المندوب الدائم للبنان لدى اليونسكو، والدكتور مدحت شيخ الأرض سفير المملكة العربية السعودية، والأستاذ أحمد الفاسي المندوب الدائم للمغرب لدى اليونسكو، والفريق حافظ إسماعيل سفير الجمهورية العربية المتحدة (مصر)، والدكتور عصمت عبد المجيد الوزير المفوض في سفارة الجمهورية العربية المتحدة، والمسيو لوبيل مدير إدارة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في وزارة الخارجية الفرنسية، والسفير الدكتور مصطفى طلبة المندوب الدائم للجمهورية العربية المتحدة لدى اليونسكو، الذي أخرجني بكلمته الكريمة وبإطنا به الذي ما كنت أستحقه لولا محبته لي. وكان تكريم هؤلاء الزملاء لي خير مكافأة وأجمل دليل على تعاوننا خلال فترة عملي في باريس. وهكذا هيات نفسي للسفر، وعدت مع عائلتي إلى دمشق في ٢٢ آب ١٩٦٩.

نحن في فرنسا

لقد أمضيها، أنا وعائلتي، في فرنسا أكثر بقليل من ثلاث سنين، وما كنت أعتقد أن تطول إقامتنا في باريس أكثر من أشهر معدودات، قياساً على إقامتنا في السفارات السابقة، وكنت أنتظر أن تردني برقية النقل إلى دمشق في كل يوم، لذلك استأجرت شقة صغيرة، مفروشة، كيلا أتحمّل مشكلة الفرش، ثم بيعه أو نقله أو التصرف به، ومع ذلك، أمضيها في باريس ثلاث سنين وشهرين وثلاثة عشر يوماً، لم آخذ خلالها إجازة يوم واحد، ولم أجد الراحة أو الطمأنينة في يوم واحد، بل كانت الإقامة في هذا البلد الكبير مرهقة من حيث العمل، غنية بالأحداث الهامة، مكلفة من حيث الغلاء، ومتعبة من حيث الواجبات الاجتماعية.

- كانت غنية بالأحداث، إذ لم يمض يوم إلا وتقع حادثة في فرنسا، أو في مكان آخر من العالم تتأثر به فرنسا، ويجب علينا تغطيته وإطلاع وزارتنا عليه. وقد تعرضت في تقاريري، التي أشرت إليها سابقاً، إلى بعض هذه الأحداث الهامة، ولم أتعرض إلى الأقل أهمية منها، وكان علي أن أعطي عمل سفارتين في آن واحد: السفارة لدى الحكومة الفرنسية والوفد الدائم لدى اليونسكو، وقد قمت بهاتين المهمتين بما يرضي ضميري وبما أَرْضَى الوزارة وأكسبني تقديرها وتقدير الوزير في عدة رسائل بعث بها إلي، يشجعني فيها على الاستمرار ويعمم تقاريري على بقية البعثات لتحذو حذوي.

ومع ذلك، فالعمل في سفارة دولة عظمى كفرنسا ممتع ومفيد، يطلع الإنسان فيها على أهم أحداث العالم عن كثب، ويتعرف فيها على أعظم رجالات السياسة الدولية الذين يخططون ويصنعون مصير العالم، إلا أن هذا العمل الغزير يحتاج إلى العديد من المساعدين الأكفيا الذين يمكن توزيع المهام عليهم، والاعتماد على نشاطهم وكفاءتهم؛ وكنت وحيداً في عملي مما أرهقني.

- أما النشاط الاجتماعي في باريس فغزير ومنوع، ففي كل يوم حفلة أو حفلتان وغالباً ثلاث حفلات استقبال رسمية لدول شقيقة أو صديقة، وبمناسبات مختلفة منها الأعياد الوطنية، أو بمناسبة زيارات الرؤساء أو الوزراء الرسميين، أو بمناسبة حضور السفير الجديد للتعارف أو بمناسبة مغادرته نهائياً، فكنت أدخل من الباب الرئيس حيث السفير فأقدم له التهنة وأخرج من الباب الخلفي لألحق بالحفلة التالية وهكذا، هذا عدا عن حفلات العشاء الرسمية أو حفلات الأوبرا التي كان يدعو إليها الجنرال ديغول بمناسبة زيارة أحد رؤساء الدول الهامين لفرنسا.

كنت ذكرت، قبل مجيئي إلى باريس، أن مستشار السفارة الفرنسية بدمشق، عندما علم بنقلي إلى باريس، جاءني مهنئاً وقال إن نسيبه يعمل مديراً في قصر الإليزيه، وإنني إن كنت أحتاج لشيء فيمكنني الاعتماد عليه فقد أعلمه بقدمي. بعد أن وصلت باريس بقليل قمت بزيارته، سألتني إن كنت أرغب في شيء وماذا أحب؟ قلت: إنني أحب الموسيقى الكلاسيكية والمسرح، إذ إن فرنسا غنية بكليهما، فأمن لي الشرفه الخاصة، أي «اللوج» الخاص بالرئاسة، في دار الأوبرا، أستطيع أن أستخدمه مرة كل شهر وأن أدعو أصدقائي إليه، لأنه لوج واسع ويمكنه استقبال ثمانية أشخاص، وقد أفدت من ذلك فائدة كبرى، إذ كنت أدعو أصدقائي القادمين من سورية إلى أمسية في الأوبرا ما كانت لتتاح لهم لولا النسيب الكريم للمستشار الفرنسي اللطيف بدمشق.

أما المسرح، فإن فرنسا تعتبر من أولى الدول في العالم بجمال المسرحيات وغزارتها، وإلى جانب المسرح كان هنالك «القوَّالون Chansonniers»، ومنهم من اختص بتقليد الجنرال ديغول من حيث الشكل واللهجة، يتناول مؤتمرات الجنرال الصحفية الأسبوعية فيطوِّرها ويغيِّر بألفاظها، مما كان له وقع جميل ومسلٍّ، وهذا بالإضافة إلى العديد من المعارض الفنية (معرض توت عنخ آمون، ومعارض كبار الرسامين: بيكاسو، ميرو، الانطباعيين، معارض الآثار والمفروشات والسيارات، إلخ...)، وكانت النواحي الفنية في باريس تسليتنا الوحيدة.

ورغم كل هذه الصعوبات، فقد كانت إقامتي في باريس غنية بالمعلومات، مليئة بالذكريات، مفيدة بالتناح، فقد حصلت بعده على أعلى منصب في وزارة الخارجية، وهو منصب الأمين العام للوزارة، كما أهَّلني هذا المنصب، فيما بعد، إلى منصب وزير للسياحة ووزير للخارجية بالوكالة، رغم عدم كوني منتسباً للحزب الحاكم أو لأي حزب آخر مشارك في الحكم.

إحراق المسجد الأقصى

فُجع العرب والمسلمون، في صبيحة يوم ٢١ آب ١٩٦٩، بإحراق المسجد الأقصى بالقدس، قام به مجرم صهيوني، وتباطأت السلطات الإسرائيلية بإطفائه مما أحدث بالمسجد أضراراً فادحة. وهب العرب والمسلمون بالدعوة للجهاد ولتحرير فلسطين والأماكن المقدسة من أيدي الطغاة الإسرائيليين المحتلين، وإنقاذ المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

وفي دمشق، قامت، بتاريخ ٢٨ آب، مظاهرات صاخبة تندد بإحراق الأقصى، وتطالب بالجهاد لتحرير الأرض المقدسة من المغتصبين، وسارت في الشوارع الرئيسة مطالبة الحكومة بالتدخل السوري، والتعاون مع سائر الدول العربية للرد على هذا العدوان وضرب المعتدي. وألقى الدكتور نور الدين الأتاسي، رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء، خطاباً في هذه الجماهير، قال فيه:

«... يا جماهير أمتنا العربية. في هذا اليوم تخرج دمشق العربية عن بكرة أبيها لتعبّر عن غضبتها على الصهيونية المجرمة التي عبثت بمقدساتنا فأحرقت المسجد الأقصى ثالث الحرمين وأولى القبلتين.

... في هذا اليوم الذي نعلن فيه عن غضبتنا على الصهيونية المجرمة التي عبثت بمقدساتنا واستهترت بها، إن هذا اليوم هو في نفس الوقت تعبير عن

تصميمنا الذي لا يتزحزح على خوض المعركة بدون هوادة، معركة الكفاح المسلح حتى التحرير...»^(١).

ونادى الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية للجهاد في ٢٢/٨/١٩٦٩:

«... أناشد قادة المسلمين وشعوبهم في مشارق الأرض ومغاربها، أن يهبطوا لتحرير مقدسات الإسلام في القدس العزيزة، متسلحين بالإيمان الذي هو أقوى من أي سلاح، وواضعين أمام أعينهم ما وعدهم الله به في كتابه العزيز الذي يقول: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾»^(٢).

وأرسل الرئيس جمال عبد الناصر رسالة إلى الفريق محمد فوزي، في ٢٣/٨/١٩٦٩، قال فيها:

«... مع كل مشاعر الغضب الجارف والحزن العميق، والآلام الروحية والمادية التي تعصف في قلوب أمتنا بأسرها من المحيط إلى الخليج، فإنني لم أجد من أتوجه إليه في هذه اللحظة بخواطري غير القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة، ومن ورائها القوات المسلحة لشعوب أمتنا العربية، وكل قوى المقاومة الشريفة التي فجرتها التجربة القاسية التي أراد الله بها عز وجل أن يمتحن صبرنا وأن يختبر صلابتنا...»

«... إن هناك نتيجة واحدة يجب أن نستخلصها لأنفسنا، ويتحتم علينا أن نفرض احترامها مهما كلفنا ذلك، ألا وهي أن العدو لا ينبغي له، ولا يحق له، أن يبقى حيث هو الآن...»^(٣).

وأصدرت الخارجية السورية بياناً إلى رؤساء البعثات الدبلوماسية المعتمدة في دمشق، بتاريخ ٨/٢٦، تشرح فيها الأعمال الإجرامية الإسرائيلية في إحراق المسجد الأقصى، وفي تحديها لجميع قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، وتطلب إليهم فيه حث حكوماتهم «على اتخاذ التدابير الفعالة... لتطبيق العقوبات المنصوص عنها في ميثاق الأمم المتحدة، بحق السلطات الصهيونية»، مطالبين بالعمل الفوري لإنقاذ القدس من الإجرام الصهيوني وتحرير الأراضي الفلسطينية.

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

وقرر مجلس وزراء الخارجية للدول العربية، في دورته الطارئة التي عقدها بالرياض بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢٦:

«أولاً: أن يوجه الأمين العام لجامعة الدول العربية الدعوة لاجتماع مجلس الدفاع المشترك في الأسبوع الأول من نوفمبر القادم، للنظر في الخطط اللازمة لحشد جميع القوى العربية ضد العدوان الإسرائيلي، ودعم الجهاد الفلسطيني بما يكفل له الاستمرار والنمو لتحقيق النصر.

ثانياً: على ضوء اجتماع مجلس الدفاع المشترك ينظر مجلس الجامعة موضوع اجتماع مؤتمر القمة العربي.

ثالثاً: تأكيد أهمية عقد مؤتمر إسلامي، وأن يعهد إلى المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية بإجراء الاتصالات اللازمة من أجل عقد هذا المؤتمر.

رابعاً: ضرورة العمل من أجل توفير كافة الإمكانيات المادية والسلاح اللازم للكفاح الفلسطيني وتحقيق حرية العمل الفلسطيني، ودعم قدرة الشعب على الصمود في الأرض المحتلة...».

وندد جميع الزعماء العرب، بمن فيهم الملك حسين (الأردن)، والقاضي عبد الرحمن الأرياني (اليمن)، وشارل حلو (لبنان)، والشيخ عبد الحميد السائح، ومجمع أساقفة الروم الكاثوليك، ومطران الروم الأرثوذكس، وعلماء الحرمين الشريفين، ورابطة العالم الإسلامي، وحركة التحرير الوطني الفلسطيني، ومجلس وزراء الخارجية العرب، والإمام موسى الصدر، ومفتي القدس محمد أمين الحسيني، وجبهة التحرير العربية (العراقية) وسائر الأحزاب والجمعيات العربية والإسلامية بهذا العمل الإجرامي.

في دمشق ٢٦ آب ١٩٦٩

- ١٥ شباط ١٩٧٨

في وزارة الخارجية: كانت وزارة الخارجية تعمل كصمام أمان بالنسبة للسلطة الحاكمة في سورية، تبعث إليها من تريد إبعاده من السياسيين أو الضباط الذين تخشاهم، أو توفد إليها من تريد إغناؤه بالرواتب والمنح والتعويضات، والميَّزات التي يتمتع بها الدبلوماسي في الخارج ولا تتوفر له في الداخل. أما العلم والكفاءة والأخلاق والمعرفة المطلوبة للتمثيل الدبلوماسي، أو معرفة الأنظمة والقوانين الدولية أو صفات وواجبات الممثل الدبلوماسي في الدولة المعتمد لديها، فهو ما لم يؤخذ بعين الاعتبار، ولطالما قال المسؤولون السوريون - وللأسف الشديد - إن كنا بحاجة لإبلاغ إحدى الدول ما نريد، أو الاستيضاح منها عن شيء، استدعينا ممثلها لدينا وأبلغناه ذلك، وكأنَّ السفراء الأجانب المعتمدين لدينا هم سفراء دولهم وسفراؤنا في الوقت ذاته، وأما وجودنا ونشاطنا الدبلوماسي والسياسي والإعلامي في الخارج فهو ما لا شأن لنا به، وإنَّ وُجِدَ، فقد كان مسيئاً لنا ولسمعتنا ولقضايانا لما كان يرتكبه هؤلاء الموفدون (المسمون دبلوماسيين سوريين) من أعمال مشينة، بعضها تجارية غير مرخصة وبعضها خرق للقوانين المحلية وأكثرها استهتار بسمعة سورية وبمركزها في الخارج، وفي الوقت الذي كنا فيه أحوج ما نكون لرياض سمعتنا وإظهار وجهنا الناصع والدفاع عن قضايانا الحقّة، كنا نعمل على الإساءة لسمعتنا والحط من قيمتنا، وترك المجال لأعدائنا لينالوا منا ومن قضايانا ومن سمعتنا.

أراد الوزير الجديد، الدكتور مصطفى السيد، أن يعيد لوزارة الخارجية قيمتها ووظيفتها وأن يحول دون تدهورها وإسفافها، إلا أن الظروف الداخلية والخارجية حدّت من رغبته هذه، وحالت دون الإصلاح الذي كان ينشده، والذي أردت أن أساعده على تحقيقه، فالإصلاح بعد الفساد صعب وطويل وغير مؤتمن النتائج.

كان الخلاف قد دب بين أعضاء القيادة القطرية نتيجة حرب ١٩٦٧، وما نجم عنها من نتائج خطيرة أصابت الصميم من السوريين والعرب حكاماً ومحكومين، ثم الحرب التي وقعت في الأردن بين الفلسطينيين وملك الأردن في أيلول ١٩٧٠ في ما سمي بأيلول الأسود، ودعم سورية للفلسطينيين ضد الأردن، ووقوف الغرب وإسرائيل والولايات المتحدة إلى جانب الملك حسين تحميه وتحمي مملكته، ذلك ما جعل تحقيق الإصلاح في وزارة الخارجية هامشياً بالنسبة لبقية الأمور الهامة.

جاء إحراق المسجد الأقصى في آب (١٩٦٩) ليشعل نار ثورة شعبية عارمة في العالمين العربي والإسلامي، فدعا الملك الحسن الثاني، ملك المغرب، إلى اجتماع قمة على مستوى الملوك والرؤساء العرب والمسلمين يعقد في الرباط في أيلول ١٩٦٩، إلا أنه، وفي الوقت ذاته، كانت الحكومة السورية قد قبلت دعوة رسمية لزيارة بيونغ يانغ وجهها إليها «كيم إيل سونغ» زعيم كوريا الشمالية، وقامت الحكومة السورية برئاسة نور الدين الأتاسي بتليتها، ولم تعتذر عنها أو تؤجلها لحضور مؤتمر القمة الإسلامي في الرباط، مما أثار انتقاداً شديداً لها، على تفضيل زيارة «بيونغ يانغ» على حضور مؤتمر القمة الإسلامي، وترجيح زيارة بلد شيوعي على حضور مؤتمر إسلامي لبحث أزمة خطيرة تهم العرب والمسلمين أجمعين بمن فيهم السوريين.

وأصدرت «الجبهة الوطنية الديمقراطية في سورية» بياناً، نشرته جريدة الحياة اللبنانية بتاريخ ٢٨/٩/١٩٦٩، نددت فيه بشدة بالحكومة السورية التي فضلت الذهاب إلى بلد شيوعي من حضور مؤتمر إسلامي يبحث أخطر جريمة ارتكبتها إسرائيل، ومما ورد في البيان^(١):

«لم يواجه المسلمون، في تاريخهم الحديث، عدواناً ألهب مشاعرهم وأثار قلقهم وحفزهم على التجاوب والتنادي لنبد الفرقة والاعتصام بحبل الله، كحادث إحراق المسجد الأقصى.

... والغريب المؤسف أن يقف، خلال هذه الفترة التاريخية، حكام بلد عربي إسلامي هو سورية موقفاً أثار العجب والدهشة لما بدا فيه من شذوذ مخجل عن مجموعة الدول الإسلامية، حين أعلن حكام هذا البلد رفضهم الاشتراك في

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٩، (ص ٦٥٠).

مؤتمر القمة الإسلامي لأسباب ومبررات واهية هزيلة ليس لها أي وزن...
... وحين رأى العالم رئيس الدولة السورية يؤثر، في هذا الوقت بالذات،
الذهاب على رأس وفد من أعضاء حزبه الحاكم إلى كوريا الشمالية على
الذهاب إلى الرباط حيث يجتمع أعضاء مؤتمر القمة الإسلامي، كان الاهتمام،
في رأي هؤلاء الحكام بزيارة بلد شيوعي، هو أعظم وأجدى من الاهتمام
بموضوع المسجد الأقصى ومصير فلسطين... وهذا منتهى ما يصل إليه شعور
الاستهتار واللامبالاة عند هؤلاء الحكام...».

وكان مؤتمر القمة الإسلامي قد أصدر، في ختام اجتماعاته البيان التالي نقتطع منه
بعض الفقرات:

«إن رؤساء الدول والحكومات والممثلين للدول الإسلامية التي حضرت
مؤتمر القمة الإسلامي الأول، الذي عقد في الرباط في الفترة بين ٩ إلى ١٣
رجب عام ١٣٨٩هـ الموافق لـ ٢٢ إلى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٩م، وقد حضر ممثلو
منظمة التحرير الفلسطينية هذا الاجتماع بصفتهم مراقبين».

وبعد الحثيات يقول البيان:

«إن الحادث المؤلم الذي وقع يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ والذي سبب الحريق
فيه أضراراً فادحة بالمسجد الأقصى الشريف، قد أثار أعظم القلق في قلوب أكثر
من ٦٠٠ مليون من المسلمين في سائر أنحاء العالم، وإن الأعمال المتمثلة في
انتهاك حرق مقام يعتبر من أقدس المقامات الدينية لدى البشرية، وفي تخريب
الأماكن المقدسة وخرق حرمتها، تلك الأعمال التي وقعت تحت الاحتلال
الإسرائيلي المسلح لمدينة القدس الشريف، وهي المدينة التي تحظى بإجلال
جميع معتنقي الديانات الإسلامية والمسيحية واليهودية، قد زادت حدة التوتر في
الشرق الأوسط وأثارت استنكار جميع شعوب العالم. وإن رؤساء الدول
والحكومات والممثلين يعلنون إن الخطر الذي يهدد المقامات الدينية الإسلامية
في مدينة القدس، إنما هو ناتج عن احتلال القوات الإسرائيلية لهذه المدينة، وإن
المحافظة على الصفة المقدسة لهذه الأماكن وضمان حرية الدخول إليها والتنقل
فيها، تستلزم أن يسترجع القدس الشريف وضعه السابق قبل يونيو ١٩٦٧ والذي
أكدته ١٣٠٠ سنة من التاريخ، وبناء على ذلك فإنهم يعلنون أن حكوماتهم
وشعوبهم مصممة على رفض أي حل للقضية الفلسطينية لا يكفل لمدينة القدس
وضعها السابق قبل عدوان يونيو ١٩٦٧...».

وينتهي البيان بالقول:

«ونظراً لتأثرهم العميق بمأساة فلسطين، فإنهم يقدمون مساندتهم التامة للشعب الفلسطيني لاسترجاع حقوقه المغتصبة ونضاله من أجل التحرير الوطني، ويؤكدون تمسكهم بالسلم بشرط أن يكون قائماً على الشرف والعدل»^(١).

وتنفيذاً لمقررات المؤتمر الإسلامي، عقد مجلس الدفاع العربي المشترك اجتماعاً في القاهرة من ٨ إلى ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٩، وأصدر في نهايته البيان التالي:

«... إننا وإن كنا قد أفدنا، وما زلنا نفيد، كثيراً من كسب الرأي العام العالمي عن طريق العمل السياسي الذي باشرناه بجدية وإخلاص في الستين الماضيتين، إلا أن الحقيقة تبقى تذكرنا بنفسها دائماً، وتدق على رؤوسنا وضمائنا وهي أن الحل السلمي قد فشل ووصل إلى طريق مسدودة يستحيل معها تحرير الأرض العربية نتيجة تعنت إسرائيل وما تلقاه من دعم مادي وسياسي وعسكري من الولايات المتحدة الأمريكية والقوى الاستعمارية الأخرى.

وإنه لا بد لنا أن نترجم ما سبق أن توصلنا إليه من أن طريقنا هو طريق التعبئة والقوة والحشد، والإعداد لأعمال مادية جديدة منظمة يتحمل كل منا فيها مسؤولية كاملة ومحدودة...».

«ثانياً: قرر المجلس التوصية بدعوة مؤتمر القمة العربي إلى الانعقاد أيام ٢٠ كانون الأول و ٢١ و ٢٢ منه في الرباط... وذلك في إطار الجامعة العربية.

ثالثاً: يقرر مجلس الدفاع المشترك دعم الثورة الفلسطينية بكل طاقات أمتنا العربية، وهو في هذا الاتجاه يقرر، من حيث المبدأ، ما جاء في مذكرة منظمة التحرير الفلسطينية في هذا الشأن.

رابعاً: دعم الصمود الفلسطيني...

خامساً: بعدما تداول مجلس الدفاع العربي المشترك موقف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بالسماح لمواطنين أمريكيين بالعمل في الجيش

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٩، (ص ٦٤٩).

الإسرائيلي مع احتفاظهم بالجنسية الأمريكية، الأمر الذي يضع الولايات المتحدة الأمريكية في تحدٍّ ومواجهة سافرين ضد تطلعات أمتنا العربية في التحرر والتقدم، وخصوصاً أن الولايات المتحدة تواصل تقديم السلاح والطائرات لإسرائيل دعماً منها للاعتداء الإسرائيلي على الأمة العربية. لذلك فإن المجلس يندد بهذا الموقف العدواني، ويهيب الضمير العالمي رفض هذا العمل ومقاومته بجميع السبل والوسائل»^(١).

واستجابة لقرار مجلس الدفاع العربي المشترك، دعا الملك الحسن الثاني الملوك والرؤساء العرب لحضور مؤتمر قمة عربي يعقد في الرباط، في ٢٠ كانون الأول ١٩٦٩ لبحث الخطوات التنفيذية لقرارات القمة الإسلامي، الذي انعقد في الرباط في أيلول الماضي. كان من المفروض أن يحضر الدكتور نور الدين الأتاسي رئيس الدولة رئيس الحكومة السورية هذا المؤتمر، إلا أنه كلف محمد رباح الطويل وزير الداخلية بحضوره نيابة عنه، وأوصاه بطلب مساعدات مالية نتيجة المؤتمر، وإلا فلينسحب الوفد من الاجتماع.

تشكّل الوفد العربي السوري من:

السيد محمد رباح الطويل : عضو المكتب السياسي والقيادة، وزير الداخلية، رئيساً.

| | |
|------------------------|--|
| اللواء مصطفى طلاس | : عضو المكتب السياسي ونائب وزير الدفاع. |
| الدكتور مصطفى السيد | : وزير الخارجية. |
| اللواء عواد باغ | : نائب وزير الدفاع. |
| السيد عبد الله الخاني | : أمين عام وزارة الخارجية. |
| الدكتور مصطفى كمال بعث | : سفير الجمهورية العربية السورية في الجزائر. |
| السيد كامل حسين | : سفير الجمهورية العربية السورية في فرنسا. |
| السيد منيب الرفاعي | : مدير إدارة الوطن العربي في وزارة الخارجية. |
| السيد أسعد صقر | : مدير عام دار البعث. |
| السيد حسين العودات | : مدير وكالة سانا للأنباء السورية. |
| السيد راتب ياسين | : مدير مكتب السيد وزير الخارجية. |

(١) جريدة النهار، بيروت ١٢/١١/١٩٦٩، الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٦٧.

وكان رؤساء الوفود العربية الأخرى كالتالي^(١):

- | | | |
|----------------------------------|---|---|
| الملك الحسن الثاني | : | ملك المملكة المغربية. |
| الأمير الشيخ السالم الصباح | : | أمير دولة الكويت. |
| القاضي عبد الرحمن الأرياني | : | رئيس المجلس الجمهوري لليمن. |
| الملك فيصل بن عبد العزيز | : | ملك المملكة العربية السعودية. |
| السيد حسن عباس زكي | : | وزير الاقتصاد في الجمهورية العربية المتحدة. |
| الملك حسين بن طلال | : | ملك المملكة الأردنية الهاشمية. |
| السيد الطيب سليم | : | وزير الدولة، والممثل الشخصي لرئيس الجمهورية التونسية. |
| الرئيس هواري بومدين | : | رئيس مجلس الثورة ورئيس الحكومة الجزائرية. |
| الفريق حردان عبد الغفار التكريتي | : | نائب رئيس الحكومة ووزير الدفاع، وعضو مجلس قيادة الثورة العراقي. |
| اللواء أ.ح. جعفر محمد النميري | : | رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الوزراء السوداني. |
| العقيد معمر القذافي | : | رئيس مجلس الثورة والقائد العام للقوات المسلحة الليبية. |
| الأستاذ شارل حلو | : | رئيس جمهورية لبنان. |
| السيد سالم ربيع علي | : | رئيس مجلس الرئاسة لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية. |
| السيد ياسر عرفات | : | رئيس منظمة التحرير الفلسطينية. |
| السيد محمد عبد الخالق حسونة | : | الأمين العام لجامعة الدول العربية. |

مع أن المملكة المغربية هيأت جميع وسائل النجاح لهذا المؤتمر، من حيث التنظيم والبرنامج والبيانات النهائية، استناداً إلى مقررات مؤتمر القمة الإسلامي ومجلس الدفاع العربي المشترك، إلا أن الدول العربية جاءت إلى المؤتمر حاملة خلافاتها الإقليمية أو رغباتها الخاصة، أو مصالحها التي لا تتنازل عنها.

(١) نشرة وزارة الأنباء في المملكة المغربية، نشرة أخبار خاصة بمجلس ملوك ورؤساء الدول العربية.

كان أول المنسحبين من المؤتمر الوفد السوري، الذي طالب بدعم مالي منذ الجلسة الثانية، ولما لم يُستجب لطلبه ترك الجلسة، التي كانت معقودة في فندق هيلتون بالرباط، وعاد إلى غرفه في الفندق، وقد لحق بنا الأمين العام لجامعة الدول العربية، عبد الخالق حسونة (باشا)، ووزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة (مصر) محمود رياض، وعدد آخر من المندوبين ليعيدونا إلى الجلسة، إلا أن رئيس الوفد محمد رباح الطويل رفض العودة وأصدر البيان التالي:

«شاركت سورية في أعمال القمة انطلاقاً من أن الهدف الأساسي للمؤتمر هو حشد الطاقات العربية من أجل معركة التحرير، وقد تقدّم الوفد بمقترحات عملية وواضحة، وبذل كل الجهود الممكنة لتحقيق هذا الهدف، إلا أنه لاحظ، بكل أسف، أن بعض الدول العربية، التي تمتلك الطاقات الكبيرة، ترفض أن تساهم بإمكاناتها الحقيقية في معركة المصير العربي، مما اضطره لمقاطعة ما تبقى من جلسات المؤتمر وإعلان انسحابه منه».

وتبع الوفد السوري بالانسحاب الوفد العراقي، وأصدر بياناً ضمّنه ملاحظاته، نقطف منه ما يلي:

«... ولقد انعقد المؤتمر وأنظار أكثر من مائة مليون عربي تتجه صوبه بالرجاء، والأمل بأنه سيسفر عن نتائج إيجابية تعيد له الثقة بالمستقبل، استناداً إلى ما ورد في جدول أعماله من ضرورة حشد جميع الطاقات والإمكانات العربية من أجل المعركة المحتومة، وفي ضوء فشل المساعي السياسية التي بذلت من قبل بعض الدول العربية للوصول إلى حل سلمي للقضية الفلسطينية. وليس بخاف عليكم أن الوفد العراقي قد بذل كل ما في وسعه لإنجاح هذا المؤتمر، إذ تقدّم بمشروع قرار إيجابي يتناول كل أبعاد القضية الفلسطينية وما ينبغي القيام به من أجلها، والذي لاقى قبولاً حسناً، وكان مقدراً أن يكون نقطة التحول في أعمال المؤتمر لولا الطريقة التي عولج فيها هذا المشروع مع مشاريع أخرى مماثلة، وقد جاء تمييعه، من وجهة نظرنا، ضربة قاصمة للأمال التي عقدت على هذا المؤتمر وخيبة أمل كبيرة لنا في جدوى مثل هذه اللقاءات، مما سيجعلنا أن نكون في طليعة المنادين بإعادة النظر في المؤتمرات المستقبلية...»^(١).

(١) المصدر نفسه. جريدة الجمهورية، بغداد ٢٦/١٢/١٩٦٩.

وتبعهما بالنقد القاضي عبد الرحمن الأرياني، رئيس المجلس الجمهوري اليمني، إذ جاء في جملة انتقاده:

«.... ولكي ندخل مرحلة الصدق مع أنفسنا نحن العرب، اقترحت اليمن أن يبدأ المؤتمر العربي بالعمل على إيقاف الأعمال العدوانية العسكرية التي تمارسها دولة عربية ضد دولة عربية أخرى، حتى نحقق أولاً وحدة الصف العربي ذاته ليقف متراصاً في وجه العدو المشترك وطلبنا إلى أشقائنا جميعاً أن يعينونا في إقناع أشقائنا في المملكة السعودية بأن يكفوا عن تجنيد العصابات المخربة، وتسليحها بأحدث الأسلحة الخفيفة والتقنية والألغام والمتفجرات لتشيع الخراب والدمار في أطراف اليمن»...

وهكذا نجد أن الرؤساء والملوك العرب أخفقوا، مرة أخرى، في الاستجابة لمشاعر الشعوب العربية وتطلعاتهم في الدفاع عن حقوقهم ومقدساتهم، وأنهم عندما جاؤوا إلى المؤتمر جلب كل منهم مشاكله ومشاغله، ونسي الغرض السامي الذي جاء من أجله ونسي ما قدّم يده، وما حصل في مؤتمر القمة في الرباط، حصل في مؤتمرات القمة المتلاحقة، نسوا الجوهر وتمسكوا بالقشور وبالخلافات الفردية فاستخف بهم العدو، وتابع طغيانه وجرائمه غير آبه بما يصرحون ويهددون، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لم يخرج مؤتمر القمة العربي الخامس بيان مشترك في نهاية اجتماعاته، كما هي العادة في مثل هذه المؤتمرات، مما يدل على فشله، حيث انفجرت الخلافات العربية - العربية، وأخذ كل وفد من الوفود الأربعة عشر المشتركة فيه يندد بالآخرين، ويشرح وجهة نظره، بعد عودته إلى بلده، مدافعاً عنها، ومحملماً الآخرين تبعة الإخفاق في الوصول إلى قرار جماعي في حادثة أصابت أهم مقدساتهم وأندرتهم بمستقبل مرير.

وأصدرت القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في دمشق، عقب عودة الوفد السوري من الرباط، بياناً دانته فيه مؤتمرات القمة التي تجمع الملوك والرؤساء، ودعت إلى مؤتمرات شعبية للكادحين والمناضلين وقوى التحرير الشعبية، وطالبت بقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية مع الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا، هذه الدول التي تدعم العدوان الإسرائيلي على الشعب العربي في فلسطين، وأنحت باللائمة على الدول الغنية والبعيدة عن خط المواجهة المباشرة، والتي تملك الثروات الطائلة من البترول وتضن بها على المناضلين الذين يقاتلون دفاعاً عن الوجود العربي كله، ثم قال البيان:

«... لذلك تمت المشاركة الجزئية باسم السلطة وفق توجيهات محددة على أساس أنه إذا لمس وفد القطر بوادر قبول التسوية السياسية، أو تهاوناً في قضية الكفاح المسلح والعمل الفدائي، وعدم دعمه أو محاولة لتحديد نشاطه أو إجحافاً عن زج الطاقات العربية في المعركة، فعلى الوفد أن ينسحب من المؤتمر»^(١).

وعلق الأستاذ صلاح الدين البيطار، في باريس، على المؤتمر وما قيل تبريراً لفشله:

«نصف الحقيقة أن يقال تبريراً لفشل المؤتمر «إنه انعقد بدون تهيئة كافية»، كأنه يمكن تصور انعقاد مؤتمر على مستوى القمة بدون تهيئة كافية بعد أن مر على مؤتمر الخرطوم أكثر من سنتين، وكأنه ليس للعرب أربعة عشر وزير خارجية، وكأنه لم يجتمع قبل ذلك مجلس الدفاع العربي المشترك...»^(٢).

وتساءلت الشعوب العربية، بعد هذا الفشل لمؤتمر علّقوا عليه كل آمالهم بحشد طاقاتهم لتحرير أراضيهم ومقدساتهم، ألم يكن من الأفضل إنفاق الأموال التي صرفت في المؤتمر على ترميم وإصلاح المسجد الأقصى، وبقي غسيل العرب بدون نشره على الملأ؟.

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٧٠، (ص ٢٩).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٦٩).

عام ١٩٧٠ في وزارة الخارجية

كان عام ١٩٧٠ مليئاً بالأحداث الهامة، مفعماً بالقضايا الدولية ذات الأثر الكبير على سورية بشكل خاص، وعلى منطقة الشرق الأوسط بشكل عام. وقد عدت إلى مفكرتي، التي كنت أسجل فيها يومياً ما أطلع عليه من أحداث وأمور، فوجدت أن كل ما سجلته فيها يستحق العرض والتحليل، ولما كان المجال لا يسمح بإيفاء هذه القضايا حقها فسأكتفي بإيراد أهمها، والتي كان لها أثر بيّن ومؤثر على سياستنا، سواء الدولية أو الداخلية. سأمر بسرعة بالأمور الثانوية، ثم أستعرض القضايا الأكثر أهمية تبعاً لتواريخ حدوثها.

أ- الأحداث المفردة

١٤ آذار: دعم الزميل سليم اليافي لمنصب أمين عام مساعد في جامعة الدول العربية، تم انتخابه في ١٤ آذار، إضافة للدكتور سيد نوفل الذي مُدِّد له لعامين آخرين.

٨ آذار: محاولة اغتيال الأسقف مكاريوس رئيس جمهورية قبرص، إذ أطلقت النار على الطائرة التي كان يستقلها فأصيب الطيار ولكنه تمكن من الهبوط بسلام، ونجا مكاريوس.

١٠ آذار: وُجد وزير داخلية قبرص الأسبق مقتولاً في سيارته.

١٨ آذار: انقلاب يميني في كمبوديا - الأمير سيهانوك يودع موسكو ذاهباً إلى بكين.

١٩ آذار: قتل واصف شرارة، من القادة البعثيين في بنت جيل بلبنان، من قبل عناصر غير معروفة، وإن كان من المعتقد أنهم من الجيش.

٢٦ آذار: معركة بين الفدائيين الفلسطينيين وجماعة الكتائب في «الكحالة» بلبنان يذهب ضحيتها ٣٠ قتيلاً من الطرفين.

٢٩ آذار: زلزال عنيف في تركيا ضرب «جديز» ودمرها. عدد الوفيات يفوق الألف.

١ نيسان: المستشرق الفنلندي سالونين، رئيس جمعية الصداقة العربية - الفنلندية وأستاذ علم الاجتماع والآثار في جامعة هلسنكي، يزور سورية.

١١ نيسان: بلغت درجة الحرارة في دمشق (٣٥ درجة)، وهي حرارة لم تعرف في مثل هذا الوقت من السنة.

١٧ نيسان: الساعة ٨،٠٧، هبطت مركبة الفضاء «أبولو ١٣» في المحيط الهادئ، في المكان المعين لها، بعد أن أصيبت في رحلتها بانفجار حال دون هبوطها على القمر، وعرض ملاحيتها للخطر.

٣ أيار: ضرب جرار فرنسي، يعمل في تمديد الكهرباء بالجنوب، أنبوب التابلاين فعطله وتدفق النفط منه. تطالب السعودية بسرعة إصلاحه وترفض سورية، باعتبار أن تلك المنطقة عسكرية والعمل فيها خطر. الواقع أن سورية تريد زيادة عائداتها من التابلاين التي تبلغ ١٥ مليون ليرة سورية سنوياً فقط. توسط الأردن، بدافع من السعودية، لإصلاح الأنبوب.

٢٣ حزيران: وفاة الرئيس أحمد سوكارنو في أندونيسيا.

١ تموز: رئيس اليمن الجنوبي محمد سالم الربيعي، يزور سورية.

١١ تموز: وفاة فؤاد الشايب، مدير مكتب جامعة الدول العربية في بيونس آيرس، والمدير العام للإذاعة والتلفزيون في سورية سابقاً.

١٦ آب: انتشار وباء الكوليرا في دول العالم ومنها سورية وتطعيم عام للسوريين.

١٧ آب: انتخاب سليمان فرنجية رئيساً لجمهورية لبنان.

انتخاب «سلفادور الليندي» الاشتراكي رئيساً لجمهورية الشيلي.

٥ أيلول: خطف الفدائيون الفلسطينيون - في وقت واحد - أربع طائرات: «العال» الإسرائيلية من أمستردام إلى نيويورك، «السويسرية» من زوريخ إلى نيويورك، والثالثة «TWA» من فرانكفورت إلى نيويورك، والرابعة جمبوجيت حوّلها الفدائيون إلى القاهرة ثم أحرقوها. طائرة «العال» هبطت في لندن، وكان الطيار قد هوى بالطائرة ففقدت الفدائية توازنها ووقعت، وأطلق حارس الطائرة النار على المختطف فقتله.

٨ أيلول: صدر مرسوم تشريعي بتخفيض الإيجارات بين ٢٥ و ٣٠ % لسائر العقارات.

١٢ أيلول: الكونت «ده بروي» رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الفرنسي يزور دمشق بدعوة مني، وإجراء مباحثات.

١٢ تشرين الثاني: إعصار شديد هب في باكستان الشرقية على نهر الغانج، وكان أهم إعصار تشهده تلك المنطقة. يُعتقد أن أكثر من مائتي ألف شخص قد لقوا حتفهم، كما هدم أكثر من مائة ألف دار. ترسل المساعدات والإعانات لباكستان.

١١ و١٣ كانون الأول: هطول الثلج في دمشق وفي سورية.

١٤ كانون الأول: صدور قرارات بتوقيف العمل بقانون الطوارئ، والسماح بالسفر إلى لبنان وإلى خارج القطر لمن يشاء مقابل دفع الرسم فقط، والتدقيق بأضابير الأشخاص الذين كانت أضابيرهم محشوة بالدسائس.

إقامة «الهيئة الدائمة السورية - اللبنانية» لدراسة وتقرير القضايا التي تعرض بين البلدين: القضايا الاقتصادية، الأمن، شؤون العمال، الشؤون الثقافية، الحدود والمياه وسائر الأمور الأخرى.

١٨ كانون الأول: وفاة المرحوم الدكتور عدنان الفرّاء، حاكم المصرف المركزي. كان في القاهرة وأصيب بنوبة قلبية حادة، ثم نقل جثمانه إلى دمشق ودفن فيها.

ب - الأحداث الرئيسية

- الاعتداءات الإسرائيلية المستمرة على دول المواجهة العربية.

- مشروع «وليم روجرز»، وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية للسلام في الشرق الأوسط، وموقف مختلف الدول العربية منه وملاحظات إسرائيل عليه.

- التشكيلات في وزارة الخارجية، وحركة تنقلات السفراء.

- احتفالات ليبيا بأعياد الجلاء، ومشروع إقامة اتحاد ثلاثي بين سورية والجمهورية العربية المتحدة وليبيا، وإمكان انضمام السودان إليه.

- الاصطدام والاقتتال بين القوات الأردنية وقوات الفدائيين الفلسطينيين، وموقف سورية وبقية الدول العربية والغربية وإسرائيل في ما سمي بـ«أيلول الأسود».

- دورة الأمم المتحدة الخامسة والعشرون، وترؤسي الدورة العادية والدورة الخاصة - عضويتنا في مجلس الأمن - المباحثات والتوصيات والقرارات.

- وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وأثره في الأمم المتحدة، وتأيني له.

- مقابلي للبابا بولس السادس في الفاتيكان، ومنحي مداليته تقديرًا لي.

- وفاة الجنرال ديغول، ومشاركتي مع وزير الخارجية في السفر إلى باريس لحضور القداس في كنيسة «نوتردام». الوفود العالمية التي شاركت في وداعه.
- الحركة التصحيحية التي قادها الرئيس حافظ الأسد.

الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على الدول العربية: سورية - لبنان - الجمهورية العربية المتحدة

ما كان يمضي يوم إلا ويقوم العدو الإسرائيلي بالتحرش والاعتداء على إحدى دول المواجهة: سورية، لبنان، الجمهورية العربية المتحدة. ففي ١٥ آذار قامت الطائرات المروحية الإسرائيلية بالإغارة على عامود للتوتر العالي قرب القطيفة فانقطع التيار الكهربائي عن دمشق، كما قامت بالإغارة على القطيفة، فتصدت لها طائرتنا فهربت الطائرات العدو. وجاء ردنا شديداً، إذ قصفت قواتنا، في ٢٩ آذار، تحصينات العدو على طول خط وقف إطلاق النار فدمرتها، فقدم مندوب إسرائيل شكوى لمجلس الأمن مهدداً باتخاذ إسرائيل ما يستوجبه الدفاع عنها.

وفي ١٢ أيار، قامت إسرائيل بهجوم كبير على جنوب لبنان اشترك فيه ٢٠٠٠ جندي و١٠٠٠ دبابة وعدد كبير من الطائرات، وذلك بغرض القضاء على مقاومة الفدائيين.

عرضت سورية على لبنان إرسال قواتها لصد الهجوم، فلم يجب لبنان، كما عرضت أن تبعث بطائراتها للتصدي للطائرات الإسرائيلية، واتصل الفريق حافظ الأسد بالعماد نجيم، فاستمهل نجيم لعرض الأمر على المسؤولين ولم يجب، ومع ذلك اشتركت طائرتنا بالقتال مع طائرات العدو، التي كانت تفوقها عدداً، ونوعاً فخسرنا ثلاث طائرات ميغ ١٧ وأفضل طيارينا فائز منصور. طلب لبنان عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن، وطلبت إسرائيل ذلك أيضاً، ودخل أعضاء مجلس الأمن في مناقشات سفسائية وتاه القرار، فقامت المدفعية السورية بقصف منطقة الحدود الإسرائيلية لتخفيف الضغط على الفدائيين، كما فعلت ذلك أيضاً المدفعية الأردنية والعراقية، فبدأت القوات الإسرائيلية بالانسحاب واستمرت طيلة اليوم.

طلب سفير العراق بدمشق مقابلتي، وقال إنه تلقى برقية من حكومته بوضع كامل قوات العراق تحت إمرة لبنان وعلى أهبة الاستعداد، وضرورة التنسيق مع القوات السورية في الجبهة الشرقية، وكان أحمد حسن البكر بعث، قبل ذلك اليوم، برسالة مماثلة إلى الفريق حافظ الأسد أذيعت من دمشق يوم ١٣ أيار.

في دمشق، خرجت جنازة حافلة بموكب مؤثر للفقيد فائز منصور.

وفي ١٦ أيار، قام وفد رسمي لبناني، برئاسة السيد رشيد كرامي رئيس الوزراء، بزيارة رسمية إلى دمشق ضم عماد الجيش جان نجيم، وناظم عكاري أمين عام رئاسة مجلس الوزراء، والدكتور نجيب صدقة أمين عام وزارة الخارجية، ورضوان مولوي مدير الوكالة الوطنية للأبناء والمقدم سامي شيخة. أجرى الوفد مباحثات مفيدة وصريحة مع الدكتور الأتاسي وعاد مساء إلى بيروت.

بالنسبة للجبهة الجنوبية، اشتد القتال بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية التي سعت للحيلولة دون نصب صواريخ مصرية على الضفة الغربية للقنال، وألقت بآلاف القنابل على المواقع المصرية. ولتخفيف الضغط عن القوات المصرية، ضربت القوات السورية مواقع الإسرائيليين على الجبهة، كما أن الأردنيين قاموا من جهتهم بضرب المواقع الإسرائيلية، واشتدت المعارك بين قواتنا وقوات العدو لثلاثة أيام.

في الوقت نفسه، جرت معارك عنيفة بين الفدائيين والجيش الأردني استمرت طيلة يوم ٩ حزيران، فأقفرت عمان من السكان، وأصيب سكرتير السفارة الأمريكية وزوجته ومعاون الملحق الثقافي الفرنسي بجروح، وتوقف القتال في الليل. تعرّض الملك حسين لمحاولة اغتيال بإطلاق الرصاص على سيارته، وضرب القصور الملكية بمدافع الهاون، ولكنه نجا من هذه المحاولة، فبعث إليه كل من الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس اللبناني شارل حلو والرئيس العراقي أحمد حسن البكر ببرقيات تهاني لنجاته من الاعتداء، وفي دمشق، أصدر وزير الإعلام بياناً دعا فيه الطرفين إلى حقن الدماء العربية والاحتفاظ بها للمعركة ضد العدو المشترك.

واستمرت الغارات الإسرائيلية بشدة على القوات المصرية، إذ ألقت الطائرات العدو أكثر من أربعة آلاف قنبلة عليها لتحول دون نصب الصواريخ، كما قامت قوة إسرائيلية محمولة على طائرات الهليكوبتر، مساء ١٦ حزيران، فضربت معسكر التدريب قرب النبك في سورية بمدافع الهاون ثم هربت من حيث أتت. ورداً على ذلك، قامت سرية مدرعة من قواتنا - يوم ٢٤ حزيران - باختراق خطوط وقف إطلاق النار ودمرت تحصينات العدو، وأنزلت به ما لا يقل عن ١٥٠ إصابة بين قتيل وجريح، وكانت مفاجأة للعدو فقد فيها صوابه.

قامت الطائرات الإسرائيلية في اليوم التالي - أي في ٢٥ حزيران - بإلقاء قنابل

شديدة الانفجار، ومن زنة نصف طن، على مدرسة المدفعية في قطنا والكسوة، فتصدت لها طائراتنا واشتبكت معها، ثم ما لبثت أن اشتركت سائر قواتنا بمعركة ضارية مع العدو، وكانت الخسائر كبيرة من الطرفين، واستمرت المعارك لليوم التالي بعنف طوال النهار واستعمل في ختامها السلاح الأبيض لطرده اليهود من تلة احتلوها، كما قامت قواتنا بهجوم معاكس، وأنزلت بعض قواتها خلف قوات العدو في الجبهة الشمالية. أسقطنا ٨ طائرات للعدو، وفقدنا ٤ طائرات، واعتقل أحد الطيارين الذين سقطوا بمظلة، وأصيب طائرة مدنية تابعة لشركة «إيطاليا» ضربتها الطائرات الإسرائيلية لتسيء إلى سمعتنا.

بعد وساطة من الأمم المتحدة ومن الولايات المتحدة، تمّ الاتفاق على وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل لمدة تسعين يوماً تبدأ من الساعة ٢٢ GMT، أي منتصف الليل في منطقتنا، وكانت طائرات العدو، حتى قبيل توقف إطلاق النار، تغير على المواقع العربية في القنال.

واتهمت إسرائيل مصر بأنها نصبت قواعد للصواريخ سام ٢ وسام ٣ بعد ٤ ساعات فقط من قرار وقف إطلاق النار على بعد ٢٠ كيلومتر من القنال.

بعد أن توقف القتال على الجبهة الجنوبية، قام العدو بهجوم واسع وعميق على جنوب لبنان في ٢ أيلول، مغتتماً انهماك الفدائيين الفلسطينيين في القتال مع القوات الأردنية في عمان وإربد والسلط.

طالب لبنان بعقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن (الذي لا يفيد في شيء).

جاءني سفير الأرجنتين بدمشق، بناء على موعد عاجل، وقال إن لديه تقريراً من وزارته يقول إن إسرائيل تهيج عدواناً واسعاً وبسائر الأسلحة على الجمهورية العربية المتحدة خلال أربعة أسابيع، وإن مصدر التقرير سفيرهم في تل أبيب الذي يعرفه معرفة وثيقة، ويعلم أنه لا يلقي الكلام جزافاً. وقال: لا شك أن السفراء الأرجنتينيين في البلاد العربية سيقابلون وزراء الخارجية العرب ويعرضون لهم ذلك، وسأل رأيي في الموضوع، فقلت له: إنني لا أستبعد ذلك، إذ إن إسرائيل عودتنا على الغدر، كما أنه من الطبيعي، في حالة لا سلم ولا حرب التي نعيشها، أن تضرب إسرائيل في الوقت الذي تعلم أن الدول العربية قد جمعت بعض قواتها وأصبحت تهددها، كما أن مصر احتجت لمندوب الأمم المتحدة من أن إسرائيل تبني التحصينات في منطقة القنال وتحشد فيها قواتها.

استدعيت السفير المصري ممدوح جبة وأطلعته على ما أخبرني به سفير الأرجنتين،

وربطت ذلك بما ورد في جريدة الموند الفرنسية، بتاريخ ٤ أيلول، من أن واشنطن باتت تخشى عملاً عسكرياً إسرائيلياً في منطقة القنال، وبتصريح ضابط إسرائيلي كبير، يوم ٥ أيلول، من أن وجود قواعد للصواريخ المصرية في القنال يهدد إسرائيل. مشروع ولیم روجرز للسلام في الشرق الأوسط: في ٢٠ حزيران ١٩٧٠، قدّم «ولیم روجرز»، وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية، مشروعه للسلام لكل من الأردن والجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل، والذي هو بمثابة تقرير من السفير «غونار يارنغ» (وسيط الأمم المتحدة) إلى «أوثانت» الأمين العام. نص المشروع - (سري) :-

«إن الأردن (الجمهورية العربية المتحدة) وإسرائيل قد أعلمتني أنها توافق على:

(١) بما أنها قبلت وبيّنت رغبتها بتنفيذ القرار ٢٤٢ في جميع فصوله، فإنها ستعيّن ممثلها للمباحثات التي ستجري تحت إشرافي حسب الإجراءات، وفي الأمكنة والأزمنة التي يمكن أن أوصي بها، آخذاً بالاعتبار ما يفضل كل طرف حول شكل الإجراءات والتجربة السابقة بين الأطراف.

(٢) إن الهدف من المباحثات المشار إليها هو الوصول إلى اتفاق لإقامة سلم عادل ودائم بينها، مستنداً إلى:

١ - الاعتراف المتبادل من الأردن (الجمهورية العربية المتحدة) وإسرائيل بسيادة كل طرف بالطرف الآخر وكامل أراضيها واستقلاله السياسي.

٢ - انسحاب إسرائيل من أراضي احتلت في نزاع ١٩٦٧، وذلك بموجب القرار ٢٤٢.

(٣) ولتسهيل مهمتي في تنفيذ الاتفاق، كما نص عليه قرار ٢٤٢، فإن الأطراف المعنية ستلتزم بشكل دقيق، ابتداء من الأول من تموز وحتى الأول من تشرين الأول على الأقل، بقرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار^(١).

(سري)

٢٠ حزيران ١٩٧٠

(١) جاء المشروع باللغة الإنكليزية، ووضعَتْ ترجمته إلى العربية، وهو يستند إلى النص الإنكليزي للقرار ٢٤٢ الذي ينص على الانسحاب من «أراضٍ احتلت» وليس من «الأراضي التي احتلت» كما ورد في النص الفرنسي Retrait des territoires occupés. وقد مضى على صدور هذا القرار أكثر من =

وفي ٢٣ حزيران، أعلن روجرز، في بيان صحفي، ما تضمنه مشروعه الذي يقضي بوقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر، وإعلان بيان من الجمهورية العربية المتحدة والأردن بالقبول بسائر دول المنطقة (أي إسرائيل)، وقبول إسرائيل بسحب قواتها، ثم التباحث، تحت إشراف يارنغ، لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذي يعتبرونه أساساً للتسوية.

وبعد شهر من إصدار هذا البيان، حضر إلى دمشق السيد صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية المصرية، يرافقه الدكتور أحمد عثمان مدير المنظمات، قابل الدكتور نور الدين الأتاسي بحضور وزير الخارجية الدكتور مصطفى السيد، وأطلعته على نتائج رحلة الرئيس عبد الناصر إلى موسكو، وعلى الرد الذي قدمه الرئيس المصري على اقتراح روجرز والذي تضمن قبول هذه المقترحات. قال صلاح جوهر إن الرئيس عبد الناصر يرمي، من هذا القبول، إلى إقامة شبكة للصواريخ غرب قناة السويس، وإن هذا القبول سيخرج إسرائيل دولياً لأنها سترفضه وتظهر بمظهر الممانع لإقامة سلم في الشرق الأوسط، أما إذا قبلت وانسحبت فنكون قد أحرزنا عليها نصراً من دون حرب.

(وعلقْتُ على ذلك للوزير بأن إخواننا المصريين يعتقدون أنفسهم أذكى شعوب الأرض، ولا يعلمون أنهم يتعاملون مع أخبث وأدهى شعوب الأرض).

وصفت مراجع وزارة الخارجية الأمريكية الجوابين المقدمين من مصر والاتحاد السوفياتي بأنهما «إيجابيين»، كما أن بريطانيا أعربت رسمياً عن رضاها، بعد الخطاب الذي ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر مساء الخميس ٢٣ تموز، والذي حيّاه فيه الدول التقدمية (دون العراق) وبشكل خاص سورية، وحيّاه شعبها وجيشها، وقال: «إن دمشق هي قلب العروبة النابض».

نشرت جريدة الموند في ٢٤ تموز ما وردها من الأوساط الشيوعية في لندن عن جواب الاتحاد السوفياتي الذي لا يشترط الانسحاب الكامل كشرط أولي لإقرار السلام، وإنما يكفي بتأكيد الإسرائيليين أنهم سينسحبون من الأراضي (مع بعض الليونة بالنسبة للمناطق المتنازع عليها بشدة)، ثم يُنزع السلاح من قطاع غزة والقناة وسيناء وشرم الشيخ، وتعاد لسورية مرتفعات الجولان وتبقى تحت إشراف قوات من

= ٣٥ سنة، وما زال الخلاف قائماً بين النصين المعتمدين رسمياً، الفرنسي والإنكليزي، العرب يتمسكون بالنص الفرنسي وإسرائيل بالنص الإنكليزي.

الدول الكبرى أو من الأمم المتحدة، وتعود الضفة الغربية للفلسطينيين، وتقديم لهم مساعدات فورية للاستيطان ولإصلاح الأراضي، ثم تصرح الدول العربية، تجاه الأمم المتحدة والدول الكبرى، بالاعتراف بإسرائيل وبحقها في الحياة ضمن حدود آمنة، ثم تنسحب القوات الإسرائيلية تدريجياً، وتبقى الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على اتصال دائم.

مشروع روجرز أحدث انقساماً شديداً في الصف العربي، إذ بينما قبلت به كل من الجمهورية العربية المتحدة (مصر) والسودان والكويت والأردن ولبنان واليمن الشمالي، فقد عارضته سورية والعراق والجزائر والمنظمات الفدائية الفلسطينية.

ففي دمشق، أذاعت محطة الإذاعة تعليقاً هاجمت فيه المشاريع الأمريكية التصفوية للقضية الفلسطينية، كما أن محمد رباح الطويل وزير الداخلية صرح في مطار بيروت، لدى عودته من مصر، أن سورية تعارض المشاريع التصفوية، وبما أنها رفضت قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فإنها ترفض سائر المشاريع المبنية عليه.

وبعث الرئيس جمال عبد الناصر بالدكتور حسن صبري الخولي يحمل رسالة للدكتور الأناسي حول جوابه على مشروع روجرز، فجمدت سورية موقفها من المشروع واكتفت بما أذاعته الإذاعة وكتبته «الثورة» و«البعث» في افتتاحياتها وبتصريح محمد رباح الطويل.

وهاجم حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، ببيان شديد أصدره في ٢٦/٧/١٩٧٠، الرئيس جمال عبد الناصر لقبوله بمشروع روجرز الذي يؤدي إلى تصفية القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني، ودعا إلى محاربته بشدة وإسقاطه.

كذلك حاربت المنظمات الفلسطينية الممثلة باللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، التي قالت في بيان أصدرته في عمان بتاريخ ٢٥/٧/١٩٧٠:

«... إن المفاوضات مع إسرائيل لتنفيذ قرار مجلس الأمن والاعتراف بها يعني، فضلاً عن التراجع من الالتزام العربي بعدم التفاوض مع إسرائيل، التنازل نهائياً عن حق الشعب الفلسطيني في وطنه فلسطين...»^(١).
وأصدرت الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين، والحزب التقدمي

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٧٠، (ص ٥٢١).

الاشتراكي في لبنان، وحزب البعث العربي الاشتراكي، والحزب الشيوعي اللبناني وجهة التحرير العربية بيانات مماثلة برفض مشروع روجرز.

في دمشق، أصدرت القيادتان القومية والقطرية لحزب البعث الاشتراكي، بتاريخ ٣١/ حزيران/ ١٩٧٠، بياناً أعلنتا فيه رفض مشروع روجرز رفضاً قاطعاً لاستناده إلى قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الذي سبق ورفضه القطر، وقالت القيادتان إنهما لن تتساهلا أو ترددا في اتخاذ المواقف الحاسمة.

تشكيلات السفراء في وزارة الخارجية السورية: أراد الوزير، الدكتور مصطفى السيد، إصدار تشكيلات داخلية في الوزارة، بحيث يضع بعض السفراء تحت تصرفه وبعض الزملاء، من مراتب أقل من ممتازة، مديرين للإدارات.

وبالنسبة للتشكيلات الخارجية، أراد أن يكون رائدها العدل والكفاءة وحسن التمثيل. العدل: في منح موظفي الوزارة ممن هم بمرتبة سفير، والذين لم يمنحوا هذا الحق بالتعيين في السفارات السورية بالخارج، أن يعيّنوا في السفارات الشاغرة، أما الكفاءة وحسن التمثيل فأيضاً لمن يتحلّى بهذه الصفات من موظفي الخارجية، وعدم إفاد من لا تكون لديه خبرة سياسية ودبلوماسية من خارج الوزارة.

وقد هيأت له قائمة بمن أعتقد أنهم يتحلون بهذه الميزات وعرضتها عليه، وقد عرضها بدوره على الرئيس الدكتور نور الدين الأتاسي فأقرها، وأصدر المراسيم اللازمة للتعيين والنقل، فصدرت على النحو التالي:

السيد نشأت الحسيني : سفيراً في مدريد.

الدكتور عزيز علّوني : سفيراً في إسلام آباد.

السيد منير موسى باشا : سفيراً في جاكارتا.

السيد محمد التل : سفيراً في دار السلام.

وينقل السفير حمود الشوفي من جاكارتا إلى نيودلهي.

وينقل السفير محمد الكسار من نيودلهي إلى الكويت.

وينقل السفير عبد الفتاح البوشي من مدريد إلى عمان.

وينقل السفير الدكتور أسعد الأسطواني والسفير راشد الكيلاني إلى دمشق.

وتناولت باقي التشكيلات نحواً من ستين موظفاً دبلوماسياً أيضاً.

احتفالات ليبيا بعيد الجلاء: في التاسع عشر من حزيران ١٩٧٠، سافر الوفد الرسمي للجمهورية العربية السورية برئاسة الدكتور نور الدين الأتاسي، رئيس الدولة، رئيس الوزراء، وعضوية السادة مروان حبش، واللواء مصطفى طلاس، والدكتور مصطفى السيد إلى القاهرة لمرافقة الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة، إلى احتفالات ليبيا بعيد الجلاء وتسلم قاعدة «هويليس» التي أصبح يطلق عليها اسم قاعدة «عقبة بن نافع»، وكانت الاحتفالات والمهرجانات في طرابلس بليبيا على أشدها واستمرت أسبوعاً على الأقل، وحضرها عدد كبير من رؤساء الدول العربية ورجالها الذين ألقوا خلالها خطاباً هنؤوا فيها شعب ليبيا والعقيد معمر القذافي على تحرير القاعدة، وعلى جلاء القوات الأجنبية عن ليبيا.

وألقى الرئيس جمال عبد الناصر في طرابلس، في ٢٢/٦/١٩٧٠، خطاباً مطولاً استعرض فيه ما قامت به مصر منذ العدوان الثلاثي عليها عام ١٩٥٦ حتى الآن من عمل جاد في سبيل حشد القوى العربية وزيادة فاعليتها، وهنأ أخاه العقيد معمر القذافي على ما حققه في انتزاع استقلال ليبيا من الاستعمار، وقال:

«... إننا نؤيد الأخ القذافي، ونؤيد مجلس قيادة الثورة في كل الجهود التي ساروا فيها من أجل حشد جهود الأمة العربية في هذه المعركة القومية». وختم الرئيس جمال خطابه بالقول:

«... إنني سأترككم غداً وأنا أشعر بقوة جديدة وبدم جديد، وأشعر بالأمة العربية فيكم وقد عبّرت عن ثورتها، وقد عبّرت عن عزمها، وقد عبّرت عن تصميمها، أترككم وأنا أشعر أن أخي معمر القذافي هو الأمين على القومية العربية وعلى الثورة العربية وعلى الوحدة العربية»^(١)^(٢).

وألقى الدكتور نور الدين الأتاسي أيضاً خطاباً في اليوم نفسه - أي ٢٢/٦/١٩٧٠ - هنأ فيه الشعب الليبي والعقيد القذافي على تحقيق الجلاء، كما استعرض مراحل حرب حزيران ١٩٦٧ ووقوف الولايات المتحدة وبريطانيا خلف إسرائيل، وقال:

(١) هذا القول هو الذي جعل القذافي يدّعي دوماً أنه هو خليفة جمال عبد الناصر في زعامة العرب (قول المؤلف).

(٢) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٧٠، (ص ٤٢٦).

«لقد كانت معركة حزيران مؤامرة استعمارية خُطط لها في واشنطن وفي لندن ونفذت فوق الأرض العربية... لقد خسرنا جولة في المعركة فعزمنا أن نعد العدة اللازمة للجولة المقبلة»^(١).

ثم سافر الرؤساء الثلاثة: جمال عبد الناصر ونور الدين الأتاسي ومعمّر القذافي إلى بنغازي حيث ألقى الرئيس عبد الناصر خطاباً أكد فيه أن الجمهورية العربية المتحدة تحرص على الجلاء من الجولان قبل سنياء.

وألقى الدكتور الأتاسي خطاباً أكد فيه دعم سورية للفدائيين الفلسطينيين، وعرض على الرئيسين إقامة وحدة ثلاثية بين ليبيا ومصر وسورية تعلن من بنغازي في تلك المناسبة، إلا أن الرئيس عبد الناصر - الذي كان يحب سورية - قال: يجب أن نعلنها من دمشق وفي الجامع الأموي.

وعاد الوفد السوري إلى دمشق عن طريق بيروت، نظراً لإغلاق الأجواء السورية نتيجة المعارك التي كانت جارية، منذ عدة أيام، بين قواتنا وقوات العدو والتي استعملت فيها جميع أنواع الأسلحة بما فيها الطائرات.

وقد كلف الدكتور نور الدين الأتاسي الدكتور مصطفى السيد، وزير الخارجية، بوضع مسودة مشروع لوحدة اتحادية بين هذه الأقطار العربية الثلاثة، وتكون مفتوحة في المستقبل للسودان وللدول العربية الراغبة بالدخول فيها.

فعكف الدكتور السيّد على وضع هذه الصيغة مستعيناً بدساتير بعض الدول الاتحادية مثل يوغسلافيا، إلا أن الخلاف الذي نشب فيما بعد حول مشروع روجرز للسلام في الشرق الأوسط وقبول الجمهورية العربية المتحدة به ورفضه من قبل سورية، ثم وفاة الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٨ أيلول، قضى على هذه الوحدة قبل تنفيذها.

الاقتتال بين القوات الأردنية والفدائيين فيما سمي بأيلول الأسود: منذ آب ١٩٧٠، بدأت المناوشات والتحرشات بين الفدائيين الفلسطينيين والقوات الأردنية، وكان الفدائيون يريدون إثبات وجودهم في الأردن لينطلقوا منه للعمل الفدائي في فلسطين المحتلة، إلا أن الحكومة الأردنية كانت تريد الحد من تصرفاتهم خشية الرد العسكري الإسرائيلي عليها، وفي الأول من أيلول عاد الاصطدام بشكل أشد بين

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٧٠، (ص ٤٢٦).

القوات الأردنية وقوات الفدائيين وسقط عدد كبير من القتلى والجرحى بين الطرفين. أعلن العراق أنه يضع جيشه تحت تصرف المنظمات الفدائية، وحشدت سورية قوات جيش التحرير الفلسطيني، العائد لمنظمة التحرير، تحسباً لما يمكن أن تسفر عنه الاصطدامات، وعرض القذافي إرسال قوات إلى سورية توضع تحت تصرف الفدائيين (وكان قد قطع مساعداته المالية عن الأردن).

طلبت المنظمات الفدائية عقد جلسة طارئة لمجلس جامعة الدول العربية لبحث الوضع المتدهور بينها وبين الجيش الأردني، وأيدت الدول العربية عقد هذا الاجتماع الذي حضره عن سورية الزميل عبد العزيز الرفاعي، والذي اتخذ قراراً بوقف إطلاق النار نهائياً وفوراً، ومنع جميع التظاهرات العسكرية، ومنع التعرض لأي فرد من أفراد القوات المسلحة للطرفين، ووقف الحملات الإعلامية والتعبئة النفسية.

إلا أن المعارك لم تتوقف بين الطرفين، وقصفت القوات الحكومية الأردنية خمسة مراكز للفدائيين، وكلف الملك حسين الفريق مشهور حديثة بتسلم سائر السلطات للحفاظ على الأمن.

إثر ذلك، بعث السيد ياسر عرفات ببرقيات إلى الملوك والرؤساء العرب بتاريخ ٩/٩، يشرح فيها الوضع الخطير الذي يتعرض له الفدائيون من جراء قصف الجيش الأردني مواقعهم بالمدفعية الثقيلة، ويناشدهم التدخل لدى الملك حسين لوقف هذه المجزرة.

التزمت سورية جانب المنظمات الفدائية، فسمحت لفصائل المقاومة الفلسطينية، الممثلة بجيش التحرير الفلسطيني، بالذهاب إلى الأردن لدعم الفدائيين فيه، وكان هذا الجيش مجهزاً بالأسلحة الثقيلة ومدرباً تدريباً حسناً.

ادعى الملك حسين أن سورية بعثت بجيشها إلى الأردن ليقاتل مع الفدائيين، وقال إن عدداً كبيراً من «اللوريات» المحملة بالجنود تدخل الأردن يومياً، وإن سورية والعراق، كليهما، يشنان حملات تحريض على الأردن وإن المناطق الشمالية من الأردن، ولا سيما مدينة إربد، أصبحت محتلة.

ورد الفدائيون: إن ما دخل من سورية إنما هو «لواء حطين»، الذي هو جزء من جيش التحرير الفلسطيني، جاء دفاعاً عن إخوانه وللذود عن الثورة الفلسطينية ضد مشاريع التصفية التي تضمنها مشروع روجرز المستند إلى القرار ٢٤٢ الذي يهدف إلى القضاء على الهوية الفلسطينية، والذي رفضته المنظمة وبينت مخاطره على العرب عامة وعلى الفلسطينيين خاصة.

ورغم كل التحذيرات العربية والأجنبية فإن القتال لم يتوقف بل اشتد، وتوحدت المنظمات الفلسطينية تحت رئاسة ياسر عرفات وقيادة العقيد عبد الرزاق يحيى، ووضعت الإذاعة السورية نفسها تحت تصرف اللجنة المركزية لقيادة المنظمات الفلسطينية، وأخذت تذيع، بشكل مستمر، البلاغات العسكرية والتوجيهات الرمزية للمنظمات، والموسيقى الحماسية. طلب إليّ الرئيس نور الدين الأتاسي استدعاء السفير الأردني بدمشق، الدكتور صبحي أبو غنيمة، لإبلاغه استيائنا مما يجري في الأردن، فكلفت بذلك الزميل راشد الكيلاني، واستدعيت للرئيس سفراء الدول العربية: الجمهورية العربية المتحدة والسودان وليبيا والجزائر، وهي دول اللجنة الرباعية للتوفيق، فأطلعهم الأتاسي على خطورة الوضع في الأردن وفي المنطقة عامة بعد أن بعثت أمريكا وبريطانيا بطائراتها «لنقل رعاياها من الأردن».

أذاعت لندن أن أمريكا تعزّز قوات أسطولها السادس بقطعات من الأطلسي وحاملة طائرات وحاملة هيليكوبتر، كما أذاعت أن تعزيزات كبيرة من الجيش السوري تغادر سورية إلى الأردن لدعم الفدائيين. أعلمني الرئيس الأتاسي أن وزارة الدفاع التقطت برقية مرسلة من عمان إلى القاهرة تشير إلى اشتراك قوات نظامية مدرعة سورية في القتال، وطلب إليّ أن أوفد أحداً إلى القاهرة لحضور الاجتماع الفوري للجامعة الذي طلبه الأردن وتكذيب الخبر، ولفت الانتباه إلى المجازر التي تجري فوق الأرض الأردنية. فأوفدت الزميل منيب الرفاعي بعد أن زودته بالتعليمات اللازمة.

ذكر لي الوزير، الذي عاد قبل يوم من مؤتمر دول عدم الانحياز في «لوساكا»، أن الرئيس الأتاسي استدعاه وأعلمه أن لواءين من الدبابات السورية قد تدخلوا في المعركة لتخفيف الضغط عن الفدائيين في عمان، مع ضرورة الوصول إلى عمان وإيصال النجدة إليها.

أصدرت الخارجية الأمريكية بياناً، باسم وزير الخارجية روجرز، قالت فيه إنها علمت أن قوات سورية قد دخلت الأردن واشتركت في القتال، وأن هذا العمل من شأنه أن يوسع اندلاع الحرب في المنطقة وهو صادر عن جماعة غير مسؤولة، وطالب سورية بسحب قواتها، وتحرك الأسطول السادس متجهاً إلى شرق البحر الأبيض المتوسط.

وردّت وزارة الخارجية السورية ببيان أصدرته، بتاريخ ٢١ أيلول، أنكرت فيه إرسال أية قوات سورية إلى الأردن، واعتبرت أن الادعاءات الأمريكية ما هي إلا

توطئة لتدخل عسكري أمريكي في المنطقة، وأهابت بجميع دول العالم أن تدين التهديدات الأمريكية، وأن تطالب بسحب القطع البحرية التابعة للأسطول السادس من منطقة الشرق الأوسط.

(أخبرني، فيما بعد، الزميل عدنان عمران أنه علم أن قرار التدخل وإرسال القوات السورية إلى الأردن اتخذ في القيادة القطرية بأكثرية صوت واحد هو صوت «حديثي مراد»، وأن العسكريين كانوا يعارضون التدخل بينما أيده المدنيون).

واستعمل الأردن طائراته ضد دباباتنا، مستدرجاً بذلك طيراننا للاشتراك في المعركة، وطلبت القيادة القطرية إلى حافظ الأسد، بصفته آمراً للقوى الجوية، أن يتدخل في المعركة إلا أنه جمع طائراته في مطار دمشق العسكري ولم يتدخل.

وفي دمشق، قامت عناصر طلابية بالهجوم على السفارة الأردنية في ١٧ أيلول فكسرتها ثم احتلتها، كما سارت تجاه السفارة المصرية تطلق شعارات عداية. اتصل بي السفير ممدوح جبّة (المتحدة) محتجاً، فاتصلت بالرئيس، فأمر بإيقاف المظاهرة والتهافتات.

جاءني الدكتور صبحي أبو غنيمة (سفير الأردن) محتجاً على تكسير السفارة، فقلت له: إن السلطات كانت بعثت بقوات لحمايتها. قال: إن الشرطة لم تتدخل مطلقاً بل وقفت تتفرج.

اتصل بي الرئيس الدكتور الأتاسي، في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، إلى البيت، وكنت نائماً، قال: استدع الآن سفير الأردن وقل له إننا قررنا قطع العلاقات الدبلوماسية مع الأردن، وعليه وأعضاء السفارة مغادرة البلاد فوراً.

ارتديت ملايسي وذهبت مسرعاً إلى وزارة الخارجية، وكانت قريبة من منزلنا، واتصلت بالدكتور صبحي أبو غنيمة، الذي كان دوماً صديقاً لسورية ومقيماً فيها بصفة لاجئ سياسي منذ مدة طويلة، عندما كان معارضاً للحكم في الأردن، وكانت تربطني به صداقة، كان أيضاً نائماً ومتوَعكاً. طلبت إليه أن يحضر لمقابلتي في الوزارة. قال إنه مريض وليست لديه سيارة ولا يستطيع ارتداء ملابسه في هذه الساعة المتأخرة، فهل يمكن أن نوجّل المقابلة حتى صباح الغد؟ قلت له: إن الأوامر التي يجب أن أنفذها لا تسمح لي بالانتظار حتى الغد، وسأبعث إليك بسيارة. قال: إذن سأتي بالبيجامة والعباءة. قلت: لا بأس.

جاءني في الثانية صباحاً، فبلغته قطع العلاقات مع الأردن. قال: كان ذلك ممكناً صباحاً، ومع ذلك سأبلغ حكومتي هذا الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله!...

وكنـت أعلـمت الرئـيس الدكتور الأتاسـي بـذلك، فقـال إنـنا لا نـحمي السـفارة الأردـنية. وأعلـنت إذاعـة صـوت اللـجنة المـركزيـة، صـوت الثـورة الفـلسطيـنية (مـن دمشـق)، أن القـوات الفـدائيـة حررت ثـلاث مـقاطعات فـي شـمال الأردـن وعيـنت لـها مـحافظيـن!...

وما زال القتال محتدماً، وقدّرت «الأهرام» الخسائر البشرية بـ٥٠٠٠ بين قتيل وجريح، ولا يوجد من يسعف الجرحى الذين يموتون نتيجة عدم الإسعاف. بعث الرئيس عبد الناصر برئيس أركانه الفريق محمد صادق، يحمل مشروعاً لوقف القتال من ثماني نقاط. هبطت طائرته في المفرق، لإغلاق مطار عمّان، ونقلته طائرة حوامة تابعة للملك من المفرق للقصر، ولكنه لم يستطع بعدئذ مقابلة ياسر عرفات. بعث الرئيس جمال بريقة إلى الملك حسين يقول فيها:

«إن الفريق محمد صادق، رئيس هيئة أركان القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة، لم يتمكن حتى الآن (١٩/٩)، بسبب ظروف خارجة عن إرادته، من الاجتماع بالأخ ياسر عرفات، رغم أن هذا اللقاء ضروري وحيوي لإنجاح الجهد الذي نحاول القيام به لوقف الصراع الدموي بين الإخوة في الأردن.

ونحن بأمانة المسؤولية لا نستطيع ترك الموقف على هذا النحو، ولهذا أتوجه إليكم مباشرة بنداء عربي صادق مخلص بأن يتوقف إطلاق النار بأسرع وقت، ولو لمدة ٢٤ ساعة، لكي يتيح لأمتنا فرصة نحتاجها وطنياً وقومياً وحتى إنسانياً. إن معلوماتنا عن الخسائر مخيفة، وتقديراتنا للعواقب محفوفة بالخطر، وهناك آلاف الأبرياء تحت رحمة النيران أو تحت رحمة النزيف في الشوارع. إن ذلك وضع لا يمكن أن تقبله أمتنا، وهو عار يلحقنا جميعاً أمام ضمائرنا وأمام أجيالنا المقبلة وأمام العالم، صديقنا فيه وعدونا...

إنني واثق أن هذا النداء سوف يلقي استجابتكم الفورية بما يمكننا من وقف المأساة المـحزنة الجارية الآن...»^(١).

استجاب المشير حابس المجالي، فأمر بوقف إطلاق النار في السادسة مساءً، إلا أن المنظمات رفضت ذلك، لأنها كانت طالبت به ولم توافق الحكومة الأردنية عليه،

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٧٠، (ص ٦١٤).

واستمر الاقتتال بل ازداد شدة ووقع الألوف من القتلى من الجانبين.

وعقد رؤساء الدول العربية اجتماعاً في القاهرة بتاريخ ٢٢ أيلول، وقرروا إرسال وفد برئاسة اللواء جعفر نميري إلى عمان ليشرف على وقف القتال، ولبيلغ الملك حسين وياسر عرفات قلق الدول العربية من استمرار القتال بين الأردنيين والفلسطينيين، والعواقب الوخيمة على الطرفين وعلى العرب جميعاً من استمرار القتال بينهما.

وعاد الوفد، الذي ضم حسين الشافعي (مصري) عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي، والباهي الأدغم رئيس وزراء تونس، وسعد العبد الله والفريق محمد صادق رئيس هيئة الأركان للقوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة، عاد الوفد من دون أن يحقق الغاية التي ذهب من أجلها، مما أثار حفيظة الرئيس جمال عبد الناصر الذي أرسل، بتاريخ ٢٦ أيلول، برقية إلى الملك حسين يحمله فيها مغبة استمرار القتال.

وعقد الرئيس نميري مؤتمراً صحفياً قال فيه إن الأخبار تقدر عدد القتلى من الطرفين بين ١٠ و ١٥ ألفاً (٥٠٠٠) من الجيش الأردني بالإضافة إلى ٩٣ دبابة، عدا العربات والآليات الأخرى).

وبعد وساطات مكثفة من الملوك والرؤساء العرب، تمّ في القاهرة، بتاريخ ٢٧ أيلول، التوقيع على اتفاقية بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية تنهي كل العمليات العسكرية، وتفرض إيقاف كل الحملات الإعلامية، وسحب كل القوات المسلحة الأردنية والفدائية من عمّان، وإطلاق سراح المعتقلين من الجانبين وتكوين لجنة عليا برئاسة الباهي الأدغم تشرف على تنفيذ هذا الاتفاق.

ووقع هذا الاتفاق الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية، والأمير صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت، والرئيس جمال عبد الناصر، والعقيد معمر القذافي واللواء جعفر نميري، والملك حسين والسيد الباهي الأدغم، والسيد سليمان فرنجية (لبنان) والسيد ياسر عرفات الذي سافر إلى القاهرة عن طريق دمشق، والسيد أحمد الشامي (اليمن).

ودفع الرئيس جمال عبد الناصر حياته ثمناً لهذا الاتفاق، إذ كان قد أصيب بإرهاب شديد طيلة هذا الشهر، ولدى عودته إلى داره بعد التوقيع على الاتفاق، أصيب بنوبة قلبية أودت بحياته. وهكذا قضى أحد أبرز زعيم في العالم العربي، ومن سعى لتوحيد كلمة العرب وإعلاء شأنهم. تغمدته الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

وأعلن أنور السادات، نائب الرئيس، وفاة جمال عبد الناصر، بتاريخ ٢٨ أيلول، بكلمات ملؤها الحزن والتقدير للزعيم الراحل، ومما قاله:

«فقدت الجمهورية العربية المتحدة، وفقدت الأمة العربية، وفقدت الإنسانية كلها، رجالاً من أغلى الرجال وأشجع الرجال وأخلص الرجال، وهو الرئيس جمال عبد الناصر الذي جاد بأنفاسه الأخيرة في الساعة السادسة والرابع من مساء اليوم ٢٧ رجب ١٣٩٠ هـ الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ م، بينما هو واقف في ساحة النضال يكافح من أجل وحدة الأمة العربية ومن أجل يوم انتصارها. لقد تعرض البطل، الذي سيبقى ذكره خالداً إلى الأبد في وجدان الأمة والإنسانية، لنوبة قلبية حادة بدت أعراضها عليه في الساعة الثالثة والرابع بعد الظهر، وكان قد عاد إلى بيته، بعد انتهائه من آخر مراسم اجتماع مؤتمر الملوك والرؤساء العرب، الذي انتهى بالأمس في القاهرة، والذي كرس له القائد والبطل كل جهده وأعصابه ليحول دون مأساة مروعة دهمت الأمة العربية.

...

إن جمال عبد الناصر كان أكبر من الكلمات، وهو أبقي من كل الكلمات، ولا يستطيع أن يقول عنه غير سجله في خدمة شعبه وأمتة والإنسانية، مجاهداً عن الحرية، مناضلاً من أجل الحق والعدل، مقاتلاً من أجل الشرف، إلى آخر لحظة من العمر.

ليس هناك كلمات تكفي عزاء في جمال عبد الناصر.

إن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يفني بحقه وبقدرة، هو أن تقف الأمة العربية وقفة صابرة، صامدة، شجاعة، قادرة حتى تحقق النصر الذي عاش واستشهد من أجله، ابن مصر العظيم، وبطل هذه الأمة ورجلها وقائدها. يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي»^(١).

وأصدر الملوك والرؤساء العرب إلى الأمة العربية بياناً، إثر تشييع جثمان الرئيس جمال عبد الناصر، قالوا فيه:

«نحن قادة الأمة العربية، وممثلي قادتها من ملوك ورؤساء، المجتمعين

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٧٠، (ص ٦٥٠).

بالقاهرة يوم ووري جثمان عزيزنا الراحل، وفقيدنا الكبير، المقاتل المستبسل، والبطل الجسور المغفور له الرئيس جمال عبد الناصر، وقد كنا نحمل أحزان أمتنا الكبيرة عليه، وفجيعتها فيه، وأمتنا أشد ما تكون حاجة إلى حكمته وحنكته، وإلى حزمه وعزمه، وإلى صدق جلاده وجهاده ونبل معدنه ومراده. كان دائماً بيننا، حين تغشى العرب، في أية دار من ديارهم، غاشية، فكيف وقد صار فقده المهول هو الغاشية.

كان دائماً بيننا، حين يحزب الأمر، ويدلهم الخطب، ويعظم الفتق، يؤلف بين القلوب، ويشيع الطمأنينة، ويهب الأمل، غير بخيل بمشورة أو جهد أو مدد، ويتوهج إيماناً بالعروبة واتحادها، ويتألق استبشاراً بعزتها وانتصارها، يحمي ثغورها، ويحمل همومها ويحامي عنها، ويخطيء ويصيب من أجلها، ويحلم بيوم نصرها الأكيد.

واليوم نجتمع بالقاهرة الثكلى في يوم ماتمها الكبير، وفي كل بقعة منها أثر من آثاره، وعبق من أريج فعاله، ومضة من ذهنه ووجدانه، وقد خرج الشعب الوفي يعاهد دليله العظيم على السير في النهج الذي اختطه بذكاء ومضاء نحو الغايات التي جلاها بقوة وأمانة، نجتمع وليس بيننا وإن كان معنا، لنحمل عنه الأمانة، وننقاسم من بعده المسؤولية، ونعيد لأمتنا ثقتها بنفسها في فداحة الرزء، بأن لواء رفعه لن يسقط، وأن نضالاً بدأه لن يتوقف، فالقضية عادلة، والحق بين، والعدو متربص، والخطر محدد، وليس لنا غير التكاتف في طريق الشرف والكرامة...»^(١).

ويمضي البيان طويلاً مقدراً للفقيد الكبير نضاله، وواعداً بالسير في خطاه ومستلهماً من سيرته مستقبلاً، وكم نحن اليوم، وكل يوم، بحاجة إليه، إلى الزعيم الكبير الخالد جمال عبد الناصر.

الفدائيون يختطفون أربع طائرات لدول مختلفة: في الخامس من أيلول ١٩٧٠، وبينما كان القتال محتدماً في الأردن، خطف الفدائيون أربع طائرات، في وقت واحد، وطالبوا بإطلاق سراح إخوانهم المعتقلين في ألمانيا وبريطانيا وإسرائيل. كانت هذه الطائرات لشركات «العال» الإسرائيلية المتجهة من أمستردام إلى نيويورك،

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٧٠، (ص ٦٥١).

والسويسرية المتجهة من زوريخ إلى نيويورك، والأمريكية TWA المتجهة من فرانكفورت إلى نيويورك، والرابعة جمبوجيت حوّلها الفدائيون إلى القاهرة وأنزلوا ركابها ثم أحرقوها، وهناك طائرة خامسة بريطانية BOAC كانت قادمة من بومباي بالهند إلى لندن، وذلك بعد إقلاعها من البحرين.

طائرة العال الإسرائيلية توجهت إلى لندن، فهوى الطيار بالطائرة، ففقد المختطف والمختطفة توازنهما ووقعا على أرض الطائرة، فأطلق حارس الطائرة النار على المختطف فقتله واعتقل المختطفة. أما الطائرات الثلاث الأخرى فقد حوّلت إلى مطار المفرك بالأردن نظراً لإغلاق مطار عمان. اعتقل الفدائيون ركاب الطائرات الأربعمئة وطالبوا بإطلاق سراح زملائهم المعتقلين في أوروبا وفي إسرائيل.

في هذا الوقت، وضعت إحدى السيدات الأمريكيات طفلاً، بعناية طيب من الصليب الأحمر الدولي، وكان السيد «أندريه روشا»، مندوب الصليب الأحمر الدولي، يجري مباحثات مع المنظمات الفدائية من أجل الإفراج عن الركاب.

وافقت ألمانيا وسويسرا، في ٧ أيلول، على إطلاق سراح المعتقلين من الفدائيين العرب لديها، وهددت بعض المصادر الأمريكية والصهيونية باستعمال القوة للإفراج عن الركاب، فما كان من الفدائيين إلا أن وضعوا الركاب في الطائرات ووضعوا معهم متفجرات، فأعطت الدول الأربع: أمريكا وبريطانيا وألمانيا وإسرائيل، تعهداً بعدم استعمال القوة، فوافقت المنظمات على نقل ركاب الطائرات إلى الفنادق في عمان ثم نسفت الطائرات الثلاث، واحتفظت بأربعين من الركاب بعد أن وعدت الحكومة البريطانية بالإفراج عن ليلي خالد، ثم أفرجت عن الأربعين ركباً بعد أن أطلقت إسرائيل سراح ٤٥٠ معتقلاً عربياً «لعدم وجود علاقة بينهم وبين الجبهة الشعبية».

دورة الأمم المتحدة الخامسة والعشرون، وتروسي للوفد السوري: في الساعة التاسعة من صباح الاثنين ٢١ أيلول ١٩٧٠، كنت لدى الوزير الدكتور مصطفى السيد نتباحث بالوضع الخطير في الأردن، والذي يهدد المنطقة كلها بشر مستطير. اتصل بنا هاتفياً من نيويورك - وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل هناك - الدكتور رفيق جويجاتي، نائب رئيس الوفد الدائم لدى الأمم المتحدة، وقال إنه علم أن الرئيس نيكسون، رئيس الولايات المتحدة، قد نزل إلى غرفة العمليات في البيت الأبيض، وأن بريطانيا ستقوم بإنزال قواتها في الأردن، وأن أمريكا بعثت بأسطولها إلى شرق البحر الأبيض المتوسط، وأن إسرائيل استنفرت قواتها، وأن بريطانيا طلبت

عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن لإدانة سورية على تدخلها السافر في القتال بالأردن ضد الحكومة الأردنية، وأن المندوب الدائم، السفير جورج طعمة، قد أصيب بنزيف في المعدة وأدخل المشفى بشكل عاجل، وأنه، أي رفيق جويجاتي، لا يستطيع أن يتدبر الأمر وحده، وطلب إرسال من يقوم بهذه المهمة الخطيرة.

سأله الوزير: ومن أين حصلت على هذه المعلومات؟ قال الجويجاتي: من مصادر موثوقة، من ضمن الوفد الأمريكي لدى الأمم المتحدة.

فالتفت إلي الوزير وقال: يجب أن تسافر غداً إلى نيويورك، وتتدبر الأمر. قلت: ولكنني لا أعلم شيئاً عن تدخل القوات السورية في الأردن، وليست لي خبرة بالأمر المتحدة. قال: اذهب وتدبر الأمر، فليس لدينا سواك.

أصدرنا بياناً نفينا فيه دخول قواتنا إلى الأردن، وأكدنا أن القوات التي دخلت هي قوات تابعة لجيش التحرير الفلسطيني، وأشرنا إلى خطورة تدخل القوات الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة مما يهدد أمنها وسلامتها، واستدعيت ليلاً السفراء المعتمدين لدينا، وألقيت عليهم هذا البيان الإيضاحي.

وفي اليوم الثاني، أي الثلاثاء ٢٢ أيلول، استقلت الطائرة الفرنسية إلى باريس ومنها إلى نيويورك. كان على الطائرة الدكتور إبراهيم ماخوس، وزير الخارجية السابق والسيد عبد الله سلمان من القيادة العراقية، في طريقهما إلى الجزائر.

في باريس، ألقى الدكتور إبراهيم ماخوس بياناً أوضح فيه الموقف السوري أمام التلفزيون الفرنسي ووكالة الصحافة الفرنسية وجريدة الفيغارو في المطار، ثم تابع سفره إلى الجزائر، وتابعت سفري إلى نيويورك، ولم أكن قد زرتها قبلاً.

وصلت نيويورك مساءً، وكان الزملاء السوريون من أعضاء وفدنا الدائم بانتظاري فراقوني إلى فندق «بلمونت بلازا» في شارع «ليكسينغتون» حيث حجزوا لي.

الأربعاء ٢٢ أيلول: عقدت صباحاً اجتماعاً مع الزملاء (الدكتور رفيق جويجاتي، الدكتور جبر الأطرش، السيد عدنان عمران، الدكتور ضياء الله فتال، وحضر معنا أيضاً السيد سعادة حسن، ممثل منظمة تحرير فلسطين) في مكتب البعثة أطلعتهم فيه على الوضع في الأردن وحشّتهم على العمل السريع.

كان علينا أن نوضح موقفنا لأعضاء الأمم المتحدة: مجلس الأمن والجمعية العامة، وللرأي العام الأمريكي كي نحول دون عقد جلسة مجلس الأمن التي دعا إليها مندوب بريطانيا، أو بالأحرى رئيس الوزراء البريطاني سير أليك دوغلاس

هيوم، بتحريض من وزير الخارجية الأمريكية وليم روجرز، والتي كان الهدف منها إدانة سورية وطلب سحب قواتها من الأردن فوراً.

قلت: إنني على استعداد لعقد مؤتمر صحفي لهذا الغرض. فنصحني الزميل الدكتور رفيق جويجاتي بالتحدث بالتلفزيون عوضاً عن المؤتمر الصحفي، لأن مراسلي الصحف قد يؤوّلوا أقوالي بما يحلو لهم من دون نقل الحقيقة كما أوردتها، وإذا وجدنا ضرورة، بعد الحديث التلفزيوني، عقدت مؤتمراً صحفياً.

كان مندوب القناة التلفزيونية الأمريكية الأشهر CBS «المستر هاتليت Hutlet» فاتفقنا وإياه على تسجيل حديث لي في إحدى غرف الأمم المتحدة، يذاع في الساعة السابعة مساءً بعد نشرة الأخبار، وتعاد إذاعته في الحادية عشرة ليلاً.

سجلت الحديث، وركزت فيه على أن ما دخل من سورية إلى الأردن إنما هي قوات من جيش التحرير الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير، التي هي عضو في جامعة الدول العربية، وأن مندوب وكالة الأنباء البريطانية الشهيرة «رويتر» كان على الحدود السورية - الأردنية وصرح أنه لم ير أي قوات سورية تدخل الأردن وإنما هي قوات فلسطينية فقط.

يبدو أن الحديث كان موفقاً لأن «هاتليت» قال لي إنه سيمر غداً صباحاً في السادسة ليصطحبني إلى محطة التلفزيون لأتحدث مباشرة في الساعة السابعة صباحاً وأؤكد ما قلته مساءً، لأن إذاعة الصباح ستكون شاملة جميع ولايات أمريكا بالإضافة إلى كندا والمكسيك.

قمت في الساعة الحادية عشرة صباحاً بزيارة إلى رئيس مجلس الأمن، وكان مندوب «سييرااليون» لهذه الدورة. قلت له: إننا لا نوافق على عقد هذه الجلسة لمجلس الأمن، وإذا أصرت بريطانيا على عقدها فإنني سأطلب عقد جلسة استثنائية لمجلس الأمن لإدانة بريطانيا والولايات المتحدة لأنهما قامتتا بإرسال قواتهما وأساطيلهما إلى منطقة الشرق الأوسط، تهددان السلم والأمن العالميين، أما سورية فإنها لم تتدخل في الأردن بشهادة مراسل رويتر في المنطقة، ولا يهمها إلا استتباب الأمن والسلام في المنطقة الذي تهدده كل من بريطانيا والولايات المتحدة.

قال: تعلم أن مركزي، كرئيس لمجلس الأمن في هذه الدورة، هام ولكنه غير مؤثر. قلت: عليك أن تنقل ما أقوله لك إلى المندوب البريطاني وإني أضع منذ الآن تحت يديك طلبي بعقد جلسة طارئة لإدانة بريطانيا وأمريكا ما لم تسحب بريطانيا طلب عقد هذه الجلسة.

ثم ذهبت، والزميل رفيق جويجاتي، لمقابلة مندوب الاتحاد السوفياتي السفير جاكوب مالك. قال: إنه اشترط على رئيس مجلس الأمن أن يخرج المجلس بقرار يقضي بسحب سائر القوات الأجنبية من الأردن. قلت: وأية قوات تعني؟ قال: الأمريكية والبريطانية. قلت: إنها لم تدخل بعد، كما إنني لا أوافق البتة على عقد هذا الاجتماع. وقد ورده، ونحن عنده، بيان من وزير خارجية الاتحاد السوفياتي «أندرية غروميكو» بتحذير أمريكا وبريطانيا من مغبة التدخل في الشرق الأوسط.

الخميس ٢٤ أيلول ١٩٧٠: نمت هذه الليلة قليلاً وارتحت بعض الشيء. مر «هاتليت» في السادسة صباحاً واصطحبني إلى استديو CBS، وبعد أن وضعوا على وجهي بعض البودرة بلون الزهر، كي لا أظهر شاحب الوجه، ووضعوا في أذني سماعات، قالوا: إن المشاهدين، في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، يمكن أن يلقوا عليك أسئلة حول أحداث الشرق الأوسط وغيرها، وعليك أن تجيب.

تحدثت بشكل أوفى عن الوضع في الأردن، وعن رغبتنا في إحلال الأمن والسلام بين أشقائنا، ثم ما يتهددنا من تدخل خارجي من إسرائيل وبريطانيا والولايات المتحدة مما يهدد المنطقة بالانفجار، وأكدت على حرصنا على السلام. وقد ألقى علي العديد من المشاهدين أسئلة عن الاشتراكية وعن الوحدة وعن الوضع في الأردن وفي سورية، أجبت عليها بهدوء، ويبدو أنها كانت مقنعة إلى حد ما، لأنني تلقيت، فيما بعد، مكالمات هاتفية كثيرة من جامعات أمريكية ومن أندية ثقافية واجتماعية تطلب إلي فيها أن أحاضر لديها عن الأوضاع السياسية في الشرق الأوسط، وهي مستعدة لتغطية نفقاتي، فاعتذرت.

ذهبت صباحاً إلى الأمم المتحدة لمقابلة مندوب فرنسا السفير «موريزيه»، وبحثت معه أولاً العلاقات الودية بين سورية وفرنسا، وأخبرته أنني كنت أمثل بلدي في فرنسا في زمن الرئيس الجنرال ديغول ثم المسيو بومبيدو، وإننا نسعى جهدنا لتمتين العلاقات مع فرنسا، ثم قلت له إن سورية لا تقبل أن يبحث مجلس الأمن الوضع في منطقة الشرق الأوسط بطلب من بريطانيا وبتحريض من الولايات المتحدة، وإن كان من يهدد السلم والأمن في المنطقة فهي الولايات المتحدة وبريطانيا، وطلبت إليه أن يسعى للحيلولة دون اجتماع مجلس الأمن.

ثم قابلت وزير خارجية تركيا السيد حسن صبري شانغانغيل، وطلبت إليه الشيء نفسه، وكان قد جلب معه نسخة عن أقدم معاهدة بين فرعون مصر رمسيس الثاني والملك الآشوري، يعود تاريخ الصخرة، المحفورة عليها المعاهدة، إلى ٣٤٠٠ سنة قبل الميلاد، ويريد تقديمها إلى الأمم المتحدة.

بعد الظهر، ذهبت لعيادة الزميل الدكتور جورج طعمة في المستشفى، وكان قد أصيب بنزف في معدته. قال: إن رئيس مجلس الأمن كان قد اتصل به هاتفياً وقاله له إما أن تحضر لي أو أن آتي إليك لموضوع هام جداً (ويعني موضوع عقد جلسة لمجلس الأمن)، فأحاله الدكتور جورج علي. أعلمته بمقابلتي له وبمساعي لدى بعض أعضاء مجلس الأمن للحيلولة دون عقد الاجتماع.

مساءً، ذهبت لزيارة الزميل الدكتور نجم الدين الرفاعي - المدير في الأمم المتحدة - وتذاكرنا بموضوع اجتماع مجلس الأمن.

الجمعة ٢٥ أيلول: هو يوم إرسال الحقيبة الدبلوماسية إلى دمشق، أرسلت فيها رسالة إلى الوزير أطلعته فيها على مقابلاتي ومساعي لمنع اجتماع مجلس الأمن، ثم ذهبت إلى الجمعية العامة، حيث كان رؤساء الوفود يلقون خطب دولهم، ثم عدت إلى الفندق لتهيئة الخطاب الذي سألقيه باسم سورية في ٣٠ أيلول، وهو الموعد الذي حددته لي الأمانة العامة للأمم المتحدة لإلقاء الخطاب.

أعلمني رئيس مجلس الأمن أن بريطانيا سحبت طلبها بعقد جلسة للمجلس، فارتاحت أعصابي واعتبرت ذلك نصراً لي.

خرج مساءً من المشفى الدكتور جورج طعمة بعد تماثله للشفاء.

السبت ٢٦ أيلول: يوم عطلة في الأمم المتحدة. قمت والزميلين د. رفيق جويجاتي ود. جبر الأطرش بزيارة الدكتور جورج طعمة في منزله لتهنئته بالصحة، وتداولنا بما يجب أن يتضمنه خطابي يوم ٣٠ أيلول.

الأحد ٢٧ أيلول: يوم عطلة في هيئة الأمم المتحدة. غادر اليوم الرئيس الأمريكي نيكسون الولايات المتحدة إلى الشرق الأوسط لزيارة الأسطول السادس ويوغوسلافيا وإيطاليا وإسبانيا.

في روما، قامت مظاهرات شديدة ضده منددة بالسياسة الأمريكية وبتهديد التدخل العسكري في الأردن. ردت إيطاليا أن الزيارة كانت مقررة من قبل، إلا أن حدوثها في هذا الوقت بالذات كان فيه تحذير للاتحاد السوفياتي وتهديد لسورية، إذ إن الولايات المتحدة كانت تهيم مع إسرائيل هجوماً على سورية إن لم تسحب قواتها من الأردن. ورافق نيكسون، في زيارته هذه، «وليم روجرز» وزير الخارجية و«ميلفين ليرد» وزير الدفاع، وقد فرضت الحكومة الإيطالية احتياطات أمن مشددة، وأفرزت ١٠ آلاف شرطي لحمايته، وانتقل بالهليكوبتر من المطار إلى مقر الرئاسة.

نيويورك: بلد الغرائب والعجائب، فيها كل ما تشتهي الأنفس وما ترغب، وفيها ما لا تشتهي وما لا ترغب. شوارعها مستقيمة متقاطعة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، فيها أعلى البنايات وفيها أتفه الخشش، فيها أجمل الشوارع وفيها أفذر الممرات، فيها أغنى الشركات وفيها أفقر الناس، فيها الأمم المتحدة تبشر بالسلام العالمي وفيها الاعتداء على الأفراد، فيها المتاحف والمسارح والمؤسسات الثقافية والفنية والرياضية بمختلف أنواعها، وفيها الجامعات العالمية، ومع ذلك فسكانها أجهل الناس بما يجري خارجها، فيها من اليهود أكثر مما يوجد في إسرائيل، وهم أكثر حماساً وتطرفاً من إخوانهم في إسرائيل. في الفندق الذي حللت فيه، كان قسم الإدارة والمحاسبة والاستقبال والخدمات العامة وحتى الحلاق وماسح الأحذية، كانوا من اليهود، وهم يتظاهرون بفخر بتبعيتهم لهذه الديانة، حتى سائقو التاكسي، فإن أغلبهم من اليهود.

قال لي سائق التاكسي الذي استقلته من أمام الفندق، بعد أن علم أنني من سورية: «نحن اليهود قلة في العالم، ولكي نسيطر على العالم سيطرنا على أكبر قوة فيه، وبواسطتها نسيطر على العالم، أما أنتم (ويعني العرب) فلا تفهمون عقلية الأمريكيان ولذلك لا تستطيعون أن تنفذوا إليهم إلا من خلالنا، لأننا، نحن، نعلم طريقة تفكيرهم».

الاثنين ٢٨ أيلول ١٩٧٠: تمكن اليوم الدكتور جورج طعمة - المندوب الدائم - من الحضور قليلاً إلى المكتب، وكنت ذهبت إلى المكتب لطباعة خطابي وسحبه على التحرير - كنت كتبه باللغة الفرنسية - إلا أن السكرتيرة في المكتب ما كانت تجيد اللغة الفرنسية، فقررت أن آخذه بعد الظهر إلى سكرتيرة الزميل نجم الدين الرفاعي في الأمم المتحدة لطباعته، وكانت تجيد الفرنسية.

في الأمم المتحدة، الجمعية العامة، ألقى وزير خارجية ألبانيا خطاباً نارياً طويلاً هاجم فيه الدول الرأسمالية ولا سيما الولايات المتحدة، ثم تبعه «أبا إيبان» وزير خارجية إسرائيل وتعرض إلى حديثي في التلفزيون، وشبه تفسيره للحدود بيننا وبين الأردن بتفسير الاتحاد السوفياتي للحدود عندما احتلت جيوشه تشيكوسلوفاكيا، وقال إن إسرائيل مستعدة للتفاوض مع مندوبي مصر والدول العربية من أجل السلام.

قابلت المسيو «هامبرو» رئيس الجمعية العامة، وكان من النروج، فوافقتني على أن وجود المنظمة في نيويورك كان خطأ لأنها مدينة تسيطر عليها الصهيونية.

عندما كنت لدى الزميل الدكتور نجم الدين الرفاعي، لطباعة خطابي بواسطة

سكرتيرته، جاءنا خبر وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، فوقع علينا وقوع الصاعقة وأذهلنا!. كيف يمكن أن يقضي، بهذا الشكل الفجائي، أعظم زعيم لمصر وللبلاد العربية في وقت كانت فيه الدول العربية وأمة العرب أحوج ما تكون إلى زعيم يجمع شملها ويوحد كلمتها ويقوّي عزميتها ويعلي شأنها، وكنا بين مصدق ومكذب، فهرعنا إلى الراديو نستطلع الخبر والحقيقة، فتبين لنا الخبر المفجع، وكان كالسيف القاطع. جرّبت الاتصال بالسفير المصري محمد حسن الزيات، المندوب الدائم، في مكتبه وفي داره لأنبئه بالخبر وأقدم له التعازي والمساعدة، فلم أجده، وقضيت الليل على التلفاز، أستطلع أنباء القاهرة وتعليقات العالم حول هذه المأساة التي هزت العرب والعالم بفقد زعيم قلّ أن يجود الدهر بمثله في العالم العربي، ولم أستطع النوم.

في دمشق، قررت سورية إعلان الحداد أربعين يوماً، مثلها مثل الجمهورية العربية المتحدة.

الثلاثاء ٢٩ أيلول ١٩٧٠ - تأبين الرئيس جمال عبد الناصر: ذهبت صباحاً إلى مكتب البعثة، فقال لي الزميل الدكتور رفيق جويجاتي إن الجمعية العمومية ستفتتح هذا اليوم بكلمة تأبين للرئيس جمال عبد الناصر، وبما أن سورية هي رئيسة المجموعة العربية والمجموعة الآسيوية لهذا الشهر فإنه يتعين عليّ أن أتكلم باسم المجموعتين.

ذهبنا إلى الجمعية العمومية، وكنت أول المتكلمين. ارتجلت كلمة عن الرئيس الراحل الذي كنت أحبه وأقدّره وأحترمه، وكنت في غاية التأثر، كانت العبرات تقطع العبارات. استعرضت ما قام به بالنسبة لشعبة في مصر من تحرير للعمال والفلاحين من الإقطاع، وفي بناء أكبر سد على أكبر أنهر العالم لتنظيم جريان النيل وري الأراضي، ومن إنهاء للقيود الأجنبية بتوقيع المعاهدة مع بريطانيا، التي أنهت الامتيازات التي كانت تتمتع بها هذه الأخيرة، ثم في تأمين قناة السويس وإعادة الحقوق إلى أصحابها المصريين.

ثم تحدثت عما قام به بالنسبة للعرب من جمع شملهم، وتوحيد كلمتهم وإعلاء شأنهم بين الدول.

ثم تحدثت عن زعامته والرئيسين تيتو ونهرو لمجموعة دول عدم الانحياز التي ضمت أكبر مجموعة من الدول تدعو للسلم العالمي، وتعمل له جاهدة لإبعاد خطر التصادم بين القوتين الأعظم.

وأنتهيت كلمتي ببيان الخسارة الكبرى التي مُني بها العرب والعالم بفقد هذا الزعيم العربي، وهذه الشخصية النادرة.

بعد كلمتي، تحدث سائر الأعضاء، وتحولت جلسة الصباح بكاملها لتأبين الرئيس عبد الناصر.

نتيجة لذلك، تأجل إلقاء خطابي من ٣٠ أيلول بعد الظهر إلى الأول من تشرين الأول صباحاً.

الأربعاء ٣٠ أيلول ١٩٧٠ : في الجمعية العامة، ألقى شارل يوست سفير أمريكا كلمته، مؤكداً على حرص أمريكا على السلام في المنطقة، وعلى ضرورة سحب الصواريخ المصرية من منطقة القنال.

قابلت، في الساعة السابعة مساءً، الأمين العام للأمم المتحدة «يوثان» (وهو من بورما)، وقد رافقني الزميل الدكتور جويجاتي، وكانت مقابلة صريحة ومفيدة تعرضنا خلالها إلى الضغط الأمريكي على المنظمة وسيطرة الصهيونية على مرافق العالم.

سجلت كلمة إلى تلفزيون الأمم المتحدة في تأبين الرئيس جمال عبد الناصر، مشيداً بما قدمه لبلده وللعرب وللعالم الثالث والعالم الحر، وأشارت إلى الكلمات التي ألقاها الزملاء السوريون في لجانهم بهذا الخصوص.

الخميس ١ تشرين الأول ١٩٧٠ : دعت الجمعية العربية - الأمريكية إلى مسيرة صامته من شارع «بارك» إلى البعثة المصرية، تعبيراً عن الألم بفقد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. طلبت الجمعية إلى السفراء العرب المشاركة في هذه المسيرة فلم أجد ذلك ممكناً، ولم يتشارك من السفراء أحد.

ألقيت كلمتي في العاشرة والنصف صباحاً، وكانت أول كلمة، رددت فيها على شارل يوست - المندوب الأمريكي -، وعلى إليك دوغلاس هيوم - البريطاني -، وعلى إيبان - الإسرائيلي -، وكانت شديدة في محتواها، ولم يستطع أحد منهم الرد عليها لانتهاؤ إلقاء الكلمات غداً. ارتحت نوعاً من موضوع الكلمة.

سجلت كلمة لإذاعة الأمم المتحدة ضمنتها موجزاً لكلمتي في الهيئة العامة، كما أن السيد منصور كيخيا، مندوب ليبيا، ألقى كلمة مماثلة.

عقدت المجموعة الآسيوية اجتماعاً تأبينياً للرئيس عبد الناصر تحدث فيه محمد حسن الزيات مندوب مصر، ولم يكن موفقاً في كلمته.

الجمعة ٤ تشرين أول ١٩٧٠ : هذا اليوم هو آخر أيام المناقشة العامة وإلقاء

كلمات الوفود في الجمعية العامة، وتكلم في هذه الجلسة من العرب مندوبو المغرب وتونس والجزائر والسودان، وكان الإقبال على الجمعية العامة من الأعضاء ومن المستمعين قليلاً.

في اللجنة الأولى - السياسية - جرى بحث الوسائل الناجعة لدعم الأمن والسلام العالمي. كلفت الزميل جويجاتي بإلقاء كلمة سورية، إلا أنني، بعد أن لاحظت أن رؤساء الوفود هم الذين يلقون كلمات بلادهم، أُلقيت كلمة سورية مركزاً على ضرورة قيام الأمن والسلم العالمي على مبادئ الحق والعدل ليكون ثابتاً ودائماً، وعدم جواز احتلال أراضي الغير بالقوة، مما يشكل افتئاتاً على مبادئ القانون الدولي وعلى الحق والعدل، ويؤدي إلى حروب التحرير.

الاثنين ٥ تشرين أول ١٩٧٠ : أُلقيت، مساء البارحة، قبلة على مكتب منظمة تحرير فلسطين، فأصيب ببعض الأضرار. لم يكن في المكتب أحد لذا لم يصب أحد بأضرار. انفجرت القبلة التي كانت موضوعة ضمن سلة حملها إلى المكتب رجل كان يرتدي الألبسة الخاكية في الساعة العاشرة مساء أمس. كان مدير المكتب، السيد سعادات حسن في جولة خطابية في شيكاغو فعاد وأدلى بحديث تلفزيوني اتهم فيه أعضاء المنظمة اليهودية بالانفجار. عقد المندوبون العرب اجتماعاً أُلقيت فيه كلمة حثت فيها مندوب ليبيا - منصور كيخيا - رئيس المجموعة العربية لهذا الشهر، ليحتج، باسم المجموعة العربية، لدى الأمين العام.

وتتالت الاجتماعات في الأيام القادمة، واستمزع مندوب مصر، محمد حسن الزيات، الوفود العربية لطرح قضية الشرق الأوسط على الجمعية العامة، بغية الحصول على قرار جديد يدعم قرار مجلس الأمن ٢٤٢، الذي كانت سورية قد تحفظت عليه، كما أن وفدنا في مؤتمر عدم الانحياز في لوساكا كان قد تحفظ عليه أيضاً.

تقدّم الاتحاد السوفياتي بمشروع قرار لدعم السلم العالمي، وتقدّمت الدول الغربية ودول أمريكا اللاتينية بمشروع مقابل للمشروع السوفياتي، وتقدّمت مجموعة دول عدم الانحياز بمشروع ثالث، يعتمد على قرار دول عدم الانحياز في لوساكا، وهكذا تعددت مشاريع القرارات، وقد تبين لي من مناقشة المشروع الأخير الآسيوي - الأفريقي في المجموعة العربية، أن هذا المشروع، سواء في مناقشته أو في التصويت عليه، سيقسم العرب إلى مؤيد ومعارض، وبالتالي سيظهرهم بمظهر المنقسمين في قضية حيوية هي أولى قضاياهم، وسيضعف بالتالي دعم وتأييد الدول

الصديقة لهم، وفي ذلك كسب كبير لإسرائيل، لذلك كان من الضروري، في هذه المعركة التي نخوضها الآن، والتي لا تقل أهمية عن معركة حزيران ١٩٦٧، أن يظهر العرب، على الأقل، بمظهر موحد أمام شعوبهم وأمام الأجيال القادمة وأمام التاريخ. ومع العلم أن التوصيات التي تصدر عن الجمعية العامة تبقى حبراً على ورق، ما لم توجد النية لدى الأطراف المعنية لتطبيقها، كما أن مشاريع التوصيات التي تفشل، لا تؤثر في تنفيذ ما يجب تنفيذه، لذا فإنني أرى أن تتقدم المجموعة العربية، وهي صاحبة القضية، بمشروع قرار يوحد كلمتها ويظهرها بمظهر المتحد، المدافع عن حقه والمؤمن به، ولو لم يكتب لهذا المشروع النجاح، كما أنني أرى، أن يتضمن مشروع القرار نقاطاً محدودة يجمع عليها العرب وأصدقاؤهم، دون التعرض إلى ما يجزئهم. وبعد مناقشات سفسطائية من المندوبين العرب بدأوا بالانسحاب الواحد تلو الآخر لارتباطهم بمواعيد!...

نشرت جريدة نيويورك تايمز، بتاريخ ٨ تشرين أول ١٩٧٠، مخطط الهجوم الذي كان مقرراً أن تقوم به القوات الأمريكية، بالاتفاق مع إسرائيل، على سورية لإرغامها على سحب قواتها من الأردن. قالت الجريدة إنها استحصلت على معلوماتها هذه من مصادر مسؤولة في وزارة الخارجية ووزارة الدفاع الأمريكية وبعض الدبلوماسيين الإسرائيليين، وقالت الجريدة إن الرئيس نيكسون كان يتابع، ساعة بساعة، تطور الأوضاع في الأردن، وإنه كان على استعداد لتلبية رغبة الملك حسين بالتدخل.

الدورة الخاصة واليوبيل الفضي للأمم المتحدة الاحتفال التذكاري

هذا الاحتفال التذكاري كان على مستوى رؤساء الدول، وقد شارك فيه العديد من الملوك والرؤساء، وكان من المفروض أن يمثل سورية فيه الدكتور نور الدين الأتاسي، رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء، إلا أن الأحداث في المنطقة، ولا سيما في الأردن، حالت دون حضوره، لذا فقد كلفوني أن أمثل سورية في هذا الاحتفال وفي الاجتماع الذي سيعقده مجلس الأمن في هذه المناسبة، باعتبار أن سورية عضو فيه تمثل المجموعة العربية.

تكلم يوم الخميس ١٥ تشرين أول في الجمعية العمومية كل من الرئيس شارل حلو، رئيس جمهورية لبنان، والرئيس محسن العيني (اليمن)، ولويث برافو (وزير خارجية إسبانيا)، ووزير خارجية المجر وماليزيا، و«جوليوس نيريره» رئيس جمهورية تنزانيا الذي خص خطابه بموضوع التفرقة العنصرية، ولم يتعرض لقضية فلسطين لا من قريب ولا من بعيد، وقد ذهب لتهنتته أكثر رؤساء الوفود، ولم أذهب لتهنتته لأنه أغفل ذكر فلسطين بل بعثت الزميل جبر الأطرش لذلك، أما الإسباني فدافع عن الحق العربي فاستحق تهنتتي.

في المساء، أقام غروميكو، وزير خارجية الاتحاد السوفياتي، حفل استقبال خاص بالمندوبين العرب، كما أقام مندوب اليونان حفل استقبال آخر على شرف أمين عام الخارجية اليونانية، رئيس الوفد اليوناني للدورة الخاصة.

وتتالت خطب الملوك والرؤساء ورؤساء الوفود في الأيام التالية: يحيى خان (الباكستان)، وأحمد العراقي (المغرب)، وآدم مالك (أندونيسيا)، وألدو مورو (إيطاليا)، وموريس شومان (فرنسا)، وغولدا مائير (إسرائيل)، وكيكونن (فنلندا)، وأنديرا غاندي (الهند)، وهيللا سيلاسي (الحبشة)، ومكاريوس (قبرص)، وبوتفليقة

(الجزائر)، ونيكسون (الولايات المتحدة). طلب نيكسون من الأمين العام «أوثانت»: أن يجلس في غرفته - أي غرفة الأمين العام - حتى يأتي موعد إلقائه كلمة الولايات المتحدة، فيأتي مدير المراسم ويصطحبه إلى المنصة حيث يلقي كلمته، فقال له «أوثانت»: إن لدي سبعين رئيس دولة جالسون مع وفودهم في الصالة، ولا أستطيع تمييز رئيس دولة على رئيس دولة أخرى. فاضطر نيكسون أن يجلس مع وفده في الجمعية العامة، وكان ترتيب جلوس الوفد الأمريكي خلف وفدنا تماماً، وكان التلفزيون مسلطاً بشكل دائم على نيكسون، وكنت أمامه بشكل مستمر. وهكذا ظهرت أمام نيكسون على شاشات التلفزيون لأكثر من ساعة من الوقت، وفي اليوم التالي أخذ الناس يسلمون عليّ في الطرقات وكأنهم يعرفونني وما كنت أعرف أحداً منهم. كان نيكسون قد وضع على وجهه البودرة والحمرة كيلا يبدو شاحباً أثناء تصويره في التلفزيون.

اجتماع مع موريس شومان، وزير خارجية فرنسا: يوم الخميس ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٠، ذهبت والدكتور جورج طعمة مندوبنا الدائم لمقابلة وزير الخارجية الفرنسي، وكان معه المسيو «ده بومارشيه» مدير عام الشؤون السياسية، ومدير مكتبه الذي أخذ ضبط الجلسة.

بعد المجاملات، سأل المسيو شومان عن تقديرينا للموقف بعد أن طلبت الجمهورية العربية المتحدة إدراج بحث قضية الشرق الأوسط في الجمعية العمومية، فقلت: إن موقفنا هو الذي بيناه البارحة في مجلس الأمن من أن أي حل لا يبدأ بعرب فلسطين ولا يقر بحقوقهم هو حل لا يستوحي السلام الدائم، كما أن أي حل لا يكون من شأنه انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي التي احتلت بعد ٥ حزيران ١٩٦٧، لا يمكن أن يطبق أو أن يكون عملياً.

قال: إن موقف فرنسا هو الإقرار بالكيان الفلسطيني Entité Palestinienne، وقال إن الإنكليز كانوا يريدونها مبهمة منذ البداية، وإن أبا إيوان قال إنه سيرق بالنص الإنكليزي لحكومته، علماً بأن مقدمة القرار تنص على عدم جواز اكتساب الأراضي بالقوة.

سألت شومان كيف يرى الموقف بعد الاتصالات التي أجراها؟، فقال إنه لم يقابل غولدا مائير بعد. قلت له: أعلم ذلك، ولكنك قابلت روجرز وهيوم وغروميكو، فما الذي استخلصته من هذا الاجتماع؟. قال: كما ذكرت اليوم في خطبتي، وكما بينت في خطابي السابق، نعتقد أن عبء السلام أثقل من أن ينفرد بحمله أشخاص من دول معينة، بل لا بد من مشاركة جميع الدول. وقد ذكرت ذلك

لأقوي مركز الأمين العام للأمم المتحدة الذي سيصدر غداً بياناً عن الوضع في الشرق الأوسط، فيكون ذلك تمهيداً له، ولا أخفيك أننا نشعر أن الولايات المتحدة تضغط على إسرائيل لمعاودة مهمة «يارنغ».

قلت إن الانتخابات في أمريكا التي تهيأ الآن تجعل ضغط اليهود على الإدارة الأمريكية أشد من ضغط أمريكا على إسرائيل، وإذا كان الضغط بتسليم الأسلحة والطائرات، كما أعلنت الإدارة الأمريكية اليوم، فيا شؤم الضغط.

قال: إن تسليم الأسلحة، كما نعتقد، هو للتمهيد لمعاودة مهمة يارنغ. إننا لمسنا هذه الرغبة لدى أمريكا، وإن كانت الانتخابات هي مناسبة لضغط يهودي في أمريكا. ثم قرأ لنا بالإنكليزية بياناً كان صدر اليوم عن البيت الأبيض يقول: «إن أمريكا تتعهد بالحفاظ على كيان إسرائيل وأمنها»، ثم سأل عما سيكون عليه موقفنا في الأمم المتحدة لدى مناقشة قضية الشرق الأوسط، فقلت: هنالك مشروع قرار سيعد أو يكون قد أعد ولم نطلع عليه بعد، وعلى ضوءه سنحدد موقفنا.

(كان مشروع القرار قد أعد واطلعت عليه، وكان ينص في مجمله على ضرورة تنفيذ القرار ٢٤٢ لمجلس الأمن).

تعرضت، في نهاية الحديث، إلى زيارة المسيو «ده بروغلي» لسورية، فقال شومان: إن خليفتي في لجنة الشؤون الخارجية، التي رأسها طيلة عشر سنوات، قد أطلعني على نتيجة مباحثاته في سورية، وإننا على استعداد لتقديم كل مساعدة ممكنة، وإن المسيو ده بروغلي قد عاد مسروراً من زيارته لسورية. قلت: تحدثنا عن ضرورة ترجمة العلاقات الطيبة بين البلدين بأفعال مادية: اتفاق ثقافي واتفاق اقتصادي وتجاري. فقال: لقد أطلعني على نتائج زيارته، ويجب أن نبدأ بالاتفاق الثقافي. قلت: إن الاتفاق الثقافي قد تم الاتفاق عليه منذ أكثر من خمسة أعوام ولا ينتظر إلا التوقيع. فقال المسيو ده بومارشيه، إن الصعوبات ليست كلها من الجانب الفرنسي. قلت: بل أكثرها. في نهاية الحديث، أطرى المسيو شومان على لغة الدكتور جورج ولغتي الفرنسية.

الاجتماع لدى مندوب لبنان: يوم السبت ١٧ تشرين الأول ١٩٧٠، دعانا الدكتور إدوار غرة، مندوب لبنان لدى الأمم المتحدة، إلى اجتماع عقده تكريماً للرئيس شارل حلو، حضره أكثر السفراء العرب والسيد محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة، الذي عرض خلال الاجتماع وجهة نظره من أجل إثارة

قضية الشرق الأوسط في الجمعية العامة، وقال إنه لم يعد هناك مجال للتردد أو للعودة بعد أن طلبنا مناقشة القضية في الجمعية العامة، وإننا سنعرض، بواسطة أصدقائنا، قراراً يشبه قرار لوساكا، فإن أخفق سنقدم بمشروع قرار بسحب القوات الإسرائيلية المحتلة بعد ٥ يونيو، فإن أخفقنا، سنعرض المبادرة الأمريكية، ثم قال إن الغرض من ذلك تمديد مهلة وقف إطلاق النار لشهرين، ولن نقبل لثلاثة أشهر كيلا نتهم بقبول الواقع الذي قد يؤدي إلى هدنة تشبه خطوط الهدنة الأولى. ومن ناحية ثانية، ومع إيماننا بأن الحرب وحدها هي التي تحل القضية، إلا أننا غير مستعدين الآن للحرب.

ثم قال: قبل مجيئي إلى هنا، كنت لدى روجرز نبحث قضية الشرق الأوسط، وكان روجرز متفعلاً جداً وضرب على الطاولة بشدة، وقال: ترفضون الآن ما نعرضه عليكم ثم تعودون إلينا بعد مدة ترجوننا بأن نقدم لكم ما رفضتموه سابقاً. وافقوا الآن على القرار ٢٤٢.

جرى الاجتماع لدى المندوب اللبناني من دون دعوة مندوب الجامعة العربية الدكتور فائز الصايغ، ومن دون ممثل منظمة تحرير فلسطين سعادات حسن، لأن الحفلة التي كان مقرراً إقامتها من قبل الدكتور غرة للرئيس شارل حلو قدّمت ساعة بدون إعلامهما، وصدف أنه لدى دخولهما سمعا محمود رياض يقول: سنطلب انسحاب القوات الإسرائيلية إلى حدود ٤ حزيران، وعلى الفلسطينيين أن يحرروا أراضيهم!... فانسحبا دون أن يجلسا.

أشار محمد يزيد، مندوب الجزائر، إنه في حال الاجتماع فلا بد من حضور مندوب المنظمة ومندوب الجامعة العربية، وقال منصور كيخيا (مندوب ليبيا) إنه بصفته رئيس المجموعة العربية لهذا الشهر، إذا كان الاجتماع رسمياً فيجب عندئذ دعوة ممثل الجامعة والمنظمة، وإن كان غير رسمي فلا علاقة له بذلك، فكان الجواب إنها حفلة وتمت خلالها بعض الأبحاث.

قال رياض: إن لدينا ثلاثين صوتاً أفريقياً، وسنطلب إلى أصدقائنا أن يتقدموا بقرار يشبه قرار لوساكا الذي وافقت عليه جميع الدول العربية، ما عدا سورية التي تحفظت فيما بعد، وقال لي الدكتور مصطفى السيد إنه لا يستطيع الموافقة دون أخذ رأي الحزب، واكتفى، بناء على طلبي، أن يبعث فيما بعد، كتابةً، بتحفظه. أما باقي الدول العربية، وأكرر: العراق والجزائر فقد وافقتا، واشترك وزيراً خارجيتهما بوضع صيغة البيان، واستناداً لذلك، فقد جئنا إلى الأمم المتحدة لعرض مشروع شبيه بقرار

لوساكا، فمن أراد من الدول العربية أن يصوت على القرار فأهلاً وسهلاً، ومن أراد أن يتحفظ فله ما يشاء، وإذا أرادت بعض الدول أن لا تحضر الجلسة بكاملها فكما تريد. ثم قال: إذا لم ينجح القرار، سنطلب طرح قرار يشبه قرار مجلس الأمن وإلا فسنطلب إعادة الموضوع إلى مجلس الأمن. ثم سأل: من هو الممثل العربي في مجلس الأمن؟، فلما علم أنها سورية، قال: لنا أصدقاء غيرها في مجلس الأمن!...

كان الجو غير ودي، وكان رياض يريد أن يفرض رأيه على المجموعة العربية، ووافقه عمر السقاف (وزير خارجية السعودية)، واكتفيت بالسماع ولم أتحدث.

اجتماع مجلس الأمن: منذ أن حضرت إلى الأمم المتحدة في نيويورك، وبعض رؤساء الوفود العربية والاشتراكية والصديقة يتصلون بنا ويطلبون بالحاح أن نقبل بالقرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن عام ١٩٦٧، وكانت الحكومة السورية قد رفضت هذا القرار جملة وتفصيلاً، لأنه لا ينص صراحة، بنصّه الإنكليزي والفرنسي، على انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي التي احتلتها في عدوانها في ٥ حزيران ١٩٦٧، كما أنه لا يقر للفلسطينيين بحقوقهم في إقامة دولتهم وفي عودة اللاجئين. إذن كان هنالك خلاف جوهري وانقسام بين الدول العربية حول القبول بهذا القرار أو رفضه، وكما بينت سابقاً فإن سورية والعراق وليبيا والجزائر رفضته، وقبلت به بقية الدول العربية بزعامة الجمهورية العربية المتحدة.

كان موقفي حرجاً في مجلس الأمن، لأن سورية تمثل فيه المجموعة العربية بكاملها لا سيما وقد تقرر عقد جلسة خاصة للمجلس، بمناسبة اليوبيل الفضي للأمم المتحدة، على مستوى وزراء الخارجية، وفي هذا الاجتماع يتعين على جميع الأعضاء الإشادة بما حققته الأمم المتحدة ومجلس الأمن في حفظ السلم والأمن الدوليين، وبقبول ودعم وتنفيذ جميع القرارات الصادرة عنه.

عقد الاجتماع صباح الأربعاء في ٢١ تشرين الأول ١٩٧٠، وكان مغلقاً، أي لم يسمح للجمهور ولا للصحفيين بحضوره. حضره وليم روجرز (أمريكا) ودوغلاس هيوم (بريطانيا)، وغروميكو (الاتحاد السوفياتي)، وموريس شومان (فرنسا) ولوبيث برافو (إسبانيا)، الذي ترأس المجلس في هذه الدورة، كما حضره رئيس جمهورية الدومينيك لإثبات وجوده.

حضرته مع الزملاء: رفيق جويجاني وضياء الله فتّال وعدنان عمران.

ألقي روجرز كلمة أميركا وانسحب، وتبعه هيوم فألقى كلمة بريطانيا وانسحب، وتبعه

موريس شومان (فرنسا) فألقى كلمته ولم ينسحب حتى ألقى كلمتي، وقدرت له ذلك.

ألقيت كلمة بالفرنسية ضممتها تأكيداً على القرارين / ٢٣٥ / في ٩ حزيران ١٩٦٧ و / ٢٣٦ / في ١١ حزيران ١٩٦٧، اللذين يطالبان بوقف إطلاق النار وعدم تجاوز الخط الذي وصلت إليه القوات المتحاربة في الساعة ١٨,٣٠ GMT من يوم السبت ١١ حزيران ١٩٦٧، وقلت: لو طبق هذان القراران لما كنا بحاجة إلى أي قرار آخر بالنسبة لسورية، ولما وجد على أراضيها أي جندي إسرائيلي. كان ذلك ما أنقذني من الإحراج.

السبت ٢٤ تشرين الأول: انتهت الجلسة الخاصة للأمم المتحدة، التي أقيمت على مستوى الرؤساء بمناسبة اليوبيل الفضي للمنظمة، فقدّم رئيس الجمعية العمومية تقارير اللجنة التي صودق عليها، وتكلم فيها رؤساء المجموعات عن سياسات مجموعاتهم.

ثم أقام الرئيس هاميرو حفلة غداء في مطعم المنظمة، ثم حفلة استقبال، وفي المساء قدمت أوركسترا لوس أنجلوس حفلة موسيقية قادها «زوبين مهتا» الهندي وعزفت قطعة Cosmogony، للموسيقار البولوني Penderecky، ثم السمفونية التاسعة لبيتهوفن، وكانت حفلة جميلة وموفقة.

وبعد يومين، استمرت المناقشات في الجمعية العمومية، وأصرت الجمهورية العربية المتحدة على عرض قضية الشرق الأوسط للنقاش.

- كنت قررت السفر في بداية تشرين الثاني، وحجزت للسفر على الطائرة الفرنسية.

- أعلمني ممثل الفاتيكان أن قداسة البابا بولس السادس حدد لي موعداً لمقابلته يوم السبت ٧ تشرين الثاني، وأنه قد تم الحجز لي في فندق «ريتز» القريب من الفاتيكان، فأرسلت برقية بذلك إلى سفيرنا في روما، الدكتور حافظ الجمالي.

- غادرت نيويورك في الساعة السادسة من مساء الإثنين ٢ تشرين الثاني ١٩٧٠، ووصلت باريس في الثالث منه.

- علمت، فيما بعد، أنه جرى، بعد ظهر الأربعاء ٤ تشرين الثاني، التصويت في الجمعية العامة على المشروع الأمريكي - الأمريكي اللاتيني الذي يرفض القبول بوجهة النظر العربية، ففشل بـ ٤٩ صوتاً مقابل ٤٧، ثم جرى التصويت على المشروع العربي - الأفريقي، بعد أن أدخل عليه التعديل الفرنسي، فنجح بأكثرية ٥٧ صوتاً ضد ١٦ واستنكاف ٣٩ صوتاً.

كانت هذه المهمة في الأمم المتحدة، وفي هذه الظروف المعقدة، أصعب مهمة مارستها في حياتي الدبلوماسية وأدقها وأكثرها جهداً وإحراجاً، ولكنها مضت بيسر وتوفيق والله الحمد.

في باريس ٤ و٥ تشرين الثاني

أحببت أن أستفيد من وجودي في باريس خلال يومين، لأقوم بزيارتين:

١ - إلى المدير العام لمنظمة اليونسكو: قمت، في الرابع من تشرين الثاني ١٩٧٠، بزيارة إلى المدير العام لليونسكو المسيو «رونيه ماهو» الذي كنت أعرفه عندما كنت قائماً بأعمال سفارتنا في باريس ومندوباً لدى اليونسكو، وقد رافقني في هذه الزيارة الزميل عدنان نشابة، القائم بأعمال سفارتنا في باريس والمندوب لدى اليونسكو، الذي حل محلي في هذه المهمة.

أثار المدير العام موضوع الكتب المدرسية، وتمثّل سورية عن الاعتراف بقرار المجلس التنفيذي، وبالتالي التعاون معه باعتبار أن المجلس التنفيذي كان أوكل إليه، بعد فشل اللجنة الحيادية، أمر الوصول إلى حل مع الدول المعنية.

شرحت له مجدداً أن موقفنا من أن الكتب التي تدرّس في مدارس الوكالة هي ذات الكتب التي تدرّس في سائر مدارس القطر، وأن عرضها على أية لجنة معناه التنازل عن سيادتنا، وعندما قبلت الجمهورية العربية المتحدة والأردن ولبنان باللجنة، عادت وهاجمتها، مما اضطر المجلس التنفيذي أن يحيل صلاحياتهم إليكم. أما بالنسبة لنا، فإن لجنة وزارية في وزارة التربية تقوم سنوياً بتنقيح الكتب وإعادة طباعتها بما يتناسب والأوضاع الجديدة، وحسب احتياجات الطلاب، وبما يتلاءم وضرورة البلد، وإن اللجنة تستوحي عملها من نداء حقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة واليونسكو.

طلب إلي المسيو ماهو أن أسعى، لدى وزير التربية، ليعث إليه بكتاب يتضمن الموضوع حتى يدعم موقفه تجاه المجلس التنفيذي لليونسكو، فوعده بنقل رغبته هذه. قال: إن هذا ما كان فهمه من خطاب مندوب «المتحدة»، إلا أنه، لمصلحة سورية، يرى أن يحاط علماً بهذه اللجنة وبأعمالها ليقدم تقريره إلى المجلس التنفيذي، وإلا فإن إسرائيل ستهاجم سورية، وهو لا يستطيع الدفاع عنها رغم قناعته ورغبته بذلك. ولدى سؤاله له عن عدد الكتب المدرسية التي سمحت إسرائيل بإدخالها للمدارس في المنطقة المحتلة؟ قال: إنها تشكّل ٨٠٪ من مجموع الكتب. قلت: ورد

هذا السماح غداة انعقاد دورة اليونسكو، كما أنه يجب إعادة سائر الكتب. وقلت: إن قرار المجلس التنفيذي قد طبق على سورية حتى قبل اتخاذه، عندما منع المستر ميتشلمور بعض الكتب، وعددها الآن ٢٩ كتاباً، من الاستعمال، وهذا غير مقبول.

أشار المدير العام إلى ضرورة إبراز الشخصية الفلسطينية في خطب المندوبين العرب كما فعل، لأن الموضوع لم يعد موضوع لاجئين لمدة قصيرة ولبعض الوقت، وإنما هو شعب ارتكب بحقه ظلم لم يصحح، ومأساة لا يزال يقاسي منها. وعدته بنقل وجهة نظره للمسؤولين.

٢ - إلى رئيس لجنة الشؤون الخارجية في الجمعية الوطنية (البرلمان): قمت، في الخامس من تشرين الثاني، بزيارة إلى الجمعية الوطنية، حيث كان لي موعد مع رئيس لجنة الشؤون الخارجية المسيو «جان ده بروغلي» (هو الأمير ده بروي)^(١)، (وكان قام بزيارة إلى سورية بنا على دعوة مني، وأمضى فيها بعض الوقت وقابل المسؤولين فيها). قال إنه كان مسروراً من زيارته لسورية، وإنه نقل الحديث الذي كنا نتحدث به إلى الرئيس بومبيدو الذي وافقه عليه وعلى دعم العلاقات بين البلدين، وتقديم المساعدة الممكنة لسورية. ثم سألت عن الوضع في سورية، وما يشاع عن استقالة نور الدين الأتاسي. قلت: لم أسمع بذلك، وإن كنت لا أستبعد وجود خلافات في القيادة. ثم تعرّض لزيارته للقاهرة وللوضع الجديد فيها، بعد وفاة الرئيس عبد الناصر، وقال إنه يعتقد أن أنور السادات ما هو إلا صورة مؤقتة، وإنه لن يلبث أن يزول وتظهر وجوه جديدة من الجيش، وعندها لا يستطيع التكهن عن الاتجاه السياسي الذي ستتجه مصر.

بعد الظهر زرت سفير البابا في باريس، فاتصل هاتفياً بالفاتيكان وأعلمني مجدداً أنه تم الحجز لي في فندق «ريتز».

زيارة البابا بولس السادس: كنت، قبل مغادرتي دمشق، طلبت من القاصد الرسولي بدمشق أن يحدد لي موعداً مع قداسة البابا بولس السادس لدى عودتي من نيويورك، فتم تحديد الموعد يوم السبت في ٧ تشرين الثاني ١٩٧٠، الساعة ١٠،٤٥.

(١) هو الكونت ده بروي، من سلالة العائلة المالكة، كان سفيراً في الجزائر قبل أن يصبح رئيساً للجنة الشؤون الخارجية، وقد قامت بيننا صداقة عندما كنت في باريس فدعوته لزيارة سورية، فزارها. تألمت كثيراً عندما علمت باغتياله من قبل شخص يرتدي بذة بوليس فرنسي، ولم تسفر التحقيقات عن شيء.

استقبلني، على الباب الخارجي لمبنى الفاتيكان، مدير المراسم، وفي طريقنا إلى مكتب قداسة البابا مررنا بعدد من الصالات كانت تغص بالوفود التي جاءت لوداع قداسه قبل أن يغادر في اليوم التالي في جولة إلى أستراليا وجنوب شرق آسيا.

في الطريق، قال لي مدير المراسم: ترى هذه الوفود الكثيرة، إننا نجد صعوبة في تحديد المواعيد لها لمقابلة قداسه، وقد جاء صباح اليوم شخص تجاوز المدة المحددة له بخمس دقائق. لقد حدد قداسة البابا لك عشر دقائق لمقابلته، وسأكون جد ممتن لك إن تمكنت أن تهبني دقيقتين منها كي أنظّم بقية المواعيد.

قلت: سأكون تحت تصرف قداسه، فإن استقبلني لخمس دقائق، منحتك خمس دقائق أخرى، وإن استقبلني لتسع دقائق، منحتك دقيقة واحدة، ولا أستطيع أنا، من جانبي، قطع الحديث، فهو الذي يقدّر متى أعادته. قال: أرجو أن تبذل جهدك.

دخلت إلى قداسة البابا بولس السادس في مكتبه، فاستقبلني وقوفاً وبترحاب ولطف. تحدث أولاً عن حبه لدمشق وانتقائه اسم القديس بولس لحبه له، وهو الذي نحا بالدين المسيحي النحو الصحيح، لذا فهو يحب سورية ودمشق، فأشدت بمشروع البناء الذي أمر قداسه بإشادته في دمشق من أجل اليتامى، فقال: إن هذا المشروع ليس لأبناء المسيحيين فقط بل للجميع. وامتدحت المكان الذي شُيّد فيه وجمال بنائه. ثم سألني عن رغبتني بمقابلته؟ فقلت: جئت أشرح لقداستك وجهة نظرنا بالنسبة للقضية الفلسطينية التي أعلم مدى اهتمامك بها. وبعد أن أفضت بشرحها وبحق الفلسطينيين في أرضهم، قال: ماذا يمكنني أن أفعل؟ إذ لا أحد يستمع لي، كما أنه لا حول لي ولا قوة، والآن، واليهود في تلك البقعة، فكيف ترون الحل؟

قلت: إن لقداستك مكانة سامية وقوة معنوية وروحية كبيرة ليس فقط في العالم المسيحي الكاثوليكي وإنما في العالم أجمع، وإن ما توجّه به ينتشر في العالم ويؤثر تأثيراً واسعاً على السياسة الدولية. أما الحل الذي نراه فهو في حصول الفلسطينيين على حقهم في إقامة دولتهم على أراضيهم، وهو حق طبيعي معترف به دولياً، أما إسرائيل فهي دولة عنصرية توسعية تسعى للسيطرة على جميع فلسطين، وتهدف للتوسع أيضاً في الدول العربية المجاورة، فوافقني على أنها دولة عنصرية Raciste ولكنها ليست توسعية Expansioniste، وإنما «ذات خصوصية» Exclusiviste.

قلت: إن هذه الصفة تستوجب الأولى لأنها تهدف إلى جمع اليهود أو أكثرهم في فلسطين، وطالما أن هذه الأراضي التي احتلوها لا يمكن أن تتسع لهم، فهم، ولا

شك، سيتوسعون، ومنذ القديم كانوا يريدون أن تمتد مملكتهم من النيل إلى الفرات، أما اليوم فأهدافهم أبعد بكثير من ذلك، ويطمعون بمنايع النفط ومصادر المياه. ثم أشرت إلى قوة نفوذ اليهود في أمريكا، وما شاهدته أثناء وجودي في نيويورك خلال الحملة الانتخابية التي ينتقون موعدها أثناء دورات الأمم المتحدة، وأبنت خطرهم وخطر الصهيونية العالمية على السلام في الشرق الأوسط وفي العالم، وقلت إن عليه أن يثور دفاعاً عن الأماكن المقدسة التي تهمة مثل ما تهمننا بل أكثر. فرد إنه لا قوة له، وإن أحداً لا يستمع لنصحه.

ثم قال: أود أن أثير معك موضوع المدارس الكاثوليكية في سورية التي شملها التأميم، وهي تهمننا كثيراً، لا سيما وأن المشرفين عليها لم يتدخلوا بالشؤون السياسية الداخلية لسورية. فبينت له أن الإجراء لم يكن مقصوداً به المدارس الغربية، وأن المدارس الإسلامية والعربية التي أصابها التأميم، أو بالأحرى التي وضعت تحت إشراف الحكومة، يبلغ عددها ٩٠٠ مدرسة، منها ٨٨ مدرسة أجنبية فقط، وأن توحيد المناهج شيء مرغوب فيه أقدمت عليه سائر الدول المستقلة، وإنني أعلم أن لجنة مسيحية قد تألفت للمطالبة بحقوق هذه المدارس، وقد رفعت دعوى لدى مجلس الدولة وربحتها بداية، فسر قداسته لذلك، وقال: أرجو أن أسمع أخباراً سارة قريباً، كما أتمنى أن ألتقي دوماً برجالات سورية، وقد مضت ثلاثة أعوام منذ التقيت بآخر سفير لكم. فذكرته بمقابلته، في العام الماضي بالدكتور جورج طعمة، وقبل شهرين بسفيرنا في روما الدكتور حافظ الجمالي.

في آخر المقابلة، التي استمرت خمسين دقيقة، وكان مدير المراسم يدخل كل خمس دقائق ليذكر البابا ببقية المواعيد، وكان البابا يصرفه، ثم قال له: لا تدخل علي بعد الآن. في آخر المقابلة قال إنه يباركني وبارك عائلتي، ثم قدم لي هدية هي مداليته الخاصة، تعبيراً عن سروره بهذه المقابلة. أما مدير المراسم فلم يكن مسروراً أبداً، ولدى مغادرتي قداسة البابا لم أجرؤ أن أنظر إلى وجه مدير المراسم الذي لم يرافقني حتى الباب الخارجي للفايتكان، كم استقبلني في البداية.

وفاة الجنرال ديغول، ومشاركتي في حضور القداس: جاء السفير السوري في روما، الدكتور حافظ الجمالي، لمرافقتي إلى المطار يوم الثلاثاء ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٠، ثم أعلمني أن الجنرال ديغول قد توفي مساء البارحة، فتألمت كثيراً. وصلت دمشق في التاسعة والنصف مساءً، وكانت المدينة شبه ميتة. استقبلني الزملاء في المطار، وكان الجو السياسي مكفهرًا.

صباح الأربعاء، كان الوزير الدكتور مصطفى السيد بانتظاري في الوزارة ومعه الأستاذ كامل حسين سفيرنا في باريس، كانا يتباحثان بشأن الوفد السوري الذي سيشارك بتشجيع الجنرال ديغول، وكان قد حُدد موعد له في اليوم التالي. ذهبنا إلى السفارة الفرنسية لتقديم التعازي، فكان السفير في المقبرة الفرنسية، بمناسبة الاحتفال بيوم الشهداء. ذهب الدكتور السيد والأستاذ كامل إلى الدكتور الأتاسي، فقال إن على الدكتور السيد أن يسافر فوراً إلى باريس لحضور التشييع. عاد إلى الوزارة وطلب إلي أن أرافقه، وما مضى على عودتي من روما بضع ساعات. أمّناً السفر فوراً على الطائرة السويسرية التي أخرجنا في المطار، وكانت على أهبة الإقلاع، فوصلنا باريس عن طريق جنيف. كان في استقبالنا وزير الدولة الفرنسي للشؤون الخارجية المسيو ده ليكوفسكي، فحللنا في دار السفير.

يوم الخميس ١٢ تشرين الثاني، كان القداس في كنيسة نوتردام مهيباً، وقد حضره عدد كبير من رؤساء الدول بالألبسة الرسمية. كان من بين الحضور البرنس شارل ولي عهد بريطانيا يرافقه رئيس الوزراء إدوار هيث والرؤساء السابقون ماكميلان وويلسون وإيدن عن بريطانيا، هاينمان وكيسنغر وإيرهارد عن ألمانيا، والملك بودوان عن بلجيكا، والملكة ولهلمينا عن هولندا، ودوق لوكسمبورغ والرئيس ساراغات (إيطاليا)، والمارشال شبيخالسكي (بولونيا)، بودغورني (الاتحاد السوفياتي)، الرئيس نيكسون وروجرز (أمريكا)، هيللا سيلاسي (امبراطور الحبشة)، وامبراطور إيران، ومحمود فوزي (وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة)، وبوتفليقة (وزير خارجية الجزائر)، وزلمان شازار وبن غوريون (إسرائيل) والأمير محمد (ولي عهد المغرب) وأكثر رؤساء أفريقيا. كان الاحتفال مهيباً ومنظماً، واستمر حتى الثانية عشرة والنصف.

بعد الظهر، قدمت الوفود التعازي للرئيس الفرنسي جورج بومبيدو في قصر الإليزيه، وفي المساء خرجت مسيرة ضخمة جابت شوارع باريس تحت المطر الغزير وكأنها تبكي الرئيس الراحل.

وفي اليوم التالي، جرى الدفن، بشكل بسيط في مقبرة «كولومبيه» قرب الكنيسة، وكان ديغول قد أوصى بأن يدفن إلى جانب ابنته التي سبقتها إلى العالم الآخر.

غادرت باريس في الساعة الرابعة عشرة والنصف على الطائرة الفرنسية عن طريق روما، ووصلت دمشق في العاشرة والنصف مساءً من يوم الجمعة ١٣ تشرين الثاني. أما الوزير الدكتور مصطفى السيد فقد غادر باريس إلى روما لقضاء يومين فيها.

الحركة التصحيحية التي قادها الفريق حافظ الأسد

عندما وصلت دمشق، يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٣٩٠ هـ - ١٣/١١/١٩٧٠ م، استقبلني في المطار سائق الوزير، وفي الطريق أعلمني أن بعض الاعتقالات قد حدثت بعد ظهر اليوم: صلاح جديد، فوزي رضا، يوسف زعيّن، محمد عيد عشاوي، وأن الفريق حافظ الأسد قد استلم السلطة في البلد.

في الثانية بعد منتصف الليل، حدث بعض إطلاق النار قرب منزلنا، ثم توقف. ذكرت محطات الإذاعة الغربية أن انقلاباً أبيض حدث في سورية. قابل الناس اعتقال جديد ورفاقه بشيء من الارتياح الممزوج بعدم الاكتراث.

حضرت إلى الوزارة، وكان الزملاء في تساؤل عن الاعتقالات وعن الأثر الذي ستركه، وما زال الوضع غامضاً، وتجري مباحثات لتشكيل قيادة قطرية مؤقتة.

قامت مظاهرات هزيلة معادية للجيش، ففرقها الجيش.

أصدرت القيادة القومية قراراً، في ١٦ تشرين الثاني، بفصل الفريق حافظ الأسد واللواء مصطفى طلاس من الحزب، ووقفت قيادة منظمة لبنان إلى جانب القيادة القومية، ودانت «المؤامرة» التي قادها حافظ الأسد ومصطفى طلاس على الحزب وعلى مؤسساته الشرعية وثورته في القطر السوري.

اجتمع الطلاب البعثيون في الجامعة لتحريض الطلاب على الإضراب فلم ينجحوا في جمع أحد، وسعى بعض العمال لإغلاق المعامل ولم يفلحوا، ووزع الحزب منشوراً يحض سائر الأعضاء على الإضراب والاعتصام وتعطيل الأعمال، إلا أن أثر ذلك كان هزياً.

مقابل ذلك، قامت مسيرات كبرى في دمشق وبعض المدن السورية تأييداً «للعهد»، ألقى فيها الدكتور جمال الأناسي - أمين عام الوندوين الاشتراكيين -

خطاباً، كما ألقى الفريق حافظ الأسد كلمة معتدلة ركز فيها على حرية وكرامة المواطنين، وعلى العمل من أجل الوحدة، وانتخابات المجالس الشعبية.

بدأت المهاترات والاتهامات بين القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، والقيادة القطرية المؤقتة، التي انتُخبت حديثاً، كل واحدة منهما تنعت الأخرى بالانحراف وبالتعاون مع الإمبريالية والقوى المعادية بغية تصفية القضية الكبرى، قضية فلسطين وتثبيت الوجود الفلسطيني.

مساء الاثنين، ١٦ تشرين الثاني، عاد الوزير الدكتور مصطفى السيد من روما فاستقبلته في المطار وأعلمته بما تم، قال إنه لن يحضر غداً إلى الوزارة لأنه تعب!... بعد مداولات واستشارات مكثفة، صدر قرار بتسمية الرفيق أحمد الخطيب رئيساً للدولة، وكان قد انتخب من قبل القيادة القطرية المؤقتة أميناً عاماً قطرياً.

وفي ساعة مبكرة من صباح السبت، ٢١ تشرين الثاني، صدر المرسوم رقم ٢٦١٦ بتشكيل الحكومة الجديدة برئاسة الفريق حافظ الأسد، رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للدفاع و٣ نواب لرئيس الوزراء هم: طلب هلال للزراعة والإصلاح الزراعي، وعبد الحليم خدام للخارجية، ومحمود الأيوبي للتربية والتعليم، وقد ضمت الوزارة ٢٥ وزيراً.

حضر الوزير الجديد عبد الحليم خدام إلى الوزارة، كما حضر بعده الدكتور مصطفى السيد لتهنئته، وكانت تلك لفظة لطيفة منه، وقال إنه يعرف الوزير خدام منذ عام ١٩٤٨، وهو صديقه، ثم جاء إلى مكنتي لوداع المديرين الذين كنت جمعتهم لتقديمهم إلى الوزير الجديد، فشكرهم على مؤازرتهم له أثناء وجوده على رأس الوزارة، وتمنى للوزارة في عهدها الجديد التقدم والفلاح. ثم ذهبنا إلى الوزير الجديد وقدمت له الزملاء، وألقيت كلمة مهنئاً إياه و متمنياً له وللوزارة في عهده التقدم والنجاح.

ثم ألقى الوزير كلمة قال فيها إن تقييم العاملين في الوزارة سيكون على أساس كفاءتهم وإنتاجهم، فرددت شاكراً وداعماً الموظفين الذين لا يألون جهداً في خدمة وزارتهم ووطنهم.

أحدثت الحركة التصحيحية، التي قادها الفريق حافظ الأسد، تطوراً كبيراً في السياسة السورية الداخلية والخارجية، وخلقت مرحلة هامة في تاريخ سورية الحديث، إذ أرسى دعائم عهد جديد من الأمن والاستقرار لم تعرفه سورية من قبل وكانت بألمس الحاجة إليه.

في الخارج، أكسب استقرار الوضع والأمن في الداخل، والانفتاح في السياسة الخارجية، احترام الدول الغربية والشرقية لسورية، فقامت الوفود السياسية والاقتصادية والسياحية من هذه الدول بالتسابق لتوثيق صلاتها معها، وعرض خدماتها ومساعداتها في مشاريع التنمية والاستثمار، مستفيدة من الإمكانيات الواسعة التي تتوفر في سورية في مختلف المجالات الزراعية والصناعية والنفطية والسياحية.

وفي الداخل، لاقت الحكومة التصحيحية، ترحيباً واسعاً في جميع أوساط الشعب، ليس في دمشق وحدها وإنما في سائر مدن القطر، وذلك لأنها تمت دون إراقة الدماء، على خلاف ما حدث في حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦، ولأنها قضت على التطرف اليساري الذي تزعمه يوسف زعيّن عن جهل وعدم تقدير، ولأن الشعب ربط بين خسارة الحرب في الجولان وبين القيادة القطرية السابقة، فاستبشر خيراً بهذه الحركة التصحيحية.

بعد أن استتب للفريق الأسد الأمن والاستقرار في دمشق، قرر القيام بزيارات إلى بقية المدن السورية مبتدئاً بحلب في ٧ كانون الثاني ١٩٧١، حيث جرى له فيها استقبال شعبي ورسمي لم تشهد له حلب مثيلاً منذ زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لها، وأمضى فيها أربعة أيام أنهاها بالصلاة في المسجد الأموي.

ثم غادرها إلى اللاذقية فوصلها في العاشر من كانون الثاني، وجرى له فيها استقبال حافل لا يقل عن استقبال حلب له، كما أدى صلاة الجمعة في جامعها بعد أن زار مسقط رأسه في القرداحة.

صدر في ١٦ شباط ١٩٧١، عن القيادة القطرية لحزب البعث الاشتراكي، تعديل للدستور المؤقت تضمن تشكيل مجلس الشعب من ١٧٣ عضواً منتخبين من بين أعضاء القيادة القطرية المؤقتة والنقابات العمالية والمنظمات، كما نص على أن مدة هذا المجلس هي ستان تبدأ من تاريخ أول اجتماع له، وأن مهامه هي وضع الدستور الدائم، وترشيح رئيس الجمهورية، وإقرار القوانين، والتصديق على موازنة الدولة، وإصدار العفو العام، وإقرار المعاهدات، ومناقشة سياسة الوزارة، وحجب الثقة عنها أو عن أحد الوزراء. كمانص الدستور المؤقت أن ولاية رئيس الجمهورية سبع سنوات ميلادية وهو يمارس الصلاحيات التنفيذية، وفي غياب المجلس، يصدر مراسيم تشريعية يقرها المجلس أو يُعدلها بأكثرية ثلثي النواب، ولرئيس الجمهورية أن يعيّن نائباً له أو أكثر من نائب، كما يسمي رئيس الوزراء ونوابه الوزراء ويقبل استقالتهم أو إعفاههم، ويضع الأسس العامة لسياسة الدولة، ويعتمد السفراء لدى

الدول الأجنبية ويقبل اعتماد السفراء الأجانب في سورية، وهو القائد العام للجيش والقوات المسلحة، ومن صلاحياته إعلان الحرب والتعبئة العامة، كما له أن يحل مجلس الشعب بقرار معلل يصدر عنه، ويسمي أعضاء المجلس الجديد خلال ستين يوماً من تاريخ الحل.

وفي ٢٢ شباط ١٩٧١، انتخب مجلس الشعب الموقت السيد أحمد الخطيب رئيساً له، فألقى كلمة شكر فيها زملاءه الذين انتخبوه لهذا المنصب الذي طالما كان يهدف إليه... ليتعاون مع زملائه ورفاقه وإخوانه في المنظمات الشعبية للنضال جميعاً لتحقيق النصر...

انتخاب أعضاء القيادة القطرية الجديدة لحزب البعث العربي الاشتراكي

جرت، في الثالث عشر من آذار ١٩٧١ (مساء الخميس)، انتخابات أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، ففاز فيها: حافظ الأسد، مصطفى طلاس، أحمد الخطيب، عبد الله الأحمر، محمود الأيوبي، عبد الرحمن خليفاوي، عبد الحليم خدام، محمد حيدر، عبد الكريم عدي، محمد جابر بجوج، محمد علي الحلبي، فهمي اليوسفي، ناجي جميل، عبد الغني إبراهيم، جبر الكفري، عبد الله الأحمد، متعب شنان، جورج صدقني، أديب ملحم، عصام النائب، طه الخيرات.

جرت الاستعدادات في سورية لتهيئة الاستفتاء على انتخاب رئيس الجمهورية في ١٢ آذار، بعد أن رشحت القيادة القطرية الفريق حافظ الأسد لهذا المنصب.

وأصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري بياناً في ٣/٥ أيدت فيه ترشيح الفريق حافظ الأسد لمنصب رئيس الجمهورية، ودعت جميع الشيوعيين وأصدقاءهم لممارسة حقهم بالاستفتاء، والتصويت للفريق حافظ الأسد.

جرى الاستفتاء يوم الجمعة ١٢ آذار ١٩٧١ على شخص الفريق حافظ الأسد لمنصب رئيس للجمهورية السورية، في جو من الإقبال على صناديق الاقتراع والحماس، وأغلقت الصناديق في الساعة الثامنة مساءً.

وصباح السبت ١٣ آذار، أعلنت نتائج الاستفتاء، فكانت كالتالي:

عدد المقترعين: ١,٩٣٥,٨٠٣ من أصل ٢,٢٢٠,٣٠٦ مسجلين.

عدد الموافقين: ١,٩١٩,٦٠٩ أي بنسبة ٩٩,٢٪.

واعتبر يوم السبت ١٣ آذار يوم عطلة بمناسبة ظهور نتيجة الاستفتاء، وبمناسبة عيد المعلم العربي أيضاً، وكان الفريق حافظ الأسد المرشح الوحيد لرئاسة الجمهورية.

كما جرت، في مجلس الشعب، حفلة تنصيبه وتقليده وشاح أمية، (إلا أن ذلك كان مدعاة انتقاد لأنه تم قبل أدائه قسم اليمين القانونية).

وكان وزير الداخلية اللواء عبد الرحمن خليفاي، عندما أعلن نتائج الاستفتاء يعقد مؤتمراً صحفياً، قال في بدايته إنه يرحب بالصحفيين الذي ولا شك قد اطلعوا على سير عمليات الاستفتاء، وعلى ارتفاع مشاركة المواطنين في هذه العمليات وحرصهم على ممارسة حقهم في أقصى درجات النظام، إذ لم تحدث أية حادثة مخلة بالأمن في جميع أنحاء البلاد طيلة ساعات الاستفتاء.

وألقي أحمد الخطيب، رئيس مجلس الشعب، كلمة في هذه المناسبة، لدى استقبال المجلس للرئيس المنتخب رحب فيها بالرفيق القائد رئيس الجمهورية، قال فيها:

«في هذه اللحظات التاريخية، لا في تاريخ قطرنا فحسب، بل في تاريخ وطننا العربي من محيطه إلى خليجه. في هذه اللحظات التي تكتب فيها صفحات مشرقة وضاءة من تاريخ النضال في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية».

ثم ألقى الرئيس حافظ الأسد خطاباً قال فيه، إن القيادة القطرية لحزب البعث التي اقترحت ترشيحه لرئاسة الجمهورية، ومجلس الشعب الذي وافق بالإجماع على هذا الترشيح، والشعب السوري عندما قال نعم، بهذه الغالبية التي يعتز بها، فإنه يشعر بالسعادة لأن سورية سارت شوطاً عاماً ورئيسياً على طريق ممارسة الديمقراطية الشعبية، وإن الطريق ليس سهلاً ولا معبداً، إلا أن سلاح الشعب المتماسك في وحدته الوطنية وسلاح الوحدة العربية هما أمضى سلاحين للنصر والتحرير، وسيبقى الشعب دائماً دليل المسيرة، وستكون رغبته غاية ما يبذل من جهد وطاقة.

وتشكلت في دمشق، في الأول من آذار ١٩٧٢، الجبهة الوطنية التقدمية في الجمهورية العربية السورية، وتضمن ميثاقها أموراً كثيرة، أستخلص، في ما يلي، بعضاً منها:

١ - إن تحرير الأراضي العربية المحتلة بعد الخامس من حزيران، هو هدف هذه المرحلة من نضال أمتنا...

٢ - إقرار مسائل السلم والحرب.

٣ - إقرار الخطة الخمسية، ومناقشة السياسة الاقتصادية لتحقيق بناء القاعدة الاقتصادية...

٤ - رسم خطط التثقيف القومي الاشتراكي وقيادة التوجيه السياسي العام...
٥ - العمل على استكمال بناء النظام الديمقراطي الشعبي ومؤسساته الدستورية...

٦ - متابعة استكمال البناء الديمقراطي للمنظمات الشعبية والمهنية...
٧ -... العمل على توفير الطاقات والكفاءات الوطنية والقنالية كلها من أجل تطويرها... لذلك، فإن الأطراف غير البعثية في الجبهة تتعهد ألا تقوم بأي تنظيم أو نشاط حزبي أو تكتلي داخل الجيش والقوات المسلحة...
٨ - العمل الدائب من أجل الوصول بالحوار الإيجابي... إلى التنظيم السياسي الموحد...

٩ -... بالنسبة للطلاب، تتعهد أطراف الجبهة من غير البعث أن تعمل على وقف نشاطاتها التنظيمية والتوجيهية في هذا القطاع بادئة بإيقاف امتدادها والتنسب لها.

١٠ - إن المهمة المباشرة لقيادة الجبهة هي وضع منهاج مرحلي جديد يكون إطاراً مستوعباً للبرامج التفصيلية... للانطلاق من أهداف واحدة هي الوحدة والحرية والاشتراكية...».

ثم ينص الميثاق فيما ينص من مبادئ راسخة:

«ج - لا صلح ولا تفاوض مع الدولة الصهيونية، ولا تنازل عن أي شبر من الأراضي العربية المحتلة.

د - دعم المقاومة الفلسطينية دعماً كاملاً».

كان الوزير الأستاذ خدام قد أعلمني في ١١ شباط أنه كان، مع أعضاء القيادة، يعملون لتهيئة الجبهة التقدمية. ونشرت جريدة النهار خبر تشكيلها من حزب البعث والاتحاد الاشتراكي والوحدويين الاشتراكيين والشيوعيين وجماعة أكرم الحوراني، على أنه لا يجوز لغير حزب البعث أن يكون له عناصر في الجيش، كما أن الطلاب لا يجوز أن يتقدموا بطلبات الانتساب لغير حزب البعث.

وفي أعقاب ذلك أعلن عن إنشاء المكتب السياسي برئاسة الفريق حافظ الأسد، وضم ١٧ عضواً من الجبهة التقدمية: ٩ من حزب البعث و ٨ من الأحزاب التقدمية الأخرى: الاتحاد الاشتراكي، الشيوعي، الوحدويون الاشتراكيون، والحزب الاشتراكي العربي (الحورانيون).

التعديل الوزاري: جرى في ٢٣ آذار ١٩٧٢ تعديل للوزارة، خرج منها: محمد

طلب هلال ومصطفى حداد وعدنان بغجاتي وداود ردّاوي وغالب عابدون، وأصبح مصطفى طلاس وزيراً للدفاع، ومتعب شنان وزيراً للصناعة. دخلها محمد العمادي وزيراً للتخطيط وأحمد عبّارة للنظ والكهرباء، وحسن محمد علي الخطيب للتربية، والشيخ علي ومنجونة وزيراً دولة. كان الحزبيون يريدون رئيس وزراء غير اللواء خليفاي لشدته ومعاملته القاسية لهم، إلا أن الفريق تمسك به. وعندما طُرح اسمه مجدداً للرئاسة في قيادة الحزب، رفع الرئيس يده مصوتاً للخليفاي، فرغ الجميع أيديهم مؤيدين ما عدا محمود الأيوبي وطلعت جميل ومصطفى طلاس. بدأت وفود التهنئة تأتي إلى دمشق لتعبّر عن فرحتها وأمنياتها بإقامة أفضل العلاقات مع العهد الجديد في سورية.

الوفود العربية المهنئة: كان أول القادمين إلى دمشق، في ١٥/٣/١٩٧١، السيد حسين الشافعي، عضو مجلس الثورة المصري، نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة، يرافقه السيد صلاح الشاهد كبير الأمناء والفريق حافظ إسماعيل كبير الياوران.

وفي ١٦ آذار ١٩٧١، الرئيس سليمان فرنجية رئيس جمهورية لبنان على رأس وفد ضم كامل الأسعد رئيس مجلس النواب، وصائب سلام رئيس مجلس الوزراء، وخليل أبو حمد وزير الخارجية، والعماد جان نجيم قائد الجيش، والدكتور بطرس ديب مدير عام رئاسة الجمهورية، والدكتور نجيب صدقة أمين عام وزارة الخارجية، وجوزيف سلامة مدير عام الأمن العام، والعميد جورج نوفل قائد الدرك. وقد ذهبت صباحاً مع الوزير عبد الحليم خدام واللواء زهير غزال والرائد أحمد سعيد صالح، رئيس الدائرة السياسية في الأمن العام، إلى شتورة لمرافقة موكب الرئيس سليمان فرنجية إلى دمشق.

ووصل، في ١٧/٣/١٩٧١، وفد الجمهورية الليبية برئاسة الرائد محمد نجم عضو مجلس الثورة الليبي، على رأس وفد للتهنئة، وأمضى يومين في دمشق أجرى خلالهما محادثات مع الرئيس الأسد.

- ووصل الوفد الأردني، في ١٨/٣/١٩٧١، برئاسة الأمير الحسن ولي العهد، ورافقه عدد من الوزراء ورئيس الأركان العامة. كانت تلك المرة الأولى التي يحضر فيها الأمير الحسن إلى دمشق وكان يعتقد أنه وأعضاء الوفد سيعودون بعد الظهر إلى عمّان، إلا أن الرئيس الأسد استبقاهم وأقام مأدبة عشاء على شرفهم في قصر الضيافة حيث باتوا تلك الليلة.

- طلب القائم بأعمال إيران مقابلتي على عجل وسلمني برقية مرسلة من شاه إيران للرئيس الأسد تحمل تهانيه وأطيب أمنياته، ورجاني نشرها ونشر الرد عليها، فأرسلتها إلى القصر.

- صدر في ٣ نيسان مرسوم تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة اللواء الركن عبد الرحمن خليفاي من ٢٨ وزيراً، كان منهم محمد طلب هلال نائباً لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للصناعة، وعبد الحليم خدام نائباً لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للخارجية، ومتعب شنان وزيراً للدفاع، وعلي ظاظا وزيراً للداخلية.

- ووصل إلى دمشق، دون إعلامنا مسبقاً، وبعد مغادرة الفريق حافظ الأسد إلى القاهرة، السيد بابكر عوض الله، نائب رئيس مجلس الثورة، نائب رئيس مجلس الوزراء وزير العدل السوداني، على رأس وفد لتهنئة الرئيس والحكومة بالعهد الجديد، باسم حكومة السودان. عرضت عليه، بانتظار عودة الوفد، زيارة معالم دمشق وسورية، قال إنه يعرفها ويفضل البقاء في قصر الضيافة بانتظار عودة الفريق الأسد، وبعد أن عاد الفريق، أجرى مع بابكر عوض الله مباحثات حول الوحدة الرباعية المنتظرة، ثم عاد وفد السودان إلى الخرطوم.

- ووصل أيضاً، وفي الوقت نفسه، الفريق محمد فوزي، قائد القوات المصرية فاستقبله في المطار الفريق حافظ الأسد وأجرى معه مباحثات قيل إنها دارت حول تقوية الجبهة الشرقية.

- ووصل إلى دمشق، في ٩ حزيران، السيد عمر السقاف وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية قادماً من عمّان على طائرته الخاصة، فعقد اجتماعاً في وزارة الخارجية مع الوزير عبد الحليم خدام عرض فيها كل من الوزيرين سياسة بلاده من قضية فلسطين وقضية الخليج، ثم أخذنا السقاف في جولة سياحية إلى المصايف: الزبداني وبلودان وأبو زاد، وتناولنا الغداء في مطعم السهل الأخضر، ثم ودعناه على الحدود مغادراً إلى لبنان.

- وفي ١٢ حزيران وصل وفد عُمان قادماً من بيروت. استقبله الوزير في الخارجية بحضوري وحضور مدير إدارة الوطن العربي عدنان مراد. شرح لنا الوفد مقومات الدولة الجديدة في عُمان وما تبذله في سبيل رفع المستوى الثقافي والاجتماعي مما يؤهلها للاستقلال، ورجا الوفد أن يقوم المسؤولون في سورية بزيارة لعمّان وتقديم المساعدات اللازمة لها.

سياسة سورية الخارجية

I - سياسة سورية العربية

أ - دولة الاتحاد العربية: آمنت سورية العربية منذ القديم بالوحدة العربية مبدأً وسياسةً وتنفيذاً، ودفعت في سبيل تحقيق هذا الهدف السامي أكثر إمكانياتها، وضحي زعماؤها بمناصبهم ومكانتهم ومكاسبهم في سبيلها.

وكما في الماضي، فقد كان أول إجراء للفريق الأسد، بعد أن استقر له المقام، أن يحقق هذا الهدف السامي، وذلك بانضمام سورية إلى مشروع الوحدة الاتحادية الثلاثية المزمع إقامتها بين الجمهورية العربية المتحدة (مصر) وليبيا والسودان، فسافر في صباح الخميس، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٠، يصحبه الأستاذ عبد الحليم خدام، نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية، إلى القاهرة ثم إلى طرابلس ثم إلى الخرطوم حيث لقياً من رؤساء هذه الدول الثلاث كل ترحيب.

وصدر في القاهرة، عقب هذه الزيارة، بيان مشترك يعلن انضمام سورية إلى بيان القاهرة، بإقامة وحدة اتحادية بين هذه الدول.

واستمرت اللقاءات والاجتماعات طيلة السنوات القادمة في القاهرة وفي دمشق وفي طرابلس لبلورة هذه الوحدة وإخراجها إلى حيز الوجود.

في اليوم التالي، طلب إلي الوزير أن أهيء دراسة عن الاتحاد الثلاثي المزمع إقامته بين المتحدة وليبيا والسودان، وقال إننا سنتقدم بطلب الانضمام إلى هذا الاتحاد، فقمت بوضع دراسة قسمت فيها المشروع إلى قسمين: المرحلة الانتقالية ومدتها سنتان، وتتضمن تشكيل لجان مختلفة لدراسة وتأمين التنسيق بين مختلف الأجهزة، وهيئة رئاسية تشرف على أعمال هذه اللجان. والمرحلة الثانية، وتتضمن إنشاء الدولة الاتحادية، فيكون لها دستور واحد ورئيس واحد منتخب من قبل المجلسين، وعلم واحد وتمثيل خارجي واحد وجيش واحد ذو قيادة واحدة. أنهيت الدراسة خلال أسبوع وقدمتها للوزير الأستاذ عبد الحليم خدام.

ميثاق طرابلس ودول الاتحاد العربي: في العشرين من كانون الثاني ١٩٧١ سافر الفريق حافظ الأسد على رأس وفد عسكري إلى القاهرة للاجتماع مع باقي الرؤساء الثلاثة: أنور السادات (الجمهورية العربية المتحدة) والعقيد معمر القذافي (ليبيا)، وجعفر محمد نميري (السودان) لبحث المواضيع المتعلقة بميثاق طرابلس (دولة الاتحاد العربي).

وصدر عقب الاجتماع بيان يدين مخططات إسرائيل التوسعية ورفضها الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، والاستمرار بانتهاك حق الشعب الفلسطيني واحتلال الأرض العربية، واتفق الرؤساء على حشد جميع إمكانيات وطاقات دولهم من أجل إزالة آثار العدوان وتحرير الأرض العربية.

ثم حضر الرؤساء الأربعة اجتماعاً بالقاهرة، في ١٣ نيسان ١٩٧١، استمر عشر ساعات، واجتماعاً آخر في اليوم التالي سافر بعده نميري فجأة إلى موسكو، وسافر السادات والأسد والقذافي إلى بنغازي لاستئناف مباحثاتهم واتخاذ خطوات جديدة لبناء الوحدة الاتحادية، وأصدروا، في نهاية اجتماعهم، بياناً يؤكد الإيمان الراسخ بضرورة قيام دولة الاتحاد العربي من هذه الدول الثلاث على أن تكون نواة لوحدة عربية أشمل، وتكون الأداة الرئيسية للأمة العربية في معركة التحرير مؤكدين أنه «لا صلح ولا تفاوض ولا تنازل عن أي شبر من الأرض العربية المحتلة، ولا تفريط في القضية الفلسطينية ولا مساومة عليها»، وترك البيان المجال مفتوحاً أمام جمهورية السودان لدخول دولة الاتحاد العربي متى سنحت له الفرصة وأهله ظروفه الخاصة لذلك.

وصدرت في بنغازي، بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٧١، الأحكام الأساسية لاتحاد الجمهوريات العربية التي تضمنت أن يكون للاتحاد علم واحد وشعار واحد ونشيد واحد وعاصمة واحدة، وأن يكون نظام الحكم في الدول ديمقراطياً اشتراكياً، وأن يكون الاتحاد مفتوحاً لجميع الدول العربية التي تؤمن بالوحدة العربية وتعمل من أجل تحقيق المجتمع العربي الاشتراكي الموحد.

كما نصت الأحكام الأساسية على أهداف الاتحاد ومؤسساته: مجلس الرئاسة، مجلس الوزراء، مجلس الأمة، المحكمة الدستورية الاتحادية، القيادة العامة للقوات المسلحة.

تشكل الوفد السوري من: الفريق حافظ الأسد، ومحمود الأيوبي، وعبد الله الأحمر، وأحمد الخطيب، واللواء عبد الرحمن خليفاي، وعبد الحليم خدام، ومحمد حيدر وسامي الدروبي (السفير بالقاهرة).

وتألف الوفد المصري من: الرئيس أنور السادات، وحسين الشافعي، والدكتور حافظ غانم، ومحمد عبد السلام الزيات، وحسن صبري الخولي والسفير ممدوح جبّة.

وتألف الوفد الليبي من: العقيد معمر القذافي، والرائد عبد المنعم الهوني عضو مجلس قيادة الثورة، وزير الداخلية، والرائد عوض حمزة، والسيد صالح بويصير وزير الإعلام، ومحمد مصطفى المازق (تربية وإرشاد) والقائم بالأعمال بدمشق.

عقد الرؤساء الثلاثة، طيلة الأيام الثلاثة اجتماعات منفردة وأخرى مع أعضاء الوفود، وأخذت بعض الأمور مناقشات مطولة مثل دين الدولة وقرارات مجلس الرئاسة، وفي نهاية اجتماعاتهم أعلنوا الدستور المؤقت المشار إليه سابقاً، وأذاعوا بياناً عن نتيجة اجتماعاتهم، كما أذاع مجلس الوزراء السوري بياناً حول مصادقته على بيان قيام اتحاد الجمهوريات العربية جاء فيه:

«... إنَّ قيام اتحاد الجمهوريات العربية هو نتيجة منطقية وحتمية لنضال جماهير الشعب العربي، وخطوة تؤكد أهميتها طبيعة الظروف القائمة الآن في المنطقة العربية وفي العالم، وضرورة من ضرورات نضال الشعب العربي لصد الغزاة وحلفائهم الامبرياليين، ولتحرير أرضه المغتصبة وتثبيت واستعادة حقوق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه...»^(١).

«... ويسجل المجلس التقدير العميق للقادة العرب الرؤساء الثلاثة: حافظ الأسد، وأنور السادات ومعمر القذافي، لأنهم قادوا جماهير الشعب العربي في الأقطار الثلاثة نحو تحقيق الخطوة الأولى من الهدف التاريخي، ولأنهم عانوا ويعانون قضايا شعبهم وأمتهم في قيادتهم للجماهير ويهتدون بهديها ويلتزمون بها ويناضلون من أجلها...»^(٢).

وربط الرئيس حافظ الأسد بين قيام هذه الجمهورية العربية الاتحادية في ١٧ نيسان وبين جلاء القوات الفرنسية عن سورية في مثل هذا اليوم قبل ربع قرن، مستبشراً بولادة فجر جديد في العالم العربي يزيل الاحتلال والعدوان، ويحرر الأرض المغتصبة.

واتفق الرؤساء الثلاثة على أن يجري الاستفتاء على دستور الاتحاد في الأول من أيلول القادم.

وكان الرئيس السادات قد استقبل عمر السقاف الذي حمل رسالة من الملك

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت، سنة ١٩٧١، (ص ٣٢٥).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٣٢٥).

فيصل للسادات يدعوه فيها لزيارة السعودية بعد انتهاء مؤتمر دمشق، فقام السادات بالسفر مباشرة إلى السعودية للقاء الملك فيصل وأداء مراسم العمرة، وفي طريق العودة، عرّج السادات على الخرطوم وأجرى مع الرئيس نميري مباحثات مطولة.

وجرى الاستفتاء في دمشق على دستور الاتحاد في موعده، أي في الأول من أيلول ١٩٧١، وكانت حوامة (طائرة هيليكوبتر) تنشر أوراق الاستفتاء في دمشق، كما كانت السيارات تحث المواطنين على الإقبال على الاستفتاء الذي جرى بحماس شديد. وبناء على طلب الوزير، أعلمت سفير مصر والقائم بأعمال ليبيا أن وزير الداخلية السوري سيذيع نتائج الانتخابات غداً ظهراً في الثانية عشرة.

وفي الثانية عشرة ظهراً من الثاني من أيلول، أعلن رئيس الوزراء السوري اللواء عبد الرحمن خليفاي أن نسبة الإقبال على الاستفتاء كانت ٨٩,٥٩٪ نسبة عالية، وإن الموافقين كانوا ٩٦,٤٠٪، وكانت هذه النسبة أقل نسب البلاد العربية الثلاث، وأعتقد شخصياً أن فشل تجربة الوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ كان السبب في قلة ثقة السوريين في الوحدات غير المدروسة دراسة كافية.

وفي دمشق أعلن يوم السبت الرابع من أيلول ١٩٧١، وكذلك في مصر وليبيا، يوم عطلة رسمية بمناسبة قيام الاتحاد.

في الأول من كانون الثاني ١٩٧٢، جرت في دمشق مراسم رفع العلم الجديد في قصر الرئاسة بالمهاجرين، بحضور الفريق حافظ الأسد الذي رفعه بيده بحضور سرايا من القوات الثلاث البرية والجوية والبحرية، وجرت مراسم مماثلة في كل من القاهرة وطرابلس.

وفي صباح السبت الحادي عشر من آذار ١٩٧٢، سافر الرئيس حافظ الأسد، يرافقه محمود الأيوبي وعبد الحليم خدام وعبد الغني قنوت، إلى القاهرة حيث عقد الرؤساء الثلاثة: حافظ الأسد وأنور السادات ومعمّر القذافي اجتماعاً مغلقاً، أطلع خلاله أنور السادات زميله على نتيجة مباحثاته في كل من الرياض والكويت.

وفي اليوم التالي أدى الرؤساء الثلاثة في مجلس الأمة (٦٠ عضواً من الدول الثلاث) اليمين الدستورية بصفقتهم أعضاء في مجلس الرئاسة، وكانت صيغة القسم كما يلي:

«أقسم بالله العظيم أن أحافظ على اتحاد الجمهوريات العربية، وأن أحترم الدستور، وأن أناضل لخدمة مصالح الشعب وتحقيق أهداف الأمة العربية».

وعاد الرئيس الأسد والوفد المرافق له إلى دمشق في ١٥/٣/١٩٧٢، أما الوزراء فقد أقسموا اليمين أمام الرئيس المصري أنور السادات.

في الأول من آب ١٩٧٢، نُشرت في القاهرة المقترحات المسهبة التي أمكن التوصل إليها للاندماج الكامل بين مصر وليبيا، وتتضمن إقامة دولة واحدة عاصمتها القاهرة، وحكومة واحدة ومجلس شعب واحد، على أن يتم الاندماج وإعلان الدستور قبل الفاتح من سبتمبر ١٩٧٣.

وسافر أنور السادات إلى طبرق للقاء القذافي وبلورة هذا الاندماج، ثم انتقل الرئيسان إلى بنغازي، كما وصل إليها رئيس الوزراء المصري ومعه كبار مستشاري السادات.

وفي طبرق قامت مظاهرات عارمة تطالب بالوحدة الكاملة. وفي دمشق، احتفلت سورية بأول عيد لاتحاد الجمهوريات العربية، وأقام حزب البعث مهرجاناً خطابياً على مدرج الجامعة، كما احتفلت مصر وليبيا بهذا اليوم، كل على طريقته، وعطلت الدوائر الرسمية في دول الاتحاد الثلاث احتفاء بهذا اليوم «المبارك».

وفي السابع من أيلول ١٩٧٢، غادر الأستاذ عبد الحليم خدام دمشق إلى القاهرة لحضور مؤتمر وزراء خارجية دولة الاتحاد، ومؤتمر وزراء خارجية دول الجامعة. وفي الثامن من أيلول، أعفي الدكتور مراد غالب من منصبه كوزير للخارجية في مصر، وعُيّن سفيراً في وزارة الخارجية، وعُيّن محمد حسن الزيات وزيراً للخارجية المصرية، فتوقفت، نتيجة لذلك، المباحثات التي يجريها في مصر وزراء دولة الاتحاد!...

في هذه الفترة، بحثت مع الأستاذ محمود الأيوبي، نائب رئيس الجمهورية، موضوع رواتب الموظفين السوريين المنبذين للعمل في القاهرة، واتفقنا على نسبة غلاء المعيشة بحيث تتراوح بين ١٤٥٪ للمراتب الممتازة والأولى، و١٦٠٪ للمراتب من الثانية حتى الثامنة، و١٩٠٪ لباقي المراتب.

كما بحثت معه موضوع مكتب العلاقات في القاهرة الذي سيحل محل السفارة، واتفقنا على إبقاء الصيغة الدبلوماسية له ليستفيد من المزايا والحصانات الممنوحة للسلك السياسي.

إلا أننا، ورغم الخطوات الحثيثة والجريئة التي بذلت في سبيل إخراج دولة الاتحاد العربي إلى حيز الوجود، فقد أزهرت المساعي إلا أنها وللأسف لم تثمر، إذ

قَبْلَ الرئيس أنور السادات استقالة ستة من الوزراء منهم: عبد المحسن أبو النور (الاتحاد الاشتراكي)، وشعراوي جمعة، والفريق أول محمد فوزي قائد القوات المصرية، وسامي شرف، كما استقال لبيب شقير رئيس مجلس الأمة. وألقى السادات خطاباً بالعامية للشعب فضح فيه «المؤامرة» التي دبرها الوزراء المستقيلون ضده وضد العهد «نتيجة دخول مصر في اتحاد الجمهوريات العربية...».

وطار نميري من السودان إلى القاهرة، كما طار إليها من سورية محمود الأيوبي واللواء مصطفى طلاس وعبد الحليم خدام وزير الخارجية، وجاء من ليبيا الرائد عبد السلام جلّود، وأوفد الرئيس هوارى بومدين (الجزائر) وزير الخارجية بوتفليقة إلى القاهرة، وحضر إليها أيضاً ياسر عرفات، جاؤوا للاطمئنان على الوضع، وعُلم أن الوزراء الستة والأعضاء الثلاثة للاتحاد الاشتراكي موجودون في إقامة جبرية في منازلهم، ويشدد السادات قبضته على الحكم بإقصاء أعدائه وتعيين أعوانه، وصدرت أحكام بالإعدام على علي صبري (رئيس الوزراء في عهد جمال عبد الناصر وأكثر المقربين إليه) حُوِّلَت، فيما بعد، إلى السجن مع الأشغال الشاقة إلى ١٥ سنة، وكذلك بالنسبة لمحمد فوزي وسامي شرف وشعراوي جمعة.

وبعد الاطمئنان على وضع أنور السادات، عادت الوفود العربية إلى بلادها. وأدلى الدكتور عزيز صدقي ببيان حول هذه الاستقالات في ١٣/٥ قال فيه:

«...إن رؤوس الفتنة والتآمر قد أطلت برأسها معلنة في النهاية حقيقتها، مراكز للقوة تريد أن تفرض وصايتها وسيطرتها على الشعب، مستخدمة كل أساليب القهر والإرهاب والخداع في هذا الوقت الذي تحتاج فيه بلادنا إلى كل حبة عرق وجهد...»^(١).

أعتقد أن هؤلاء القادة والوزراء المصريين، وهم في أعلى مكانة في الحكم، رئيس مجلس الأمة، قائد القوات المسلحة، عضو الاتحاد الاشتراكي، رئيس وزراء سابق... قد اكتشفوا قبل غيرهم من رؤساء الدول العربية، وهم أقرب الناس إلى السادات وأكثرهم خبرة به، اكتشفوا ما يخبئه من انحراف في السياسة القومية العربية وفي النهج الذي سارت عليه الثورة المصرية بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ولمسوا أن السادات يتصل بجهاز المخابرات الأميركية CIA، ويرغب

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأميركية ببيروت، سنة ١٩٧١، (ص ٣٥٧).

بالاتفاق مع العدو الصهيوني، فقرر السادات أن يبعدهم عن طريقه وأن يزج بهم في السجن بدعوى أنهم يتآمرون عليه.

ونفذ السادات، فيما بعد، برنامجاً بالاتفاق مع إسرائيل بزيارة القدس وإلقاء خطابه في الكنيسة الإسرائيلية أولاً، ثم في معاهدة الصلح التي عقدها مع بيغن في كامب ديفيد، فقصم ظهر العرب وبدأ الانهيار، وقد لمست انحرافه منذ أن أحل اسم «جمهورية مصر العربية» محل اسم «الجمهورية العربية المتحدة»!... وتنازلت الانهيارات العربية، بدءاً بالمعاهدات المنفردة مع إسرائيل وبالاتفاقات الثنائية وبالتهافت على إقامة العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية معها.

ب - مع لبنان: شهدت العلاقات بين سورية ولبنان في هذه الفترة أفضل أيامها نتيجة علاقات الصداقة والمحبة والتقدير بين الرئيسين حافظ الأسد وسليمان فرنجية، وسادت الأخوة بين الشعبين الشقيقين كما كانت في عهد الرئيسين شكري القوتلي والشيخ بشارة الخوري في أواخر الأربعينات.

كان أول من جاء لتهنئة الرئيس الأسد بانتخابه رئيساً للجمهورية، الرئيس سليمان فرنجية، كما حضرت إلى دمشق وفود كثيرة من لبنان: العميد ريمون إدّه رئيس حزب الكتلة الوطنية اللبناني مع عشرة من نوابه، ثم وفد من نواب الدروز اللبنانيين، وغيرهم، وكنت أشرت إلى ذلك في بحث الوفود التي زارت دمشق لتقديم التهنئة للسيد الرئيس بانتخابه رئيساً للجمهورية، وكان من نتيجة هذه العلاقات الوثيقة تأسيس الهيئة الدائمة السورية اللبنانية لحل جميع المسائل العالقة بين البلدين.

الهيئة الدائمة السورية - اللبنانية: جاء إلى دمشق، في ١٧/١٢/١٩٧٠، الأستاذ خليل أبو حمد وزير خارجية لبنان لتهنئة الفريق حافظ الأسد والأستاذ عبد الحليم خدام بالعهد الجديد، عهد الانفتاح والتعاون مع لبنان. بحث الوزيران أبو حمد والخدام إنشاء هيئة دائمة تبحث جميع الأمور المتعلقة بين البلدين وإيجاد الحلول المناسبة لها، وتم الاتفاق على أن يسافر الوزير عبد الحليم خدام إلى بيروت الأسبوع الذي يليه لبلورة هذا المشروع.

وفي الواقع سافر الأستاذ خدام إلى بيروت في ٢٢/١٢/١٩٧٠، وكنت معه والزميل ناصر قدور معاون الوزير، والسيد عطية الجودة مدير الإذاعة والتلفزيون، وتوجهنا إلى «قصر بسترس» حيث وزارة الخارجية، وكان الدكتور نجيب صدقة أمين عام الخارجية اللبنانية قد هيأ مشروع «الهيئة الدائمة»، فقرأناه وأقررناه ووقعناه مع الوزير خليل أبو حمد.

كان الأستاذ عبد الحليم خدام يريد أن تكون رئاسة الوفدين - السوري واللبناني - على مستوى الوزير ليرأس هو الوفد السوري، وكان الأستاذ خليل أبو حمد يريد أن تكون الرئاسة لوزير الاقتصاد ويحضرها أمين عام رئاسة الوزارة إرضاء لصائب سلام الذي يريد أن يتبناها. بينت لهما محاذير رئاسة أي وزير للهيئة، ذلك أن الوزير كثير التنقلات والسفر والارتباط بالمواعيد الرسمية مما يربك ويعيق مواعيد اجتماع الهيئة، ثم إن الوزير رجل سياسي، فتدخل السياسة في الأمور واجبة الحل مما يعيقها، كما أن الوزير شخص يتغير كثيراً والقضايا ثابتة، بينما الأمين العام رجل ثابت قليل السفر وهو غير سياسي، فافتنع الجميع بذلك وقرروا أن تكون رئاسة الهيئة للأمين العام أو معاون الوزير.

بعد التوقيع على الاتفاقية، ذهبنا إلى القصر الجمهوري حيث استقبلنا الرئيس سليمان فرنجية وتناولنا الغداء بدعوة منه، وبحضور رئيس الوزراء صائب سلام والوزراء غسان تويني (تربية)، وإلياس سابا (مالية)، والدكتور أمين الحافظ (رئيس لجنة الشؤون الخارجية)، والدكتور بطرس ديب (أمين عام رئاسة الجمهورية)، والدكتور نجيب صدقة (أمين عام وزارة الخارجية)، وجميع أعضاء الوفد السوري.

عقدت الهيئة الدائمة السورية - اللبنانية، خلال عام ١٩٧١، اجتماعات عدة سواء في بيروت أم في دمشق، وذلك لبحث جميع المواضيع المتعلقة بين البلدين بغية إيجاد الحلول المناسبة لها.

كان الجانب اللبناني برئاسة الدكتور نجيب صدقة، أمين عام وزارة الخارجية، وعضوية الأمناء العامين لباقي الوزارات، بالإضافة إلى مدير عام الجمارك ومدير عام الأمن العام.

وكان الوفد السوري برئاسة وعضوية معاوني الوزراء لجميع الوزارات، ومدير عام الأمن العام ومدير عام الجمارك ومدير عام صندوق الدعم.

كنا نعقد اجتماعات شهرية دورية لكامل أعضاء الوفدين، مرة في دمشق وأخرى في بيروت، كما قسّمنا الأعضاء إلى لجان مشتركة لبحث مختلف المواضيع كالنقل والترانزيت، والحدود، والعمل والعمال، والسياحة، والمياه، والجمارك، والتموين، والزراعة، الخ... وقد حققنا خلال هذه الاجتماعات، وهذا العام، الكثير من التقدم في حل أكثر الأمور العالقة بين البلدين.

وكانت المباحثات، بشكل عام، جدية وبناءة لا سيما فيما يتعلق بانتقال المواطنين عبر الحدود، والبطاقة الموحدة وتسهيل إقامة السوريين في لبنان.

القضية الشائكة الوحيدة التي لم نتمكن من الوصول إلى إيجاد حل لها، هي قضية مياه العاصي وحق لبنان بإقامة سد على النهر، ثم موضوع النقل والترانزيت، إذ طالب الجانب اللبناني أن يتم النقل بين البلدين بنسبة ٥٠٪ لكل منهما، وتمسكنا بمبادئ الاتفاق السابق الذي كان يمنح سورية ٦٥٪ ولبنان ٣٥٪ وطالبنا بإنشاء مكاتب الدور.

بناء على طلبي، وافق اللواء عبد الرحمن خليفاي رئيس مجلس الوزراء، عقد اجتماع ضم وزراء الأشغال العامة «عبد الغني قنوت» والسيد «منير ونوس» والخارجية «عبد الحلیم خدام» ومدير المشاريع الكبرى «لطفی الخاص» وأنا، لدراسة موضوع مياه العاصي وحصّة لبنان منها، باعتبار أنها أهم نقطة تعول عليها الحكومة اللبنانية في مباحثات الهيئة الدائمة السورية - اللبنانية.

بعد دراسة الموضوع من سائر جوانبه، وظهور حق لبنان بالحصول على كمية من المياه، باعتبار أن نهر العاصي ينبع من أراضيّه، فقد وافق رئيس الوزراء على تخصيص الكمية التي يمكن التوصل إلى الاتفاق عليها بين الجانبين السوري واللبناني حتى ولو وصلت إلى ٨٠ مليون متر مكعب للبنان، من أصل ٤٢٠ مليون متر مكعب من المياه تدخل سورية، وكان ذلك خروجاً من الركود الذي ساد مباحثات الهيئة حتى ذلك الوقت.

وفي الاجتماع الذي تم في دمشق بتاريخ ٢١ حزيران، تم الاتفاق على أن يحصل لبنان على ٨٠ مليون متر مكعب في السنة يجري توزيعها بنسب متفاوتة بحيث تقل في الشتاء وتزيد في فصول السقاية، كما تم الاتفاق على السماح لسورية بوضع قناتين للمياه الصالحة للشرب من النبع، وترك أمر بحث إقامة سد في الأراضي اللبنانية لصالح سورية للدراسة.

بعد أن حددت لي اللجنة الاقتصادية التابعة لرئاسة مجلس الوزراء، أربع مرات، موعداً لإطلاعها على نتائج أبحاثنا واتفاقاتنا مع لبنان، استقبلتني مع الزميلين أمين برزغل معاون وزير المواصلات، وعدنان الدقر مدير مكتب لبنان في وزارة الخارجية.

شرحت لأعضاء اللجنة الاقتصادية مواضيع الهيئة الدائمة وما أنجزته من أعمال حتى الآن، وطلبت توجيه اللجنة في ما تبقى من أعمال.

جـ - مع الأردن: استمرار الاقتتال بين القوات الأردنية والفدائيين الفلسطينيين: على الرغم من الاتفاقات الكثيرة التي وقّعت بين الملك حسين وبين المسؤولين الفلسطينيين والزعماء العرب، لوقف القتال بين القوات الأردنية وبين

الفدائيين، والتي دفع الرئيس جمال عبد الناصر حياته في سبيلها، استمر الاقتتال في أماكن متعددة من الأردن، ونتيجة لذلك غادر الباهي الأدغم رئيس لجنة التوفيق، عمّان وقال إنه لن يعود حتى يلتزم الجانبان باتفاق القاهرة.

وفي الوقت ذاته، اتصل بي الدكتور صبحي أبو غنيمة سفير الأردن وقال إنه وصلتة الآن (الساعة ١٥ من يوم الثلاثاء ١٢ كانون الثاني ١٩٧١) برقية من عمّان تقول إن المنظمات الفدائية تطلق، من مواقعها على الحدود السورية - الأردنية، المدفعية على مراكز الجيش الأردني، وإن الجيش الأردني لم يرد على هذا القصف، وطلب مني أن أتصل بالمراجع المختصة لأوقف القصف، فأحلته إلى الأركان وإلى اللواء طلاس.

وفي لندن، قابل الباهي الأدغم الملك حسين وأطلعته على الوضع في الأردن، وناشده التدخل لوقف القتال، وصرح بعد ذلك أنه ذاهب إلى تونس ولن يعود إلى عمّان إلا بعد عودة الملك إليها.

وفي الثامن من نيسان ١٩٧١، سافر اللواء مصطفى طلاس على رأس وفد عسكري إلى عمّان للوساطة بين الملك حسين والفدائيين، وأجرى محادثات ناجحة مع الملك حسين ووصفي التل وحابس المجالي. كان ذهابه مفاجأة للجميع، وهاجمت كل من الجمهورية العربية المتحدة وليبيا موقف الحكومة الأردنية وعزمها على تصفية الفدائيين. وجاءت هذه الزيارة قبل اجتماع ممثلي ثمان دول عربية صباح العاشر من نيسان لبحث الوضع في الأردن. ونتيجة المباحثات التي أجراها اللواء مصطفى طلاس مع الملك حسين والفدائيين، تم الاتفاق على تشكيل لجنة سداسية: اثنان من الحكومة الأردنية واثنان من الفدائيين واثنان من السوريين، يشرفون على جميع القضايا بين الفدائيين والجيش الأردني، على مستوى وزير وقائد من القادة الأمراء.

لم يكن حظ هذا الاتفاق بأفضل من الاتفاقات السابقة، إذ استمرت القوات الأردنية بضرب الفدائيين حتى شهر تموز، فأرسلت سورية بعثة عسكرية للتوسط فقبولت والفدائيين بنار من القوات الأردنية. وصرح الباهي الأدغم أن الحكومة الأردنية تريد القضاء على الفدائيين على مراحل بعد أن عجزت عن القضاء عليهم دفعة واحدة، وأن أخطاء الفدائيين لا تجيز القضاء عليهم، وأن لجنة المتابعة التي يرأسها أصبحت ميتة، وأنه لا يمكن السكوت على ذلك.

واجتمع في طرابلس بليبيا، وبدعوة من القذافي، رؤساء الدول التسع التي وقّعت

على اتفاقية القاهرة بين الأردنيين والفدائيين في أيلول الماضي، وذلك في ٢٩ تموز، وأصدروا، في الساعة الثانية من صباح السبت ٣١ تموز ١٩٧١، بياناً يدين الحكومة الأردنية لمواقفها من العمل الفدائي.

أعتقد شخصياً أن الملك حسين كان يخشى على مملكته وعلى منصبه من الفدائيين الفلسطينيين، لا سيما وأن إسرائيل كانت تلوح دوماً إلى إحلال الفلسطينيين مكانه في الأردن وحل قضية فلسطين على هذا الأساس.

في ١٢ آب ١٩٧١، قامت قوات أردنية صغيرة بغارتين على منطقة تقع جنوب درعا، فقتلت أحد الجنود السوريين وجرحت اثنين، تصدت لها قواتنا فدمرت ثلاث دبابات أردنية.

عقد، إثر ذلك، السيدان محمد الأيوبي وعبد الحليم خدام اجتماعاً مع الفريق ثم مع القيادة القطرية لبحث الموضوع، فتقرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع الأردن، وكلفني الأستاذ خدام، في الساعة العاشرة والنصف ليلاً، استدعاء سفير الأردن الدكتور صبحي أبو غنيمة وإعلامه ذلك.

استدعيته ليلاً، فجاء بالعباءة ومعه برقية وردته منذ قليل تقول:

«من رئيس الوزراء وصفي التل للسفير الأردني.. أبلغك التحية، أرجو أن تنقلوا للإخوان عندكم تحياتي وتمنياتي. الاشتباكات التي وقعت على الحدود بيننا وبين الأشقاء السوريين أمر مؤسف للغاية، ويجب بذل غاية الجهد منا جميعاً حتى لا تتكرر. يجب أن نعمل مع أشقائنا السوريين لجان تحقيق مشتركة حتى نعرف المسبب ونحاسبه الحساب الذي يستحق... لقد أصدرت أوامري المشددة بعدم إطلاق النار مهما كانت الأسباب، وآمل أن يفعل الإخوان نفس الشيء...».

أبلغت الوزير نص البرقية، فطلب أن أرسلها إليه واستبقاء السفير لدي، ثم عاد واتصل بي بعد قراءة البرقية في القيادة القطرية وقال: إن القرار بقطع العلاقات لم يتغير وقد جرت إذاعته في الإذاعة.

اتصلت في اليوم التالي بسفير المتحدة (مصر) وأبلغته تكليف حكومته وسفارتها في عمّان رعاية مصالحنا فيها، كما اتصلت بالقائم بالأعمال السوري في عمّان وأبلغته قطع العلاقات وضرورة العودة خلال ثلاثة أيام، وتكليف المتحدة برعاية مصالحنا.

وفي صباح ٢١ تشرين الأول ١٩٧١، توفي في دمشق، حيث بقي فيها بعد قطع العلاقات، الدكتور صبحي أبو غنيمة، فاتصلت بعمّان، فقالت الخارجية إنها ستوفد

وفدأ برئاسة محمد الفرحان وزير الزراعة، وإكليل الساطي أمين عام الخارجية، وأحد السفراء في الخارجية الأردنية وشقيق الدكتور المرحوم.

أجرينا الترتيبات اللازمة، وواكبنا الجثمان حتى ساحة الأشمير بالميدان.

في ٢٦ تشرين الأول ١٩٧١، اتصل وزير خارجية الأردن عبد الله صلاح بالوزير عبد الحليم خدام واتفق معه على زيارة دمشق في اليوم التالي. حضر عبد الله صلاح، وأجرى مباحثات مع الوزير خدام تناولت عدة مواضيع كانت أهمها المفاوضات الجارية مع الفدائيين. قال: إن الأردن قبل بورقة العمل، وهو قابل باتفاق القاهرة، إلا أنه لا يقبل من اتفاق عمّان ما يمس سيادة الأردن. استعرضنا معه المشروع الأردني المقدم من قبل وصفي التل، فوجدنا أنه يريد تكبيل الفدائيين بشكل يحول دون عملهم، إذ فرض عليهم تكتيلهم ضمن ثلاثة معسكرات فقط، يقيم في كل منها ألف فدائي مما يغري العدو بضربهم.

كما تعرّض عبد الله صلاح إلى موضوع فتح الحدود بين سورية والأردن. طلبنا إليه الإسراع بالاتفاق في الاجتماع الذي يعقد في جدّة، لأننا ارتبطنا سياسياً واجتماعياً بوعده تجاه الشعب يقضي بعدم فتح الحدود إلا إذا توصل الفدائيون والأردنيون لاتفاق، ونأمل في ذلك.

واتصل الوزير خدام بزهير محسن، مندوب الفدائيين في المباحثات، وطلب إليه أن يتنازل الفدائيون عن تشدهم بعض الشيء بغية التوصل إلى اتفاق.

في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧١، قطعت إذاعة لندن برامجها لتذيع نبأ اغتيال وصفي التل رئيس وزراء الأردن، عندما كان عائداً من مجلس الدفاع العربي في القاهرة إلى فندق شيراتون، كما أصيب السيد عبد الله صلاح وزير خارجية الأردن، بجراح في ساقه اليسرى. قيل إن أربعة فلسطينيين من منظمة «يد أيلول السوداء» هم الذي اغتالوه، وقد اعتقلتهم السلطات المصرية وبدأت التحقيق معهم.

وأرسل الفريق حافظ الأسد برقية تعزية للملك حسين.

في ١٥ آذار ١٩٧٢، أذاع الملك حسين خطاباً أعلن فيه قيام «المملكة العربية المتحدة» من قطريها الشرقي: الأردن، والغربي: فلسطين، بشكل اتحادي. وأرسل عبد المنعم الرفاعي، وزير خارجيته، يحمل إلى سورية وإلى الدول العربية شرح هذا المشروع، إلا أن الدول العربية، وسورية، قبلها، ومنظمة التحرير عارضت هذا المشروع وقالت إنه مشروع أمريكي إسرائيلي للقضاء على الهوية الفلسطينية، فسقط المشروع يوم ولادته.

ونشرت مجلة تايم الأمريكية في ٢٠/٣/١٩٧٢ أن الملك حسين قابل «غولدا مائير» رئيسة وزراء إسرائيل، كما استقبل في عمّان «إيغال ألون»، وأن اتصالات عديدة سبق أن تمت بين المسؤولين الأردنيين والإسرائيليين. وقامت في سورية مسيرات طلابية وفلسطينية ضخمة نددت بالمشروع.

ومرت العلاقات بين سورية والأردن بفترات متشنجة وأخرى ودية، وأمكن إعادتها إلى الأخوية عندما قمت بزيارة إلى الأردن في خريف عام ١٩٧٤، بصفتي وزيراً للسياسة، لعقد اتفاقية سياحية بين البلدين، فاستقبلني الملك حسين والأمير الحسن ولي العهد، وكان من نتائج تلك الزيارة، زيارات متكررة لزيد الرفاعي رئيس وزراء الأردن، وللملك حسين إلى دمشق.

د - مع العراق: وصل إلى دمشق، في ٢١ آذار ١٩٧٢، صدام حسين التكريتي على رأس وفد من ثلاثين مسؤولاً عراقياً، استقبلهم الرئيس الأسد وأجرى معهم مباحثات مطولة، وفي المساء أقام لهم محمود الأيوبي، نائب الرئيس، حفلة عشاء في نادي الشرق.

وأجرى الوفد العراقي مع وفد حزبي سوري مباحثات شملت أموراً رئيسية أربعة:

العلاقات السياسية والحزبية بين البلدين - التبادل التجاري - اقتسام مياه الفرات - تمديد أنبوب للبترول من حقل رميلة في العراق إلى ميناء طرطوس أو بانياس.

تأميم شركة نفط العراق: في الأول من حزيران ١٩٧٢، وردت برقية عاجلة من سفيرنا في بغداد تشير إلى أن وزير الخارجية العراقي استدعاه وعدداً من السفراء، وأبلغهم قرار مجلس قيادة الثورة العراقي بتأميم شركة نفط العراق I.P.C وأن القانون الخاص بذلك سيصدر خلال ساعات.

وفي الثاني من حزيران، أصدرت الحكومة السورية مرسوماً تشريعياً بتأميم ممتلكات شركة نفط العراق في سورية، وقد قمنا بالإبراق إلى سفارتنا معممين المرسوم التشريعي بالتأميم. قدّمُ للوزير خدّام دراسة موجزة عن النتائج الفورية والبعيدة للتأميم فتبناها الوزير، ثم استدعيت السفراء العرب وشرحت لهم الأسباب التي أدت إلى التأميم، وطلبت إليهم أن يطلبوا إلى حكوماتهم إصدار بيانات أو تصريحات تؤيد خطوتنا في المعركة الكبرى التي سوف نخوضها مع شركة نفط العراق، والشركات الكبرى والدول الكبرى التي هي وراءها، كان موقفهم جميعاً مؤيداً عدا السعودي والمغربي اللذين كانا متحفظين.

وفي الجزائر، حيث كانت الدول العربية المنتجة والمصدرة للبترول تعقد اجتماعها، اتخذ المؤتمر قراراً بتأييد سورية والعراق في خطوتهما، وصدرت، عقب ذلك، في لندن وواشنطن بيانات رسمية تطالب بتعويض عال عن التأميم، وأعرب الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية عن أسفه للطريقة التي قطعت بها المفاوضات مع العراق، وتقدمت فرنسا بمذكرة للحكومة العراقية تعترف فيها بحق العراق بالتأميم إلا أنها تأمل بحصول الشركة على تعويض عادل.

وفي المساء، ٢/٦/١٩٧٢، وصل سعدون حمادي، وزير النفط العراقي، إلى دمشق وبحث مع الأستاذ محمود الأيوبي، نائب رئيس الجمهورية، ومع رئيس الوزراء اللواء عبد الرحمن خليفاي، الخطوات اللازمة لإنجاح التأميم، وغادرنا مساء إلى بيروت.

وردت برقية من هوارى بومدين، رئيس جمهورية الجزائر، إلى الرئيس حافظ الأسد يهنئه فيها بالتأميم، ووردت برقية مماثلة من عبد العزيز بوتفليقة، وزير الخارجية، بالمعنى نفسه ورددنا عليها بمثلهما.

وفي بيروت، حيث عقدت الدول العربية المنتجة والمصدرة للبترول مؤتمرها في ١١ حزيران ١٩٧٢، أصدر المؤتمر بياناً أكد فيه أن التأميم عمل من أعمال السيادة، ونادى بدعم العراق وسورية، كما تضمن البيان تعهد هذه الدول بعدم زيادة إنتاجها من البترول، وعدم السماح بأن يحل بترولها المنتج الآن محل بترول العراق، والضغط على الشركات التي تتشكل منها شركة نفط العراق I.P.C. لعدم تعويض بترول العراق ببترول آخر، وتشكيل لجنة ثلاثية تشرف وتتابع هذا القرار.

في ١٥ تشرين الأول ١٩٧٢، أصدرت الحكومة العراقية بياناً أعربت فيه عن استعدادها لدفع العائدات السورية نتيجة التأميم ولكن بلا مضاعفتها، وفي ٢٠ تشرين الأول، سافر الأستاذ عبد الحليم خدام إلى بغداد لبحث موضوع العائدات، وسافر معه الحاج عودة البياتي سفير العراق، إلا أن المباحثات في بغداد لم تثمر، وتقرر أن يقوم وفد عراقي بزيارة إلى دمشق لاستمرار المباحثات. وتبين أن العراق لم يقبض بعد من أوروبا أي مبلغ ثمناً لنفطه، وإن ما حصل عليه حتى آخر تشرين الأول كان سداداً لدين سابق مع فرنسا، أو بعض البضائع. وأعلمني الوزير خدام أن العراق وافق على تحويل مبلغ ٣,٥ مليون دينار بالإضافة إلى ١,٥ مليون دينار كان عرض تحويلها كسلفة على العائدات بانتظار الاتفاق النهائي على هذا الموضوع، وقد تم تحويل هذه المبالغ فيما بعد.

ذكر لنا، فيما بعد، «أوغوز غوكمن Oğuz Gökmen» المستشار الأعلى المكلف بالشؤون الاقتصادية التركي، أن تركيا والعراق وإيطاليا قد اتفقت على تمديد خط أنابيب لنقل البترول من العراق عبر تركيا إلى إسكندرون.

هـ - مع الكويت: بعد انتخاب الفريق حافظ الأسد رئيساً للجمهورية العربية السورية، حضر إلى دمشق بتاريخ ٣ نيسان ١٩٧١ الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح وزير خارجية الكويت، يحمل تهنئة سمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت للرئيس الأسد.

أجرى الضيف مباحثات أولية مع الأستاذ عبد الحليم خدام - حضرته - جرى خلالها استعراض الوضع في الخليج العربي بشكل خاص وفي المنطقة العربية بشكل عام، ثم بحث الجانبان العلاقات الأخوية بين الشعبين الشقيقين ووسائل تطويرها وتنميتها.

وفي المساء استقبل الرئيس حافظ الأسد الوزير الضيف بحضور وزير الخارجية الأستاذ عبد الحليم خدام، وأجرى معه مباحثات مستفيضة.

وفي ١٠ تموز ١٩٧١، قام سمو الشيخ صباح السالم الصباح، أمير دولة الكويت، بزيارة رسمية إلى دمشق استغرقت أربعة أيام أجرى خلالها مباحثات مع الرئيس حافظ الأسد، كانت الآراء فيها متفقة حول مختلف القضايا العربية والعالمية، وحول ضرورة تعبئة طاقات الأمة العربية البشرية والاقتصادية والعسكرية لمواجهة التحديات المصرية، ولتحرير جميع الأراضي العربية المحتلة...

«...ويؤكد الطرفان أن عودة الشعب الفلسطيني إلى أرضه أمر لا بد منه ويجب أن يبقى محور النضال العربي، كما يؤكد أن أي تفريط بهذا الحق أو التنازل عن أي شبر من الأراضي العربية أمر مرفوض...»^(١).

وخلال هذه الزيارة، قام الضيف بزيارة بعض المواقع العسكرية وأبدى إعجابه بقوة الجيش العربي السوري، وبالمعنويات العالية التي يتمتع بها الضباط والجنود.

ثم قدّم دعوة رسمية للرئيس حافظ الأسد ليزور الكويت، فقبلها الرئيس ووعد بتبليتها في موعد قريب.

(١) الوثائق العربية الصادرة عن دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة في الجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩٧١، (ص ٤٨٦).

وفي ١٩ نيسان ١٩٧٢، قام الرئيس حافظ الأسد بزيارة رسمية إلى الكويت، رافقه فيها محمود الأيوبي وعبد الحليم خدام وعبد الغني قنوت وفايز إسماعيل وعبد الله الخاني، كانت زيارة ناجحة لقي خلالها عناية خاصة، وصدر في أثرها بيان مشترك أكد على المصير الواحد لشعبي سورية والكويت، وضرورة حشد جميع الطاقات العربية لدعم صمود الشعب الفلسطيني للحصول على كامل حقوقه في السيادة والاستقلال.

كانت الزيارة منظمة ودقيقة، إلا أنه، بعد العشاء في آخر ليلة، أراد القائم بالأعمال السوري عبد الله رزوق، وأصر على الرئيس أن يزور السفارة، وكانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، فوافق الرئيس، وكان الازدحام وذبح الخرفان والهرج والمرج أمام السفارة وداخلها، فوقع الأستاذ محمود الأيوبي، نائب الرئيس أرضاً وأصيب برضوض، وأصننا جميعنا برضوض، إلا أن القائم بالأعمال أفاد من هذه الزيارة... ورُفِعَ إلى سفير!...

و - مع دولة الإمارات العربية المتحدة: في الرابع من آذار ١٩٧٢، وصل إلى دمشق في زيارة رسمية، وبدعوة من أخيه الرئيس حافظ الأسد، سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، أمير دولة الإمارات العربية المتحدة على رأس وفد إماراتي كبير، وقد جرى له استقبال رسمي حافل في مطار دمشق اشترك فيه أعضاء القيادتين القومية والقطرية ورئيس الوزراء والوزراء، وسفير وأعضاء سفارة دولة الإمارات. استقبله الرئيس الأسد ورافقه إلى قصر الضيافة حيث حل وصحبه، وفي المساء أقام له الرئيس حفل عشاء في نادي الشرق.

في اليوم التالي، قام سمو الشيخ زايد بزيارة قاعدة جوية ومدرسة المدرعات، وفي المساء أجرى مباحثات مع الفريق الأسد ووجه له دعوة رسمية لزيارة أبو ظبي.

في ٦ آذار، زار مدرسة الشرطة ثم قام بزيارة المصايف حيث قدّمت له الحكومة قطعة أرض في الزبداني. في المساء، أقام سمو الشيخ زايد حفل عشاء في نادي الشرق، حضر بعده حفلة سمر قدّمت فيها فرقة أمية وفرقة الإذاعة بعض الرقصات والمنوعات.

وفي اليوم التالي، سافر سمو الشيخ زايد، يرافقه الأستاذ عبد الحليم خدام للصيد في الجزيرة، ثم عاد وصحبه بعد يومين، وغادر دمشق في ١٠ آذار وجرى له وداع رسمي حافل.

وصدر، عقب الزيارة، بيان رسمي أكد على أن الكفاح المسلح هو السبيل

المجدي والوحيد أمام الشعب العربي لتحرير أراضيه... ولا بد من حشد طاقات الأمة العربية وزجها في معركة المصير... وأن احتلال إيران للجزر العربية الثلاث غير قانوني ولا بد من استرجاعها.

وفي الثالث من حزيران ١٩٧٢، وصل إلى دمشق في زيارة رسمية الشيخ خليفة بن زايد ولي عهد دولة الإمارات. كان من المفروض أن أراس بعثة الشرف، إلا أنني اعتذرت وطلبت تكليف الزميل راشد الكيلاني، باعتبار أنه سيوفد كسفير إلى أبو ظبي، برئاسة بعثة الشرف، وقد جرت العناية به من قبل المسؤولين السوريين، وحضر في حلب حفل تخريج ضباط كلية الطيران. وفي دمشق جرت مباحثات رسمية مع الشيخ خليفة، اشترك فيها نائب الرئيس ورئيس الوزراء ووزير الخارجية وعدد من الوزراء السوريين، كما ساهمت فيها وفي وضع البيان المشترك. قال الشيخ خليفة بن زايد إن والده قال له إنه كان قدّم لسورية (١٠ ملايين دولار) هدية و (٥ ملايين دولار) قرضاً، إلا أن والده قال له لدى مجيئه، إن الخمسة ملايين الأخرى هي هدية أيضاً لشعب سورية.

زيارة الرئيس الأسد إلى أبو ظبي: تلبية لدعوة أخيه سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، قام الرئيس الأسد بزيارة رسمية إلى دولة الإمارات العربية المتحدة بين ١٢-١٥ تشرين الثاني ١٩٧٢، رافقه فيها الأستاذ محمود الأيوبي والأستاذ عبد الحليم خدام وعدد آخر من الوزراء، وجرى له استقبال حافل، زار أثناءها محطة توليد الكهرباء وتقطير المياه والميناء، كما زار، هو ومرافقوه، إمارة دبي والعين، وأبدوا اغتباطهم بالخطوات السريعة التي تخطوها دولة الإمارات العربية المتحدة في مختلف المجالات ولا سيما في تأمين الازدهار والرفاهية لأفراد الشعب، وأجرى الوفدان السوري والإماراتي مباحثات شاملة صدر على أثرها بيان مشترك أكد ضرورة حشد طاقات الأمة العربية كلها، وفق خطة مدروسة وتوجيهها نحو معركة المصير ضد الصهيونية العالمية... كما أكدوا على أن العمل الفدائي هو أحد الدعائم الأساسية لحرب التحرير.

ز - إعادة العلاقات الدبلوماسية مع تونس: حضر إلى دمشق في زيارة خاصة، السبت ٢ كانون الثاني ١٩٧١، السيد خليل أبو حمد وزير خارجية لبنان، والتقى الأستاذ عبد الحليم خدام، وقال له إن تونس راغبة بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع سورية، وإنه قد يحضر في المستقبل مع سفير تونس في بيروت لبحث هذا الموضوع معنا، فرحب الأستاذ خدام بذلك.

وفي ١٤ شباط ١٩٧١، حضر الوزير اللبناني أبو حمد وبرفقته سفير تونس في بيروت، وبعد المباحثات اتفقتا على الصيغة التالية تذاً من دمشق وتونس في وقت واحد:

«إن الجمهورية العربية السورية والجمهورية التونسية، رغبة منهما في توثيق عرى الأخوة والتعاون على أساس الثقة المتبادلة، قد قررتا استئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما على مستوى السفراء».

ح - إعادة العلاقات الدبلوماسية مع المغرب: اتصل بي هاتفياً من بيروت القائم بأعمال سفارة المغرب فيها، وقال إن السيد أحمد بن سودة، النائب في البرلمان وسفير المغرب سابقاً في بيروت، يصل مساء اليوم بيروت بمهمة خاصة إلى السيد الفريق. بعد استئذان السيد الرئيس، استقبله بعد يومين، في ٢٨ شباط ١٩٧١، وصدر إثر ذلك بيان بإعادة العلاقات الدبلوماسية بين سورية والمغرب شبيه بالبيان الذي صدر بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع تونس.

ط - مع المملكة العربية السعودية: في الثالث من كانون الثاني ١٩٧١، جاء وزير الخارجية اللبناني الأستاذ خليل أبو حمد إلى وزارة الخارجية وقابل الأستاذ عبد الحليم خدام ويحث معه طلب السيد عمر السقاف وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية مقابلته. وافق الأستاذ خدام على استقباله إذا جاء برفقة الوزير اللبناني ومن دون إعلان أو ضجة وبشكل سري. وبعد يومين حضر عمر السقاف وأجرى مباحثات مع الوزير خدام تم الاتفاق خلالها على أن يقوم الأستاذ عبد الحليم خدام بزيارة المملكة.

في ٢٩ آب ١٩٧١، استدعيت السيد محمد الفايز القائم بأعمال السفارة السعودية وأبلغته أن الأستاذ خدام ينوي زيارة المملكة في ٣ أيلول القادم. اقترح تأجيل الزيارة حتى ٧ أيلول لوجود طائرة مباشرة لجدة، وليكون لدى المسؤولين السعوديين وقت أوفى لتهيئة الزيارة.

كان الوزير يهدف من زيارته للسعودية طلب قرض مالي للجيش، إلا أن القائم بالأعمال اقترح أن تكون هذه الزيارة زيارة رسمية فقط، على أن تبحث الأمور المالية فيما بعد، فصرف الوزير النظر عن هذه الزيارة وقال إنه سيرجئها إلى ما بعد عودته من الأمم المتحدة، متذرعاً بالاستفتاء والاجتماع الذي سيعقد عقب ذلك في القاهرة.

وفي ٢٧ كانون الأول ١٩٧١، وصل إلى دمشق الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران السعودي والمفتش العام بزيارة رسمية، ولم يكن في استقباله سوى

اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري والضباط بموجب برنامج وضعت وزارة الدفاع.

ي - مع البحرين وقطر: وصل في ١٤ آب ١٩٧١ الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة وزير خارجية البحرين، يرافقه وزير الصحة البحريني وطلب دعمنا للبحرين لدخول الأمم المتحدة، فوافقنا وأبرقنا لوفدنا في نيويورك لدعم الطلب. أرسل الرئيس الأسد إلى أمير البحرين برقية تهنئة بالاستقلال.

وفي ٣١ آب ١٩٧١، وصل من قطر وزيران اجتماعاً إلى الوزير خدام وأعلمناه رغبة قطر بإعلان استقلالها، وطلبنا تأييدنا لدخول قطر إلى الأمم المتحدة والحيولة دون معارضة الاتحاد السوفييتي، فأبرقنا لوفدنا في نيويورك لدعم الطلب. أرسل الرئيس الأسد برقية لأمير قطر مهنتاً بالاستقلال.

ك - مع الجزائر: كانت أول زيارة يقوم بها الفريق حافظ الأسد، بعد زيارته إلى القاهرة لحضور اجتماع الرؤساء الأربعة لميثاق طرابلس، زيارته والوفد المرافق له إلى الجزائر، حيث التقى الرئيس بومدين، وذلك في ٢٢ كانون الثاني ١٩٧١، وكان قد رافق الفريق على الطائرة السيد شريف بلقاسم، عضو مجلس قيادة الثورة الجزائري. علمت، فيما بعد، من الوزير خدام، أن الجو كان عادياً بين الفريق وبومدين الذي استغرب موقف الجمهورية العربية المتحدة المتخاذل وسعيها وراء الحل السلمي.

في ٩ تموز ١٩٧١، بعث سفيرنا بالجزائر ببرقية مضمونها:

«استدعتني الخارجية اليوم، وذكرت بأنها علمت بأنه جرى في اللاذقية احتجاز باخرتي الأسلحة المرسلة للمقاومة مما سبب لها الحرج، وبعد أن تسرب النبأ إلى الصحافة الأجنبية، أعربت عن اهتمامها بالحادث وتخوفها من مضاعفاته، ورجت تزويدها بواقع الحال».

اتصل بي الوزير، في منتصف الليل (الساعة ٢٤)، هاتفياً من القصر، وكان لدى الفريق، وأملى علي البرقية التالية لأرسلها إلى سفيرنا في الجزائر، وطلب إلي أن أستدعي السفير الجزائري الآن وأبلغه، بلهجة شديدة، مضمون هذه البرقية:

«المقاومة عاشت وتعيش في أرضنا، ونمت وتنمو في بلادنا وبدعمنا، تدخل الجزائر في العلاقات الودية القائمة بيننا وبين المقاومة ليس في مصلحة العلاقات بين البلدين ولا يتوخى مصلحة المقاومة، ونرى أن الأمر يتعلق بشؤوننا الداخلية ونحن لا نرغب التدخل بشؤون الآخرين، وعلى الآخرين أن

يتعاملوا معنا بالمثل. نحن في سورية لا نعلق أهمية على الأخبار التي تسربت أو سربت للصحف الأجنبية أو العربية.

نطلب إليكم مقابلة وزير الخارجية وإبلاغه ذلك حرفياً وإعلامنا نتيجة المقابلة فوراً».

استدعيت السفير الجزائري السيد العربي السعدوني بعد منتصف الليل، وبعد أن أوى إلى فراشه، إلى وزارة الخارجية وأبلغته مضمون البرقية، فقال إنه كان علم بالحدث من الصحف اللبنانية ومن وكالة رويتر، وإنه تذاكر في بيروت مع بو يزيد (سفير الجزائر في لبنان) ورأيا عدم إثارة الموضوع لأن حكومتهما لم تبلغهما شيئاً. وأضاف، إن الأمور في الماضي كانت تجري بشكل أفضل عندما كانت محصورة بشخصه وبالعقيد علي ظاظا وبشخص واحد من الفدائيين، أما الآن، وقد تمت الأمور من وراء ظهره، فقد أدت إلى هذه الإشكالات.

في الساعة ١,١٥ من صباح ٢٩ تموز ١٩٧٢، وصل إلى دمشق قادماً من القاهرة وكيل وزارة الخارجية الجزائرية السيد عبد المالك بن حبيلس، وقد استقبلته في المطار وكان معي مدير المراسم ومدير الوطن العربي. جاء في اليوم التالي لمقابلة الوزير خذّام وحضرت المقابلة. تعرض في حديثه إلى ما كلفه بومدين ببخه من حيث العلاقات بين البلدين والفتور الظاهر فيها.

قال له الأستاذ خذّام إن سبب الفتور المواقف (الغلط) التي وقفتها الجزائر من الحركة التصحيحية، وأخذ الجزائر برأي المنظمات الفدائية (فتح) ضد سورية، وإرسالها المصفحات العشرين للمنظمات الفدائية، ثم منحها جوازاً لإبراهيم ماخوس وحمايتها له.

قال بن حبيلس إن الجزائر لا تكن لسورية إلا كل حب ورغبة في التعاون، وإن بومدين طلب تأكيد ذلك للمسؤولين السوريين. ثم شرح السفير «العربي السعدوني» موضوع المصفحات العشرين، فقال: بعد أن سحبت الجزائر قواتها التي بعثت بها إلى مصر أثناء حرب ١٩٦٧، عرضت على المصريين وعلى الفدائيين أسلحتها، وكان نور الدين الأتاسي حاضراً، فأخذت المقاومة بعض هذه الأسلحة ومن بينها المصفحات، وإنهم يعلمون أن المصفحات لا يمكن استعمالها كسلاح للفدائيين، إلا أنها لم تكن لتستعمل بأي حال ضد السوريين.

أما بالنسبة لإبراهيم ماخوس، فإن الجزائر لم تقدّم له جوازاً، ولم تمنحه اللجوء السياسي، إلا أنه هبط عليها في مطار الجزائر ولم يكن من الإنسانية إعادته. صحيح

أنه طلب جوازاً جزائرياً وحق اللجوء إلا أن ذلك لم يمنح له، كما أن تعليمات الحكومة الجزائرية تقضي بعدم استقبله من قبل أي مسؤول. ثم طلب الضيف تعيين سفير لسورية في الجزائر، فوعده الوزير خدام بذلك.

وفي ٤ كانون الأول ١٩٧٢، وصل إلى دمشق، في زيارة رسمية، وزير خارجية الجزائر عبد العزيز بوتفليقة، فاستقبله الوزير خدام، ثم استقبله الرئيس الأسد وأجرى معه مباحثات مستفيضة، كما استقبله رئيس الوزراء عبد الرحمن خليفاي في منزله ودعاه إلى الغداء، وصدر إثر الزيارة بلاغ مشترك أكد على وحدة الصف والتوافق في جميع المواقف العربية والدولية.

ل - مع السودان: انقلاب فاشل في السودان: في الخرطوم، وفي ١٩ تموز ١٩٧١، قام الرائد هاشم العطا بانقلاب يساري على النميري، وطالب بتوثيق العلاقات مع الدول الاشتراكية وخاصة مع الاتحاد السوفياتي، صديق العرب. سمى زعيم الانقلاب، الرائد هاشم العطا، بابكر النور عثمان رئيساً لجمهورية السودان، وكان في لندن للعلاج. لم يعترف بالوضع الجديد في السودان سوى العراق - وأعتقد أنه فعل ذلك ليخرج من عزلته - وقام في اليوم التالي أنصار النميري بانقلاب معاكس أعادوا فيه النميري إلى السلطة. وكانت السلطات الليبية قد حوّلت صباحاً الطائرة التي كانت تقل بابكر النور عثمان والرائد فاروق حمد الله، والقادمة من لندن إلى الخرطوم، حولتها إلى طرابلس وسلّم العقيد القذافي بابكر النور عثمان وفاروق حمد الله إلى النميري. توسط وزير خارجية بريطانيا لدى النميري لعدم إعدامهما، في الوقت الذي جرت فيه إعدامات كثيرة. وانفجرت طائرة عسكرية عراقية فوق جدة كانت تحمل بعثة تهنئة عراقية قاصدة الخرطوم. لم يستجب النميري لوساطة بريطانيا فأعدم الرائد فاروق حمد الله ثم المقدم بابكر النور، وأحال إلى المحاكمة عبد الخالق محجوب أمين سر الحزب الشيوعي.

استاءت الدول الشيوعية من الإعدامات التي تمت في السودان نتيجة فشل الانقلاب اليساري، وتنصل جيفكوف (رئيس بلغاريا) من الانقلاب الذي قام به الرائد هاشم العطا وسعى لكي يوجه التهمة إلى الصينيين، إلا أن لجوء محجوب إلى السفارة البلغارية في الخرطوم ألبس البلغار تهمة التحريض والاشتراك في الانقلاب الشيوعي، ونتيجة لذلك طلب السودان إلى سفير بلغاريا في الخرطوم ومستشار الاتحاد السوفياتي بمغادرة البلاد، كما استدعى سفيره في بلغاريا. أعطي الأول أسبوعاً والثاني ٤٨ ساعة لمغادرة البلاد، وتوترت العلاقات كثيراً بين الدول

الاشتراكية والسودان، ونشرت وكالة الأنباء السوفياتية «تاس» مقالاً هاجمت فيه الحكم في السودان بشدة، وإثر ذلك غادر الخبراء السوفيات السودان، ثم عقد زعماء الدول الاشتراكية، في الأول من آب، اجتماعاً في شبه جزيرة القرم لدراسة الوضع في السودان ونتائجه على العلاقات بين الدول الاشتراكية والدول العربية.

طلبت بعض الدول العربية إلى سورية أن تتوسط في الخلاف بين الدول الاشتراكية والسودان، فسافر السيدان محمود الأيوبي نائب الرئيس وعبد الحليم خدام إلى موسكو، في ١٠ آب، للقيام بالمساعي الحميدة، ثم سافرا إلى الخرطوم لتجاوز الخلافات بين البلدين. في موسكو، حدث الموفدان المسؤولين السوفيات عن خطل السياسة السوفياتية إن اعتقدوا أنه يمكن قيام حكم شيوعي في البلاد العربية، وفي أفضل الحالات، فإن الأحزاب الشيوعية لا يمكن أن تكون إلا أحزاباً وطنية، ثم طالبا وتوصلا إلى إيقاف الحملات الإعلامية ضد السودان.

وفي الخرطوم، كان الرئيس النميري متشجعاً ضد الشيوعيين وضد السوفيات، فشرحا له ضرورة وقوف السوفيات إلى جانب العرب في معركتهم ضد إسرائيل، وأنه في حال وجود احتلال للأرض العربية، فلا مجال لمواجهة الدول الصديقة.

وقد قبل النميري هذه الوساطة، ووعد بإعادة السفراء كمرحلة أولى، ثم يصار إلى تحسين العلاقات تدريجياً، وهكذا نجحت الوساطة السورية.

م - مع اليمن: وصل في الرابع من كانون الثاني ١٩٧١ إلى دمشق وكيل وزارة الخارجية العربية اليمنية السيد أحمد حيدر، وقابل الوزير الأستاذ عبد الحليم خدام - وقد حضرت الاجتماع - شرح وضع اليمن بالنسبة للسعودية وبالنسبة لليمن الجنوبي، ومساعي اليمن الشمالي في سبيل وحدة القطرين، وتمنّع الجنوب مختبئاً وراء الشعارات الاشتراكية المتطرفة، بينما تسعى الرجعية العربية، من خلال السلاطين والسعودية، للإطباق على عدن وتطوير اليمن الشمالي.

قال له الأستاذ خدام إن علي ناصر جاء في الأسبوع الماضي، وقال إن اليمن الجنوبي راغب بالاتحاد مع الشمالي إلا أنكم غير قابلين. فقال: نحن على استعداد للوحدة في أي وقت، وقد ذكرنا لحكومة اليمن الجنوبي أننا نقبل أن ننضم إليهم ولا نتمسك لا بعلمنا ولا بعاصمتنا.

قال الأستاذ خدام: سنبعث بوفد لليمن وسأرأسه أنا، وسنغادر إلى عدن يوم السبت القادم.

قال وكيل الوزارة: هذا خير عمل تقومون به، وإننا نرحب بكم سلفاً.
وفي الواقع، فقد سافر الأستاذ خدام في ١٨/١/١٩٧١ ومعه السيد جبر الكفري،
عضو القيادة القطرية، والعميد عبد الغني إبراهيم، والرائد عبد العزيز إلى القاهرة في
طريقهم إلى اليمن الديمقراطية ثم إلى صنعاء في الجمهورية العربية اليمنية في زيارة
حزبية وخاصة للوساطة بين القطرين.
ولم أطلع على النتائج وإن كنت أعتقد أنها لم تثمر.

ن - مع الصومال: في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٧١، وصل إلى مطار دمشق قادماً من
بغداد، بعد زيارته للاتحاد السوفياتي، اللواء محمد سياد باري رئيس جمهورية
الصومال يرافقه وفد صومالي كبير.
استقبله الرئيس الأسد وأعضاء القيادتين والحكومة، وأجرى معه مباحثات، كما
أقام له حفل عشاء. أمضى الضيف يومين في دمشق ثم غادرها في طريقه إلى القاهرة.

II - العلاقات مع الدول الأجنبية

أراد الرئيس حافظ الأسد أن تكون حركته التصحيحية عهد انفتاح وتحرير وسلام
في الداخل وفي الخارج، بالنسبة للدول العربية وبالنسبة للدول الأجنبية على السواء،
وقد بذل جهداً كبيراً في هذا المجال مما أكسبه محبة وتقدير الزعماء العرب قاطبة،
واحترام وتعاون الدول الأجنبية الشرقية منها والغربية.

بعد أن بينت انفتاح سورية على الدول العربية، وما تحقق من وحدة مع بعضها
ومن علاقات وثيقة مع بعضها الآخر، سأستعرض فيما يلي ما توثق من علاقات ودية
مع الدول الأجنبية:

أ) مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية: خشي الاتحاد السوفياتي، الذي
كانت تربطه بالقيادة القطرية السابقة (زعين وجديد ورفاقهما) ومع القيادة العراقية
علاقات وثيقة، خشي أن تكون الحركة التصحيحية انزلاقاً إلى اليمين وبعداً عن
الدول الاشتراكية.

أ) ١- لذا حرص الفريق الأسد على تأكيد المواقف السابقة لسورية، فيما يتعلق
بماتنة العلاقات مع الاتحاد السوفياتي، فكانت أول زيارته للدول الأجنبية زيارة
حكومية وحزبية إلى موسكو، رافقه فيها وفد كبير ضم ٢٨ عضواً من الوزراء
وأعضاء القيادتين المؤقتتين القومية والقطرية لحزب البعث، وكبار الضباط ومعاوني
الوزراء. تمت هذه الزيارة في الأول من شباط ١٩٧١، واستمرت ثلاثة أيام أجرى

خلالها الفريق الأسد مباحثات على أعلى المستويات مع الزعماء السوفيات: بريجنيف، بودغورني، كوسيجين، غروميكو، غريتشكو وغيرهم، شرح فيها التحولات الاجتماعية والاقتصادية التقدمية والاشتراكية في سورية، مع توطيد الصداقة بين الشعبين السوري والسوفياتي والتعاون في مختلف المجالات.

في ٢٨/٢/١٩٧١، أصدرت الحكومة السوفياتية بياناً حملت فيه إسرائيل مغبة الحيلولة دون إقامة سلام في منطقة الشرق الأوسط، لأنها لا تريد تطبيق قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، ولا تريد التنازل عن الأراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ بدعمها في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية.

أ) ٢- زيارات الرئيس الأسد لموسكو: خلال عام ١٩٧٢، قام الرئيس حافظ الأسد بزيارتين إلى الاتحاد السوفياتي، الأولى من ٥ إلى ٨ تموز ١٩٧٢، والثانية من ٢٩ أيلول إلى الأول من تشرين الأول ١٩٧٢، وصدر عقب كل زيارة بلاغ مشترك أشار إلى المباحثات التي جرت بين الجانبين على أعلى مستوى، وإلى التوافق في الآراء على أنه لا يمكن إقامة سلم عادل ودائم في الشرق الأوسط إلا على أساس الانسحاب الكامل وغير المشروط لجميع القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧، وتأمين الحقوق والمصالح المشروعة للشعب الفلسطيني... ودعم حركة المقاومة الفلسطينية... وزيادة القدرة العسكرية للجمهورية العربية السورية.

وهدفَت الزيارة الثانية إلى رَأب الصدع بين الجمهورية العربية المتحدة (مصر) والاتحاد السوفياتي، بعد أن طلب السادات إخراج الخبراء السوفيات من مصر، وقد توفّق الرئيس الأسد في ذلك.

وكان السادات قد يئس من الاتحاد السوفياتي ومن تقصيره في دعمه الدعم السياسي والعسكري اللازم، فأصدر تعليماته، في ١٨ تموز ١٩٧٢، بالاستغناء عن خدمات الخبراء الروس في مصر (١٥ ألفاً) والاحتفاظ فقط بـ (٥٠٠٠ خبير) من الذين يقومون بتدريب الجيش المصري، وجاء ذلك في الخطاب الهام الذي ألقاه أمام الاتحاد الاشتراكي والذي حدد فيه الأمور التالية:

١- إنهاء مهمة المستشارين والخبراء السوفيات العسكريين الذين حضروا إلى مصر بناء على طلبها، وذلك ابتداء من الإثنين (٢٤ تموز ١٩٧٢)، على أن يحل أفراد القوات العسكرية المصرية محلهم في جميع ما كانوا يقومون به من أعمال.

٢- تكون المنشآت والمعدات العسكرية، التي أقيمت ضمن الأراضي المصرية،

خلال فترة ما بعد عدوان ١٩٦٧، ملكاً خالصاً لجمهورية مصر العربية وتحت إدارة قواتها المسلحة.

٣ - الدعوة، في إطار معاهدة التعاون والصداقة مع الاتحاد السوفياتي إلى اجتماع مصري سوفياتي على مستوى يتفق عليه، لإجراء مشاورات بالنسبة للمرحلة القادمة. في المباحثات التي أجراها الرئيس الأسد في موسكو لرأب الصدع وإعادة المياه إلى مجاريها بين مصر والاتحاد السوفياتي، أشار بريجنيف إلى المساعدات الكثيرة التي قدّمها الاتحاد السوفياتي إلى مصر، كما ذكر أن عدد الجيوش العربية المحيطة بإسرائيل تبلغ مليون ضابط وجندي عدا عن ٥٠٠٠ دبابة وألف طائرة، بينما لا تملك إسرائيل سوى ١٨٠ ألف جندي و ٥٠٠ طائرة.

صحح الرئيس الأسد لبريجنيف هذه الأرقام، وبيّن أن لإسرائيل القدرة على أن تستنفر أضعاف ما لدى الدول العربية من قوات، عدا عن الدعم العسكري اللامحدود من الولايات المتحدة الأمريكية لها، وقارن بين أنواع الأسلحة التي نتعاقد عليها مع السوفيات وتلك التي يقدمونها بالواقع، وأعطى مثلاً طائرة سوخوي ١٧ التي تعاقدنا عليها، فسلمنا السوفيات طائرة سوخوي ٧ القديمة.

فزجر بريجنيف بالروسية المارشال غريتشكو الذي حضر الاجتماع، وفهم الرئيس الأسد مضمون الكلام الذي قال فيه: «إننا إذا تعهدنا بشيء، وجب علينا احترام تعهدنا».

بعد عودته من موسكو، ذهب الرئيس الأسد إلى القاهرة وأطلع السادات على نتيجة مباحثاته في موسكو، وإثر ذلك، سافر عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء المصري إلى موسكو ليهيء لزيارة عزيز صدقي، رئيس الوزراء المصري، قبل نهاية تشرين الأول ١٩٧٢.

سألني الأستاذ محمود الأيوبي، الذي كان نائباً للرئيس حافظ الأسد، إن كان قد لفت انتباهي أن بريجنيف لم يكن في المطار مع مستقبلي الرئيس الأسد والوفد المرافق له واكتفى بترؤس وفد المباحثات. قلت: لقد لفت انتباهي ذلك كثيراً لا سيما وأن الزيارة كانت على المستوى الحكومي والحزبي وجرت تهيئتها منذ مدة، واعتقد أن بريجنيف أراد بذلك أن يدلل على عدم رضاه عن التقارب السوري - الأمريكي، وعن تصرفات السادات بطلبه إخراج الخبراء السوفيات من مصر، وظهر ذلك جلياً في جو المباحثات المشحون، وانتقاده الدول العربية التي تملك من القوات العسكرية ومن الأسلحة أضعاف ما تملكه إسرائيل.

سألت الوزير خذّام عما نقلوه للسادات لدى عودتهم من موسكو، وما كان رد السادات؟ فقال: إن السادات كان يسبب الأمريكيان وما كان يظهر عليه أنه سيتخذ هذه الخطوة. وأضاف: إن السادات يخاطب كل إنسان بما يعجبه!...

(أ) ٣- وفد سوفياتي يزور دمشق: حضر إلى دمشق، في ٢١ شباط ١٩٧٢، وفد سوفياتي عالي المقام برئاسة مازوروف عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، ضم عدداً كبيراً من المسؤولين في الحزب وفي وزارة الخارجية، وزار مساء يوم وصوله رئيس مجلس الشعب، وحضر جلسة للمجلس ألقى خلالها رئيس المجلس فهمي اليوسفي كلمة ترحيبية بالضيف، ورد عليه مازوروف بخطاب طويل تضمّن سياسة الاتحاد السوفياتي في المجال الداخلي والمجال الدولي والأوربي، والعلاقات بين البلدين وقضية الشرق الأوسط.

ثم قام مازوروف، بعد جلسة مجلس الشعب، بزيارة للرئيس الأسد استمرت ساعتين، سلمه خلالها الوسام الذي كانت منحته إياه الأكاديمية العسكرية العليا في موسكو.

وفي اليوم التالي، عقد الوفد السوري برئاسة اللواء عبد الرحمن خليفاي رئيس الوزراء، وكنّت أحد أعضاء الوفد، والوفد السوفياتي برئاسة كيريل مازوروف اجتماعاً في رئاسة مجلس الوزراء، استعرض فيه الضيف موقف الاتحاد السوفياتي من مختلف القضايا الدولية بما فيها قضية الشرق الأوسط، وهاجم بشدة زيارة نيكسون للصين التي يُخشى أن تؤثر على الحرب في الفيتنام وعلى زيارة نيكسون القادمة إلى موسكو. وبالنسبة للفرات ومشروع السد عليه، قال يجب على سورية أن تتفق مع العراق على نسبة اقتسام المياه، وإلا فإن الاتحاد السوفياتي لن يقوم بالمشاريع التي ستفزع عن مشروع السد كاستصلاح الأراضي والكهرباء.

بعد الظهر، زار الوفد الضيف القيادة القطرية، ووقّع اتفاقاً بين الحزب الشيوعي السوفياتي وحزب البعث العربي الاشتراكي لإقامة تعاون بين الحزبين، ولم أشارك في هذا الاجتماع.

وفي المساء زار مازوروف وزير الخارجية الأستاذ خذّام، وكرر الطلب على النص، في البيان المشترك الذي سيصدر في انتهاء الزيارة، على الاتفاق الذي سيوقع فيما بعد في موسكو، وعلى بيان براغ بشأن الأمن الأوروبي.

(أ) ٤ - في اليوم التالي، استقبل الرئيس الأسد السيد مازوروف لمدة ست ساعات

متواصلة، من الثانية عشرة ظهراً حتى السادسة مساءً، في الوقت الذي التقى فيه الاقتصاديون السوريون والسوفييات من أجل الاتفاقيات.

قلت في حينه: أعتقد أنه تجاه التقارب الأمريكي - الصيني، يريد الاتحاد السوفياتي تثبيت مواقعه ومكاسبه في العالم، ولا سيما في منطقة الشرق الأوسط ووسط آسيا، وما اندفاعه في دعم العدوان الهندي على باكستان، وتقاربه من اليابان وإرسال وزير خارجيته إلى طوكيو ووفده إلى البلاد العربية، وزيارة غريتشكو - وزير الدفاع - إلى القاهرة والدعوة لمؤتمر الأمن الأوروبي، إلا حلقات في هذه السياسة.

أ) ٥ - جولة الوزير في الدول الاشتراكية: استجابة لدعوات من بعض الدول الاشتراكية في أوروبا، قام الأستاذ عبد الحليم خدام عضو القيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية، بجولة، صحبته فيها، شملت: ألمانيا الديمقراطية وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبلغاريا، وأجرى فيها مباحثات مع رؤسائها مؤكداً استمرار النهج الاشتراكي لحزب البعث العربي الاشتراكي في سورية والعلاقات الوثيقة مع هذه الدول، وصدر عقب كل زيارة بلاغ مشترك أشار إلى تطابق وجهات النظر في القضايا الأساسية الدولية، ولا سيما بالنسبة لقضية الشرق الأوسط وضرورة انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧.

كان الغرض من هذه الزيارة مزدوجاً:

ففي المقام الأول، كان على المسؤولين السوريين، بعد الحركة التصحيحية التي وصفتها القيادتان السابقتان، القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، وبعض الدول الأوربية بأنها اتجاه جديد إلى اليمين، كان عليهم أن يؤكدوا للدول الاشتراكية أن لا تغيير في النهج الاشتراكي ولا تعديل في العلاقات الوثيقة معها، وأن التعاون معها في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية يأتي في المقام الأول.

ومن الناحية الثانية، فإن الطلاب الحزبيين، الذين أوفدتهم القيادة البعثية السابقة للدراسة في هذه الدول الاشتراكية، ما زالوا يدينون بانتماءاتهم وعواطفهم إلى القيادة السابقة: (زعين، جديد، الأناسي، حبش)، لذا وجب شرح الأوضاع الجديدة لهم واستمالتهم للقيادة الجديدة، وإن الوزير خدام وإن لم ينجح في استمالتهم ولمس عدم رضاهم، إلا أن استقرار العهد الجديد واعتراف الدول الشرقية والغربية به والتعاون معه، وتأكيد استمرار النهج القومي والسياسة الخارجية الثابتة له، جعل

هؤلاء الطلاب ينقلبون على القيادة السابقة، التي أضحت في السجن، ويؤيدون العهد الجديد حرصاً على مصالحهم الشخصية وعلى مستقبلهم في سورية.

أ) ٦- وفد هنغاري يزور دمشق: وصل إلى دمشق في ٣١ كانون الثاني ١٩٧١ وفد هنغاري برئاسة نائب وزير الخارجية، وأجرى مباحثات مع وزير الخارجية ومعني ثم مع الرئيس أحمد الخطيب، وكان الغرض الرئيس من هذه الزيارة طلب تزويد هنغاريا بالنفط السوري مقابل تزويده سورية بالأسلحة. قال له الأستاذ أحمد الخطيب: إن الجمهورية العربية المتحدة (مصر) كانت عقدت معنا اتفاقاً لتزويدها بمائة ألف طن فقط، ونحن وإياها في صف مواجهة واحد، ومع ذلك لم نستطع تأمين هذه الكمية لها.

أ) ٧- وفد روماني يزور دمشق: في صباح الثلاثاء ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٢، وصل إلى الحدود السورية - اللبنانية وفد روماني برئاسة إميل دراغانسكو، نائب رئيس الوزراء وزير المواصلات في الحكومة الرومانية.

أجرى الوفد مباحثات مع وزير الخارجية بحضور وزير التخطيط وحضوري، استعرض فيها ما أنجزته رومانيا في مجال التنمية الاقتصادية والعلمية، ثم جرى استعراض للعلاقات الثنائية السياسية والاقتصادية والثقافية وضرورة تنميتها بعد إعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

أصر الجانب الروماني على البدء بإعادة العلاقات الدبلوماسية في البيان المشترك، ثم النص على بقية الأمور التي جرى بحثها. وافق السيد الرئيس على إصدار بيان مستقل بإعادة العلاقات، ثم استقبل السيد دراغانسكو لثلاث ساعات خرج بعدها الضيف مسروراً جداً.

أ) ٨ - زيارة وزير خارجية يوغوسلافيا: وصل في الأول من نيسان ١٩٧٢ إلى دمشق السيد ميركو تيبافاتش، وزير خارجية يوغوسلافيا، على رأس وفد رسمي في زيارة إلى دمشق أجرى خلالها مع وزير الخارجية، ثم مع رئيس الوزراء اللواء عبد الرحمن خليفراوي مباحثات مستفيضة كانت فيها وجهات النظر متقاربة بل متطابقة في شتى الأمور. وقد بحثنا قضايا رئيسية أربع هي: قضية الشرق الأوسط - قضية الأمن الأوروبي - قضية الأمن في البحر الأبيض المتوسط - عدم الانحياز. استمرت الزيارة أربعة أيام.

أ) ٩- زيارة وزير خارجية ألمانيا الديمقراطية: وصل إلى دمشق، في الخامس والعشرين من تشرين الأول ١٩٧٢، أوتو فنتزر وزير خارجية ألمانيا الديمقراطية،

وأجرى مع الوزير خدام، بحضوري، مباحثات شملت قضايا عدة من فيتنام إلى الاتحاد السوفياتي إلى مصر وإلى الولايات المتحدة، وتزويدها إسرائيل بأفضل الأسلحة، وبضرورة المحافظة على النظام الاشتراكي ودعمه في العالم وحمايته، وقال: «لولا الأربعة آلاف دبابة والألفي طائرة روسية التي دخلت تشيكوسلوفاكيا لما بقي النظام الاشتراكي في ذلك البلد»... ثم قال: «إن الاتحاد السوفياتي لا يريد أن يجازف بكارثة عالمية في الشرق الأوسط...» ورد عليه الوزير خدام: «إننا لا نريد أن تحارب روسيا من أجلنا....» ونحا باللائمة على الاتحاد السوفياتي الذي لا يزود البلاد العربية إلا بـ ١٪ من الأسلحة إذا ما قيست بالأسلحة التي تتسلمها إسرائيل من الولايات المتحدة، «وإن ما جرى في مصر (طلب إخراج الخبراء السوفيات) ما هو إلا ناقوس الخطر، وإن فكرة لا حل إلا عن طريق الولايات المتحدة يزداد انتشاراً في البلاد العربية، وهو يتهدد النظم التقدمية والعلاقات مع المعسكر الاشتراكي...».

ثم عرض فنتزر الوضع في ألمانيا وموضوع الأمن الأوروبي والاتفاقية الموقعة بين الألمانيتين مؤخراً من أجل برلين، ثم موضوع فيتنام وقضية الشرق الأوسط، وأكد دعم ألمانيا الديمقراطية لسورية وللعرب في إدانة إسرائيل لاعتداءاتها المتكررة على العرب والمطالبة بالانسحاب الكامل.

وهكذا تبين أن الاتحاد السوفياتي أوعز إلى الدول الاشتراكية الدائرة في فلكه أن تركز، بزيارة مسؤوليها، على تأمين النهج الاشتراكي لسورية، وضمان استمرار علاقاتها الوثيقة معها في عهدها الجديد.

ب) مع الولايات المتحدة الأمريكية: العلاقات الدبلوماسية بين سورية والولايات المتحدة الأمريكية كانت مقطوعة منذ عدوان إسرائيل على الدول العربية عام ١٩٦٧، نتيجة تأييد الولايات المتحدة اللامتناهي لإسرائيل في جميع المجالات، سواء بمددها بالمال والسلاح أو بالحؤول دون اتخاذ مجلس الأمن أي قرار ضدها. واستمر هذا الوضع حتى بعد الحركة التصحيحية التي قادها الفريق حافظ الأسد عام ١٩٧٠، وإن كانت دول الغرب، التي قطعت سورية علاقاتها بها لوقوفها إلى جانب إسرائيل في هذا العدوان (بريطانيا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية)، سعت بعد الحركة التصحيحية لإعادة العلاقات معها.

مع الولايات المتحدة، بشكل خاص، استمرت العلاقات السيئة لأكثر من سنتين بعد الحركة التصحيحية، نظراً لمواقف واشنطن الداعمة لإسرائيل والمعادية للعرب

عامة ولسورية بشكل خاص، أو لاعتقال أحد الضباط الأمريكيين الذي كان يتجسس على سورية مما زاد الأمور تعقيداً.

وسأورد فيما يلي أهم الأمور التي حدثت بين البلدين خلال عام ١٩٧١-١٩٧٢، ثم مسعى أمريكا للتقارب من سورية.

(ب) ١- ألقى الرئيس نيكسون، في ٢٥ شباط ١٩٧١، بيانه السنوي المعتبر بمثابة بيان انتخابي لتجديد فترة ولايته الرئاسية التي ستنتهي في خريف عام ١٩٧٢، تعرّض فيه إلى قضايا الصين الشعبية والهند الصينية والشرق الأوسط، وقد وردت في البيان أمور جديدة لم تكن لترد في بياناته السابقة، مثل إمكانية حدوث صدام بين أمريكا والاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط أكثر منها في أي مكان آخر في العالم، كما تحدّث عن انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة كشرط لقبول العرب بأي حل سلمي، وما كان يذكر ذلك في الماضي، ثم تحدّث عن تعديلات طفيفة في الحدود تفرضها طبيعة تلك الحدود، كما تكلم عن حق الفلسطينيين، وما كان يذكر هذا الحق في السابق: «لا يمكن تحقيق أي تسوية دائمة في الشرق الأوسط من دون الاستجابة إلى تطلعات شعب فلسطين المشروعة. لقد كان شعب فلسطين خلال عشرين عاماً ضحية شروط تستدعي العطف. إن السلام يستدعي حياة مثمرة لأولاده وتسوية عادلة لمطالبه».

(ب) ٢- في الوقت ذاته، وفي ١٤ نيسان ١٩٧١، صرح حاييم بارليف وزير دفاع إسرائيل، إن الولايات المتحدة الأمريكية فتحت، في العام الماضي، أبواب مستودعات أسلحتها لإسرائيل، وإن هذه حصلت منها على كميات كبيرة من الأسلحة منها الطائرات والدبابات وغيرها من الأسلحة الإلكترونية الهامة.

(ب) ٣- في التاسع من تموز ١٩٧٢، جاء لزيارتي باربر طومسون هارت، السفير الأمريكي السابق في جدّة وفي عمان، وكان في عام ١٩٥٨ وزيراً مفوضاً في السفارة الأمريكية بدمشق - هو الآن مدير مؤسسة الشرق الأوسط - جاء ليجري اتصالاً مع المكتبات السورية لتبادل الكتب الاقتصادية وخطط التنمية بين مؤسسته وهذه المكتبات والمؤسسات السورية. استعرضنا مواقف أمريكا المؤيدة لإسرائيل، فأدانها بشدة واستنكرها وقال إنه ترك وزارة الخارجية الأمريكية لعدم تماشي سياسة أمريكا مع معتقداته.

(ب) ٤- كما حضر لزيارتي في اليوم نفسه شارل يوست، المندوب الدائم

للولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة سابقاً. تحدثنا عن زيارته لإسرائيل ومقابلته لأبا إيبان وزير الخارجية، وزيارته لمصر ومقابلته للسادات. قال إن أبا إيبان يصر على ضمان الحدود الآمنة، لأن إسرائيل لا يمكن أن تعتمد بشكل دائم على الولايات المتحدة الأمريكية أو الأمم المتحدة، وإنها سحبت قواتها من سيناء عام ١٩٦٧، لذا تريد ضمانات أرضية، كما تصر على المفاوضات المباشرة، إذ إن مثل هذه المفاوضات جرت بين جزئي ألمانيا وبين جزئي كوريا وبين الفيتنام وأمريكا.

بينت له الفارق الكبير بين تلك الدول وأطماع إسرائيل ونوعها في المنطقة، أما السادات فقد قدّم كل التنازلات الممكنة ولم تستجب إسرائيل. قابل في مصر أيضاً القوني والزيات ومحمود رياض، أما في سورية فلم يقابل سواي، وحضر المقابلة وسجلها الدكتور صباح القباني مدير إدارة أمريكا.

(ب) ٥ - توقيف المقدم الأميركي بارات: في التاسع من أيلول ١٩٧٢، أوقفت سلطات الأمن السورية المقدم الأميركي «ريتشارد بارات» معاون الملحق العسكري الأمريكي، الذي يعمل بين بيروت وعمّان، وذلك للاشتباه به، إذ دخل الحدود السورية قادماً من عمّان بجواز سفر عادي، وعندما أوقف، أبرز جوازه السياسي، فتم اعتقاله والتحقيق معه، فتبين أنه على اطلاع على تسليح الجيش السوري، وأعطى معلومات عن الصواريخ في سورية وعن بقية الأسلحة مما يعتبر أمراً خطيراً، كما عرض على المحققين أن يعمل معهم، وقد هدف التحقيق لمعرفة الشبكة التي تزوده بالأسرار العسكرية.

ثارت الحكومة الأمريكية لهذا الحادث، وقدّم القائم بالأعمال الإيطالي (كانت السفارة الإيطالية هي التي ترعى المصالح الأمريكية في سورية، بينما كلفنا السفارة الباكستانية في واشنطن رعاية مصالحنا فيها) قدّم عدداً من المذكرات، بناء على طلب حكومته والحكومة الأمريكية، يطلب فيها إخلاء سبيله فوراً، أو إحالته إلى المحاكمة وبيان أسباب توقيفه والسماح بمقابلته.

طلب إلي الوزير وضع دراسة عن الموضوع، فوضعت دراسة بينت فيها أن اعتقاله مخالف لمنطوق المادة (٤٠) من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام ١٩٦١، التي تعهدنا باحترامها بعد التوقيع والمصادقة عليها.

استدعيت القائم بأعمال إيطاليا، في ٨ تشرين الأول ١٩٧٢، وقلت له: إننا، تقديراً لموقف السيد «ميديتشي» وزير خارجية إيطاليا، ونظراً لروح الود التي أبدأها سيسكو في مقابلته مع الوزير خدام في نيويورك، فقد قررنا أن نسمح له بمقابلة بارات. فكان

بادي السعادة، وكلفت الدكتور صباح القباني - مدير إدارة أمريكا - بمرافقته.

قال القائم بالأعمال الإيطالي: أرجو أن تفرقوا بين بعثتنا، بعثة إيطاليا الصديقة، وبعثة رعاية المصالح الأمريكية، وليست لنا فيها أية مسؤولية. قلت: إننا نعرف ذلك.

وفي ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٢، أعلمني الوزير خدام أنه تقرر إطلاق سراح الميجر بارات بعد يومين، وأنه أعطى للسلطات الأمنية معلومات مفيدة جداً.

وبعد إطلاق سراحه، قدّمت الحكومة الأمريكية مذكرة احتجاج شديدة اللهجة، عن طريق السفارة الإيطالية بدمشق، قدّمتها القائم بالأعمال إلى مدير المراسم، تطلب اعتذار سورية عن سوء معاملتها لبارات، فأوعزت برد المذكرة إلى مرجعها.

ب) ٦- من جهة أخرى، اعتقلت السلطات السورية، في آذار ١٩٧٢، الطالب الأمريكي «جوناثان ييتس» بتهمة الاتصال بيهود دمشق وتأمين سفرهم إلى إسرائيل، أو تأمين اتصالهم بيهود إسرائيل، وقد أحيل إلى المحاكمة وكلف المحامي هاني البيطار بالدفاع عنه.

ب) ٧- نائب وزير الخارجية الأمريكي يطلب مقابلة وزيرنا: أثناء وجود الأستاذ عبد الحلیم خدام على رأس الوفد السوري إلى الأمم المتحدة، وخلال دورة ١٩٧٢، طلب جوزيف سيسكو، نائب وزير الخارجية الأمريكي مقابله، فبعث ببرقية يعرض الموضوع على السيد الرئيس. سألني الرئيس عن تقييمي للموضوع، قلت: إن الأمر يعود لسيادته، علماً أن سيسكو كان طلب ذلك من سليم اليافي عندما كان بالوفد أثناء دورة ١٩٦٩، فبعث يستوضح من الدكتور نور الدين الأتاسي، رئيس الدولة آنئذٍ، فجاء الجواب بالرفض. على كل، ما تأمرون به سأبلغه للأستاذ عبد الحلیم. قال: فلنفهم ماذا يريد (أي لا مانع من مقابلة سيسكو لنفهم ما يريد).

أرسل الأستاذ خدام، في الخامس من تشرين الأول ١٩٧٢، برقية فصّل فيها الحديث الذي أجراه سيسكو معه، والذي تبين منه رغبة أمريكا بتحسين علاقاتها مع سورية، ورغبتها بإقامة سلام في منطقة الشرق الأوسط يستند إلى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، كما بين سيسكو أن أمريكا والاتحاد السوفياتي متفقان على تجنب الصدام في منطقة الشرق الأوسط، أو أي منطقة أخرى تكون فيها للدولتين مصالح مباشرة.

ورد عليه الأستاذ خدام بأن العدوان الإسرائيلي على الدول العربية ما كان ليتم لولا الدعم الأمريكي السياسي والاقتصادي والعسكري، وإن الولايات المتحدة وإن كانت حريصة على إقامة السلم في المنطقة فعليها أن تلزم إسرائيل بالجلء عن

الأراضي التي احتلتها بالقوة عام ١٩٦٧، وبتأمين الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.

طالب سيسكو، أثناء هذه المقابلة، الإفراج عن الميجر بارات وقال: إن في المنطقة صعوبات كافية لا حاجة لزيادتها.

لمست من هذه المقابلة، ومن السماح بإجرائها رغبة الولايات المتحدة مد الجسور مع سورية في عهدنا الجديد، وإعادة العلاقات الدبلوماسية معها كيلا تدع المجال للاتحاد السوفياتي وللدول الاشتراكية أن تبقى منفردة في سورية، إلا أنها، ومع ذلك، فهي لا تستطيع تخفيف دعمها لإسرائيل ولا إنقاص مساعداتها المالية والسياسية والعسكرية لها.

كما لمست أن الرئيس حافظ الأسد، الذي بدأ عهده الجديد بالانفتاح على جميع الدول، شريقها وغربها، بعد أن حصل على تأييد كبير من فئات الشعب، لا مانع لديه من إقامة «شعرة معاوية» مع الولايات المتحدة، مستفيداً، في ذلك، من زيادة الدعم السياسي والعسكري من الاتحاد السوفياتي، ومقيماً نوعاً من التوازن في علاقاته الخارجية لمصلحة سورية، وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد.

ج) مع فرنسا: علاقة سورية بفرنسا كانت أفضل علاقاتنا مع الدول الغربية، نتيجة الموقف المشرف الذي وقفه الجنرال ديغول من العدوان الإسرائيلي على الدول العربية عام ١٩٦٧.

وقد بينت، فيما سبق، وشرحت الزيارات التي قام بها إلى باريس وزير الخارجية الأسبق الدكتور إبراهيم ماحوس، ثم الزيارة التي قام بها الدكتور يوسف زعين رئيس الوزراء على رأس وفد اقتصادي كبير إلى فرنسا واستقبال الجنرال ديغول لهم.

واستمرت هذه العلاقة الوطيدة بين البلدين والزيارات المتبادلة بعد الحركة التصحيحية، وازدادت قوة وعمقاً.

كانت أول زيارة في هذا العهد الجديد، زيارتي لباريس.

- زيارتي إلى باريس: وجهت إلي بعض الدول الأوروبية دعوات لزيارتها لشرح موقفنا من قضية فلسطين، ولتتمين العلاقات بين سورية وبين دولها، ومن هذه الدول اليابان وتركيا ويوغوسلافيا وهنغاريا وفرنسا. كنت أجب بقبولي لهذه الدعوات الكريمة - ما يفرضه علي العرف الدبلوماسي - وعدم تحديد موعد تليتها حتى تسمح ظروف العمل بذلك، ومن هذه الدعوات، دعوة رابطة الصداقة الفرنسية - العربية، التي تأسست عندما كنت في باريس، وطلب المشرفون عليها «لويس تيرنوار» رئيس

الجمعية و«لوسيان بترلان» أمين عامها و«بيير ديميرون» الصحفي الفرنسي الصديق، أن تكون زيارتي إلى باريس حول ١٧ نيسان بمناسبة العيد القومي - عيد الجلاء - . وافق الرئيس الفريق حافظ الأسد على تلييتي هذه الدعوة، وأصدر مرسوم الإيفاد اللازم.

غادرت دمشق صباح الخميس ٢٢ نيسان ١٩٧١ إلى باريس، حيث استقبلني الزملاء في السفارة ومعهم بيير ديميرون الصحفي والكاتب الفرنسي النشط، استقبلوني رسمياً من درج الطائرة وفتحوا لي صالون الشرف، ورافقوني بعدئذ إلى فندق Hotel de France حيث حجزوا لي لليلة واحدة فقط، نظراً لضغط الزيارات بمناسبة المعرض الدولي السنوي في باريس، ولم يستطيعوا العثور على أي غرفة في أي فندق آخر، فاضطرت أن أنتقل صباح اليوم التالي إلى دار السفير الفارغة، ذلك أن السفير الأستاذ كامل حسين كان قد نقل إلى دمشق وغادر باريس منذ مدة.

- حفلة الرابطة: أقامت رابطة الصداقة الفرنسية - العربية حفل استقبال في Salle des Cultivateurs في شارع Athènes، في الساعة السادسة والنصف من بعد ظهر الجمعة ٢٣ نيسان ١٩٧١، حضره عدد كبير من الفرنسيين والعرب والسوريين، وبعض السفراء العرب المعتمدين في فرنسا أو المعتمدين لدى منظمة اليونسكو.

في بداية الحفل، سعى شاب وفتاة من الاشتراكيين الصهاينة تعكير الجو، فرموا على الأرض بكيس فيه فئران بيض وضمفادع ومناشير معادية، فقفزت السيدات فوق الطاولات خوفاً من الفئران، وساد بعض الهرج والمرج، إلا أن السيد بهاء طبال، مدير مكتب شركة الطيران السورية في باريس، وبعض مرافقيه تمكنوا من القبض على الشاب والفتاة وسلموهما إلى الشرطة التي كانت تحرس المكان، وعاد الحفل يأخذ مجراه الطبيعي والناجح، فألقيت كلمة عن موقفنا من قضية الشرق الأوسط كما ألقى رئيس الرابطة «لويس تيرنوار» كلمة، والكاتب «بيير ديميرون» كلمة و«بول بالتا»، الصحفي في جريدة الموند المشهورة، كلمة عن معنى الجلاء وما حققته سورية من تقدم في مجال الاقتصاد والبناء في عهد الاستقلال، ثم عرض فيلم «سورية الحديثة» عن المشاريع الكبرى ولا سيما مشروع السد على الفرات.

كانت الحفلة إجمالاً ناجحة، حضرها ما يقرب من ثلاثمائة شخص، ثم سجلت في نهايتها حديثاً لإذاعة «راديو لوكسمبورغ» عن موقفنا من قضية الشرق الأوسط.

بعدئذٍ قمت والأستاذ عدنان نشابة، القائم بأعمال سفارتنا، بزيارة لمعرض باريس الدولي الذي افتتح قبل يوم وشاركت فيه أكثر الدول العربية: المغرب، الجزائر،

تونس، ليبيا، الجمهورية العربية المتحدة، السعودية، الكويت، موريتانيا والعراق، ولم تشارك فيه سورية.

- زيارة مساعد مدير عام اليونسكو: صباح الاثنين ٢٦ نيسان، زرت الدكتور مأمون كنان (سوري) مساعد مدير عام اليونسكو وبحث معه موضوع الكتب المدرسية في مدارس اللاجئين: بانتظار مقابلة المسيو «رونيه ماهو» مدير عام اليونسكو.

- زيارة سفير السويد: وفي المساء زرت السفير السويدي «غونار هيغلوف»، صديقنا، الذي ورد ذكره أكثر من مرة في هذه المذكرات، كان مدعواً منذ يومين لدى «إدوارد هيث»، رئيس وزراء بريطانيا، على عشاء أقامه على شرف «أنطوني إيدن» رئيس الوزراء البريطاني الأسبق بمناسبة بلوغه ٧٥ سنة. كان الحديث هاماً، قال هيث لهيغلوف أثناءه إن بريطانيا مستعدة لإعادة العلاقات الدبلوماسية مع سورية إن هي رغبت ذلك. سأله هيث هيغلوف عن وضع الفدائيين في الأردن، وتبين أنه على غير اطلاع على أوضاعهم وعلى دقائق الأمور. وقال هيث إنه سيحدث روجرز بالموضوع، وسيكون صلباً معه لأن الوضع يهدد بانفجار عالمي... ونقل هيث حديثه مع الرئيس نيكسون في تشرين الثاني الماضي، وقال: لا أود أن أدعي أن حديثي كان سبب الخطاب الذي ألقاه نيكسون، والذي ذكر فيه لأول مرة ضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية إلى حدود ما قبل ٥ حزيران مع تعديلات طفيفة، إلا أنه ساعد على إقناعه بذلك. كان هيث مهتماً بإعادة فتح قناة السويس.

سأل هيث هيغلوف عن سورية، فقال: كنت فيها منذ مدة قريبة (عندما دعوته وزوجته لزيارتنا) وقابلت وزير الخارجية فيها، والوضع الآن أفضل من الماضي بكثير، وهناك انفتاح داخلي وخارجي، وإن تصلب سورية مرده تعنت إسرائيل ومطامعها التوسعية في المنطقة. قال هيث: إننا لا نعلم ما يجري في سورية لعدم وجود تمثيل سياسي لنا فيها.

سأله هيغلوف: هل تريدون عودة العلاقات معها؟ فقال هيث: نريد ذلك، لكننا لا نعلم ما هو موقف سورية. فقال هيغلوف: إنني قابلت وزير الخارجية السوري وحدثته بالموضوع، وأعتقد أنني لمست لديه استعداداً ولكن بعد فترة.

في اليوم التالي، الخميس ٢٩ نيسان، زرت السفارة السورية وسجلت حديثاً لإذاعة مونت كارلو، ثم قمت، في الساعة الثانية عشرة، بزيارة الكونت ده بروغلي (يلفظ: ده بروي) رئيس لجنة الشؤون الخارجية في المجلس الوطني (البرلمان). تحدثنا عن

زيارة روجرز لفرنسا وللشرق الأوسط: لا يعتقد أنها ستعطي أية نتيجة، وهو لا يفهم تصلب الإسرائيليين الذي سيؤدي بهم إلى التهلكة... إنه يخشى أن تنفرد مصر بعقد صلح مع إسرائيل، ويعتقد أن ذلك لن يكون من مصلحة السلام. قابل عبد الناصر قبل وفاته بيوم واحد. قال له ناصر: لقد حملنا العرب على أيدينا حتى الآن، وحن لنا أن نحمل مصر الآن. يعتقد أن إسرائيل لن تنسحب من جميع الأراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧، وستحتفظ بالقدس والجولان وشرم الشيخ. قال: يجب انتظار مجيء «دايان» للحكم، فهو وحده يستطيع فرض حل على إسرائيل.

- زيارة مدير عام جريدة الموند: بعد الظهر، قمت بزيارة المسيو «جاك فوفيه»، مدير عام جريدة الموند الشهيرة. قال إن معلوماته أن روجرز يحمل مشروعاً لإعادة فتح القناة - قناة السويس -، أما بالنسبة لقضية فلسطين فلا يعتقد بنجاح مهمة روجرز لأنه لا يستطيع الضغط على إسرائيل.

بعدها، قمت بزيارة المسيو «ألفان»، أمين عام وزارة الخارجية، كان حضر صباح ذلك اليوم مباحثات روجرز مع «موريس شومان» (وزير الخارجية الفرنسي)، قال إن روجرز متفائل من زيارته هذه ويعتقد أن في الاتصال الشخصي فائدة، وأنه كان يود الاتصال بالمسؤولين السوريين وأن تكون له علاقة معهم. (عندما مرت طائرته في الأجواء السورية أرسل برقية شكر لوزير خارجيتنا بقيت بدون جواب لأنها عرضت عليه بشكل متأخر جداً، ولعدم وجود علاقات دبلوماسية بين البلدين).

ثم قمت بزيارات للمسيو «ده بومارشيه» مدير عام الشؤون السياسية، والمسيو «رويون» معاون مدير إفريقيا والشرق الأوسط، والمسيو «ده لوس» مدير أفريقيا والشرق الأوسط في الخارجية الفرنسية.

- زيارة مدير عام اليونسكو: في الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الجمعة ٣٠ نيسان، قمت بزيارة المسيو «رونيه ماهو» مدير عام اليونسكو. سلمته الرسالة الجوابية التي بعث بها إليه السيد عدنان بغجاتي، وزير التربية، وتبين من قراءته السريعة لها أنه قد اطلع عليها من الدكتور كناني، وعلى حديثي معه بشأن الكتب المدرسية التي تدرس في مدارس وكالة الغوث، وكان منشراحاً وإن كان الكتاب لم يتجاوب مع جميع رغباته، واستأذن بنشره، فسمحت له بذلك. قال إنه كان دوماً يثق بالسوريين، إلا أنه كانت تعوزه الوثائق التي تجسد ثقته، وأثنى على موقف سورية، ثم تعرّض لموضوع القدس وضرورة إثارة القضية في الدورة الحالية للمجلس التنفيذي، مشيراً إلى القرار السابق الذي اتخذته المجلس منذ عامين، والذي يطلب إلى اليونسكو أن

يتدخل للحيلولة دون المساس بطابع القدس التاريخي، إلا أن الحكومة الأردنية لم تقبل بذلك، وإن ما يجري في القدس الآن خطير وينقسم إلى ثلاث عمليات:

١- حفريات تنقيية في القدس القديمة، ولا سيما حول المسجد الأقصى للكشف عن معبد سليمان.

٢- تعيد بناء الكنائس اليهودية التي دمرت في حربي ٤٨ و ٦٧، ولا مخالفة في ذلك.

٣- تغيير معالم مدينة القدس بإشادة أبنية كثيرة جديدة لإسكان اليهود الجدد. ثم قال «ماهو»: أعتقد أن على الدول العربية، خلال هذه الدورة للمجلس التنفيذي، أن تتخذ قراراً بإحياء القرار المتخذ منذ عامين، وإرسال لجنة للقدس تحول دون أعمال الحفر والبناء.

كان المسيو «ماهو» يدافع عن قضايانا أكثر مما نستطيع أن ندافع عنها نحن، فشكرته.

- زيارة رئيس الوزراء الأسبق: زرت، في العاشرة والنصف من يوم الاثنين ٣ أيار، المسيو «كوف ده مورفيل»، آخر رؤساء وزراء الجنرال ديغول وأوثق المقربين إليه، رافقني في هذه الزيارة عدنان نشابة، القائم بأعمال سفارتنا في باريس. كان كوف ده مورفيل، كعادته، في غاية اللطف، وقال إنه يكتب الآن كتاباً يضمّنه آراءه ومذكراته^(١). سألتني إن كنت زرت المسيو «موريس شومان» وزير الخارجية، قلت لم أستطع، قال إن شومان دائم السفر، وكان على أهبة السفر إلى موسكو.

سأل عن الوضع الجديد في سورية، فشرحت له التغيير الأخير والانفتاح الداخلي والخارجي. قال: إن الوضع الداخلي يتحكم به وضع المنطقة السياسي وقضية الشرق الأوسط والتأزم في المنطقة. ثم سأل عن الوحدة وتكوينها. قلت: إنهم (أي الدول العربية) سعوا لتجنب الأخطاء الماضية. فقال: أي أن تحكم مصر سورية كما فعلت في الوحدة السابقة. تطرقنا للقضية الفلسطينية، فقال إنه لا يرى كيف يمكن أن يتم الحل، فإسرائيل لن تتخلى عن الأراضي، التي احتلتها، إلا بالقوة أو بضغط أمريكي كما حدث عام ١٩٥٦. أما القوة، فإسرائيل الآن أقوى من الدول العربية، وأما الضغط الأمريكي، فليس يرى كيف يمكن لأمریکا أن تمارسه على إسرائيل، والوضع يختلف الآن عما كان عليه عام ١٩٥٦، وقال: لذا فإنني متشائم بالنسبة للمستقبل. أكدت له

(١) Une Politique Etrangère. Par: Maurice Couve de Murville، صادر عن مؤسسة PLON، عام ١٩٧١.

الدعوة، وأن سورية مستعدة لاستقباله في أي وقت يشاء. وعد بتلبية ذلك في موعد قادم. سأل عن المشاريع الإنمائية، فأطلعته على ما تحقق منها وما هو قيد التنفيذ، لا سيما مشروع السد على الفرات واستصلاح الأراضي. كانت الزيارة ودية للغاية.

- زيارة قبر الجنرال ديغول: في اليوم التالي ذهبت وأديب الخاني، المستشار في السفارة، لزيارة قبر الجنرال ديغول في قريته Colombey Les Deux Eglises التي تبعد ٢٦٠ كيلومتراً عن باريس.

القبر بسيط، في مقبرة صغيرة جانب كنيسة القرية في الساحة العامة. سألت الشرطي عن إمكانية شراء زهور لوضعها على القبر، قال إنه لا يوجد بائع زهور في القرية، كما أن ذلك ممنوع. سألت عن سجل التشريفات لأسجل كلمة بمناسبة زيارتي، فقال لي إن سجل التشريفات فتح لمدة شهر ثم عُثِّبَ به فألغوه.

يرقد ديغول إلى جانب ابنته آن Anne، التي ولدت عام ١٩٢٨ وتوفيت عام ١٩٤٨. القبر مهيب رغم بساطته. سعيانا لزيارة بيته، فقالوا إنها ممنوعة ومحاطة بحراسة شديدة، فمررنا أمامها ذهاباً وإياباً. هنالك دكان صغيرة لبيع الكتب عن ديغول ومذكراته وصوره، إلا أن القرية أصبحت في أيام السبت والأحد محجاً يزورها الألوف من الفرنسيين. تناولنا الغداء في مطعم جديد كان قد افتتح من أيام، وهو المطعم الوحيد في القرية الصغيرة، وعدنا مساءً إلى باريس.

- زيارة مدام بينه Mme Binh: يوم الأربعاء في ٥ أيار، ذهبت والزميل عدنان نشابة لزيارة «مدام بينه»، رئيسة وفد فييتنام (الحكومة الثورية المؤقتة) في المفاوضات مع الجانب الأمريكي، وكانت تربطني بها صداقة عندما كنت في باريس، ومنذ أن بدأت «مفاوضات المائدة المستديرة»، وأصبحت، فيما بعد توحيد فييتنام، وزيرة الخارجية، وقامت بزيارات عدة لسورية.

تحدثنا عن القضية الفيتنامية والمباحثات في باريس، وقد بلغ عدد الاجتماعات ١٠٢ اجتماعاً. كانت متفائلة وتقدر قيمة العمل الدبلوماسي والسياسي إلى جانب العمل العسكري. استبعدت تبادل الأسرى عن طريق السويد، كما أشارت لذلك صحف ذلك اليوم، كما تحدثنا عن قضية الشرق الأوسط.

بعد الظهر، ذهبت لزيارة السيد «مبو M'Bow»^(١) مدير قسم وكالة الغوث في

(١) بعد انتهاء فترة المسيو «ماهو»، وكان يأمل بتجديدها، انتخب المسيو «مبو»، مديراً عاماً لليونسكو خلفاً للمسيو «ماهو».

اليونسكو. كان وزيراً للتربية في السنغال. سر لزيارتي ولموقف سورية بالنسبة لوكالة الغوث بشكل عام ولموضوع الكتب بشكل خاص، ويأمل باستمرار التعاون، وفي شراء الكتب المدرسية لأبناء اللاجئين في المدارس التي تشرف عليها وكالة الغوث. قال: إن المدير العام، المسيو «ماهو»، كان مسروراً لنتيجة مقابلي له. بعد انتهاء زيارتي إلى باريس، عدت مساء الجمعة ٧ أيار إلى دمشق، وقد ودّعتُ بمثل ما استقبلت به من عناية وتكريم.

وفي دمشق، أطلعت الوزير الأستاذ عبد الحليم خدام على مجمل ما قمت به في باريس، فكان مسروراً.

كانت الزيارة ناجحة سواء بالاتصالات التي أجريتها مع كبار الشخصيات الفرنسية، أو بالأحاديث التي أدليت بها إلى شبكات الإذاعة والتلفزيون الفرنسية، مما دعا رابطة الصداقة الفرنسية - العربية وشبكة التلفزيون الفرنسية إلى إفاد الأمين العام للرابطة «لوسيان بيترلان»، والكاتب والصحفي «بيير ديمبيرون» ومندوب التلفزيون الفرنسي «رونيه لانور» إلى دمشق، بعد عودتي بأسبوع، لإخراج فيلم عن سورية في عهدها الجديد، يبرز التقدم الذي أحرزته في مجالات البناء والصناعة والزراعة والاقتصاد بشكل عام. وهيأت لهذا الوفد برنامجاً خاصاً لمقابلة الشخصيات السورية والاطلاع على ما يبرز تقدمنا في هذه المجالات.

- الوفود الفرنسية: في الرابع من حزيران ١٩٧١، وصل وفد أرباب العمل الفرنسي، فهيأنا وفداً سورياً مقابلاً لإجراء المباحثات الاقتصادية معه، كما قدّمنا لائحة بالمشاريع المرغوب مساهمة فرنسا فيها، وأخذنا الوفد بجولة سياحية فوق سورية زرنا خلالها اللاذقية وحلب والسد وتدمر، فكان الوفد في غاية السرور ووعد بتنفيذ بعض هذه المشاريع، وبتنفيذ الاتفاق الثقافي الموقع بين البلدين.

- زيارة وزير الدولة الفرنسي للشؤون الخارجية: كما وصل، في ٢٠ أيلول ١٩٧١ المسيو جان دوليكوفسكي، وزير الدولة الفرنسي للشؤون الخارجية، على رأس وفد رسمي، وأجرى مباحثات مستفيضة مع الأستاذ عبد الحليم خدام بحضوري، كان أهم ما فيها قضية الشرق الأوسط، وقد شرح له الأستاذ خدام موقفنا منها. قال ده لييكوفسكي: إن فرنسا لا تريد أن تلعب دور الدولة العظمى بل إنها دولة بحجم متوسط، وإنها تحرص على حرية واستقلال الشعوب، ولا سيما شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط، وإنها تدعم إقامة سلام عادل في الشرق الأوسط يستند إلى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بالمفهوم الفرنسي (أي الانسحاب من جميع الأراضي).

قدّمنا للوزير مفكرتين، تتعلق الأولى بالمواد التي تعاقبت عليها وزارة الدفاع مع بعض الشركات الفرنسية لشراء معدات وتجهيزات، والثانية تتعلق بالاتفاق الفرنسي - الإسرائيلي المعقود عام ١٩٥٩، الخاص بازدواج الجنسية بين البلدين، والذي يسمح لمزدوجي الجنسية بالانخراط في جيش إحدى الدولتين التي تطلبه أثناء السلم أو الحرب، فاستغرب الوزير الفرنسي ذلك، ووعد برفع الموضوع إلى الرئيس بومبيدو، وقال: كيف لا نسمح بإرسال بندقية إلى إسرائيل ونسمح لجنودنا بالانخراط في جيشها؟

- زيارة السيد جورج غورس: حضر لزيارتنا، في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٧٢، السيد جورج غورس، النائب في مجلس النواب الفرنسي (الجمعية الوطنية)، وعضو لجنة الشؤون الخارجية عن حزب UDR ووزير الإعلام في الوزارة التي كان يرأسها جورج بومبيدو عام ١٩٦٨.

استقبلته في السابع عشر من كانون الثاني بحضور السفير الفرنسي أندريه نيغر، وبحثنا العلاقات الثنائية بين البلدين. أكد المسيو غورس استمرار السياسة التي أرسى دعائمها الجنرال ديغول وسار عليها المسيو بومبيدو بإقامة أوثق العلاقات مع البلاد العربية. قال إنه، قبل مجيئه، قابل الرئيس بومبيدو والمسيو شومان وزير الخارجية اللذين أكدا له دعم فرنسا لإقامة سلم عادل ودائم في الشرق الأوسط، يستند إلى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بالمفهوم الفرنسي، الذي يعني انسحاب جميع القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧.

وأكد المسيو غورس أن موضوع ازدواج الجنسية لدى يهود فرنسا، بما يسمح لهم بالتطوع في الجيش الإسرائيلي، هو قيد التصفية، كما أن شراء طائرات ميراج الحربية الفرنسية من قبل إسرائيل قد توقف، وإن المبالغ التي دفعت لقاء ذلك قد أعيدت لإسرائيل.

ثم أثار المسيو غورس موضوع اليهود السوريين وإمكانية السماح لهم بمغادرة سورية. قلت له: إنهم سوريون ويتمتعون، كغيرهم من أتباع الديانات، بجميع مزايا المواطنة السورية، ولا نسمح لأحد بالتدخل في شؤونهم، ولا يمكن أن نسمح لإسرائيل بأن تدعي أنها تمثل يهود العالم.

أشار إلى الضغوط التي تمارسها الجمعيات اليهودية، ولا سيما (جمعية الصداقة الفرنسية - الإسرائيلية برئاسة «ألان بوهير» رئيس مجلس الشيوخ)، على الحكومة الفرنسية، وقال إن إخراجهم يقوي موقف فرنسا ودعمها للقضايا العربية.

وفي ١٨/١/١٩٧٢، استقبل الأستاذ عبد الحلیم خدام المسیو غورس بحضوري، واستعرض معه المواضيع التي كان أثارها معي، وكانت أجوبة الوزير مشابهة لأجوبيتي.

يبدو أن الغرض الرئيسي من زيارة مسیو غورس السماح بإخراج اليهود من سورية.

د) مع اليونان: زيارة نائب رئيس الحكومة اليونانية المسیو باتاكوس: زارنا في الحادي عشر من حزيران ١٩٧٢ السيد باتاكوس نائب رئيس الحكومة اليونانية وصاحب الانقلاب العسكري فيها، على رأس وفد رسمي ضم وزير الخارجية وعدداً من المسؤولين اليونانيين، وقد عقدنا معه، والوفد المرافق له، اجتماعاً في اليوم التالي أكد لنا فيه أن اليونان لن تعترف بإسرائيل، كما بحثنا العلاقات الثنائية الثقافية والتجارية والاقتصادية وتم الاتفاق على دعمها وتنميتها، ووجه دعوة رسمية للوزير لزيارة اليونان.

في المساء، أقام له الأستاذ عبد الحلیم حفل عشاء في نادي الشرق. وفي اليوم التالي قام الضيف بزيارة إلى مصنع الدبس للنسيج، وإلى معمل الزجاج والخزف، كما زار رئيس الوزراء، ثم استقبله السيد الفريق.

وتناول الغداء في صيدنايا بدعوة من البطريرك الأرثوذكسي، وغادرنا في اليوم التالي إلى لبنان، حيث استقبله على الحدود نائب رئيس الوزراء وبعض الوزراء والسفير اليوناني في بيروت وأعضاء من الجالية اليونانية في لبنان، وودعه من جانبنا وزير الخارجية ومدير المراسم وأنا معهما.

هـ) العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا الغربية: جاء لزيارتي مودعاً، في ٢٨ آب ١٩٧١، المسیو ده بوفيه المستشار الفرنسي المسؤول عن رعاية المصالح الألمانية، وقال إن الألمان متفائلون من عودة العلاقات مع الدول العربية، وأضاف إن ليبيا لها علاقات دبلوماسية مع ألمانيا الغربية، ومصر تميل لإعادتها (وهي طرية)، وإن توحيد السياسة الخارجية بين دول الاتحاد ستؤدي بهذه الدول إلى إعادة النظر بسياستها الخارجية، وقال إن مدير مكتب الجامعة العربية في «بون» قابل «والتر شيل»، وزير خارجية ألمانيا، وأشارت الأنباء إلى أن البحث تطرق إلى إعادة العلاقات.

قلت: إن ذلك يتوقف على موقف ألمانيا من إسرائيل، وإن الذي دفعنا إلى قطع العلاقات معها هو اعترافها بإسرائيل وتحدي الدول العربية، وإغداق المساعدات

المالية والعسكرية على إسرائيل، فإذا ما أعادت ألمانيا النظر بعلاقاتها مع إسرائيل، أمكننا إعادة النظر بعلاقتنا معها.

وفي ٢٣ كانون الأول ١٩٧٢، وصل إلى دمشق من بيروت السيد فيشنفسكي، رئيس الحزب الاشتراكي الديمقراطي في ألمانيا، يرافقه المدير العام للشؤون السياسية للحزب، وأجرى مع الوزير خدام في وزارة الخارجية مباحثات حول إعادة العلاقات مع ألمانيا الاتحادية، وسعى الوزير للحصول منه على مفهومه لحجم المساعدات التي يمكن لألمانيا تقديمها لسورية فلم يفصح عنها، وقال إنه بعد إعادة العلاقات يمكن بحث كل مشروع على حدة.

طلب إلي الوزير أن أدعوه للغداء والاستيضاح منه عن حجم المساعدات، فدعوته مع بعض الزملاء في الخارجية السورية، وبحثنا موضوع العلاقات وما تستوجبه من تعاون في المجالات السياسية والاقتصادية، وبينت له تاريخ هذه العلاقات وقوتها منذ الحرب العالمية الثانية، كما أنه يوجد في ألمانيا ما يقرب من أربعة آلاف طالب يدرسون في جامعاتها، كما أن حجم التبادل التجاري بين سورية وألمانيا الاتحادية هو أوسع منه مع أي بلد آخر، ولم أتعرض لسؤاله عن حجم المساعدات المالية التي يمكن لبلاده أن تقدمها لنا، لأنني لمست أنه غير مخول ببحث هذا الموضوع، وإنما أشرت إلى ما تقدمه ألمانيا من أموال إلى إسرائيل، وقلت: إنها قدّمت في العام الماضي ١٤٥ مليون مارك. قال: إنه قرض واشترطنا استعماله في البناء وفي وجوه مدنية. قلت: لا يوجد مارك ينفق في شراء الأسلحة وآخر في بناء الطرق أو الدور، فالمارك الذي يستعمل في البناء يحرر ماركاً يشتري أسلحة. قال: كنا مددنا يدنا إلى الدول العربية في ١٣ و ١٤ تشرين الثاني الماضي، إلا أن وزير الخارجية السوري رفض ذلك. قلت: الموضوع غير ما تفضل به، فقرار قطع العلاقات مع ألمانيا عام ١٩٦٥ اتخذ بناء على قرار من مجلس جامعة الدول العربية، وإلغاؤه يجب أن يتخذ بالطريقة نفسها، وأما اجتماع ١٣ و ١٤ تشرين الثاني فقد كان لموضوع آخر، وأثار وزيرنا نقطة نظام ولا علاقة لذلك باليد الممدودة لنا. وأنهيت الحديث المطول بأن لألمانيا مصالح واسعة في البلاد العربية وعليها أن تتخذ الخطوة المناسبة من قبلها.

و) العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا: في العاشر من تشرين الثاني ١٩٧٢، اتصل بي من بيروت المستر جيمس كريغ، مدير إدارة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في وزارة الخارجية البريطانية، يطلب مقابلي.

بعد الاستئذان من السيد الرئيس والحصول على موافقته، استقبلته في ١٢/١١/١٩٧٢، وكان حديثاً طويلاً عرض أثناءه رغبة بريطانيا بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع سورية، وأنها ستبعث قريباً بوفد برلماني لزيارة سورية مؤلف من عضوين من حزب المحافظين وعضوين من حزب العمال. استعرضنا مواقف بريطانيا المؤيدة لإسرائيل والمعادية للعرب، فعزا ذلك إلى سيطرة اليهود على وسائل الإعلام البريطاني وأثرهم في مجلس العموم منذ القديم، وغياب الوجود والتأثير العربي في بريطانيا. قلت: إن موضوع إعادة العلاقات يجب أن يبحث في قيادة الحزب، ومتى توصلنا إلى قرار، أبلغناكم إياه.

كان المستر إدوارد هيث، رئيس الوزراء البريطاني، قد أعرب عن رغبته بإعادة العلاقات مع سورية، في الحديث الذي أجراه مع السفير السويدي غونار هيغلوف، والذي أشرت إليه في مجال زيارتي لباريس. المستر كريغ إسكوتلندي عمل في السفارات في بيروت وجدة، ودرس اللغة العربية وأتقنها، وهو صديق للعرب ويؤمن بحقوقهم.

ز) زيارة وزير خارجية إيطاليا إلى دمشق: وصل «ألدو مورو» وزير خارجية إيطاليا إلى الحدود السورية - اللبنانية، صباح الأول من كانون الأول ١٩٧١، قادماً من بروكسل حيث حضر اجتماعاً للسوق الأوروبية المشتركة. اشتركت مع الوزير خدام ومدير المراسم فائز النحلاوي وسفير إيطاليا باستقباله.

عقدنا في وزارة الخارجية أول اجتماع معه، وكان في الشهر الماضي قد قام بزيارة إلى إسرائيل والتقى حكامها، واطلع على وجهة نظرهم في قضية الشرق الأوسط. كان يركز في مباحثاته معنا على انفتاح إيطاليا على جميع دول العالم، ولا سيما على الدول العربية التي تربطها بها علاقات تاريخية وثقافية واقتصادية.

ثم عقد الوفدان، السوري والإيطالي، عدداً من الاجتماعات أسفرت عن توقيع اتفاق ثقافي بين البلدين، وأعرب «ألدو مورو» عن استعداد إيطاليا للمساهمة في المشاريع الصناعية والإنمائية في سورية، ثم وضعنا طائفة خاصة تحت تصرفه نقلته وباقي الوفد إلى تدمر فكان مسروراً جداً. وبعد العشاء الذي أقامه له الوزير عبد الحليم خدام، استقبله الفريق (رغم انحراف صحته) فقدّر له ذلك تقديراً كبيراً، وفي صباح الجمعة ١٢/٣ غادرنا إلى لبنان ليقوم بزيارة رسمية إليه.

ح) زيارة وزير خارجية السويد: حضر من بيروت السيد «كريستر فيكمان» وزير خارجية السويد، واجتمع إلى وزير الخارجية عبد الحليم خدام، وكان الحديث

مجاملة، ثم دعاه الوزير إلى الغداء حضره القائم بأعمال السويد، كما حضرته مع بعض الزملاء في الخارجية، وعاد مساء إلى بيروت.

ط (الوفد البلجيكي: وصل إلى الحدود السورية - اللبنانية المسمى «هارمل» وزير خارجية بلجيكا، في زيارة رسمية، وكان في استقباله على الحدود الوزير عبد الحليم خدام، وكنت معه.

أجرينا مباحثات معه، في ١٣ حزيران ١٩٧١، بعد وصوله بقليل، في وزارة الخارجية، تناولت الوضع في الشرق الأوسط وقرار دول السوق الأوروبية المشتركة الأخير، الخاص بانسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي المحتلة، مع تعديلات طفيفة يتفق عليها الطرفان. كان الوزير البلجيكي هارمل متحفظاً جداً في أحاديثه.

وبعد اجتماعه معنا، قام بزيارة لرئيس مجلس الوزراء اللواء عبد الرحمن خليفوي، ثم استقبله الفريق حافظ الأسد لمدة ساعة كاملة.

بعد الظهر، قام الوزير بجولة سياحية في المدينة زار خلالها الجامع الأموي وقصر العظم ومتحف دمشق.

وفي اليوم التالي، ذهبت لمرافقته من الفندق إلى الحدود اللبنانية فكان شديد التأثر لعنايتنا به، وقد بدا عليه تفهمه، بل قناعته بموقفنا من القضية الفلسطينية وإن كان يركز دوماً على السلام في المنطقة وعدم اللجوء إلى الحرب.

ي(زيارة وزير خارجية إسبانيا: وصل إلى دمشق، في العاشرة من صباح ١٨ حزيران ١٩٧٢، السيد «لوبيث برافو» وزير خارجية إسبانيا على رأس وفد رسمي. استقبله في المطار وزير الخارجية الأستاذ عبد الحليم خدام، وكنت معه، وبعض موظفي الخارجية والسفير الإسباني وعدد من أعضاء الجالية الإسبانية بدمشق.

بعد استراحة قصيرة بالسفارة، جاء إلى وزارة الخارجية وأجرى مباحثات مع الأستاذ عبد الحليم خدام، جرى خلالها تبادل وثائق إبرام الاتفاق الثقافي المعقود بين البلدين. ركز برافو في محادثاته على أن إسبانيا تدفع ثمن وقوفها إلى جانبنا إعلامياً واقتصادياً، وأن البلاد العربية تعامل على قدم المساواة الدول التي اعترفت بإسرائيل وتتعاون معها وتلك التي رفضت الاعتراف بها.

قلنا له إن معاملتنا لإسبانيا معاملة ممتازة، ونحن على استعداد لتوطيد علاقاتنا بها إلى أبعد الحدود.

بعد زيارته للخارجية، ذهب لزيارة رئيس الوزراء اللواء عبد الرحمن خليفاي، ثم استقبله الفريق حافظ الأسد وأجرى معه مباحثات مكثفة خرج منها مسروراً وبانطباع ممتاز.

دعاه الأستاذ عبد الحليم وصحبه إلى حفل غداء في نادي الشرق، وهياناً له بعد الغداء جولة في دمشق زار أثناءها معالمها الرئيسية، ثم حضر قداساً ثم استقبل الجالية الإسبانية في السفارة الإسبانية، وحضر العشاء الذي أقامه السفير الإسباني في السفارة التي أعجب بها كونها متحفاً أثرياً.

ك (زيارة آدم مالك، وزير خارجية أندونيسيا : في مساء اليوم الذي غادر فيه وزير خارجية إسبانيا دمشق، أي في ٢٤ حزيران ١٩٧٢، وصل السيد آدم مالك وزير خارجية أندونيسيا إليها. ذهبت برفقة الأستاذ عبد الحليم إلى مشارف الكسوة لاستقباله، واصطحبناه إلى ساحة الأشمر في مدخل دمشق حيث حيّته ثلة من الشرطة، ورافقناه حتى الفندق حيث كان في استقباله عدد من أعضاء الجالية الأندونيسية. بحث مع الوزير الطريق التي سيسلكها للوصول إلى جورجتاون، حيث سيعقد مؤتمر عدم الانحياز.

في اليوم التالي، جاء إلى وزارة الخارجية حيث أجرى مباحثات مع الوزير خدام. لاحظت أنه واسع الأفق، يحسن عرض أفكاره ويقنع بها، دقيق في ملاحظاته. استعرضنا الوضع في بنغلادش وفي جنوب شرق آسيا ومنطقة الشرق الأوسط وقضية فلسطين، والأمن في أوروبا وفي البحر الأبيض المتوسط، وقضية الفيتنام، وكانت وجهات نظرنا متفقة حتى في موضوع المؤتمر الإسلامي. بعد الخارجية، رافقت الوزير الضيف لزيارة رئيس الوزراء اللواء خليفاي.

ل (زيارة السير جون ريني لدمشق : في الرابع من تشرين الأول ١٩٧٢، حضر لزيارتي السير جون ريني، المشرف العام على وكالة غوث اللاجئين. قال إنه أحب رؤيتي قبل سفره إلى الأمم المتحدة ليرى إن كنا نريد إثارة بعض المواضيع. أشرت إلى ثلاثة مواضيع أريد إثارتها في الأمم المتحدة:

١- تهجير العائلات العربية من قطاع غزة بعد هدم بيوتهم، وقد بلغ عدد أفراد هذه العائلات أربعين ألفاً.

٢- موضوع الكتب المدرسية الموقوف لتدريسها في مدارس وكالة الغوث والبالغة ٢٩ كتاباً، وبحث الموضوع مع الميسورونييه ماهو مدير عام اليونسكو.

٣- استمرار السلطات الإسرائيلية بتخريب مدينة القدس بحجة التنقيب عن الآثار القديمة، بشكل مخالف لاتفاقيات جنيف وقرارات الأمم المتحدة.
فوعد بإثارة هذه المواضيع، والدفاع عن وجهة نظرها.

(م) زيارة نائب وزير الخارجية الإيطالية: زارنا في السابع من كانون الأول ١٩٧٢ السيد «ماريو بديني»، نائب وزير الخارجية الإيطالية. كان الغرض من هذه الزيارة التوقيع على الاتفاقيات التي كان عقدها معنا وزير الخارجية الإيطالية «ألدو مورو» أثناء زيارته لدمشق، إلا أن ما قاله لي السفير الإيطالي بعدئذ إن نائب الوزير كان سمع من الوزير عن جمال تدمر وقيمتها، فجاء في الواقع لزيارة تدمر في المقام الأول ولتوقيع الاتفاقيات، وقد استأجرت السفارة الإيطالية من شركة الطيران السورية طائرة صغيرة خاصة بـ ٣٣٠٠ ليرة سورية لنقل نائب الوزير، الذي جلب معه عدداً من آلات التصوير، إلى تدمر.

(ن) زيارة مدير عام اليونسكو لسورية: وصل إلى دمشق، في الخامس والعشرين من كانون الأول ١٩٧٢، المسيو «رونه ماهو» مدير عام اليونسكو، وأجرى مع وزير التعليم العالي ووزير الثقافة بعض المباحثات، ثم أخذناه بجولة سياحية إلى شهباء حيث زرنا لوحات الفسيفساء البديعة المكتشفة حديثاً، ثم مدينة بصرى ومدراجها ومسرحها النادر، ثم الشارع الجميل الذي اكتشفوه حديثاً والسوق المغطاة والقلعة. في طريق العودة بالسيارة، تحدثت مع المسيو ماهو عن موضوع الكتب المدرسية، واتفقنا على أن نطلعه على التعديلات التي ندخلها بشكل مستمر على البرامج والنصوص، وأن أبعث إليه ببعض هذه الكتب لتشكّل لديه القناعة بالتعديل، فيرفع الحظر عن الـ ٢٤ كتاباً الموقوف تدرسيها في مدارس الوكالة، كما اتفقنا على تكليفه بمباحثة الأتراك ليركوا لنا ولليونسكو الإشراف على قبر سليمان شاه، على أن يأتي الاقتراح من قبله لا من قبلنا.

(س) الأرجنتين تمنحني أعلى وسام: طلب سفير الأرجنتين «أنريكه لوبيز» زيارتي، فاستقبلته يوم الاثنين ١٨ / ١٠ / ١٩٧١. قال: إن الحكومة الأرجنتينية، توثيقاً لعلاقات الصداقة بين البلدين، قررت منحني الوسام الأكبر من جوقه مايو، وهو أعلى وسام يمنح لديبلوماسي أجنبي، ويريد أن يقيم حفلة لتقليدي هذا الوسام، بحضور وزير خارجية الأرجنتين السابق السيد خوان مارتين الذي سيزور سورية الأسبوع القادم.

شكرته على ذلك، وقلت له: لا يمكنني قبوله ما لم يوافق السيد الرئيس على

ذلك. واستمهلته لأستاذ السيد الرئيس بقبوله. ذكرت ذلك للأستاذ عبد الحليم الذي نقل الخبر للسيد الرئيس، فوافق على قبولي للوسام.

أعلنت السفير «لوبيز» بذلك، فحدد موعداً لتقليدي الوسام يوم الخميس ٢٨/١٠/١٩٧١، وهياً حفلة يقيمها في السفارة دعا إليها بعض الوزراء والسفراء وكبار موظفي وزارة الخارجية، كما حضرها وزير الخارجية الأرجنتينية السابق «خوان مارتين». كان الأستاذ عبد الحليم خدام وعد بحضور هذه الحفلة إلا أن اجتماعاً في القيادة القومية حال دون حضوره.

كان وزير خارجية الأرجنتين السابق «خوان مارتين» قد وصل في ٢٧/١٠/١٩٧١ إلى دمشق وقام بزيارة الأستاذ خدام، كما قام بزيارة الأستاذ مصطفى الحلّاج، وزير الاقتصاد، ثم استقبله فيما بعد السيد الرئيس حافظ الأسد واللواء عبد الرحمن خليفاي، رئيس مجلس الوزراء.

في مساء الثامن والعشرين من تشرين الأول، المصادف التاسع من رمضان المبارك، أقام السفير الأرجنتيني حفل استقبال في السفارة قلدني خلاله الوسام، فارتجلت كلمة شكرته فيها، وشكرت الحكومة الأرجنتينية على منحي الوسام، وأكدت على عمق علاقات الصداقة بين البلدين والجهود التي يبذلها السفير لوبيز في دمشق، والسفير السوري جودت الأتاسي في بيونس أيرس لإقامة أفضل العلاقات بين البلدين. كانت الحفلة أنيقة وجميلة وحضرها عدد من الوزراء السوريين، ومن السفراء الأجانب ورئيس الجامعة وعدد آخر من الأصدقاء.

ع (اختطاف ضباط سوريين في كمين: شُغلت الوزارة، أثناء زيارتي إلى تركيا بين ٢١-٢٨ حزيران ١٩٧٢، مما سيرد ذكره فيما بعد)، بموضوع الضباط السوريين الخمسة والضابط اللبناني الذين اختطفهم العدو الإسرائيلي في كمين نصبه لهم أثناء مرورهم في جنوب لبنان، وأثارت الوزارة موضوعهم في مجلس الأمن الذي اتخذ قراراً بإدانة إسرائيل والطلب إليها إطلاق سراحهم فوراً، وإلا دُعي المجلس لاتخاذ الإجراءات المناسبة.

في نيويورك، بذلت بعض الدول الأعضاء في مجلس الأمن مساعي لإطلاق سراحهم مقابل إطلاق سورية، بعد مدة، سراح الطيارين الإسرائيليين الأسرى الثلاثة، وقد رفضنا ذلك لأن اختطاف الضباط السوريين والضباط اللبناني كان عملاً من أعمال القرصنة، ولا يمكن اعتبار هؤلاء الضباط أسرى حرب كالطيارين الإسرائيليين الثلاثة.

وفي الثالث من تموز ١٩٧٢، استدعيت سفراء الدول الأعضاء في مجلس الأمن، وطلبت إليهم أن يحثوا حكوماتهم للضغط على إسرائيل وإثارة الموضوع مجدداً في مجلس الأمن، وكنت أعلم مسبقاً أن المجلس لن يستطيع إصدار قرار بفرض عقوبات على إسرائيل لوجود الفيتو الأمريكي جاهزاً لحمايتها. أحلنا الموضوع فيما بعد إلى وزارة الدفاع باعتبارها الجهة المسؤولة مباشرة عن الضباط، ولأنني غادرت دمشق برفقة الوزير الأستاذ عبد الحليم خدام إلى مؤتمر عدم الانحياز في جورجتاون.

وتم فيما بعد إطلاق سراح الضباط بوساطة من الصليب الأحمر الدولي.

ف (الفدائيون يحتجزون أفراداً من الفريق الرياضي في ميونيخ: هاجم الفدائيون، الذين ينتمون إلى حركة أيلول الأسود، صباح الخامس من أيلول ١٩٧٢، الدار التي كان الفريق الرياضي الإسرائيلي يحل فيها، بمناسبة الألعاب الأولمبية في ميونيخ، فقتلوا اثنين منهم واحتجزوا تسعة وطالبوا، مقابل الإفراج عنهم، بإطلاق سراح مائتي معتقل عربي في سجون إسرائيل.

أوقفت ألمانيا الألعاب الأولمبية، وقدم مستشار ألمانيا «فيلي براندت» أي مبلغ لقاء حياة المحتجزين، فرفض الفدائيون ذلك، وطالبوا بثلاث طائرات للخروج من ألمانيا في حال إطلاق سراح زملائهم المائتين.

اهتز العالم لذلك، وتابع باهتمام حوادث ميونيخ مترقبين النتائج. وضعت السلطات الألمانية، تحت تصرف الفدائيين، ثلاث طائرات هليكوبتر لنقلهم إلى المطار حيث تنتظرهم طائرة لوفتهانزا لنقلهم إلى مكان مجهول. وبعد أن حطت الطائرات في أرض المطار، ذهب اثنان من الفدائيين لفحص طائرة لوفتهانزا، وفي عودتهم إلى الهليكوبتر، أطفأت سلطات المطار أنوار المطار وأطلق النار على الفدائيين، بطلب من السلطات الإسرائيلية، حتى ولو أصيب الرياضيون الإسرائيليون، فاضطر الفدائيون إلى تبادل إطلاق النار مع رجال الشرطة الألمان، فقتل، نتيجة لذلك، جميع الإسرائيليين التسعة وخمسة من الفدائيين وشرطي ألماني وجرح عدد آخر من الشرطة الألمان واعتقل ثلاثة من الفدائيين، وفجر أحد الفدائيين نفسه داخل إحدى طائرات الهليكوبتر التي قتل قائدها.

بعث أكثر رؤساء العالم برقيات تعازي إلى غولدا مائير، واستنكر الملك حسين وأحمد اللوزي (رئيس وزراء الأردن) هذا العمل، كما استنكره رئيس الفريق الرياضي المصري والسوري واللبناني وغيرهم. قال «فيلي براندت» إن الزعماء

العرب رفضوا التعاون معه من أجل نجاة الرياضيين الإسرائيليين، وإنه اتصل بعزيز صدقي (رئيس وزراء مصر) عارضاً عليه إرسال الطائرة المقلدة للرهائن والفدائيين لمصر، فتحتفظ مصر بالفدائيين وتعيد الرهائن الإسرائيليين، فرد صدقي إنه يقبل في حال طلب الفدائيون إليه ذلك. قال براندت، إن غولدا مائير أقرت استعمال العنف مع الفدائيين حتى لو كلف ذلك حياة الرهائن الإسرائيليين. حمّلت سورية ألمانيا الغربية مسؤولية قتل الفدائيين والرهائن.

وفي مصر، أصدر ناطق رسمي بياناً حمّل فيه السلطات الألمانية الغربية مسؤولية إطلاق النار على الفدائيين والرهائن الإسرائيليين وقتلهم. اعتبرت إسرائيل هذا اليوم يوم حداد على القتلى الذين أعيدت جثثهم إلى إسرائيل، وهدد «إيغال ألون» باتخاذ إجراءات شديدة ضد الدول العربية التي تقدم مساعدات للفدائيين.

وجن جنون إسرائيل، ووردنا من سفاراتنا في باريس، وتونس وبلغراد والوفد الدائم لدى الأمم المتحدة، أن إسرائيل ستقوم بالانتقام من سورية ولبنان بشكل خاص، وأن العدوان سيكون على الدول التي تحوي منظمة أيلول الأسود، وعلى تجمعات الفدائيين لقتل أكبر عدد منهم.

وفي الواقع، جرى اعتداء على بعثتنا في لندن، رغم عدم وجود تمثيل في ذلك الوقت مع بريطانيا، إذ ما زالت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة معها، فطلبنا إلى السفارة اللبنانية، التي تقوم بالإشراف على مصالحنا فيها، أن تطلب من الحكومة البريطانية حماية البعثة.

وقامت في المساء تشكيلات من طائرات العدو بالإغارة على سبع مواقع للفلسطينيين، شمالي وجنوبي اللاذقية وفي جبلة وطرطوس والهامة وسحم الجولان ومقصف مزيريب والسويداء، وقد قتل عدد من المدنيين والعسكريين، وقامت ٢٤ طائرة إسرائيلية بالإغارة على الرفيد ونهر البارد شمال طرابلس وعلى جنوبها، ووقع عدد كبير من القتلى.

وفي اليوم التالي (٩ أيلول ١٩٧٢)، أغارت تشكيلات من طائراتنا على مواقع العدو في المنطقة المحتلة من الجولان وقصفت المواقع العسكرية فيها، كما أسقطت طائرتين من طراز ميراج وأصابت ثلاثة للعدو. خسرنا ثلاث طائرات سوخوي ٧ وقعت ضمن أراضيها، وقد أصيبت اثنتان منهما بصواريخ هوك بينما أصيبت الثالثة أثناء المعارك.

طلبنا ولبنان عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن، فاجتمع في العاشر من أيلول

١٩٧٢، وتقدمت بعض الدول الآسيوية الأفريقية بمشروع قرار يدعو الأطراف ذات العلاقة لوقف جميع الأعمال العسكرية. تغيّب بتكواع الإسرائيلي عن الاجتماع لأنه يقع في يوم عطلة يهودية، وكان ذلك احتقاراً منه للمجلس، واعتماداً على المندوب الأمريكي جورج بوش (الأب) الذي استعمل حق النقض (فيتو) لإسقاط القرار.

وفي ١٢ أيلول، عقدت «الكنيست» اجتماعاً طارئاً أَلقت فيه غولدا مائير خطاباً هددت فيه بضرب الفدائيين حيثما كانوا. واستمرت وكالات الأنباء بالإشارة إلى حشود إسرائيلية في الجولان وعلى حدود لبنان.

في ١٦ أيلول بدأت القوات الإسرائيلية بمهاجمة جنوب لبنان، في مناطق الطيبة وسفوح جبل الشيخ والطريق المؤدية إلى صور ومرجعيون وراشيا، واستمرت المعارك طيلة النهار، وأبلى الجيش اللبناني الباسل بلاء حسناً. صدر ١٤ بلاغاً عسكرياً وبلغ عدد المستشهدين ٩. وفي الوقت الذي اقتصرت فيه الإذاعة اللبنانية على الأناشيد الحماسية والبلاغات العسكرية، لم تغيّر الإذاعات العربية شيئاً من برامجها الغنائية!... (ما شاء الله على التضامن العربي).

اتصل الرئيس حافظ الأسد بالرئيس سليمان فرنجية وعرض عليه أية مساعدة عسكرية فشكره على ذلك، واتصل اللواء خليفايي بالرئيس صائب سلام للغرض ذاته.

استمرت المعارك ليلاً على الأنوار الاصطناعية الكاشفة، إذ كانت الطائرات العدو تنير ساحات المعارك. تقول بيانات العدو إنه دمر ١٦٠ منزلاً وقتل ٤٠ فدائياً وأسر عدداً من الفدائيين واللبنانيين بينهم ضابط برتبة مقدم.

في باريس، استدعى وزير الخارجية مورييس شومان سفير إسرائيل وطلب إليه سحب القوات الإسرائيلية فوراً من لبنان، كما أُنذر بيان سوفياتي إسرائيل بسحب قواتها، أما بريطانيا فإنها «استهجنّت» الاعتداء الإسرائيلي على لبنان، وأما أمريكا، فلم تحرك ساكناً!...

بدأت القوات الإسرائيلية بالانسحاب ظهراً من لبنان، وتم انسحابها كلياً في المساء. وتعرّض راديو «صوت فلسطين» من درعا إلى اللبنانيين الذي لم يسمحوا للفدائيين الفلسطينيين من سورية أن يلتحقوا بإخوانهم في لبنان لمشاركتهم المعركة.

ص) مع الصين: قام الوزير الأستاذ عبد الحليم خدام بزيارة إلى الصين، في ٢٢ أيار ١٩٧٢، تلبية لدعوة رسمية من وزير خارجيتها، ولبثت في دمشق أتابع مواضيع

الوزارة وأعمالها، وبعثت إليه في ٢٤ أيار ببرقية، عن طريق سفارتنا في بكين، أعلمه فيها عن زيارات وزراء خارجية اليونان وإسبانيا وأندونيسيا التي حددت لها مواعيد بعد عودته من الصين.

وفي ٢٥ أيار، أعلمني ببرقية من بكين أنه وقع اتفاقية للتعاون الاقتصادي مع الصين بمبلغ ١٧ مليون جنيه إسترليني بالشروط السابقة للقرض السابق، وأن رئيس الوزراء «شو إن لاي» حضر التوقيع، وأنه سيعود إلى دمشق في الموعد المحدد، أي في ٢٩ أيار.

ثم وردت منه برقية أخرى بالموافقة على زيارات وزراء الخارجية الثلاثة: اليوناني والإسباني والأندونيسي، شريطة عدم التعارض في المواعيد.

ق (مع اليابان: حضر لمقابلتي في ٢٠ كانون الأول ١٩٧١ سفير اليابان، وقال إن حكومته توجه إلي دعوة لزيارتها، شكرته، وقلت له: لا بد من الحصول على موافقة رئيس مجلس الوزراء لقبولها. وبعد عرض الموضوع على الوزير ثم على رئيس الوزراء، وافقا على قبولي هذه الدعوة والقيام بها، وقد تمت الزيارة بين ٢٥ كانون الثاني و ٩ شباط ١٩٧٢.

لا بد لي من الإشارة، قبل كل شيء، إلى الدقة والعناية والنظافة واللفظ الذي قوبلت به حيثما ذهبت وتجولت. بدأت هذه العناية في أول الطريق في بانكوك، حيث استقبلني القائم بأعمال اليابان في صالون شرف المطار ثم رافقني إلى فندق هيلتون، حيث حجز لي جناحاً، ثم أخذني بجولة في بانكوك، زرنا خلالها قصر الملك والمعابد البوذية الجميلة، وتناولنا العشاء في مطعم Rinan أجمل مطاعم المدينة. في اليوم التالي، وبعد ركوبي طائرة خطوط الطيران اليابانية، لاحظت أنهم يحملون على الطائرة عدداً من الصناديق، فسقط أحدها وانكسر، فخرجت منه عشرات الأفاعي النهرية الموضوعة في صناديق الماء، وعلمت فيما بعد أن لحمها يعتبر في اليابان وفي هونغ كونغ من أميز أنواع اللحوم!...

في طوكيو، كان في استقبالي السفير «أوموتو Umoto» مدير عام الشؤون السياسية لأفريقيا والشرق الأوسط، والسيد «ناكاتاني Nakatani» و «هاتوري Hattori»، من موظفي الشرق الأوسط في وزارة الخارجية اليابانية، الأول يتقن اللغة الإنكليزية، لمرافقتي في طوكيو، والثاني، ويتقن اللغة الفرنسية التي درسها في غرونوبل بفرنسا، لمرافقتي خارج طوكيو.

أوصلني السيد ناكاتاني إلى فندق «نيو أوتاني» أفخم فنادق طوكيو، حيث حجزوا لي غرفة فيه، ثم أطلعني على البرنامج الذي وضعوه لي للزيارات الرسمية والسياحية والثقافية ضمن العاصمة طوكيو وخارجها. ثم قال لي: «هنالك موضوع آسف أن أذكره لك، ولكن هذه هي العادة لدينا في كل دعوة رسمية نوجهها لضيوفنا الكرام. هذا مبلغ من المال مخصص لك لإنفاقه أثناء زيارتك». استغربت الموضوع وما كنت أنتظره، ولاحظت أن السيد ناكاتاني شعر أيضاً بحرج. قلت له: «أرجو أن تدفع هذا المبلغ إلى الفندق لتغطية نفقات إقامتي، وإن زاد علي شيء، سددته للفندق لدى مغادرتي». فشعر بالارتياح.

كانت أول زيارة قمت بها في اليوم التالي إلى السيد أووموتو مدير عام الشؤون السياسية لأفريقيا والشرق الأوسط، الذي كان في استقبالني بالمطار البارحة. بحثت وإياه العلاقات الثنائية وإمكانية توسيعها وتعميقها لمصلحة البلدين، فوجدت لديه تجاوزاً كبيراً، ثم بحثنا قضية الشرق الأوسط فقال إن موقفهم هو تأييد قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكامل حذافيره، بغية إحلال السلام في المنطقة. حدثته عن أسباب عدم قبولنا بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لغموض النص بين اللغتين الفرنسية والإنكليزية، وأن هنالك قرارين يتعلقان بسورية، رقم ٢٣٥ في ٩ حزيران ١٩٦٧ و ٢٣٦ في ١١ منه، وأنه لو تم تطبيقهما لما كانت هنالك حاجة للقرار ٢٤٢. فسجل السيد أووموتو ذلك باهتمام.

ثم قال إن وزير الخارجية السيد «فوكودا Fukuda»^(١)، رغم مشاغله الكثيرة واجتماعه مع غروميكو (وزير خارجية الاتحاد السوفياتي)، سيستقبلني في الثانية عشرة.

رافقني السيد أووموتو في زيارتي للوزير، كما حضر المقابلة وسجلها مدير مكتب الوزير. اعتذر الوزير فوكودا عن تلبية دعوة وزيرنا له لزيارة سورية لكثرة مشاغله، وأشاد بما تمثله سورية من عراقية وحضارة، وقال إنه قرأ الكثير عنها وعن مدينتها وإنها حملت مشعل الحضارة عصوراً طويلة ويتوق لزيارتها، فقلت له إن الدعوة مفتوحة وغير مقيدة بزمن، ويمكنه تليتها متى شاء.

ألمحت إلى علمي بترشيحه إلى منصب رئيس الوزراء خلفاً للسيد ساتو، الذي كان أعرب عن رغبته بالتخلي عن منصبه بعد عودة جزيرة أوكيناوا لليابان في ١٥

(١) أصبح السيد «فوكودا»، فيما بعد، رئيساً لوزراء اليابان، وكان من أنجح الرؤساء.

أيار القادم، فسر لمعرفتي بذلك، ثم تعرّض للعلاقات بين البلدين وأبدى رغبته في تطويرها وتعميقها، واستعرض مجدداً تاريخ البلاد العربية الطويل وحضارتها، وأكد رغبته بتطوير العلاقات معها. كانت المقابلة ودية للغاية وودعني حتى الباب الخارجي لمكتبه.

ثم قابلت السيد «أووادا» المدير العام لمكتب المعونة الفنية، وبحثت معه موضوع الشركتين اليابانيتين «ماروبيني» و «نيبون كويه» اللتين تريدان المساهمة في مشاريع الفرات، فقال إنه سيعزز إلى معاونته للاتصال بهما ودراسة إمكانية تمويلهما للقيام بالمشروعين، إذ تزمع شركة ماروبيني تأمين العنفات الكهربائية للسد، وتريد «نيبون كويه» استصلاح أراضي منطقة «مسكنة» التي سيرونها السد.

ثم قمت بزيارة السيد «أغاكي» وزير الزراعة والغابات ورئيس رابطة الصداقة العربية - اليابانية، وهو من الشخصيات اليابانية المرموقة. تحدثنا عن ضرورة تنمية العلاقات الاقتصادية بين البلدين ومساهمة الشركات اليابانية في مشاريع التنمية السورية، فقال إنه سيبدل قصارى جهده في هذا السبيل لأنه قانع بضرورة ذلك...

بالإضافة إلى هذه الزيارات الرسمية، فقد قمت، حسب البرنامج، بزيارات لعدد من المصانع الحديثة: مصنع سيارات «نيسان» ومصنع التلفزيونات وأجهزة الراديو، ومصنعاً للأدوات الإلكترونية، وهو ثالث أكبر مصنع في العالم للأدوات الإلكترونية، وأطلق صاحبه عليه اسم (ناشيونال)، وهكذا اطلعت على النهضة الصناعية التي جعلت من اليابان في أقل من عشرين عاماً ثالث قوة اقتصادية في العالم...

كما قمت بزيارات لمدن «كيوتو»، العاصمة السابقة لليابان، و «نارا» العاصمة الأسبق، و «أوساكا» ثاني مدن اليابان ومركز الصناعة الثقيلة، و «هيروشيما» أول ضحايا القنبلة الذرية، التي أعيد بناؤها من جديد وبشكل حديث وأصبح عدد سكانها الآن ٤٥٠ ألفاً (عام ١٩٧٢)، ولم يبقَ من آثار القنبلة الذرية سوى المرصد الجوي الذي فجرت فوقه القنبلة، والمتحف الذي يضم صور وآثار الكارثة، وقد زرتة وارتعدت لما رأيت من آثار مفعجة.

أكثر الدول العربية لها سفارات في اليابان، أما سورية فليست لها سفارة، ويعود السبب في ذلك إلى غلاء المعيشة وارتفاع أجور العقارات مما يحمّل وزارة الخارجية نفقات باهظة لفتح سفارة في طوكيو (كان ذلك عام ١٩٧١ وكان هذا ما تدّعيه الحكومة السورية)، وسعت مراراً لإقناع المسؤولين لدينا بأن لا يقيّموا

علاقتنا باليابان، والتي ستكون مفيدة جداً ومجزية، بما سيكلفه افتتاح سفارة في طوكيو وإقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية معها، وقد نجحت، والله الحمد، في ذلك وافتتحنا بعد قليل سفارة في طوكيو.

وكان لنا في اليابان قنصل فخري هو عبد الهادي الدبس (رحمه الله)، وكان له مقام عال في المحيط التجاري والاقتصادي والدبلوماسي، وكان يمثل سورية، والعرب عموماً، أجمل تمثيل ويقوم بمهامه القنصلية على أفضل وجه.

كان من الأسباب التي حالت دون إقامة علاقات وثيقة سياسية واقتصادية مع اليابان، ارتباط اليابان بعجلة الولايات المتحدة سياسياً واقتصادياً، ومعارضتنا للدول ذات الأنظمة التي تسيطر عليها الأمبريالية أو تسير سياساتها.

إلا أن الوضع بالنسبة لليابان اختلف في المدة الأخيرة ولا سيما بعد الأزمة الاقتصادية في أمريكا، وبعد ظهور اليابان كعملاق اقتصادي وصناعي يفرض مشيئته على الاقتصاد الأمريكي، كما أن اليابان تحررت تدريجياً من الهيمنة الأمريكية فانتهجت بالنسبة للقضية الفلسطينية في الأمم المتحدة سياسة تماشي سياسة دول عدم الانحياز وبعض الدول العربية، وأخذت تتقرب من الدول العربية وتشارك في خطط التنمية لديها. وقد أفادت الدول العربية كثيراً من المساعدات الفنية اليابانية، كما أن شركة «نيبون كويه» قدّمت أفضل دراسة لاستصلاح الأراضي التي سيرونها السد في منطقة مسكنة. وكان لسعيي لدى مدير عام المعونة الفنية ووزير الزراعة الأثر الجيد في تقديم المبالغ اللازمة لشركتي ماروبيني ونيبون كويه من قبل المصارف اليابانية لتنفيذ مشاريعهما في سورية.

في التقرير المطول الذي وضعته عن زيارتي لليابان، والذي قدّمته للوزير، استعرضت أوضاع اليابان الدستورية والسياسية والاقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية حتى تاريخ زيارتي لها، ثم علاقات اليابان مع الدول العظمى الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ومع دول أوروبا والعالم العربي ودول جنوب شرق آسيا ولا سيما الصين، ولا أجد ضرورة لإيرادها في هذا المجال الضيق.

بالنسبة لعلاقات اليابان مع سورية: أنشأت اليابان عام ١٩٥٤ بعثة دبلوماسية في دمشق على مستوى قائم بالأعمال رفعتها عام ١٩٦٢ إلى مستوى سفارة، وكانت سورية تريد فتح سفارة لها في طوكيو منذ عام ١٩٦٢، إلا أن الصعوبات المالية هي التي حالت دون ذلك في حينه، إلا أن قرار مجلس الوزراء في العام الماضي بفتح

سفارة هذا العام أدى إلى تخصيص المخصصات اللازمة في ميزانية هذا العام (١٩٧٢).

وتقوم العلاقات بين البلدين على أساس من الصداقة والتعاون المحدود، وفي عام ١٩٦٩ قامت بعثة من البرلمانيين اليابانيين بزيارة إلى القطر وكانت برئاسة السيد «آكامي» رئيس رابطة الصداقة العربية - اليابانية، كانت خلال إقامتها محل العناية والتكريم.

وقام عدد من كبار الموظفين السوريين بزيارة لليابان بدعوة من مؤسسة التعاون الفني (معاون وزير الزراعة، ومعاون وزير الصناعة)، كما قدمت اليابان عدداً من الخبراء في مجال الطب البيطري وفي حقل تخطيط المدن ورياضة الجودو والكراتيه؛ وتقدم اليابان سنوياً دعوة لاثني عشر خبيراً سورياً لحضور دورات تدريبية في مختلف الحقول.

وفي مجال التعاون الاقتصادي، وقّعت سورية مع اليابان عام ١٩٥٣ اتفاقاً اقتصادياً ينشئ نظام الدولة الأكثر رعاية بين البلدين. أما حجم التبادل التجاري بين البلدين فهو غالباً لصالح اليابان، ويشكل القطن السوري المادة الرئيسة في صادراتنا لليابان، بينما تشكل الآلات والمحركات والأدوات الكهربائية والساعات والعدسات المادة الرئيسة لمستورداتنا من اليابان. وفي عام ١٩٧٠ وقّعت إحدى الشركات اليابانية عقداً مع المؤسسة العامة للبترول لتزويدها بكمية من الأنابيب لنقل الغاز، مع تسهيلات ائتمانية، ووقّعت شركة أخرى مع المؤسسة ذاتها في تشرين الأول ١٩٧١ عقداً لتقديم أربع وحدات من المحركات مخصصة لمراكز ضخ البترول مع تسهيلات للدفع. وهكذا تنمو العلاقات الفنية والاقتصادية تدريجياً بين البلدين. ولدى كتابة هذا التقرير أصبحت العلاقات مع اليابان أكثر وثوقاً وأكثر قوة في جميع المجالات.

ر) مؤتمر عدم الانحياز في جورجتاون: عقدت مجموعة دول عدم الانحياز مؤتمرها الدوري في الثامن من آب ١٩٧٢ في مدينة جورجتاون عاصمة غويانا، واستمر حتى الحادي عشر من آب ١٩٧٢.

حضر المؤتمر مندوبو ٦٨ دولة منهم وزراء خارجية الدول العربية التالية: سورية، مصر، ليبيا، السودان، الكويت، الجزائر واليمن الجنوبي، أما العراق والأردن فقد مثلهما سفراؤهما في الأمم المتحدة، ومثل المغرب وتونس ولبنان واليمن الشمالي سفراؤهم في المنطقة.

كان الوفد السوري برئاسة نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية الأستاذ عبد الحليم

خدّام، ومُنّي ومن السيد عدنان عمران مدير المكاتب الخاصة للوزير، والسيد بشير القطب السفير السوري في فنزويلا - كان السفر من دمشق إلى جورجيتاون طويلاً ومتعباً: دمشق - أثينا - جنيف - باريس - كوبنهاغن - نيويورك - برمودا - بورت أوف سپين - جورجيتاون.

بعد استراحة قصيرة في الفندق، قمت أنا والزميلان عدنان عمران (وكان يحمل معه الحقيبة التي تحوي المبالغ المخصصة لهذه الرحلة) وبشير القطب، بجولة في المدينة ثم بزيارة للدار التي حل فيها الوزير. كانت المدينة مغلقة بمناسبة عيد العامل، والطرق خالية من المارة. أوقفنا سيارة من الشرطة المحلية، ونصحنا الملازم فيها بعدم التجول في المنطقة مشياً على الأقدام لأننا نعرّض أنفسنا للاعتداء والسرقة!...

قلت للزميل عدنان عمران: خشيت أن تضع المبالغ في صندوق الأمانات في الفندق، فعرضتنا والمبلغ إلى الاعتداء والسرقة. فضحك، وعدنا أدراجنا إلى الفندق حيث أودعنا المبلغ في صندوق الأمانات.

يبدو أن الحكومة الغويانية منعت السكان من مغادرة منازلهم طيلة فترة المؤتمر خشية تعرّض الوفود إلى الاعتداء، إذ لم نلاحظ، خلال هذه الفترة، في شوارع المدينة سوى الشرطة ورجال الأمن.

كانت غويانا التي تقع على الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية على المحيط الأطلسي، والتي يبلغ عدد سكانها أقل من مليون نسمة، جاء أكثرهم من أفريقيا السوداء ومن الهند وبعضهم من دول آسيوية أخرى. كانت مستعمرة بريطانية حتى عام ١٩٦٦ حين استقلت، وفي عام ١٩٧٠ أصبحت جمهورية، وانتسبت إلى مجموعة دول الكومنويلث ثم مجموعة دول عدم الانحياز، طقسها استوائي حار ورطب وممطر، ثرواتها الطبيعية: الغابات والأخشاب الثمينة، والأرز وقصب السكر والبن، والبوكسيت، وهو صخر يستخرج منه الألومنيوم، والذهب.

افتتح رئيس جمهورية غويانا «أرثر تشانغ»، وهو من أصل صيني، المؤتمر بخطاب مختصر، ثم انتخب المؤتمر وزير خارجية غويانا، رئيساً للمؤتمر.

تتالى رؤساء الوفود على إلقاء كلماتهم، ثم جرى التصويت على قبول مندوب الحكومة الثورية المؤقتة لفيتنام في المؤتمر مما أثار عاصفة من الاحتجاج ولا سيما من دول جنوب شرق آسيا، فانسحب «آدم مالك» وزير خارجية أندونيسيا والوفد المرافق له من المؤتمر وتبعه مندوب ماليزيا، واحتج مندوب سنغافورة على خرق

مبدأ الاتفاق والإجماع، وانسحب مندوب لاووس، وقُبل مندوب الحكومة الثورية المؤقتة لفيتنام في المؤتمر بالتصفيق الحاد.

الموضوع الآخر الذي أثار الخلاف بين الأعضاء هو مكان انعقاد الدورة القادمة لقمة عدم الانحياز. كانت الجزائر تقدمت بطلب عقده لديها وحصلت على تأييد الدول العربية، كما كانت «سيلان»، التي أعلن في هذا المؤتمر أن اسمها الرسمي أصبح «سري لانكا»، قد تقدمت بطلب عقده في عاصمتها كولومبو، وبعد نقاش طويل ومداخلات كثيرة تقرر عقده في الجزائر، وطلب رئيس المؤتمر من الأعضاء التصفيق، فكان تصفيقاً باهتاً بالنسبة للجزائر وقوياً بالنسبة لكولومبو!...

استمرت لجتنا الصياغة السياسية والاقتصادية باجتماعهما حتى ساعة متأخرة من الليل بل حتى الثالثة صباحاً، واستطعت أن أمرر المشروع الذي كنت وضعت عن إدانة إسرائيل بأقصى الشدة لاختطافها الضباط السوريين، ولا استمرارها باحتلال الأراضي العربية.

صباح الجمعة ١١ آب ١٩٧٢، جرت حفلة إزاحة الستار عن تماثيل زعماء حركة مجموعة دول عدم الانحياز: جمال عبد الناصر، جواهر لال نهرو، جوزيف بروز تيتو، ونكروما. كانت الحفلة في الهواء الطلق وتحت الشمس، ثم انهمرت الأمطار. أراح كل وزير خارجية الستار عن تمثال رئيسه مع النشيد القومي لكل بلد، وكلمة من كل وزير.

بعد هذا الاحتفال قررنا السفر دون انتظار حفلة الاختتام.

ش (زيارة ترينيداد وتوباغو: من جورجتاون، توجهنا بالطائرة إلى «بورت أوف سبين»، عاصمة الجزيرة الكبرى «ترينيداد» التي تحوي جالية كبيرة من السوريين نزحت إليها في القرن الماضي من منطقة اللاذقية، وعمل أفرادها في التجارة فحصلوا على مكانة عالية وموقع ممتاز في الجزيرة، أكثرهم من قبيلة «حديد»، والقنصل الفخري لسورية فيها هو السيد عزيز حديد الذي كان في استقبالنا في المطار مع وزير الخارجية ومدير المراسم وبعض الرسميين، أما بقية وجوه الجالية فكانوا بانتظارنا في فندق هيلتون الذي حللنا فيه، والذي يعتبر من أفضل فنادق هيلتون في المنطقة والذي يسمونه «الفندق المقلوب»، إذ إن مدخل الفندق وصالة الاستقبال هما في أعلى الهضبة بينما طوابق الفندق وغرفة تهبط إلى أسفل الهضبة.

كانت عناية الجالية بنا فائقة، وكان لها مقام عال مع رجال الحكومة الذين اعتنوا

بنا عناية جيدة. لاحظنا الخلاف بين الجيل الجديد والجيل القديم في الجالية واختلاف العقلية. الجيل القديم، الذي ما زال يتكلم اللغة العربية ويحمل معه الأفكار القديمة التي جاء بها من منطقة اللاذقية، والجيل الجديد، جيل الشباب التقدمي الناهض الذي يريد مسايرة الزمن والتطور، إلا أنه لم يتعلم العربية ولا يعرف إلا القليل عن أصله وعن سورية، لذا طلبوا منا وأصرّوا على إرسال سفير من سورية إلى «بورت أوف سبين» وإكثار الزيارات، زيارات المسؤولين السوريين لترينيداد.

باعتبار أن الجالية السورية في ترينيداد كانت هي الأغنى والأسمى والأعلى مقاماً في الجزيرة، فقد لمسنا لدى أفرادها الخوف من أن يحصل لهم ما حصل، من قريب، للباكستانيين والهنود في أوغندا بإفريقيا، عندما اعتدى عليهم السكان الأصليون فسلبوهم أموالهم وطردوهم من أوغندا لأنهم الأغنى والأعلى مقاماً. فطمأناهم إلى أن ذلك لن يحصل لهم.

في آخر يوم، وبعد الحفلات الكثيرة واللقاءات الجميلة مع أفراد الجالية، جاءنا عزيز حديد ومعه عدد من الشباب: الدكتور موزس، والدكتور لقيس، وعائلتهما لمرافقتنا إلى المطار. كان وداعاً مؤثراً، قال الدكتور لقيس: «إن الشعلة التي أضأتموها هنا والأمل الذي أحييتموه نرجو أن لا تطفئوه أو تدعوه يطفأ، أرجو أن لا تنسونا، فنحن أبناءكم».

جرى لنا وداع رسمي في المطار، كان فيه وزير الخارجية والقنصل الفخري لسورية وعدد كبير من أفراد الجالية.

(ت) زيارة فنزويلا: كانت زيارتنا التالية إلى كراكاس عاصمة فنزويلا حيث جرى للأستاذ خذّام استقبال رسمي كرؤساء الدول: سعادة حمراء، حرس شرف كبير، موسيقى عزفت النشيد السوري والفنزويلي وأعلام على السيارتين الضخمتين، وأعضاء السلك الدبلوماسي العربي، وعدد كبير من أعضاء الجالية السورية في فنزويلا.

الزيارات الرسمية والمحادثات كانت بداية مع وزير الخارجية «أرستيدس كالفاني»، كان سابقاً أستاذ علم الاجتماع في جامعة كراكاس، وتحدّث كأستاذ عندما حلل الهجرة السورية إلى فنزويلا وأسبابها وأشكالها. ثم زيارة وزير الداخلية، وكان لا يتحدث إلا باللغة الإسبانية، وسعى السفير بشير القطب لكي يترجم إلا أن اللغة الإسبانية كانت غريبة عليه، وكان يتقصد عدم رفع صوته حتى يخفي جهله باللغة.

وفي اليوم التالي قمنا بزيارة رئيس الجمهورية «كالديرا» الذي كان بمنتهى اللطف والإيناس، ثم زرنا وزير النفط، ولاحظنا فوضى البروتوكول لديه ولدى زملائه الوزراء، إذ لم يكن هنالك من ينتظرنا عندما وصلنا إلى الوزارة، كما أنهم كانوا يدعوننا ننتظر في الصالة حتى يأتي الوزير، وغادرنا وزارة النفط قبل أن يأتي الوزير الذي لحق بنا واعتذر، وكانت المقابلة جافة.

أقامت لنا الجالية السورية حفلة استقبال في نادي رابطة السوريين حضرها عدد كبير من السوريين، وقد أصبنا بخيبة أمل كبرى لأننا وجدنا هؤلاء السوريين على درجة كبيرة من التخلف، وكأنهم لم يتقدموا قيد أنملة في وضعهم الثقافي أو الاجتماعي أو الاقتصادي عما كانوا عليه قبل مائة عام عندما غادروا سورية، بل إن بعضهم قد تخلف كثيراً عن إخوانه القدامى في سورية.

لم يكن الوزير مرتاحاً لما شاهده من تخلف الجالية، ومن تقصير السفير والسفارة التي وصفها «بالهرمة»!...

كان الوداع رسمياً كالاستقبال، اشترك فيه وزير الخارجية والسفراء العرب وبعض أفراد الجالية السورية.

ث (زيارة اليونان: كان طريق العودة شبيهاً بطريق الذهاب: كراكاس - نيويورك - كوبنهاغن - شتوتغارت - أثينا. كان الطريق طويلاً ومتعباً.

في أثينا، جرى لنا استقبال رسمي اشترك فيه نائب الرئيس «باتاكوس»، ووزير الخارجية «بالاماس» ونائب وزير الخارجية والسفير السوري «علي محسن زيفة» وزوجته، والسفراء العرب وأعضاء السفارة السورية.

كانت الزيارة رسمية سياسية وسياحية، حيث قام الوزير خدام بوضع إكليل من الزهور على قبر الجندي المجهول، ثم زار رئيس الوزراء «بابادوبولوس»، ثم نائبه «باتاكوس» ثم وزير الخارجية «بالاماس»، وكان الجو في المباحثات ودياً للغاية.

أما الزيارات السياحية فكانت للأكروبول مع شرح للآثار، وهو أجمل أثر في أثينا ولكنه لا يضاهي بشيء تدمير العظيمة أو أفاميا الجميلة. كان أكثر ما أثر في شخصي شبه مقعد يستعين بعكازين، ترافقه زوجته وبعض أصدقائه، كان يجبر نفسه جراً حتى يصعد لمشاهدة هذه الآثار الأخاذة المشرفة على أثينا والرابضة على هذه الرابية عبر التاريخ، كما لفت انتباهي العدد الكبير من السياح الشباب، وكانت زيارة الآثار في الماضي رهناً على كبار السن!...

زار السيد «لاتيسيس»، المليونير اليوناني الشهير، السيد الوزير في جناحه. عرض عليه شراء مليوني طن من بترولنا سنوياً، كما عرض تشكيل شركة مشتركة نصفها له ونصفها الآخر للحكومة السورية، تعمل على تسويق البترول السوري، وأعلن أنه سيبني قريباً مصفاة، هي الثالثة في اليونان، بمبلغ ٣٥ مليون دولار، فإذا وافقت سورية على عرضه فإنه سيبنيها بشكل تؤمن تصفية البترول السوري فيها. طلب إليه الوزير خدام أن يتقدم بعرضه كتابة. هذا ما أطلعني عليه الوزير لأنني لم أحضر المقابلة. وأضاف الوزير إن لاتيسيس قال له: إن اليونان تخشى، منذ الآن، مضاربة إسرائيل لها في البحر الأبيض المتوسط، لذا يجب عليها أن تتفق مع العرب.

المباحثات السياسية جرت بين الوفدين برئاسة الوزير خدام ونائب الرئيس اليوناني باتاكوس ووزير الخارجية بالاماس. كان الجو بئاءً والمباحثات ودية، واتفقنا على تشكيل لجنة يرأسها وزير في كل من البلدين تعمل على وضع المقترحات لتقوية العلاقات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والتجارية بين البلدين.

الزيارات السياحية كانت كثيرة وممتعة وأحياناً متعبة، وقد رافقنا فيها، أو بالأحرى قادها، «باتاكوس» شخصياً، وقد زرنا خلالها مدينة «سونيون» حيث يوجد معبد «بوسيدون Possidon» وإله البحر «نبتون Neptune»، ثم قلعة «ميسين Mycènes» عاصمة الملك «أغاميمنون Agamemnon» الذي قتل ابنه فقتلته زوجته «كليتمنستر Clitemnestre»، وزرنا قبرها وقبره في أعالي القلعة. ثم زرنا منطقة أسبراسبيتا حيث يوجد معمل الألومنيوم، وهو معمل مشترك فرنسي - يوناني كلف ٢٥٠ مليون دولار، ويصدر ٨٠٪ من إنتاجه إلى الخارج.

في اليوم التالي، استقلنا طائرة صغيرة من سلاح الجو اليوناني، برفقة باتاكوس أيضاً، أقلتنا إلى جزيرة رودوس، تجولنا فيها وكانت ملأى بالسياح الإسكندنافيين، وأعجبنا بجمالها وبنظافتها وبفنادقها ومطاعمها الراقية.

غادرنا رودوس إلى جزيرة كريت، وهي جزيرة باتاكوس، فاستقبلنا فيها بشكل رسمي: حرس شرف وموسيقى وأطفال باللبسة القومية وورود وقساوسة أرثوذكس ورسميون... وبعد زيارة مدينة كنوسوس الأثرية ومتحفها الشهير الغني بالآثار القديمة، أقلعت بنا الطائرة إلى أنترافيدا، واستغرق الطريق ساعتين ونصف بالطائرة، ومنها، وبطائرة هيليكوبتر، انتقلنا إلى «أولمبيا» حيث جرت في القرن السادس قبل الميلاد الألعاب الأولمبية واستمرت حتى القرن الثالث بعد الميلاد كدلالة للسلام والمحبة بين الشعوب عن طريق الرياضة، ثم عادت الألعاب الأولمبية عام ١٨٦٢ وما زالت تجري حتى يومنا هذا.

بعد جولة في المدينة، عدنا إلى مطار أندرافيذا، ومنه بالطائرة إلى أثينا حيث هيأنا أنفسنا للسفر، وجرى لنا وداع رسمي، عدنا بعده إلى دمشق فوصلناها في الثانية صباحاً من يوم الاثنين ٢١ آب ١٩٧٢.

خ (المفاوضات السورية - التركية بشأن أملاك السوريين في تركيا وأملاك الأتراك في سورية: موضوع الأملاك بين سورية وتركيا موضوع معقد وقديم، يعود إلى ما يقرب من قرن، أي منذ الحرب العالمية الأولى. للأتراك في سورية بعض البيوت القديمة لا يمكن المساس بها، وهي آيلة إلى الهلاك والتلف نظراً لعدم صيانتها ونتيجة لعامل الزمن، كما أن للسوريين في تركيا، وبشكل خاص في أنطاكية والأسكندرون وأضنة والجنوب، أملاكاً كثيرة وعقارات وأراضي واسعة لا يستطيعون التصرف بها أو استثمارها، وإن زرعوها واستثمروها فلا يستطيعون الحصول على مواردها أو إخراج هذه الموارد من تركيا. وبالإضافة إلى الناحية المالية، فإن هذه الأملاك للطرفين كانت مجال خلافات إدارية وقانونية وسياسية كثيرة، لذلك ما أن استلمت الأمانة العامة في وزارة الخارجية حتى قررت أن أجد لهذه المشكلة حلاً، وللخلافات الناجمة عنها سبيلاً، لأنني أعتقد أنه يجب حل الأزمات بيننا وبين تركيا رغم كل الصعوبات، إذ يكفيننا عدو واحد في الجنوب يستنفد قوانا ولسنا بحاجة لعدو آخر في الشمال.

بحثت الموضوع أولاً مع السفير السوري في أنقرة الدكتور صلاح الدين الطرزي، ثم مع السفير التركي بدمشق قره بورشاق، فوجدت لديهما رغبة بالحل. فألفت لجنة من قبلنا برئاسة ضمت أمين عام وزارة العدل الأستاذ جمال النعماني ومدير الدائرة العقارية السيد صبحي عبارة ومدير الإدارة القانونية بوزارة الخارجية السفير فوزي صفوة، كما شكل الجانب التركي وفداً مقابل برئاسة السيد نجم الدين تونجل، وبدأنا الاجتماعات المشتركة، بعد أن هيأ كل من الوفدين قائمة بالأملاك الموجودة لديه للطرف الآخر، والأملاك التي يطالب بها لدى الطرف الآخر. واستمرت هذه الاجتماعات مرة في دمشق ومرة في أنقرة، إلا أنني، وبعد فترة، كلفت الأستاذ جمال النعماني بترؤس الوفد السوري لكثرة انشغالي في وزارة الخارجية، وقد حل هذان الوفدان الكثير من القضايا التي كانت عالقة بين البلدين.

في الثاني من آذار ١٩٧١، عادت من تركيا اللجنة السورية برئاسة السيد جمال النعماني معاون وزير العدل، وأطلعني على نتيجة المباحثات التي أجراها في أنقرة مع الجانب التركي في اللجنة المشتركة السورية - التركية.

قال إن الاتفاق قد تم بين الجانبين على رفع التدابير، التي اتخذت عام ١٩٦٦ في كلا البلدين، عن الأموال المنقولة بما في ذلك الآلات والجرارات وذلك ضمن حدود مليون وربع ليرة سورية أو خمسة ملايين ليرة تركية، وأضاف إن جو المباحثات كان ودياً.

وتمتينا لهذه العلاقات، رأيت من المفيد أن أقوم بزيارة إلى تركيا بتلبية لدعوة من الأمين العام لوزارة الخارجية التركية إسماعيل إيريز، وللتباحث مع كبار المسؤولين في الحكومة التركية.

استأذنت السيد وزير الخارجية والسيد الرئيس بتلبية هذه الدعوة فوافقا عليها. تمت هذه الزيارة من ٢١/٦ إلى ٢٧/٦/١٩٧٢ وكانت في مجملها ناجحة.

ويعود الفضل في ذلك إلى كفاءة سفيرنا في أنقرة الدكتور صلاح الدين الطرزي وإلى وزير الخارجية التركي السيد خلوق بايولكان الذي كنت تعرفت عليه عندما شغل منصب المندوب الدائم لتركيا في الأمم المتحدة، وكانت مواقفه مؤيدة ومتعاونة معنا إلى أبعد الحدود، وإلى الأمين العام إسماعيل إيريز^(١) الذي كان متفهماً وواعياً لجميع القضايا التي أثارناها معه.

لم تكن تركيا غريبة علي، فلقد عملت فيها عام ١٩٦٠ عندما كنت وزيراً مفوضاً في سفارة الجمهورية العربية المتحدة، ثم عام ١٩٦١، كقائم بأعمال السفارة السورية، وكنت أعرف أهم رجالها وأكثر موظفي الخارجية، كما كنت على اطلاع على سياستها الداخلية والعربية والدولية، لذلك جاءت زيارتي هذه كحلقة متممة لمعرفتي بهذا البلد.

كان عليّ، في بداية الزيارة، أن أقوم بزيارة ضريح أتاتورك لوضع إكليل من الزهور عليه وتسجيل كلمة في السجل الذهبي، وقمت بذلك يرافقتني السفير الدكتور صلاح الدين الطرزي والملحق العسكري وأعضاء السفارة، ثم زرت المتحف الملحق ببناء الضريح وقد ضم صورة أتاتورك وصور الملوك والرؤساء والسيوف المهداة له، وأطعم الشاي والقهوة التي كان يستعملها والتي تدل على البساطة بالعيش، ثم مكتبته الغنية بالكتب التركية والفرنسية والألمانية، وهي اللغات التي كان يتقنها.

بعد الانتهاء من الجولة في المتحف، ذهبنا لزيارة وزير الخارجية السيد خلوق

(١) عُيِّن إسماعيل إيريز، فيما بعد، سفيراً لتركيا في باريس، واغتالته جماعة من الأرمن عندما كان خارجاً من زيارة لوزارة الخارجية الفرنسية، فتألمت لذلك.

بايولكان، وكنت أعرفه من الأمم المتحدة واجتمعنا مراراً خلال العامين الماضيين، فأخذني بالعناق والقبل، وكان معنا السفير الطرزي، والأمين العام إسماعيل إيريز. تحدثنا عن العلاقات الثنائية بين الطرفين وضرورة تقويتها وتعميقها، وعن القضايا الدولية وعلى رأسها قضية فلسطين، وكان السيد بايولكان في الأمم المتحدة من المدافعين عن وجهة نظرنا، وكانت له مواقف داعمة ومؤيدة لقضايانا، ثم قدّمت للوزير دعوة من وزير خارجيتنا الأستاذ عبد الحليم خدام لزيارة سورية، فقبلها شاكراً ووعد بتليتها قريباً.

ثم ذهبت مع السفير الدكتور طرزي لزيارة رئيس الوزراء السيد فريد ميلين، وكان مبتهجاً للقائي. أشار إلى الكتب المتبادلة بينه وبين اللواء عبد الرحمن خليفوي من أجل المتدربين الأتراك في معسكرات الفدائيين الفلسطينيين لدينا، فشرحت له أننا والدول العربية جمعاء، عندما تأسست منظمة تحرير فلسطين اعترفنا بها وقبلناها عضواً في جامعة الدول العربية، ووعدنا بتقديم العون والتأييد الكاملين لها لتحرير فلسطين، لم يكن ذلك في سورية فحسب وإنما في سائر الدول العربية، وهذا واجب علينا. وبدأت المنظمة عملها وتدريباتها، وتحمس لها عدد كبير من محبي الحرية في العالم وممن يكرهون العدوان والخطر الصهيونية، فانخرطوا في صفوفها، ومنهم الفرنسي والأمريكي والألماني والياباني، ومنهم التركي أيضاً، والهدف من ذلك، العمل ضد إسرائيل. إلا أننا عندما رأينا أن بعض هذه العناصر تتدرب في المعسكرات الفدائية لتعمل ضد أنظمة حكوماتها، وليس من أجل الهدف الذي تطوعت في سبيله، نصحنا المنظمات الفلسطينية بعدم السماح لرعايا تلك الدول بالانخراط في صفوفها، ولا يوجد الآن أي تركي في هذه المعسكرات. فبدا متفهماً لا سيما وأن رسالة الخليفوي له كانت تتضمن نفس المعلومات.

ثم طلبت إليه إعطاء تعليماته من أجل اجتماع لجان المياه والترانزيت وتسهيل منح التأشيرات، فتحمس لذلك، وأمر بالاجتماع وإعطاءنا جميع المعلومات وتسهيل مرور وعبور السوريين.

في اليومين التاليين عقدنا مع الجانب التركي برئاسة إسماعيل إيريز اجتماعين بحثنا خلالهما جميع الأمور العالقة بين البلدين: مياه الفرات والسدود عليها وحصة سورية منها، وموضوع المتدربين الأتراك في معسكرات الفلسطينيين، وقد أعدت ما كنت حدثت رئيس الوزراء التركي به، وقبر سليمان شاه التركي، الذي ستغمره مياه السد في الطبقة، وطلبت نقله إلى تركيا، فتمسك الجانب التركي بإبقائه في سورية

تنفيذاً لاتفاقية لوزان المعقودة بين فرنسا وتركيا والتي تبقية في سورية (كمسماز جحا)، على أن ننقله إلى مكان مرتفع، ثم قضايا الأملاك والترانزيت والسياحة، ثم التوصية بعقد اتفاقيات ثقافية واقتصادية وسياحية بين البلدين.

كان جو المحادثات ودياً، وإن لم نتوصل للاتفاق على جميع القضايا المطروحة، إلا أن كل طرف تفهّم مواقف الطرف الآخر.

بعد هذين الاجتماعين والمقابلات مع المسؤولين، هيأ لي الجانب التركي برنامجاً سياحياً لزيارة بعض المدن التركية: إيفيز Efez المدينة التاريخية اليونانية الشبيهة بتدمر إلى حد ما من دون أن تكون بعظمتها، ثم إزمير، مدينة المعارض، ثم إستنبول، المدينة التاريخية الساحرة، عاصمة الامبراطورية العثمانية بمتاحفها وقصورها وجوامعها الفريدة بجمالها، والتي تحكي عظمة تلك الامبراطورية واسعة الأرجاء على القارات الثلاث والتي كانت مركز الخلافة الإسلامية لأربعة قرون.

لم تكن إستنبول غريبة عليّ، فقد زرتها عدة مرات منذ عام ١٩٥٠ قبل أن أعمل في السفارة، وبعدها قرأت عن تاريخها القديم والحديث، البيزنطي والإسلامي، وزرت مراراً جوامعها وقصورها ومتاحفها وأسواقها المغطاة والمكشوفة، وتعرفت على رجالاتها ودرست لغتها بعض الشيء.

الجديد في متاحفها هو القسم الإسلامي في متحف «توب كابي سيراى» حيث عرضت فيه «شعرة» من ذقن الرسول ﷺ، وعدة شعرات أخرى ضمن علبة، وسيف الخليفة أبي بكر وسيف عمر وسيف عثمان وسيف علي... كما عرض القرآن الذي كان يقرأ فيه الخليفة عثمان عندما قُتل. وكان هنالك صندوقان من الذهب قيل إنهما كانا يضمنان ألبسة الرسول - أعتقد أن جميع هذه المعروضات كانت مختلقة - فالسيوف كانت عليها كتابات بخط يعود إلى فترة قريبة، ليست فترة الخلافة، والمصحف الذي كان يقرأ فيه الخليفة عثمان كانت تفصل بين آياته دوائر منقطة، ولم يكن ذلك معروفاً في ذلك الحين، كما أن الصندوقين المذهبين كانا أبعد ما يكونان للرسول الذي حرّم خزن واستعمال الذهب، وأما الشعرة فكانت من اختراع المشرفين على المتحف بهدف جذب السياح الأمريكيان والضحك على عقولهم.

على كل، فقد أحاطني الأتراك بحماية شديدة غير مألوفة حيثما تجولت، وبعناية خاصة نظراً لمعرفتي الوثيقة بوزير الخارجية خلوq بايولكان، ولأنني عملت في السابق في سفارة الجمهورية العربية المتحدة ثم في السفارة السورية بأنقرة، وكنت على معرفة وثيقة بالمشرفين على وزارة الخارجية التركية في ذلك الحين. وجرى لي

وداع رسمي كالاستقبال الرسمي، وعدت إلى دمشق لأطلع الوزير الأستاذ خدام على فحوى زيارتي لتركيا، ووضعت تقريراً عنها رفعته للسيد الرئيس.

زيارة وزير خارجية تركيا إلى سورية: وصل إلى دمشق، في ١٨ كانون الأول ١٩٧٢، بزيارة رسمية، تلبية لدعوة من الأستاذ عبد الحليم خدام، وزير خارجية تركيا السيد خلوق بايولكان Haluk Bayulken ترافقه زوجته، على رأس وفد كبير في أول زيارة رسمية لوزير خارجية تركي إلى سورية، وجرى له استقبال رسمي كرئيس للوزراء، وحل في قصر الضيافة.

في المساء، جاء لزيارة وزيرنا، وحضرت المقابلة. كان الحديث ودياً للغاية، وأقام له الوزير وزوجته حفل عشاء ضم ما يقرب من خمسين مدعواً.

في اليوم التالي، بدأت المباحثات بين الوفدين، وبعد الاتفاق على جدول الأعمال. انقسم العمل إلى أربع لجان: لجنة سياسية برئاسة الوزير لبحث المواضيع السياسية، ولجنة اقتصادية برئاسة لبحث الاتفاقات الاقتصادية والترانزيت والسياحة والمياه والطيران المدني، ولجنة قانونية برئاسة الأستاذ جمال النعماني لبحث مواضيع الأملاك، ولجنة ثقافية برئاسة الزميل بديع حقي لبحث البرنامج الثقافي.

جرى الاتفاق على أكثر المواضيع ما عدا موضوع قبر سليمان شاه، الذي أُلحِتْ إلى ضرورة نقله إلى تركيا لأن منطقته ستغمرها المياه، وأصر الجانب التركي على إبقائه في سورية ونقله إلى مكان قريب مرتفع فيها.

كذلك، أثار الوزير التركي مع الأستاذ خدام موضوع المتدربين الأتراك في معسكرات الفلسطينيين، وقد فهمت أن السبب الرئيسي من الزيارة قد يكون هذا الموضوع، وكان جواب وزيرنا كجوابي الذي كنت قدّمته لرئيس الوزراء التركي لدي زيارتي لأنقرة.

بعد أن أنهت اللجان أعمالها ووضعت تقاريرها، جرى التوقيع في وزارة الخارجية على اتفاقية الأملاك التي كانت وقّعت بالأحرف الأولى في أنقرة، وعلى بروتوكول الدفع الملحق بها وعلى البرنامج الثقافي لتنظيم التبادل الثقافي بين البلدين. وقّع هذه الاتفاقات عن الجانب السوري الأستاذ عبد الحليم خدام، وعن الجانب التركي السيد خلوق بايولكان. وكانت تلك مناسبة تاريخية تتم للمرة الأولى منذ أكثر من ستين سنة بين البلدين.

بعد التوقيع على الاتفاقات، استقلنا طائرة عسكرية، الوفد التركي وأنا معه، إلى

الطبقة حيث زرنا موقع السد وموقع العنفات البخارية، ثم انتقلنا إلى الطرف الثاني لزيارة قبر سليمان شاه (مسمار جحا) في الأراضي السورية، وكانت السلطات التركية قد جددت طلاءه بهذه المناسبة، وكست أرضه بالسجاد ورفعت عليه الأعلام التركية وجاءت بمفرزة من الجنود الأتراك لحراسته!... لم أكن مسروراً بهذا المنظر الذي فرضته علينا فرنسا بالاتفاق مع تركيا في معاهدة لوزان... إذ إن سليمان شاه، والد محمد الفاتح الذي استولى على إستانبول وأسس السلطنة العثمانية، كان قد قتل في موقعة على الفرات ودفن في هذا الموقع، وأصرّت تركيا على فرنسا في معاهدة لوزان على أن يبقى قبره في سورية أرضاً تركية تقيم عليها الحراسة الدائمة.

بعد زيارة الطبقة وقلعة جعبر، توجهنا إلى حلب حيث استقبلنا المحافظ وقائد شرطة حلب والقنصل التركي وثلة من الشرطة للتحية. نزل الوزير التركي وزوجته في الفندقية التركية وحللت وباقي أعضاء الوفد التركي في الفندق السياحي.

في المساء، أقام المحافظ أحمد إسماعيل حفل عشاء على شرف الوزير في نادي حلب، وفي اليوم التالي أخذت الوزير وزوجته والوفد المرافق في زيارة سياحية، زرنا خلالها قلعة حلب والأسواق القديمة والمتحف الجديد الغني بموجوداته وبالآثار القديمة التي تعود إلى خمسة آلاف سنة، ثم توجهنا بموكب رسمي إلى الحدود.

تحدثت مع الوزير عن ضرورة فتح الحدود بين البلدين وتشجيع السياحة بينهما، قال: إذا أصبحت وزيراً للسياحة سأفعل ذلك. في الطريق، فتحنا راديو السيارة وإذا بالإذاعة تنشر أسماء أعضاء الوزارة الجديدة، وورد اسمي فيها كوزير للسياحة، فكان ذلك مفاجأة غير منتظرة لي، فابتسم الوزير وهنّأني، ثم أوصلته والوفد المرافق إلى الحدود في منطقة غازي عنتاب، وعدت إلى دمشق مستغرباً تسميتي وزيراً للسياحة من دون استشارتي!...

وهكذا انتهت المرحلة الأولى من عملي في وزارة الخارجية بصدر المرسوم رقم ٢٥٣٤ بتاريخ ١٨/١١/١٣٩٢ للهجرة الموافق لـ ٢٣/١٢/١٩٧٢ للميلاد، الذي جرى تعييني بموجبه وزيراً للسياحة في الحكومة الجديدة التي شكلها الأستاذ محمود الأيوبي، وكان الأستاذ محمود الأيوبي صديقاً لي عندما كان أميناً عاماً لوزارة التربية عندما كنت أميناً عاماً لوزارة الخارجية، وكان التعاون بيننا وثيقاً.

ولئن غادرت وزارة الخارجية إلى وزارة السياحة، فإن علاقتي بقيت قائمة مع وزارة

الخارجية، وقد أصدر الرئيس حافظ الأسد مرسومين برقم ١٥٤٨ بتاريخ ١١/٢٢/١٩٧٣، و ١٧٣١ بتاريخ ٨/١٢/١٩٧٣ عهد فيهما إلي بوكالة وزارة الخارجية طيلة مدة غياب الوزير الأصيل الأستاذ عبد الحليم خدام بمهام رسمية خارج القطر.

كما أنني، وبعد استقالة وزارة الأستاذ محمود الأيوبي، عدت إلى وزارة الخارجية كمعاون للوزير، ثم جرى تعييني سفيراً في الهند، وسفيراً غير مقيم في سري لانكا وبنغلاديش وبورما ونيبال وأفغانستان.

وفي كتاب لاحق سأتي على ذكر ما اطلعت عليه خلال قيامي بهذه المهمات الدبلوماسية، راجياً أن تتاح لي الفرصة لإتمام ما بدأته من ذكر في خدمة وطني في مجال العمل الدبلوماسي.

قسم الصور



في سفارة ج ع م ببروكسل



المؤلف مع كبير الأمناء في القصر
بدوقية لوكسمبورغ لدى تقديم أوراق الاعتماد



السفير صالح خليل مع كبير الأمناء، والمؤلف مع الملحق العسكري
قصر دوقية اللوكسمبورغ لدى تقديم أوراق الاعتماد



الخروج من قبر اقاتورك بعد توقيع السجل الذهبي وتسجيل كلمة بعد تقديم أوراق اعتماد
السفير مؤيد العظم أقره ١٩١٢
السفير مؤيد العظم، الوزير المفوض عبد الله الخاني - السكرتير شريف قطمه



توقيع اتفاقية حظر استعمال وانتشار الأسلحة النووية
لندن ١٩٦٣



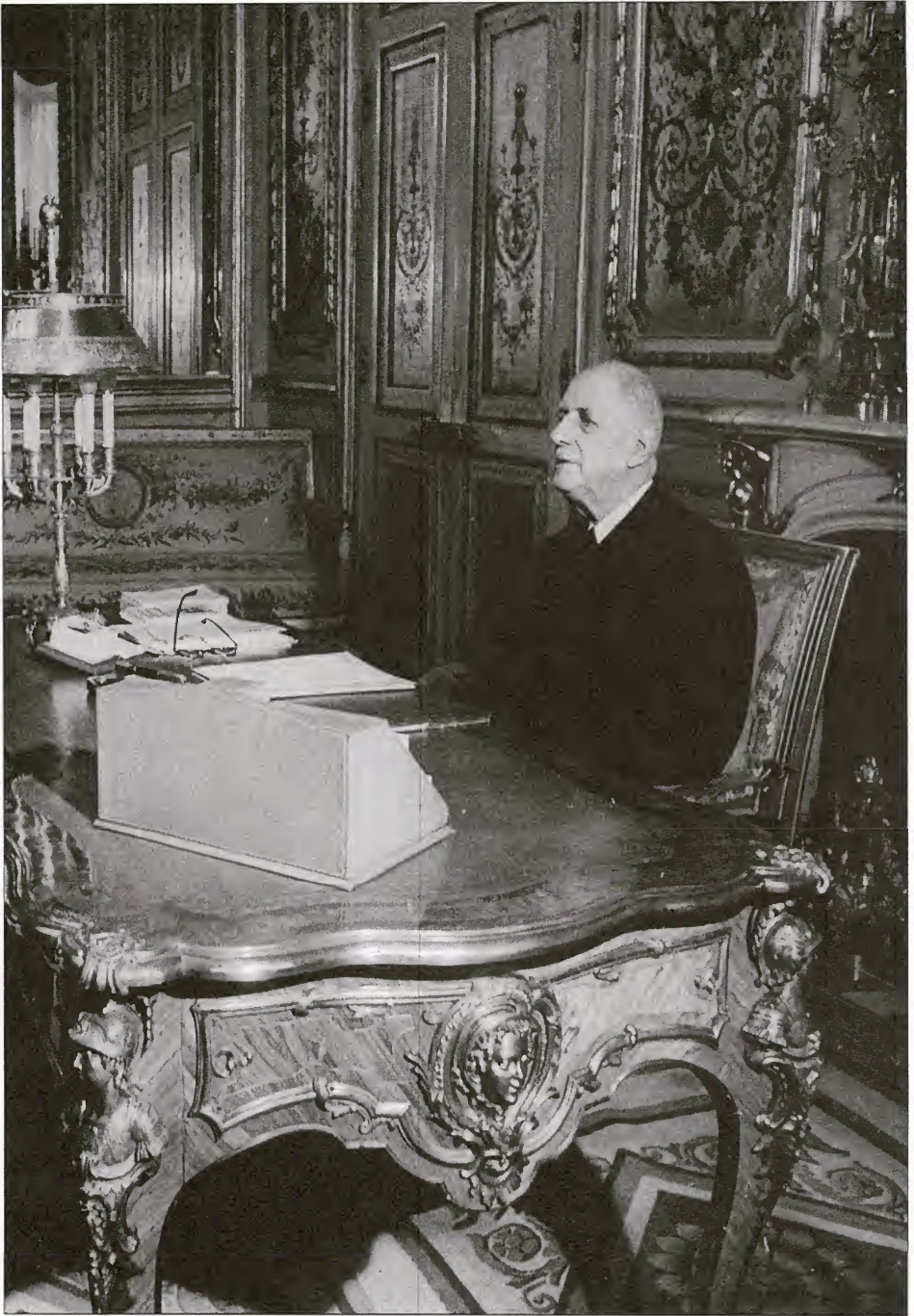
المؤلف يحمل إكليل الورد، وبجانبه السيدة البريطانية التي اختارها منظمو الحفل على افقته،
وذلك في المسيرة لوضع الإكليل على قبر شكسبير



الوفد السوري: من اليمين: عبد الله الخاني، الوزير المفوض، السفير د. سامي الجندي،
رئيس الوزراء د. يوسف زعين، وزير الخارجية د. إبراهيم ماحوس، الأمين العام د. هيثم الكيلاني



الوفد الفرنسي: في الوسط: وزير الخارجية كوف ده مورفيل، إلى يمينه: مسيو بارفان، مدير عام الشؤون الثقافية ثم المسيو ده لاجار ده نانتوي، نائب مدير عام الشؤون السياسية المختص بالشرق الأوسط، وإلى يساره المسيو فرانسوا شارل رو سفير فرنسا بدمشق / في وزارة الخارجية الفرنسية كيه دورسيه الاثني ١١ كانون الأول ١٩٦٧



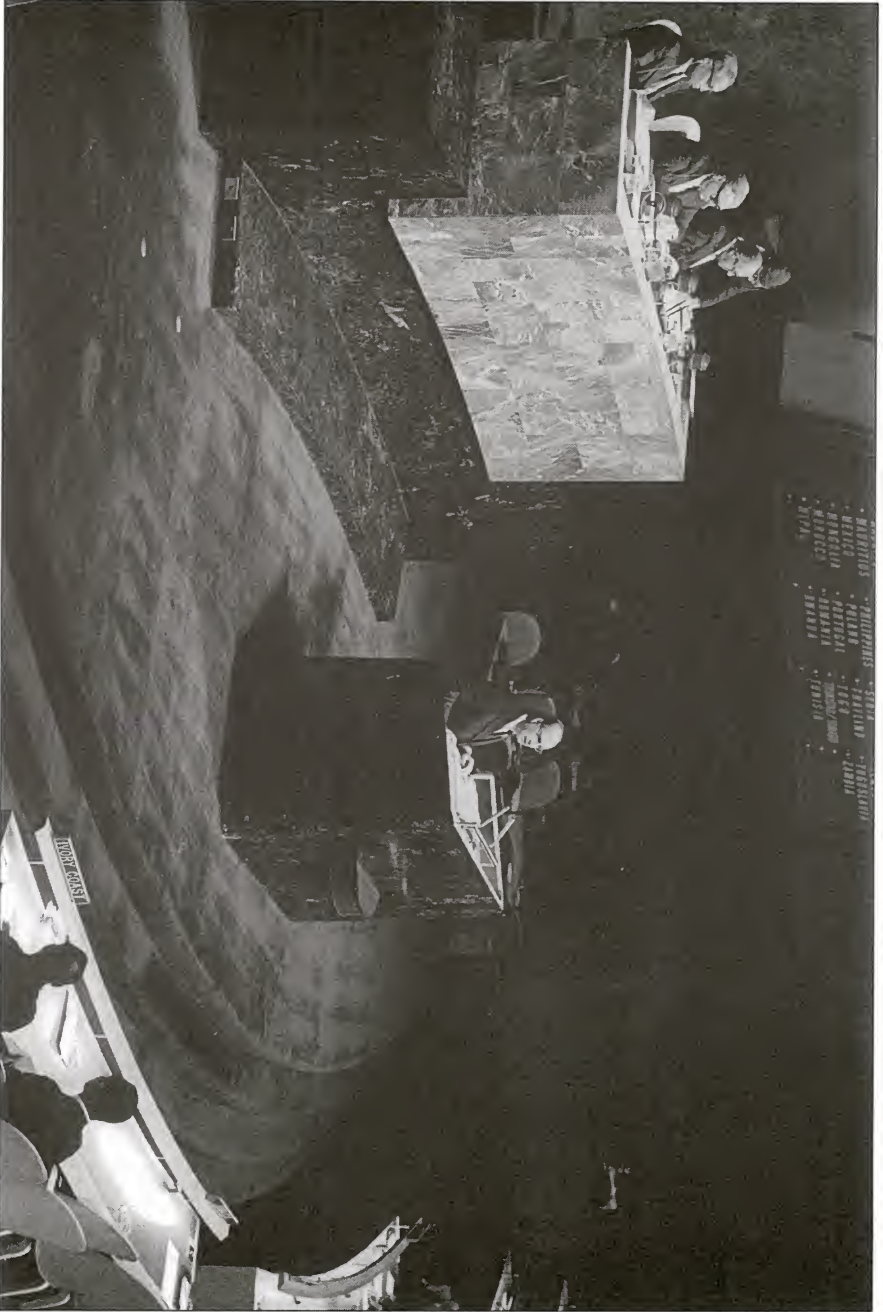
الجنرال شارل ديغول في مكتبه بقصر الإليزية ١٩٦٧



الدورة الخامسة عشر لمنظمة الأونسكو في باريس ١٩٦٨



مع الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو لدى تقديم السفير كامل حسين أوراق
اعتماده مع الملحق العسكري العميد محمد ملحم
باريس تموز ١٩٦٩



في الأمم المتحدة، لدى القائي كلمة سورية في الجمعية العامة
نيويورك، تشرين أول ١٩٧٠



في الجمعية العامة للأمم المتحدة، ألقى كلمة التآين بالمغفور له جمال عبد الناصر
نظراً لأن سورية كانت رئيسة المجموعة الآسيوية - الأفريقية لهذه الدورة
الأمم المتحدة ٢٩ أيلول ١٩٧٠



في الأمم المتحدة (١٩٧٠)
مع السفيرين جبر الأطرش ورفيق جويجاني والدكتور محمد الأطرش



جلسة مجلس الأمن - نيويورك ١٩٧٠

رئيس مجلس الأمن، وزير خارجية إسبانيا، إلى يمينه أوثانت الأمين العام

رئيس الوفد السوري، خلفي: الدكتور رفيق جويجاتي نائب المندوب الدائم، والدكتور ضياء الله الفتال،

وعبدان عمران، عضوا الوفد



في الجمعية العامة للأمم المتحدة
أيلول ١٩٧٠



بيروت في ١٢/٢٢/١٩٧٠

توقيع اتفاقية اللجنة الدائمة السورية اللبنانية الاستاذ عبد الحليم خدام نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية
والأستاذ خليل أبو حمد وزير خارجية لبنان



إذاعة بروتوكول
إنشاء الهيئة الدائمة السورية اللبنانية



رئيسا الوفدين الدكتور نجيب صدقة والسيد عبد الله الخاني وبعض أعضاء الوفد اللبناني
دمشق ١٩٧١



الهيئة الدائمة السورية - اللبنانية

رئيس الوفد السوري السيد عبد الله الخاني يلقي كلمة الترحيب

دمشق ١٩٧١



الوفد الياباني لدى وزير الخارجية الأستاذ عبد الحليم خدام



اجتماع الوفدين السوري والياباني

اجتماع الوفدين السوري والياباني





السيد خوان مارتين وزير خارجية الأرجنتين السابق والسيد أنريكيه لوبيت سفير الأرجنتين بدمشق
يوم حفل تقديم وشاح الاستحقاق من جوقة مايو المؤلف
الخميس ٢٨ تشرين أول ١٩٧١



توقيع الاتفاقية الثقافية مع الوفد الفرنسي



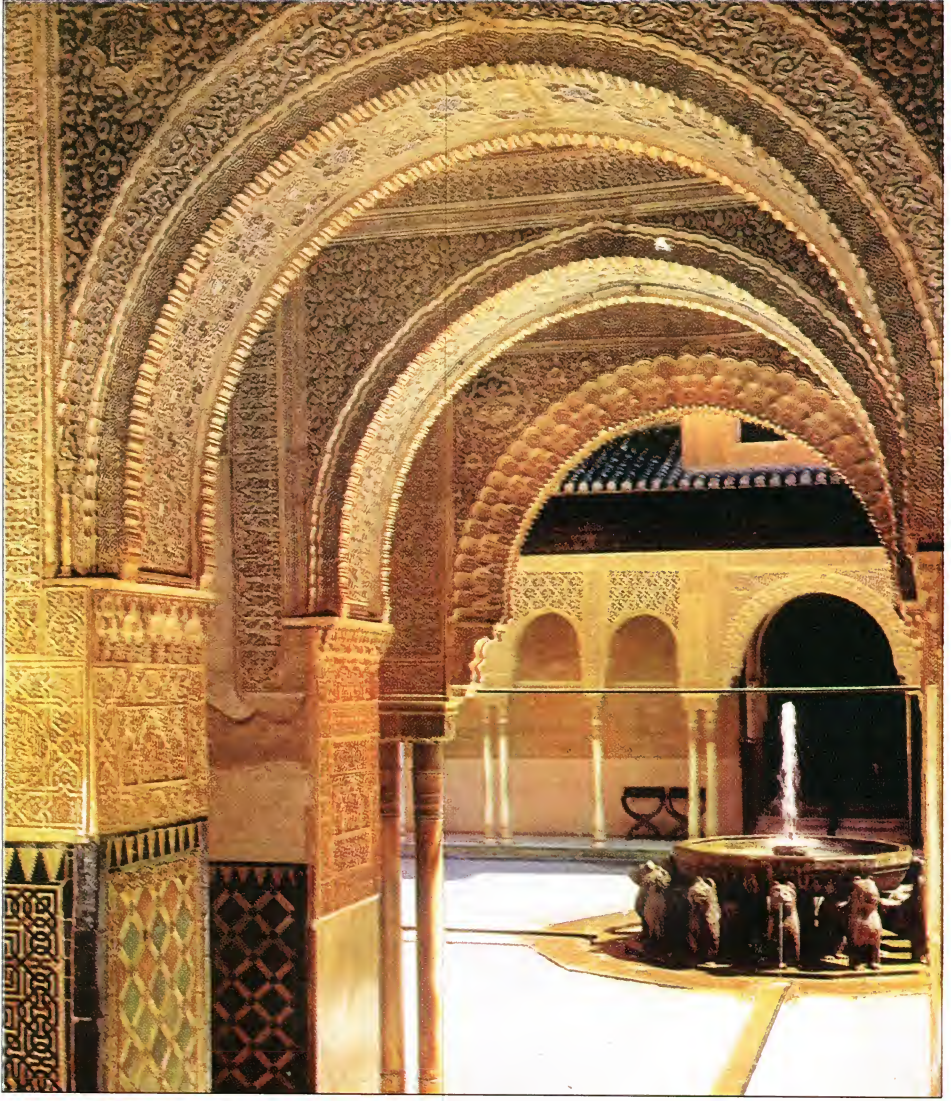
مع الأستاذ عبد الحليم خدام والسيد تشونغ رئيس جمهورية غويانا
جورجتاون ٨ آب ١٩٧٢



المؤلف عام ١٩٨٠



تمثال ابن رشد



منظر لقاعة الأسود مع الأقواس في غرناطة



برج القلعة الحرّة



نهر الوادي الكبير



مقبرة الشهداء في مدريد محفورة ضمن الجبل. فيها قبر زعيم الثورة ضد الشيوعيين
خوسيه أنطونيو وزعيم إسبانيا السابق فرنسيسكو فرانكو



قبر الزعيم خوسيه أنطونيو



قبر الرئيس السابق فرنسيسكو فرانكو



La Giralda

مئذنة الجامع الكبير في

إشبيلية

هدم الجامع وأقيمت مكانه أكبر

كنيسة في إسبانيا

ثالث أكبر كنيسة في العالم -

واحتفظ ملوك الكاثوليك

بالمئذنة لجمالها ووضعوا

فوقها الأجراس

يمكن الصعود إليها من الداخل

بسيارة صغيرة





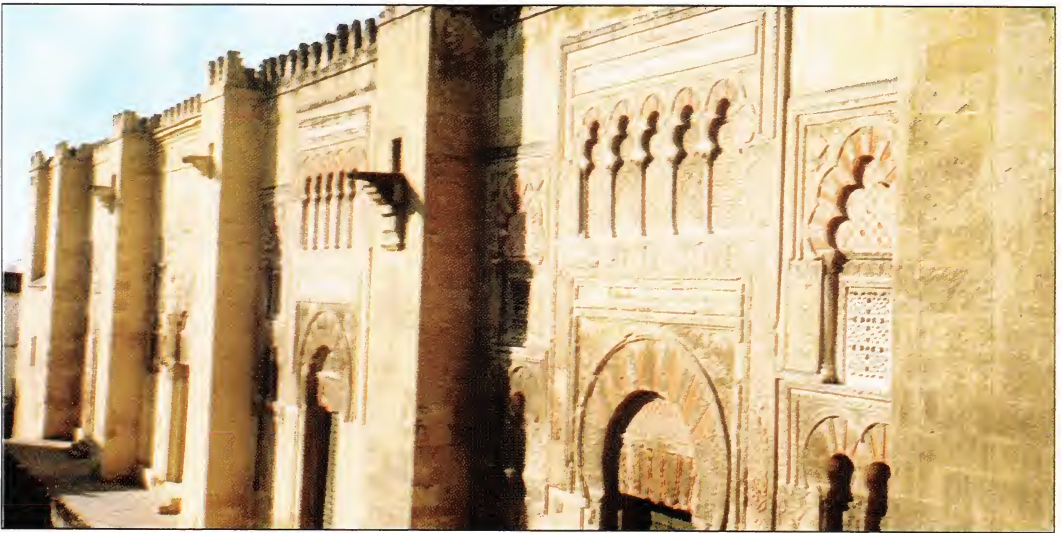
الصليب فوق لوس كابيدوس



سقف الكنيسة فوق قبر خوسيه أنطونيو وفرنسيسكو فرانكو



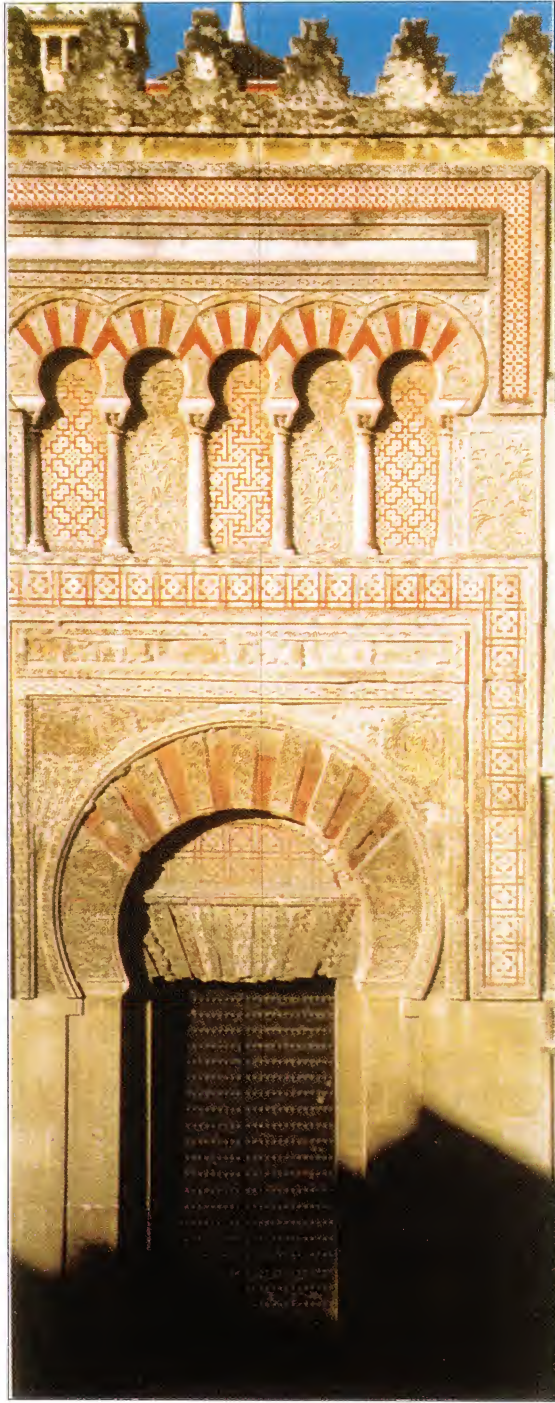
الباب الرئيسي للجامع الكبير



أحد جدران الجامع الكبير



القبّة الجميلة فوق المحراب



أحد أبواب الجامع الكبير



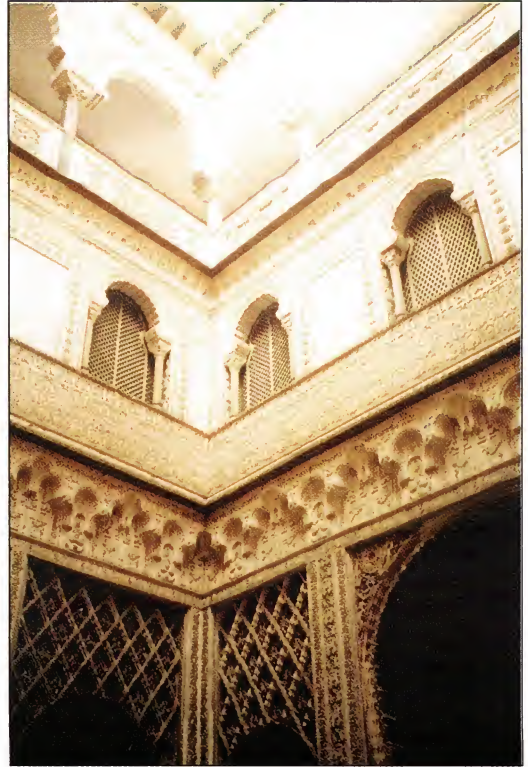
جَنَّة الخليفة
الحديقة في قصر الحمراء في غرناطة



جَنَّة الخليفة في حدائق غرناطة



المئذنة في جامع قرطبة



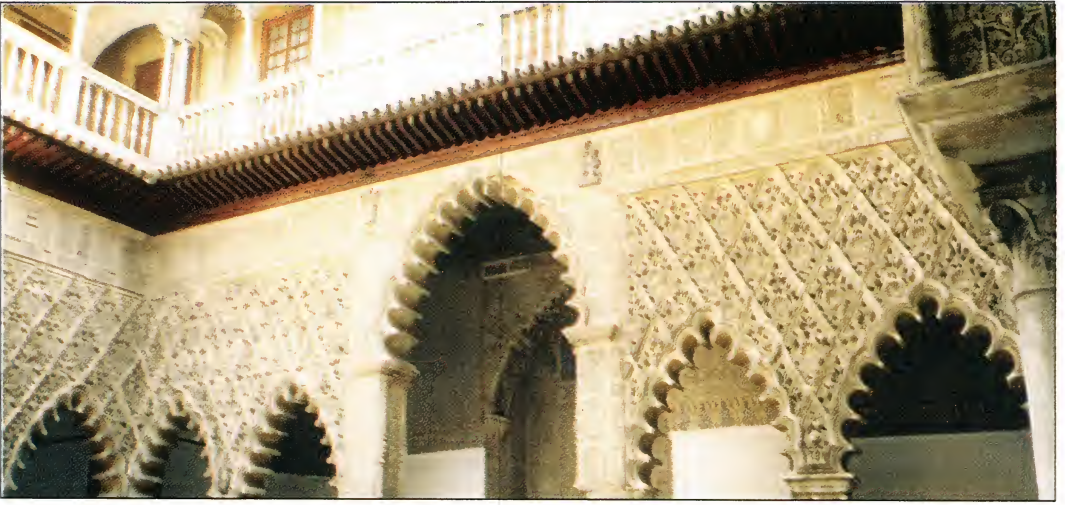
الرواق
في قصر إشبيلية العربي



في الجبل قرب العاصمة مدريد
مدخل النفق وضمنه الكنيسة الكبيرة التي تحوي
قبر خوسيه انطونيو وإلى جانبه قبر فرنسيسكو فرانكو



البهو الرئيسي والبحرة في القصر العربي بإشبيلية



الأروقة في قصر إشبيلية



قاعة الأسود في قصر الحمراء بغرناطة



المؤلف عبد الله الخاني على الدرج المؤدي إلى المكتبة العربية
لاحياء الأندلس في قرطبة



جلسة المباحثات بين الوفدين السوري والتركي
الوفد السوري برئاسة الأستاذ عبد الحليم خدام، نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية
والتركي برئاسة السيد خلوق بايولكان وزير الخارجية
دمشق كانون الأول ١٩٧٢



مع وزير خارجية البحر
دمشق ١٩٧٤/٥/٣٠

أمام قبر الجنرال شارل ديغول





المؤلف بين الدكتور صباح القباني - إلى يساره - والمرافق خسيوس صبرا



المغتربون الأمريكان من أصل عربي Fe Arabe
- بيونس آيرس - الأرجنتين



في وزارة الخارجية السورية ١٩٧١

محتوى الكتاب

الصفحة

الموضوع

| | |
|----|--|
| ٥ | المقدمة |
| ٧ | العمل في وزارات الخارجية |
| ١١ | وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة |
| ١١ | ١ - في السفارة بمطريد: ٣/١١/١٩٥٨ - ١٥/٨/١٩٥٩ |
| ١٨ | ٢ - في سفارة ج.ع.م. في بروكسل: ١٥ آب ١٩٥٩ - ١ آذار ١٩٦١ |
| ٣٠ | ٣ - في القاهرة: ١ نيسان ١٩٦١ - ٢١ حزيران ١٩٦١ |
| ٣١ | ٤ - في سفارة الجمهورية العربية المتحدة بأنقرة: ٢٥ حزيران - ٢٨ أيلول ١٩٦١ |
| ٣٧ | وزارة خارجية الجمهورية العربية السورية |
| ٣٧ | ١ - في السفارة السورية بلندن: ٨ آذار ١٩٦٢ - ٣٠ نيسان ١٩٦٤ |
| ٤٠ | - الصواريخ السوفياتية إلى كوبا |
| ٤١ | - مقتل الرئيس الأمريكي جون فيتسجيرالد كيندي |
| ٤٣ | - الحكومة البريطانية الجديدة |
| ٤٣ | - ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ |
| ٥١ | - العلاقة مع السفارات العربية |
| ٥٢ | - اليهود في بريطانيا |
| ٥٢ | - زيارة غولداماثير لبريطانيا |
| ٥٣ | - الحزب الوطني الاشتراكي البريطاني |
| ٥٤ | - مقابلة مع رئيس اتحاد نقابات العمال في بريطانيا (٤ آذار ١٩٦٤) |
| ٥٥ | - مانكروفت والقائمة السوداء |
| ٥٦ | - الصحافة البريطانية |
| ٥٦ | - شتاء لندن |
| ٥٧ | - الاحتفال بمرور أربعمئة عام على ولادة وليم شكسبير ١٥٦٤ - ١٩٦٤ |
| ٥٨ | - مع الدكتور يوسف زعين |

| | |
|-----|--|
| ٥٩ | - النشاط السياسي والاجتماعي والثقافي والفني في لندن |
| ٦١ | ٢ - في دمشق ٩ أيار ١٩٦٤ - ٩ حزيران ١٩٦٦ |
| ٦٣ | - شراء طائرة سوبركارافيل |
| ٧٠ | ٣ - في باريس ٩ حزيران ١٩٦٦ - ٢٢ آب ١٩٦٩ |
| ٧١ | أ - السفارة السورية لدى الحكومة الفرنسية |
| ٧١ | ١ - السفارة والموظفون فيها |
| ٧٤ | ٢ - زيارة المسؤولين السوريين لفرنسا |
| ٧٤ | (١) - زيارة الدكتور إبراهيم ماحوس، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الخارجية |
| ٧٥ | (٢) - زيارة الدكتور يوسف زعين، رئيس مجلس الوزراء |
| ٨٣ | ٣ - الزيارات الرسمية للمسؤولين الفرنسيين للخارج |
| ٨٣ | (١) - زيارة الجنرال ديغول إلى الاتحاد السوفياتي |
| ٨٤ | (٢) - زيارة رئيس الوزراء الفرنسي ووزير الخارجية إلى لندن ... |
| ٨٥ | ٤ - رؤساء الدول العربية والأفراد والوزراء الذين قاموا بزيارة فرنسا .. |
| ٨٥ | - زيارة عبد الرحمن عارف، رئيس جمهورية العراق، لفرنسا |
| ٨٦ | ٥ - إنشاء معمل للطائرات في إسرائيل |
| ٨٧ | ٦ - قضية المهدي بن بركة - اختطافه واغتياله والمحاكمة |
| ٩٠ | ب - الوفد الدائم لدى اليونسكو |
| ٩١ | العدوان الإسرائيلي في ٥ حزيران ١٩٧٦، ومراحل تهيئته وموقف فرنسا منه . |
| ٩٣ | - معاهدة الدفاع المشترك بين سورية ومصر |
| ١٠٧ | - تصريح وزير الإعلام السوري |
| ١٠٧ | - مساعي التسوية |
| ١٠٧ | ١ - مساعي التسوية |
| ١٠٧ | ٢ - مساعي المارشال تيتو |
| ١٠٨ | ٣ - مع سفير السويد في باريس |
| ١١١ | أحداث أيار ١٩٦٨ |
| ١١٩ | ربيع براغ |
| ١٢٢ | التعديلات الدستورية التي أراد الجنرال ديغول إدخالها والاستفتاء عليها |
| ١٢٧ | أثر الهزيمة |
| ١٢٧ | (١) في الحكومة |
| ١٢٧ | (٢) لدى الشعب الفرنسي |

| | |
|-----|--|
| ١٢٧ | ٣) في الأوساط الدولية |
| ١٢٨ | الخلافة الديغولية |
| ١٢٩ | النهج السياسي المقبل |
| ١٢٩ | ١ - في السياسة الداخلية |
| ١٢٩ | أ - المشاركة |
| ١٢٩ | ب - الفرنك |
| ١٢٩ | ٢ - في السياسة الخارجية |
| ١٢٩ | أ - حلف شمال الأطلسي |
| ١٢٩ | ب - السوق الأوروبية المشتركة |
| ١٣٠ | ج - العلاقات مع إسرائيل |
| ١٣٠ | ١) من الناحية العسكرية |
| ١٣٠ | ٢) من الناحية السياسية |
| ١٣٠ | التعليق والرأي |
| ١٣٣ | المعركة الانتخابية في فرنسا |
| ١٣٥ | الانتخابات الفرنسية والسياسة الخارجية |
| ١٣٦ | الانتخابات الفرنسية ونجاح جورج بومبيدو |
| ١٣٨ | الحكومة الفرنسية الجديدة ١٩٦٩/٦/٢٦ |
| ١٤٠ | في اليونسكو |
| ١٤١ | ١ - إقرار اللغة العربية كلغة عمل في منظمة اليونسكو |
| ١٤٢ | ٢ - الدورة السابعة والسبعون للمجلس التنفيذي لليونسكو |
| ١٤٧ | نحن في فرنسا |
| ١٤٩ | إحراق المسجد الأقصى |
| ١٥٢ | في دمشق ٢٦ آب ١٩٦٩ - ١٥ شباط ١٩٧٨ |
| ١٦١ | عام ١٩٧٠ في وزارة الخارجية |
| ١٦١ | أ - الأحداث المفردة |
| ١٦٣ | ب - الأحداث الرئيسة |
| ١٦٤ | الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على الدول العربية |
| ١٦٧ | - مشروع وليم روجرز للسلام في الشرق الأوسط |
| ١٧٠ | - تشكيلات السفراء في وزارة الخارجية السورية |
| ١٧١ | - احتفالات ليبيا بعيد الجلاء |

- ١٧٢ - الاقتتال بين القوات الأردنية والفدائيين فيما سمي بأيلول الأسود
- ١٧٩ - الفدائيون يختطفون أربع طائرات لدول مختلفة
- ١٨٠ - دورة الأمم المتحدة الخامسة والعشرين، وتروسي للوفد السوري
- ١٩٠ - الدورة الخاصة واليوبيل الفضي للأمم المتحدة (الاحتفال التذكاري)
- ١٩١ - اجتماع مع موريس شومان، وزير خارجية فرنسا
- ١٩٢ - الاجتماع لدى مندوب لبنان
- ١٩٤ - اجتماع مجلس الأمن
- ١٩٦ - في باريس ٤ و ٥ تشرين الثاني
- ١٩٦ ١ - زيارتي إلى المدير العام لمنظمة اليونسكو
- ١٩٧ ٢ - زيارتي إلى رئيس لجنة الشؤون الخارجية في الجمعية الوطنية (البرلمان)
- ١٩٧ - زيارة البابا بولس السادس
- ١٩٩ - وفاة الجنرال ديغول، ومشاركتي في حضور القداس
- ٢٠١ - الحركة التصحيحية التي قادها الفريق حافظ الأسد
- ٢٠٤ - انتخاب أعضاء القيادة القطرية الجديدة لحزب البعث العربي الاشتراكي
- ٢٠٦ - التعديل الوزاري
- ٢٠٧ - الوفود العربية المهتة
- ٢٠٩ - سياسة سورية الخارجية
- ٢٠٩ I - سياسة سورية العربية
- ٢٠٩ أ - دولة الاتحاد العربية
- ٢١٥ ب - مع لبنان
- ٢١٥ - الهيئة الدائمة السورية اللبنانية
- ٢١٧ ج - مع الأردن
- ٢١٧ - استمرار القتال بين القوات الأردنية والفدائيين الفلسطينيين
- ٢٢١ د - مع العراق
- ٢٢١ - تأميم شركة نفط العراق
- ٢٢٣ هـ - مع الكويت
- ٢٢٤ و - مع دولة الإمارات العربية المتحدة
- ٢٢٥ - زيارة الرئيس الأسد إلى أبو ظبي
- ٢٢٥ ز - إعادة العلاقات الدبلوماسية مع تونس
- ٢٢٦ ح - إعادة العلاقات الدبلوماسية مع المغرب

| | |
|-----|--|
| ٢٢٦ | ط - مع المملكة العربية السعودية |
| ٢٢٧ | ي - مع البحرين وقطر |
| ٢٢٧ | ك - مع الجزائر |
| ٢٢٩ | ل - مع السودان |
| ٢٢٩ | - انقلاب فاشل في السودان |
| ٢٣٠ | م - مع اليمن |
| ٢٣١ | ن - مع الصومال |
| ٢٣١ | II - العلاقات مع الدول الأجنبية |
| ٢٣١ | أ) مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية |
| ٢٣٧ | ب) مع الولايات المتحدة الأمريكية |
| ٢٤١ | ج) مع فرنسا |
| ٢٤٩ | د) مع اليونان |
| ٢٤٩ | هـ) العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا الغربية |
| ٢٥٠ | و) العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا |
| ٢٥١ | ز) زيارة وزير خارجية إيطاليا إلى دمشق |
| ٢٥١ | ح) زيارة وزير خارجية السويد |
| ٢٥٢ | ط) الوفد البلجيكي |
| ٢٥٢ | ي) زيارة وزير خارجية إسبانيا |
| ٢٥٣ | ك) زيارة آدم مالك، وزير خارجية أندونيسيا |
| ٢٥٣ | ل) زيارة السير جون ريني لدمشق |
| ٢٥٤ | م) زيارة نائب وزير الخارجية الإيطالية |
| ٢٥٤ | ن) زيارة مدير عام اليونسكو لسورية |
| ٢٥٤ | س) الأرجنتين تمنحني أعلى وسام |
| ٢٥٥ | ع) اختطاف ضباط سوريين في كمين |
| ٢٥٦ | ف) الفدائيون يحتجزون أفراداً من الفريق الرياضي في ميونيخ |
| ٢٥٨ | ص) مع الصين |
| ٢٥٩ | ق) مع اليابان |
| ٢٦٣ | ر) مؤتمر عدم الانحياز في جورجتاون |
| ٢٦٥ | ش) زيارة ترينيداد وتوباغو |
| ٢٦٦ | ت) زيارة فتزويلا |

| | |
|-----|--|
| ٢٦٧ | ث (زيارة اليونان |
| ٢٦٩ | خ (المفاوضات السورية التركية بشأن أملاك الطرفين |
| ٢٧٣ | - زيارة وزير خارجية تركيا إلى سورية |
| ٢٧٧ | قسم الصور |
| ٣٣٣ | محتوى الكتاب |

مؤلف الكتاب عبدالله فكري الخاني

● مواليد دمشق ١٩٢٥ م.

● المؤلفات العلمية

- علوم سياسية وفلسفة - الجامعة الأميركية - بيروت.
- ليسانس في الحقوق - الجامعة السورية - دمشق.
- إدارة عامة ومراسم: لندن وباريس.
- يتقن اللغات: العربية - الفرنسية - الإنكليزية - الإسبانية.

● أهم الأعمال والمناصب العامة التي شغلها

- عمل في المحاماة من ١٩٤٧ إلى ١٩٤٩.
- رئيس ديوان رئاسة الجمهورية في سورية، ثم مديراً عاماً، ثم أميناً عاماً بالوكالة (١٩٤٨ - ١٩٥٨).
- أستاذ محاضر في كلية الحقوق - الجامعة السورية (١٩٥٤ - ١٩٥٨).
- في وزارة الخارجية السورية، وزيراً مستشاراً، ثم وزيراً مفوضاً في مدريد - بروكسل - أنقرة - لندن - باريس (١٩٥٩ - ١٩٦٩). ثم سفيراً في الهند وسفيراً غير مقيم في سريلانكا وبورما والنيبال وبنغلاديش (١٩٧٨ - ١٩٨٠).
- مندوباً دائماً لدى اليونسكو، باريس (١٩٦٧ - ١٩٦٩).
- أميناً عاماً ثم معاوناً لوزير الخارجية السورية (١٩٦٩ - ١٩٧٢).
- وزيراً للسياحة (١٩٧٢ - ١٩٧٦).
- قاضياً في محكمة العدل الدولية في لاهاي - هولندا (١٩٨١ - ١٩٨٥).
- بالإضافة إلى أعمال ومهام رسمية عدة ولجان تحكيم دولية وجمعيات خيرية عربية وعالمية.

- عضواً في الهيئة الدولية للتحكيم لغرفة التجارة الدولية - باريس ١٩٨٦ - ١٩٩٣ .
- عضواً في المحكمة الدستورية لاتحاد البوسنة والهرسك - ساراييفو ١٩٩٥ - ٢٠٠١ .
- عضواً في المجلس الدولي للتحكيم في شؤون الرياضة - لوزان منذ ١٩٩٤

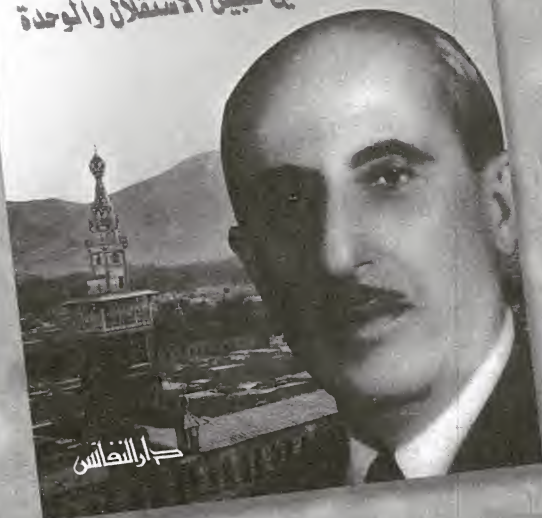
● من نشاطاته الرسمية

- المشاركة في مباحثات الوحدة بين سورية ومصر .
- المشاركة في الكثير من مؤتمرات القمة العربية، ومؤتمرات دول عدم الانحياز .
- ترأس الوفد السوري إلى مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة (الدورة الخامسة والعشرون).
- كتب وحاضر في مواضيع: نزع السلاح - النظام الدستوري والإداري في بريطانيا - حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة - الشريعة الإسلامية كمصدر أساسي لمحكمة العدل الإسلامية الدولية - الدبلوماسية كوسيلة لحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية - القانون الدولي في الإسلام...
- يحمل العديد من الأوسمة العالمية السورية والمصرية والأردنية والأرجنتينية والأندونيسية ومن البابا بولس السادس والبابا يوحنا بولس الثاني .
- له نشاطات سياسية وثقافية وفنية متعددة .

عبد الله فكري الخاني

جهاد شكري القوتلي

في سبيل الاستقلال والوحدة



عبد الله فكري الخاني

سورية

بين الديمقراطية والحكم الفردي

(عشر سنوات في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية)

١٩٥٨ - ١٩٤٨





هذا الكتاب هو الثالث لمؤلفٍ شاهرٍ صادق على عصرٍ بلغت فيه الحرب الباردة أوجها، مما انعكس اضطراباً على بلد مهم في المشرق العربي هو سورية الأبية.

في كتابه الأول تحدث عن جهاد شكري القوتلي، بطل الاستقلال. وفي الثاني عن "سورية بين الديمقراطية والحكم الفردي" لغاية قيام الوحدة مع مصر.

وفي هذا الكتاب، ومن خلال عمله في عدّة سفارات، ومشاركته في عدة وفود، استطاع أن يغطي الأحداث الجسام التي عصفت بسورية وبالبلاد التي خدم فيها.

وسيلاحظ قارئ الكتاب سلاسة أسلوب المؤلف، وإحاطته بالأحداث، وبما ورائها، لما يتمتع به من حسنٍ سليم، وذكاء نادر، وإخلاص مهني، جعله يستمر في عمله ويترقى، ليختم مهماته الرسمية وزيراً، ثم عضواً في محكمة لاهاي الدولية. وهذا على الرغم من تغير رؤسائه واتجاهاتهم.

ولهذا يمكن أن نعدّ الكتاب مدرسة في العمل الدبلوماسي، ومرجعاً لكل سياسي، أو مثقف، أو مؤرخ، يفتش عن الحقيقة.

الناشر

عبد الله فقري الخاني

الدبلوماسية السورية في عقدين (١٩٨٠-١٩٥٩)



دار الفاضل

ISBN 9953-18-125-X



9 789953 180397